سجع الحمام
في حكم الإمام

أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

جمع وضبط وشرح

محمد أبو الفضل إبراهيم

علي الجندي

محمد يوسف المحجوب





سجع الحمام

في حكم الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

جمع وضبط وشرح

محمد أبو الفضل إبراهيم

محمد يوسف المحجوب

علي الجندي





شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

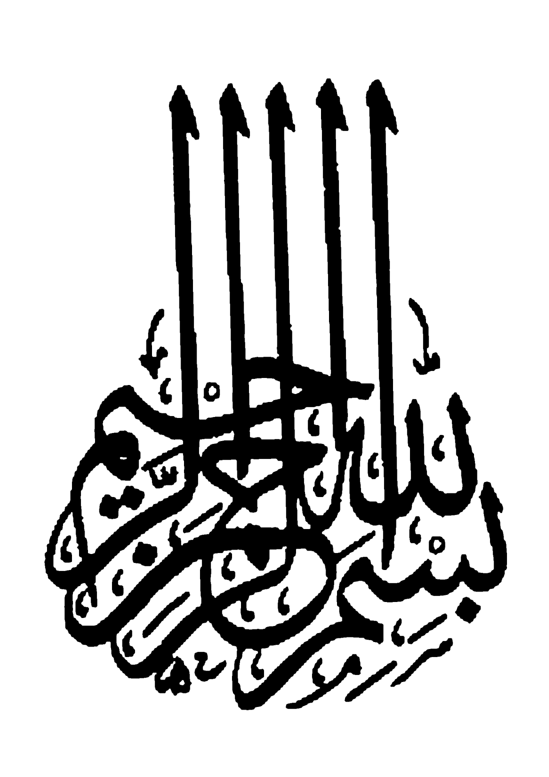
• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٣٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير ومنهج

كان أميرُ المؤمنين عليّ رضي الله عنه أقربَ النّاس من رسول الله ﷺ، وأدْناهم إلى قلبه، وأكثرَهم محبَّةً له؛ ولم يَكَدْ يبلغ السادسة من عمره الشريف حتى ضمَّه الرسول إليه، وأخذه في جانبه وكنفه؛ تخفيفاً عن عمه أبي طالب؛ إذْ كان كثيرَ العيال، قليل المال، في وقتٍ أصاب فيه قريشاً السَّنَةُ والقَحْط، وسُدَّتْ عليها منافذُ الأرزاق.

وحينما جاء الوحي إلى الرسول عليه السَّلام بالرّسالة، ونزل عليه القرآن، كان عليٌّ أول مَن استجاب إلى دعْوتِه، وصدَّق بوحيه، ثم رافَقَهُ في جميع مشاهدِه في حياته؛ من يوم مبعثه إلى أن اختاره الله لجواره.

قال ابن عباس: «لعليّ أربع خصال ليستْ لأحدٍ غيره: هو أوَّلُ عربيٍّ وعجميٍّ صلَّى مع رسولِ اللهِ ﷺ، وهُوَ الَّذي كان لواؤُهُ معه في كلِّ زَحْفٍ؛ وهو الَّذي صبَر معه يوم فرَّ عنه غيرُه، وهو الَّذي غسَّله وأدْخَله في قبره».

ثم كان بعدُ رفيقاً لأبي بكر وعمر، يقصدانه في المسائل، ويفزعانِ إليه في الفُتْيا.

وكانت الفتنةُ في أيام عثمانَ، وتفرّقتْ كلمةُ المسلمين شعَاعاً، وتباينَتْ مذاهِبُهم، واضطرب حَبْلُهم؛ وفي تلك الحِقْبَةِ لقي همًّا وأسًى، وصادَف ما طوى أضالِعَهُ على الحُزْنِ والشَّجَن.

ثم آلَتْ إليه الخلافةُ، وسلَخَ فيها قُرابةَ أربعِ سنينَ، امتلأتْ بالأحْداث، وَحفَلت بجلائل الأُمورِ؛ فيها بلا النَّاسَ وخَبَرهم، وتفطَّن لمَطاوِي نُفوسهم، واستشفَّ ما وراءَ مظاهِرهم، فكان العالم المجرِّبَ، والناقِدَ الحكيم.

كلُّ هذهِ الأسبابِ مُجْتمعةً، والدَّواعي متضافرةً ـ إلى ما اجتمع له رضي الله عنه من لطافَةِ الحِسِّ، ونقَاء الجوهر، وسُرعةِ البديهة، وذلاقَةِ اللّسان؛ مع ما تهيَّأ له من أكرمِ المناسِبِ وأطيبِ الأعْراق ـ مكَّنَ له من وجوه البيان، وملَّكَهُ

أعِنَّةَ الكلامِ، وألهمَه أسمى المعاني وأكرَمها، وأعذب الألفاظ وأجْزَلها، فجرتْ على لسانه الخطبُ الرائقةُ، والرسائل الجامعةُ، والوصايا النافعة، والحِكمُ السائرة، والأقوالُ الحكيمة؛ مِمّا تناقله الرُّواةُ، وزخرتْ به الكتب والأسْفار.

ولِمَا امتاز به كلامُه رضي الله عنه. من تنوع المقاصدِ، وسُموّ الإلهام في مختلف الأغراض، مع صِدقِ الحِسّ والتجربةِ، حتى كأنّ كلّ عبارةٍ له عليها طابعُه، وكلّ حكمة صدرت عنه مَوسُومَةٌ بتوقيعه ـ حاولَ كثيرٌ من الرُّواةِ والعلماء، على مرّ العصور، أن يُفرِدُوا لكلامه كتباً خاصّةً، ودواوينَ مستقلّةً؛ بقي بعضها، وذهب على الأيام كثيرٌ منها؛ منهم نصرُ بنُ مزاحم صاحب كتاب صِفّين، وأبو المنذر هشامُ بن محمد بن السائب الكلبيّ، وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزديّ، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبو الحسن علي بن الحسين المسعوديّ، وغيرهم.

وكان من أكبر هذه الكتب وأحفلها، ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين المُوسَويّ في كتابه الّذي أداره على الخطب والأوامر، ثمّ الكتب والرسائل، وختمه بالحكم والمواعظ، وأسماه «نهج البلاغة»[١]؛ وجاء من بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القُضاعيّ، فجمع طائفة أخرى من كلامه، أودعها كتابه الذي أسماه: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم[٢]؛ اشتمل على كثير من الخطب والحكم والوصايا.

كما قام السيد الهادي كاشف الغطاء بعمل مجموعة من خطبه ورسائله مما لم يرد في النهج، واسمها مستدرك نهج البلاغة[٣].

أما الحكم القَصيرة التي نضحَ بها لسانُه، وأرسلها عفو الخاطر بيانُه؛ فقد بُذل في جمعها المحاولات الآتية:

١ ـ ألف كلمة؛ ذكرها ابن أبي الحديد في آخر شرحه لنهج البلاغة[٤].

٢ ـ مجموعة تتألف مما يأتي[٥]:

أ ـ نثر اللآلئ؛ وهي مجموعة من الحكم والأمثال؛ مرتبة على حروف الهجاء عددها ٢٧٨ حكمة.

---

(١) طبع مراراً في مصر وبيروت. (٢) طبع في مصر سنة ١٩١٣م.

(٣) طبع بمكتبة الأندلس ببيروت.

(٤) طبعت مع الشرح، وطبعت وحدها في بيروت سنة ١٩١١.

(٥) هذه المجموعة طبعها المستشرق كورنيليوس فان واينين مع ترجمة وشروح لاتينية في مجلد واحد، في أكسفورد سنة ١٨٠٦م.

ب ـ غُرر الحكم ودرر الكلم؛ مجموعة حكم وأمثال؛ جمعها ورتبها على حروف الهجاء عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد؛ عددها ٥٣٧ حكمة.

جـ ـ بعض الأمثال، جمعها أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانيّ النَّيسابوريّ غير مرتبة؛ عددها ٤٨ مثلًا.

د ـ طفافة بعض الأمثال، ذكرها شظاظاً ورفعها إلى أمير المؤمنين، عددها ١٧ مثلًا معها شرحها.

٣ ـ نشر الأب لويس شيخو بعض حكم له رضي اللّٰه عنه نقلًا عن مخطوطة قديمة، ذكر أنه يرتقي عهدها إلى سنة ٧٢٧م[١].

٤ ـ جمع السيد أحمد رضا خطباً ومواعظ وأقوالًا له ـ رضي الله عنه ـ لم تنشر في نهج البلاغة طبعت في مجلة العرفان[٢].

ولكن بقي كثير من كلامه رضي اللّٰه عنه متفرقاً في كثير من كتب الأدب والتاريخ؛ لا يقلّ روعةً ونفاسةً، وصدقاً وبلاغة، عما ورد في هذه الكتب؛ على أن كثيراً مما جاء فيها يُعْوِزُه الضبط والشرح، ويشيع فيه التحريف والإبهام؛ فرأينا أن نجمع شتات هذه الحكم في عِقد يضمّ منها ما تفرّق، ونختارَ ما رجح عندنا أنه من كلام الإمام؛ ومِنْ نبع إلهامه، وشِرعة بيانه؛ ثمّ رتبنا هذه الحكم ترتيباً معجميًّا؛ ليسهل الرجوع إليها، والتهدّي إلى مواضعها، ووضعنا لهذه الحكم شرحاً؛ توخَّينا فيه تفسيرَ الغريب، وكشف النقاب عن المعاني؛ مع إيراد أقوال الشعراء الذين وقعت لهم هذه الحكم، فأودعوها قوافيهم وأخيلتهم؛ ليكون هذا الكتاب ـ كما يقول أبو العباس المبرّد في وصفه كتابه الكامل: «بنفسه مكتفياً، وعَنْ أن يُرجع إلى أحدٍ في تفسيره مستغنياً» وقد ذيّلنا كل حكمة بمرجعها؛ ووضعنا لها من الرموز ما يلائمها، على النحو التالي:

١ ـ الألف المختارة لابن أبي الحديد ورمزها: ح

٢ ـ الحكم القصيرة الواردة في كتاب نهج البلاغة ورمزها: ر

٣ ـ الحكم القصيرة الواردة في كتاب دستور معالم الحكم ورمزها: ق

٤ ـ الحكم الواردة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ورمزها: ب

---

(١) طبعت مع مجلة المشرق سنة ١٩٠٢.

(٢) سنة ١٩٢٢.

٥ ـ الحكم الواردة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ورمزها: ع
٦ ـ الحكم الواردة في كتاب الكامل للمبرد ورمزها: ك
٧ ـ الحكم الواردة في كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي ورمزها: ز
٨ ـ الحكم الواردة في كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي ورمزها: ت
٩ ـ الحكم الواردة في كتاب أسرار البلاغة للعاملي ورمزها[١]: س

هذا؛ وربما اعترض معترض في صحة نسبة بعض هذه الحكم إلى أمير المؤمنين؛ وجوابنا: أن شيوعَ هذه الحكم ودورانها في الكتب منسوبة إليه؛ لممَّا يُبعدُ الشكَّ في نسبتها إليه، ويدنيها من كلامه ـ وإن كان قد ورد بعضها منسوباً إلى غيره، أو معزواً إلى سواه ـ لأنها أقرب إلى أسلوبه، وأدنى إلى طبعه. ويعجبنا في هذا الباب ما أورده ابن أبي الحديد في مقدمة ما جمعه من الألف كلمة التي ذيَّل بها كتابه، وهو النَّاقد الجهبذ، والصيرفيُّ الخبير؛ قال:

«ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكرْهُ الرَّضيُّ مما نسبه قوم إليه، فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور؛ لكنه قد روي عنه؛ وعُزِي إليه؛ وبعضه من كلام غيره من الحكماء؛ ولكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته. ولما كان ذلك مضمّناً فنوناً من الحكمة نافعة؛ رأينا ألَّا نُخْلِيَ الكتابَ عنه، لأنه كالتكملة والتَّتمة لكتاب نهج البلاغة... فإن اعترَضنا معترِض، وقال: فإذا أقْرَرْتُم بأنَّ بعضها ليس بكلام له، فلماذا ذكرتموه؟ وهل ذلك إلا نوعٌ من التطويل! أجبناه وقلنا: لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألَّا نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر لكلامه؛ فالعذر هاهنا هو العذر هناك؛ وهو أن الغرضَ بالكتاب: الأدبُ والحكمة؛ فإذا وجدنا ما يناسبُ كلامَه رضي الله عنه، وينصبُّ في قالبه، ويَحتذِي حَذْوَه، ويتَقبَّلُ منهَاجه، ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظير عند الخوض في نظيره».

وفي هذا الكلام فصل الخطاب. ونسأل الله التوفيق فيما قصدنا، والمثوبةَ لِما عملنا.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾.

المؤلفون

ذو الحجة سنة ١٣٨٦هـ
مارس سنة ١٩٦٧م

(١) تتضمن هذه الحكم المائة حكمة التي اختارها الجاحظ من كلام أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين أبو السِّبطين
رضي الله عنه!!

بيته:

هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المكيّ المدنيّ؛ يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد المطلب الجد الأدنى. وينسب إلى هاشم، فيقال: القرشيّ الهاشميّ، ابن عم رسول الله ﷺ.

وأبوه: أبو طالب بن عبد المطلب، سيّد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة وابن رئيسها، وكانت قريش تسميه: «الشيخ».

ولم يَسُدْ مُمْلِق من قريش غيره، وغير عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قائد المشركين من قريش ـ أو قائد النّفير ـ يوم بدر.

وأم «عليّ»: السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية.

وهي أول هاشميّة ولدت هاشميًا لأب هاشميّ.

وكان عليّ أصغر بنيها، وجعفر أسنّ منه بعشر سنين، وعَقِيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، وطالب أسنّ من عَقِيل بعشر سنين.

وقد أسلمت رضي الله عنها بعد عشرةٍ من المسلمين، وكانت هي الحادي عشر، ثم هاجرتْ إلى المدينة، وبها تُوفيت إلى رحمة الله!!

وكان رسول الله ﷺ يكرّمها ويعظّمها ويدعوها: أمّي.

وقد أوصت إليه حين حضرتها الوفاة، فقبل وصيتها، وصلّى عليها، ونزل لحدها، واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه: إنا ما رأيناك صنعت ـ يا رسول الله ـ بأحدٍ ما صنعت بها، فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها؛ إنما ألبستها قميصي؛ لتكسَى من حلل الجنّة، واضطجعت معها؛ لتهون عليها ضغطة القبر».

ومن مزاياها أنها كانت أول امرأة بايعت رسول الله ﷺ.

وهكذا اجتمع لعليّ شرف الأبوة والأمومة؛ فآباؤه آباء الرسول، وأمّهاته أمهاته، وأبناؤه أبناؤه، وهو ممتزج بلحمه ودمه.

اسمه وكنيته:

لم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام «علياً»، وكان اسمه الأول الذي سمته به أمه «حيدرة» باسم أبيها أسد بن هاشم ـ والحيدرة: الأسد ـ فألهم أبوه أن يُسمِّيَه «علياً» وقال في ذلك:

سمّيته بعليّ كي يدومَ له عِزُّ العَلاء وخيرُ العزّ أدْوَمُهُ

فحقّق اللّه فأله، فكان «عليٌّ» عليًا في كل شيء؛ ولكل مسمًّى من اسمه نصيب.

وكان اسم عليّ من الأسماء النادرة في الجاهلية كاسم محمد؛ وأما في الإسلام فيقول المسعودي: لم يتقلد الخلافة إلى هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خلافة المتقي لله العباسي ـ من اسمه عليّ إلا عليّ بن أبي طالب، وعليّ المكتفي بالله العباسي بن المعتضد العباسيّ.

وكان بنو أمية في عهدهم يحرمون على الرعية أن يتسموا باسمه.

وكنيته الغالبة عليه: أبو الحسن. وكان ابنه الحسن يدعوه في حياة الرسول: أبا الحسين، ويدعوه الحسين: أبا الحسن، ويدعوان رسول اللّه ﷺ أباهما. فلما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى دعوا عليًا أباهما.

وله كنية أخرى كنّاه بها الرسول ﷺ وهي أبو تراب، في قصة معروفة رواها الإمام البخاريُّ بعدة روايات في عدة أبواب، وهي: جاء رسول اللّه ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليًا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يَقِلْ عندي ـ من القيلولة ـ فقال رسول اللّه ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول اللّه هو في المسجد راقد، فجاء رسول اللّه ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شِقّه، وأصابه تراب؛ فجعل رسول اللّه ﷺ يمسحه عنه ويقول: «**قم أبا تراب**».

وقد كانت هذه الكنية أحبَّ الكُنَى إليه؛ ففي البخاري في «باب الاستئذان»: ما كان لعليّ اسم أحبَّ إليه من أبي تراب، وأنه كان يفرح إذا دعي به!!

وفي البخاري أيضاً: أن رجلًا جاء إلى سهل بن سعد، فقال: هذا فلان ـ لأمير المدينة ـ يدعو عليًا عند المنبر، قال: فيقول: ماذا؟ قال: يقول له:

أبو تراب، فضحك وقال: والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان له اسم أحب إليه منه. وفي رواية الطبري: فوالله ما سماه به إلا رسول الله ﷺ ووالله ما له اسم أحب إليه منه.

ولكنّ أعداء الإمام من «الناصبية»[١] وأذنابهم، كانوا يعيرون بها الإمام، ويسبُّونه بها على المنابر، ويجعلونها له نقيصة ووصمة، فكأنما كسوه بها الحَلْيَ والحُلل ـ كما يقول الحسن البصري ـ وكأنما كانوا يأخذون بيافوخه إلى السماء، كما قال الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز.

ومما نص عليه السلف: أنه لا يبغض عليًا ولا يذمّه إلا ابن زِنْيَة.

ومن قول بعض الصحابة: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ بكراهتهم لعليّ، وسرُّ ذلك: أنهم كانوا لا يستطيعون ـ لجبنهم ـ مجاهرة الرسول ببغضهم، فلجؤوا إلى التنفيس عن نفوسهم المرضى الخبيثة ببغض ابن عمه الحبيب إليه، والأثير لديه.

وقد صرح هو بذلك؛ فعن عدي بن ثابت عن ذرّ قال: قال عليّ: والذي فلق الحبة، وبرأ النَّسمَة، إنه لَعهد النبي الأمي ﷺ إليّ: أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق.

وصدق الشعبيّ فقيه العراق في قوله: **كان عليٌّ في هذه الأمة مثل المسيح ابن مريم في بني إسرائيل؛ أحبَّه قوم فكفروا[٢]، وأبغضه قوم فكفروا.**

إسلامه:

أسلم عليّ وهو ابن سبع سنين، **وقيل: ابن تسع، وقيل: ابن عشر، وهو** الأشهر من الروايات.

وكثير من المتكلمين يقولون: إنه ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن خمس عشرة سنة، وقيل غير ذلك.

وهو القائل: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين.

وهو القائل: كنت أسمع الصوت، وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله ـ حينئذٍ ـ صامت ما أُذن له في الإنذار والتبليغ.

وقد ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه أول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ

---

(١) الناصبية والنواصب وأهل النصب: المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه؛ لأنهم نصبوا له، أي عادوه!!

(٢) هم الذين زعموا أنه إله!!

وإيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون، ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك، وإليه ذهب الواقدي والطبريُّ، وهو القول الذي رجَّحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب[١].

وتزوج «الزهراء» في السنة الثانية من الهجرة، وهي ابنة خمس عشرة سنة، وكان له من الأولاد الذكور أربعة عشر ولداً، لم يُعْقب إلا خمسة منهم، وهم الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفيَّة، وعمر، والعباس، ومن الحسن والحسين نسله الشريف رضي الله عنه.

ولما هاجر الرسول ﷺ أقام بعده ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عنه الودائع، ثم لحق به.

حليته:

كان عليٌّ رضي الله عنه عظيم البطن، أسمر اللون، لا بالطويل ولا القصير، حسن الوجه؛ كأنه القمر ليلة البدر.

وفي دستور معالم الحكم للقضاعي: كأنما غرتهُ غرَّة البدر لتمّه[٢]، يكادُ يُغشي الناظرين.

وكان أدعج العينين[٣] عظيمهما، وكان أبيض الرأس، كثَّ اللحية طويلها، تملأ صدره، لا يغيِّر شيبه. وفي بعض الروايات: ربما خضبها.

وكان عنقه كأنه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا خفاف[٤] من خلفه، أذلف[٥] الأنف.

وكان عريض المَسْرُبة[٦]، شثْنَ الكفين[٧]، ضخم الكسور[٨]، لمنكبيه مُشاش[٩]، كمشاش السبع الضاري، إذا مشى تكفأ ومار به[١٠] جسمه، لا يبين عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجاً!!

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤٥٧. (٢) لتمه: بكسر التاء أي لتمامه.
(٣) الدعج ـ كسبب ـ: شدة سواد العين مع سعتها.
(٤) الخفاف ـ بالضم ـ: الخفيف، وبالكسر: جمع خفيف.
(٥) الذلف ـ كسبب ـ: قصر الأنف وصغره.
(٦) المسربة ـ بفتح الميم وضم الراء ـ: الشعر وسط الصدر إلى البطن.
(٧) شثن: غليظ. (٨) الكسور: الأعضاء.
(٩) المشاش ـ بالضم ـ: رؤوس العظام كالمنكبين والمرفقين والركبتين.
(١٠) مار: تحرك وجاء وذهب.

ومن وصف المنذر بن الجارود له: كأنما كُسِر وجُبِر؛ قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق. هكذا تقول العرب.

ما ورد فيه من الأقوال:

قال فيه الرسول ﷺ: «**هذا يعسوب الدين، وقائد الغرّ المحجّلين**».

وفي صحيح مسلم: «**لا يُحبك إلا مؤمن، ولا يُبْغِضُك إلا منافق**».

وكان عليه الصلاة والسّلام بعد قتل جعفر بن أبي طالب لا يبعث بعليّ في وجه من الوجوه إلا يقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وجاء في الأحاديث الصحيحة: «**أقضاكم عليّ، وأفرَضُكم زَيْدٌ**».

وقد بعثه الرسول عليه الصّلاة والسّلام قاضياً إلى اليمن، ودعا له قائلاً: «**اللهمّ اهْدِ قلبه، وثَبِّتْ لسانه**». قال عليٌّ: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

وقوله ﷺ في غزوة خيبر: «**لأدفعنّ الراية غداً إلى رجل كرّار غير فرّار، يحب اللهَ ورسوله، ويحبه اللهُ ورسوله**».

ودفَع الرايةَ إليه، بعد أن تَفَل في عينه وكان أرمد؛ فكان الفَتْحُ على يديه، وقال عليّ: فما رمدت عيناي بعد ذلك.

وقوله: «**حب عليّ إيمان، وبغضه نِفاق**».

وفي غزوة تبوك لما لحق بالرسول عليه الصّلاة والسّلام وشكا إليه خوْضَ النّاسِ في شأنه قال له: «**أما ترضَى أن تكونَ منّي بمنزلة هارونَ مِنْ مُوسى؛ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**»؛ أي أني أستخلفك على المدينة كما استخلف موسى أخاه هارون.

وقوله ﷺ لابنته فاطمة وقد شكَتْ له بعضَ حالها: «**أما تَرْضَينَ أن اللّهَ قد اطّلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين، جعل أحدَهُما أباكِ، وجَعَل الآخَرَ بَعْلَكِ**».

وقوله ﷺ وقد أُهدِي إليه طائر مشويّ: «**اللهم ائتِني بأحبِّ الخلقِ إليك يأكل معي من هذا الطائر**»، فجاء عليّ فأكل معه.

وقوله ﷺ: «**مَنْ كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**» بعد قوله: «**ألسْت أولَى بالمؤمنين مِنْ أنْفُسِهم**»!

رواه الترمذيُّ والنّسائيُّ وغيرهما بأسانيد صحيحة. قال الإمام الباقلانيُّ في

كتابه التمهيد، معقباً على الحديث: فأوجب موالاته على باطنه وظاهره، والقطع على طهارة سريرته ما أثبته لنفسه، وأعلَمَهم أن عليًا ناصر للأمة، مجاهد في سبيل الله بظاهره وباطنه؛ لأن المولى يكون بمعنى الناصر المعين باتفاق أهل اللغة، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التحريم: ٤]، يعني ناصره.

وحكى صاحب الأغاني عن يزيد بن عمر بن مورّق، قال: كنت بالشام، فجئت عمر بن عبد العزيز، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من الحجاز. قال: من أيّ أهل الحجاز؟ قلت: من المدينة؛ قال: من أيّهم؟ قلت: من قريش؛ قال: من أيّ قريش؟ قلت: من بني هاشم، قال: من أيّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. فسكت؛ فقال: ابن أبي طالب؟ قلت: نعم. قال: فجلس ـ وكان متكئاً على إزار وكساء من صوف ـ وطرح الكساء، ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مولى عليّ!! ثم قال: أشهد على عدد ممن أدرك رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**». ثم قال لمزاحم مولاه: أعطه خمسين ديناراً لولائه من عليّ ـ وكنت أستحق مائتي درهم فقط ـ ثم أمره أن يفرض لي.

ويقول فيه ابن عباس: كان والله علم الهدى، وكهف التُّقَى والعلا، وَمحْمِلَ الحجَا، وبحر الندى، وطوْدَ النُّهى، للورى داعياً إلى المحجَّة، متمسكاً بالعروة الوثقى، خَيْرَ من آمن واتقى، وأفْضَل من تقمَّصَ وارْتَدى، وأبرّ من انتعل وسعى، وأفصح من تنفس وقرأ، وأكثر من شهدَ النَّجْوى، سوى الأنبياء والمصطفى، صاحب القبلتين، فهل يوازيه أحد؟ وأبو السبطين، فهل يقارنه بشر؟ وزوج خير النسوان، فهل يفوقه قاطن بلد؟ للأسُود قتّال، وفي الحروب ختَّال، لم ترَ عيْني مثله ولن ترى، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد، إلى يوم التناد!

ويقول عديّ بن حاتم الطائيّ: تتفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، غزير الدمعة، طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفّيه على ما مضى.

ويقول ضِرار الصُّدائيّ ـ وقد سأله عنه معاوية ـ: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشُن، ومن اللّباس ما قصُر، وكان ـ والله ـ يجيبنا إذا دعوناه، ويعطينا إذا سألناه، وكنا ـ والله ـ على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبةً له، ولا نبتدئه لِعظَمه في نفوسنا، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المكنون،

يعظم أهل الدين، ويرحم المساكين، ويطعم في المَسْغَبَة يتيماً ذا مَقْرَبةٍ، أو مسكيناً ذا مَتْرَبة؛ يكسُو العُريان، وينصُر اللّهفَان، ويستوحشُ من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. وكان والله غزير العَبْرة، طويل الفكرة، يقلب كفّه، ويخاطب نَفْسَه، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين. وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرْخَى الليل سُدوله، وغارت نجومه، وقد مثَل في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا؛ غُرّي غيري، إليَّ تعرضت، أم إلي تَشَوَّقتِ؟ هيهات هيهات!! قد حان حَيْنُكِ، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها؛ فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخَطرُك يسير! آه من قلةِ الزاد، وبُعْدِ السَّفر، ووحْشَةِ الطريق!!

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، فلقد كان كذلك!

وقال هشام بن حسّان للحسن البصريّ: يا أبا سعيد، يزعمُ الناسُ أنك تُبْغِضُ عليًا!! فبكى الحسن حتى اخضلّت لحيته، وقال: أنا أبغض عليًا؟! ثم قال: كان سهماً صائباً من مرامي الله ـ عزّ وَجلّ ـ على عدوه، وربانيّ هذه الأمة، وذا فضلها وسابِقَتِها ـ أو ذا شرفِها ـ وذا قرابةٍ قريبةٍ من رسول الله ﷺ وزوجَ فاطمةَ الزهراءِ، وأبَا الحسنِ والحسيْنِ؛ لم يكن بالسَّرُوقَةِ لمال الله، ولا النَّؤُومة في أمر الله، ولا المَلُولة لحق الله، أعطى القرآن عَزَائِمَه، وعلم ما فيه حتى قبضه الله إليه؛ ففاز منه برياض مونِقة، وأعلام مشرقة! أتَدري من ذاك؟ ذاك عليّ بن أبي طالب... يا لُكَع!!

رأي الأئمة فيه:

يقول البدر العيني في شرح البخاري: هو عليّ بن أبي طالبِ الهاشميُّ المكي المدنيّ، أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة؛ قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأبو السِّبْطَين رَيْحَانَتي الرّسول، وأولُ هاشميّ وُلِدَ بين هاشميّيْن، وأول خليفة من بني هاشم، وأحدُ العشرةِ المبشَّرة بالجنة، وأحد الستة من أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحدُ الخلفاء الراشدين، وأحدُ العلماء الربانيين، وأحدُ الشجعان المشهورين، والزهادِ المذكورين، وأحدُ السابقين إلى الإسلام، وأحد الثابتين يوم أحُد، شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلَّها إلا تَبُوك، استخلفه فيها الرسول على المدينة، وأصابتهُ يوم «أُحُد» ستُّ عشرةَ ضربةً، وأعطاه الرسول ﷺ الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح يكون على يديه. ومناقبه جَمَّةٌ وأحوالُه في الشجاعة مشهورة. وأما علمُه فكان من العلوم بالمحلّ

الأعلى، رُوي له عن الرسول ﷺ خمسمائة حديث وستةٌ وثمانون، اتفق الشيخان منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر.

ويقول ابن أبي الحديد: وماذا أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومُه بالفضل، ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه ولا كتمان فضله! فقد اجتهد بنو أمية في إطفاء نوره، ولَعنُوه على جميع المنابر، وَحَبسُوا مادِحيه وقتلوهم، ومنعوا من رواية كلّ حديثٍ يتضمَّن له فضيلةً، أو يرفع له ذكراً، حتى حظَروا أن يُسَمَّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسموًّا، وكان كالمسك كلما سُتِرَ انْتَشر عَرْفُه، وتضوَّع نَشْرُه، وكالشَّمس لا تُسْتَر بالرَّاح، وكضوء النهار إن حُجبَ عن عينٍ واحدة، أدركَتْه عيون كثيرة. وماذا أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُّ فضيلة، وتنتهي إليه كلُّ فِرْقَة، وتتجاذَبُه كلُّ طائفة! وماذا أقول في رجل سبق الناسَ إلى الهُدَى، وآمن بالله وعبدَه وكلُّ من على الأرض يَعْبُدُ الحجَر، ويَجحَدُ الخالق، لم يسبقه أحدٌ إلى التوحيد إلا السابقُ إلى كلّ خير: محمدٌ رسول الله ﷺ.

وفي شرح المواهب اللَّدُنِّيَّة: أن معاوية كتب إليه: يا أبا حسن، إن لي فضائِلَ؛ أنا صهرُ رسولِ الله ﷺ وكاتِبُه. فقال عليّ: أَعَليّ يَفْخَرُ ابن آكلةِ الأكباد!! والله ما أكتبُ إليه إلا شِعْراً:

محمّد النبيُّ أخي وصِهْرِي	وحَمْزَةُ سيّدُ الشهداءِ عمّي
وجعفرُ الذي يُضْحِي ويُمْسي	يطيرُ مع الملائكةِ ابنُ أُمّي
وبنتُ محمّدٍ سكَنِي وعِرْسي	مَشُوبٌ لحمُها بدَمِي ولَحْمِي
وسِبْطَا أحمدٍ. . إبْنَاي منها	فمن منكُمْ له سهْمٌ كَسَهْمِي؟
سبقتُكُمُ إلى الإسلام طرًّا	صغيراً ما بلغْتُ أوانَ حُلْمِي

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: مَزِّقْهُ يا غلام، لا يراهُ أهل الشام، فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

قال البيهقي: هذا الشعر مما يجب على كل مُتَوَانٍ في عليٍّ حفْظُه؛ ليعلمَ مفاخِرَه في الإسلام.

ويقول المسعودي: والأشياءُ التي استحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضلَ، هي: السَّبْقُ إلى الإيمان، والهجرةُ، والنُّصرة لرسول الله ﷺ والقربى منه، والقناعة، وبذلُ النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهادُ في سبيل الله، والورعُ والزهد، والقضاء والحكم، والفقه؛ وكان لعليٍّ رضي الله عنه منها النصيب الأوفر، والحظ الأكبر؛ إلى ما ينفرد به من قول رسول الله ﷺ حين

آخى بين أصحابه: «أنت أخي»، وهو ﷺ لا ضِدَّ له ولا نِدَّ، وقوله صلوات الله عليه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي». وقوله عليه الصلاة والسَّلام: «مَنْ كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللَّهم والِ مَنْ والاه، وعَادِ مَنْ عاداه».

ثم دعاؤه ﷺ وقد قدّمَ إليه أنَسٌ الطائر: «اللهم أدْخِلْ إليَّ: أَحَبَّ خلقِك إليك؛ ليأكل معي من هذا الطائر. فدخل إليه عليٌّ...» إلى آخر الحديث؛ فهذا وغيرُه من فضائله، وما اجتمع فيه من الخِصَال مما تفرق في غيره، ولكلٍّ فضائل مما تقدم وتأخر.

ومرَّ ابن عباسٍ بقومٍ ينالون من عليّ ويسبّونه، فقال لقائده: أَدْنِني منهم ـ وكان قد كُفَّ بصَرُه ـ فأدناه فقال: أيُّكم السَّابُّ الله؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسُبَّ الله، فقال: أيكم السابّ رسول الله؟ فقالوا: نعوذُ بالله أن نسبَّ رسول الله! فقال: أيكم السابّ عليّ بْنَ أبي طالب؟ فقالوا: أمَّا هذه فَنَعَمْ، قال: أَشْهَدُ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبَّني فقد سَبَّ الله، ومن سبَّ عليًا فقد سبَّني». فأطْرَقوا، فلما وَلَّى قال لقائده: كيف رأيْتَهم؟ فقال:

نَظَرُوا إليَّ بأعْيُنٍ مُزْوَرَّةٍ ... نظرَ التُّيُوس إلى شِفَارِ الجازِرِ

فقال: زدني، فِداك أبي وأمي! فقال:

خُزْرَ العيون مُنكِّسِي أذقَانِهِم ... نَظَرَ الذليلِ إلى الْعَزيزِ القاهِرِ

فقال: زدني فِداكَ أبي وأمي! فقال: ما عندي مزيد، ولكن عندي:

أحْيَاؤُهم تَجْنِي على أمواتِهِم ... والمَيِّتُونَ فَضِيحَةٌ لِلْغَابِرِ

وفيه يقول ابنه الحسن حين قُبض: والله لقد قُبِضَ فيكم الليلةَ رجلٌ ما سبقه الأولون إلا بفَضل النّبوّة، ولا يُدْرِكه الآخِرُون، وإنَّ رسول الله ﷺ كان يَبْعثه المبْعَث، فيكْتَنِفُه جبريل عَنْ يمينِه، وميكائيلُ عَنْ يَساره، فلا يرجعُ حتى يَفْتَحَ الله عليه.

وقد اعترف خصومُه مضطرين بفضله ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ـ يقول الذهبي بعد كلام ساقهُ: ثم إن عَمْراً ـ يعني عمرو بن العاص ـ قال لمعاوية في أيام صِفين: يا معاوِيَة، أحْرَقْتَ كبِدي بقصصك أتُرى أنَّا خالَفْنا عليًا، لفضل منا عليه؟ لا، والله.. إنْ هِيَ إلا الدّنيا نتكالَبُ عليها، وأَيمُ الله لتقطعنْ لي قطعةً من دنياك.. أو لأُنَابِذَنَّكَ!!

قال: فأعطاه مِصْر يُعْطِي أهلَها عَطاءَهم، وما بَقِيَ له.

فضائله جملة:

يقول الإمام عن نفسه: أنا قاتِلُ الأقران، ومُجَدِّلُ الشُّجعان، أنا الذي فقأتُ عَين الشِّرْك، وثلَلْتُ عَرْشَه، غير مُمْتَنٍّ على الله بجهادي، ولا مُدِلٌّ عليه بطاعَتي، ولكن أُحَدِّثُ بنعمةِ ربّي.

وقد اعترف الأئمة بأن فضائله تُرْبِي على الحصر، فاكتَفَوْا منها بالإجمَال.

يقول الإمام أحمد بن حنبل: إن عليًا لم تَزِنْهُ الخلافة، ولكنّه زانَها.

ويقول القِفْطيّ: لو أردْتُ أن أجعل أخباره في عدة مجلدات، لوجدت من المواد ما يعين على ذلك بِمَنّ الله وجُوده؛ ولكنني اقتصرت على النبذة؛ لتكون لائقةً بهذا المخْتَصر.

ويقول الزّرقانيُّ في شرح المواهب: مناقبهُ شهيرة كثيرة حتى قالَ أحمد والنسائي وإسماعيلُ القاضي: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجيادِ أكثر مما جاء في حَقِّ عليّ.

ويقول صاحب النجوم الزاهرة: وأما ما ورد في حقه من الأحاديث، وما وقع له في الغزوات، فيضيقُ المحل عن ذكر شيء منها، وفي شهرته ما يغني عن الإطناب في ذكره.

ويقول ابن أبي الحديد: إن فضائلَهُ بلغت من العِظَم والجلالةِ والانتشار مبلغاً، يَسْمُج معه التعرّض لذكرها، والتَّصَدُّر لتفصيلها.

ويقول: ولأنَّا إنما نذكر في مقدمة هذا الكتاب ـ شرح نهج البلاغة ـ جملة من فضائله عنَتْ بالعَرَض لا بالقَصْد، وجب أن نختصر ونقْتصر، فلو أردنا شرحَ مناقِبه وخصائِصه لاحتجنا إلى كتابٍ مفرد، يماثل حَجْمَ هذا، بل يزيدُ عليه.

ويقول الباقلانيّ في «التمهيد»: قال جِلّةُ أهل العلم: لولا حَرْبُ عليٍّ لمن خالَفه، لَمَا عرفت السُّنة في قِتَال أهلِ القبلة.

بعض فضائله تفصيلاً

زهده:

كان ـ كما قيل فيه ـ: سيد الزّهاد، وبَدَل الأبْدال، لم يقْتن ضيعة ولا ربْعاً إلا شيئاً كان له «بِسَرِف[١]» مما تصدق به وحبسه، وكان يخرجُه جميعه على

(١) سرف ككتف: موضع بقرب مكة.

الفقراء والضعفاء، ويقنع هو وعياله بالثوب الغليظ من الكِرْباس، وبالقُرْص من خبز الشعير.

وأُتي بفالوذَج فوضعه قُدامه وقال: إنك طيّب الرّيحِ حسَنُ اللّوْن، لذيذُ الطعم، لكني أكره أن أعوّدَ نفسي ما لم تعْتَدْ! ولم يأكله.

ولم يأكل طعاماً منذ قُتِل عثمانُ رضي الله عنه ونُهِبتْ دارُه إلا مختوماً؛ حَذَراً من الشُبهة.

وكان قوتُه وكسوتُه شيئاً يجيئُه من المدينة، ولم يأكل من طعامِ أهلِ العراق إلا قليلًا.

وما شبع من طعامٍ قطّ، وكان يأتدم ـ إذا ائتدم ـ بخلّ أو ملح، فإن ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، وكان لا يأكل اللحم إلا قليلًا، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان. وكان مع ذلك أشدَّ الناسِ قوّةً، وأعظمَهُم أيْداً، لا ينْقُصُ الجوعُ من قوّته.

وقد بلغ من خشونة مأكله أن عبدَ الله بنَ أبي رافع يقول: دخلت إليه يوم عيد، فقدَّم جِراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبزَ شعيرٍ يابساً مرضُوضاً فأكل منه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفتُ هذين الولدين أن يَلُتّاه بسمن أو بزيْت.

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة، وبليف تارة أخرى، ونعلاه من اللّيف. وكان يقول: إن لبس المرقَّع يخشع له القلب، ويقتدي به المؤمن.

وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمه طويلًا قطعه بشفرة ولم يَخِطْه؛ فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سُدًى لا لُحْمَةَ له.

وكان يبرد في الشتاء حتى تُرْعَدَ أعضاؤُه من البرد، فقيل له: ألا تأخذُ لك كساءً من بيت المالِ فإنه واسع؟ فقال: لا أَنْقُصُ المسلمين من بيتِ مالهِم شيئاً.

علمه:

تربى عليّ في حجر الرسول ﷺ وأسلم على يديه صبيًا، فتلقى عنه ميراث العلم والحكمة، حتى قال ابن عباس: ما رأيت أرْوَى من عُمر، ولا أعْلَمَ من عليّ. وكان يقول: القلوب أوعية وخيرها أوعاها. ثم يقول: هاه هاه! إنَّ ههنا ـ ويشير إلى صدره ـ علماً لو أصبْتُ له حَمَلةً!

وقد قيل لابن عباس: أيْنَ عِلمُك من عِلم ابنِ عمِّك؟ فقال: كنسبةِ قطرةِ

المطر إلى البحرِ المحيط، وقد صرَّح ابن عباس ـ وهو يُعَدُّ تُرجُمانَ القرآن ـ: بأن كلَّ علمه في التفسير أخذَه من عليٍّ.

ومن قول عمر: لا يُفْتِيَنَّ أحدٌ في المسجدِ وعليٌّ حاضر.

وأشرفُ العلوم الإلهية ـ وهو علم التوحيد ـ من كلامه اقتبس، وعنه نقل، ومنه ابتدأ، وأئمته: من أشعرية، ومعتزلة، وإمامية، وزيدية، هو مُعَلِّمهُم وأستاذُهم، وإليه ينتهون.

وعلم الفقه هو أصْلُه وأساسُه، وكل فقيهٍ عِيالٌ عليه، ومن يقرأ تاريخ الأئمةِ الأربعةِ وشيوخِهم يجد أن علمهم قد استقى من نبعه، واقتبس من جذْوته، وفُقَهاءُ الصحابة كانوا يرجعون إليه فيما يشكل عليهم.

هذا مع ما ظهر من إعظام كافة الصحابة له، وإطباقهم على علمه وفضله، وثاقب فهمه ورأيه، وفقه نفسه، وكثرة مطابقتهم له في الأحكام، وسماع قوله في الحلال والحرام، كما يقول الباقلاني.

وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، والمرأة الحامل من الزنا.. إلى غير ذلك من المسائل التي توقف فيها الصحابة.

وأساطين علم الطريقة والحقيقة والتصوف، عنه أخذوا، وعنده وقفوا، كما صرَّح بذلك الشِّبليُّ، والجُنيد، والكرخِيّ، والسَّقَطيّ، والبِسْطاميّ وغيرهم، وهم يسندون إليه شِعارهم بإسناد متصل.

وعلم النحو ـ كما عرف الناس كافة ـ هو الذي ابتدعه، وأملى على أبي الأسود الدُّؤَليّ جوامعه وأصوله.

وعلم القراءات هو المنظور إليه فيه، وإذا رجعنا إلى كتب القراءات وجدنا أن أعلام القراء كلهم، كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النَّجود وغيرهما يرجعون إليه؛ لأنهم يأخذون عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ، وقد كان من تلامذة الإمام، وعنه لَقِن وأخذَ.

لين أخلاقه:

كان مضْربَ المثلِ في عُذوبة النَّفسِ، ولِينِ العريكةِ، وسَجاحَةِ الأَخلاق، وطلاقَة الوجه، وتهلُّلِ الأسارير، حتى عَابهُ بذلك أعداؤه. يقول صعصعة بن صُوحَان: كان فينا كأحَدِنا لِينَ جانب، وشِدَّةَ تواضُعٍ، وسُهولةَ قياد، وكنا نهابه مهابةَ الأسيرِ المربوط للسيَّافِ الواقفِ على رأسه.

جهاده:

وهو سيِّدُ المجاهدين غير مُدافَعٍ ولا مُنازَعٍ، وحَسْبُكَ أن غزوةَ بدر الكبرى أعظم غَزاةٍ غزَاها الرسول ﷺ قُتِل فيها سبعون من المشركين، قتَل هو بِنصْفِهِم، وقتل المسلمون والملائكة النصفَ الآخر، وهذا غيرُ من قتله في غيرها كأحد والخندق وخيبر.

وقد افْتَدى الرسولَ ﷺ بنفسه ليلَة هجرتهِ من مكة إلى المدينةِ، بالنوم على فراشِه، والتَّسَجِّي ببُرْدهِ.

وتحمل معه عبء الدعوة، وشهد معه غزواتهِ كلَّها إلا غزوة تَبُوك، فإنه خَلَفَهُ في أهل بيته.

وقد أحْسنَ البلاءَ في جميع الغزوات، فكان أولَ المبارزين يومَ بَدْرٍ، وممن ثَبَتُوا يومَ أُحُدٍ وحُنَيْنٍ. وهو فاتحُ خَيْبَر، وقاتلُ عمْرو بن وُدّ العامري فارسِ الخندق، ومرحَب اليهوديِّ بطل خيبر.

صفحه وحلمه:

كان أحلمَ الناس عن ذنب، وأصْفحَهُم عن مُسيءٍ؛ ظفر بمروانَ بْنِ الحكم يومَ الجمل ـ وكان أعدى أعدائه وأشد الناس تألباً عليه ـ فصفح عنه.

وكان عبد اللّه بنُ الزُّبير في وقعة الجمل يشتمه على رؤوس الأشهاد، ويخطب أهلَ البصرة، ويقول: قد أتاكمِ الوغْدُ اللئيم عليّ بن أبي طالب! فلما أخذه أسيراً صفح عنه، وقال له: اذهب فلَا أرَينَّك؛ لم يزده على ذلك مع أن عبدَ اللّه بن الزبير كان من أكبر المحرضين على وقعَة الجمل، وهو الذي أغرى أباه ـ وكان من أنصار عليٍّ دائماً ـ بنقض بيعته؛ وما أصدق قولَ الإمامِ: كنا نعدّ الزبيرَ منّا آلَ البيْت حتى نَجَمَ ابنُه عبد اللّه؛ ذلك لأن أم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمته.

وظفر الإمامِ بسعيد بن العاص الأمويّ بعد وقعَة الجمل بمكة، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهَه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم عمل فيهم بسنة رسول اللّه ﷺ في الصفح والعفو يوم فتح مكة.

سخاؤه وجوده:

كان يصومُ ويطْوِي ويُؤثرُ بزاده، وفيه نزلت الآية: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

وكان يسقي بيدهِ لنخل قوم من يهود المدينة حتى مَجَلَتْ[1] يده وثخن جلده وتعجَّر، وظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً.

وكان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها، وهو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء، غرّي غيري!

ويقول الشعبيُّ: كان أسخى الناس، وكان على الخلُق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال: «لا» لسائل قطّ، وهو الذي لم يخلف ميراثاً، وكانت الدنيا ـ غير الشام ـ كلها بيده.

ولما قال مخفَن بن أبي محفن الضبي المنافق لمعاوية: جئتك من عند أبخل الناس ـ يعني عليًا ـ قال له معاوية: ويحك! كيف تقول: إنه أبخل الناس، ولو ملك بيتاً من تبر، وبيتاً من تبن، لأنفَدَ تبره قبل تبنه!

شجاعته:

أَنْسَى الناسَ في الشجاعة ذِكْرَ من كان قبله، ومَحا اسْمَ من يأتِي بعْدَه، ومَقامَاتُه في الحرب مشهورة، يُضْرَبُ بها الأمثالُ إلى يومِ القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قطُّ، ولا ارتَاع من كتيبةٍ، ولا بارزَ أحَداً إلا قَتَلَه، ولا ضرب ضربة قطُّ فاحتاجت إلى ثانية، وفي الحديث: «**كانت ضرَباته وتراً**»، ويقول ابن عائشة: كانت ضرباته في الحرب أبكاراً؛ إن اعتلى قدَّ، وإن اعترَض قطَّ[2].

وكانت العرب تفخر بوقوفها في الحرب بإزائِه، ويفخر رهْطُ قتلاه بأنَّ قاتلهم كفء كريم. وقد اسْتقَى في وقْعةِ الجمل، فأتِيَ بِعَسَلٍ وماء، فحسا منه حَسْوَةً، وقال: هذا الطائِفِيّ ـ وهو غريب عن البلد ـ فقال له عبد الله بن جعفر: أما شَغَلَكَ ما نحن فيه عن عِلْم هذا؟! فقال: إنه ـ والله يا بنيَّ ـ ما حلا بصدْرِ عمِّك شيءٌ قطُّ من أمر الدنيا.

وقيل له: أتقاتل أهل الشام في رداء وإزار؟ فقال: أتخوّفوني بالموت؟! والله لا أبالي أوقع عليّ الموت أم وقعت عليه.

وقيل له: كيف كنت تغلب الأبطال؟ فقال: كنت أخرج إلى الرجل منهم وأنا

---

(١) مجلت يده من باب نصر وفرح: أي صلبت وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل.

(٢) القد: قطع الجسم من أعلى إلى أسفل، والقط: القطع بالعرض، ويسمى التوسيط.

أعتقد أني أغلبه، وهو يعتقد في نفسه أني أغلبه، فكنت أنا ونفسه عليه.

وهذا نوع من الإيحاء النفسيّ، وهو أيضاً ما يُسَمُّونه بالروح المعنوية، وويل لمن تخونُه روحُه!

وفي ذلك يقول البحتريّ:

وما السيفُ إلا بَزُّ غادٍ لزينةٍ ... إذا لم يكن أمضَى من السيفِ حامِلُهْ

ويقول المعريّ:

وليسَ قضيبُ الهندِ إلا كنابتٍ ... من القَضْب في كفِّ الهِدانِ المعرِّد[١]

ويقول آخر:

تَلقى الحُسامَ على جراءة حَدِّه ... مثلَ الجَبانِ بكفِّ كل جبان

ويقول الباروديّ:

إذا القَلْبُ لم ينصرك في كل موطن ... فما السيف إلا آلةٌ حملها إدُّ

وقد قتل وحده في ليلة الهرير ويومها بصفِّين خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلًا أكثرهم في اليوم، وذلك أنه كان إذا قتل رجلًا، كبَّر إذا ضَرَب، ولم يكن يضرب إلا قتل، فكانت تكبيراته بعدد القتلى.

قوّته:

قال ابن قتيبة: ما صارع أحداً قطُّ إلا صرَعه. وهو الذي قلع باب خيبر وقد اجتمع عليه عُصْبةٌ من الناس ليقلبوه فلم يقدروا.

وهو الذي اقتلع «هُبَل» من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جدًا. وألقاه إلى الأرض. وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده، وأَنْبَط الماءَ من تحتها، بعد أن عجز الجيش كلّه عن قلعها!

ويقول ابن مزاحم المِنقريّ: لم يمسك بذراع رجل قطّ إلا أمسك بنفسه، فلم يستطع أن يتنفس!

ومن كلامه ــ في نهج البلاغة ــ: كأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان. ألا وإنَّ الشجرةَ البرِّيَّة أصلبُ عوداً، والرواتع[٢]

(١) القضب كضرب: القت، والهدان ــ بكسر الهاء ــ: الجبان، والمعرد: الفارّ.

(٢) الرواتع: الإبل الراعية في السعة والخصب.

الخَضِرة أرقُّ جلوداً، والنابِتات العَذِية[١] أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً!

رأيه وتدبيره:

كان أسدّ الناس رأياً، وأصَحَّهم تدبيراً؛ وهو الذي أشار على عمرَ رضي الله عنه لما عزم أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بأن يبقى ويُنِيبَ عنه.

وهو الذي أشار على عثمانَ رضي الله عنه بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدُث ما حدث.

وإنما خذلته الدنيا؛ لأنها لئيمة، ولأنه كان متعبّداً بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه، وهو القائل: لولا الدين والتقى لكنت أذهى العرب.

وقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يستشيرانه ويعملان برأيه، ومن قول عمر فيه: لا أبقاني الله لمعضلة لا أبا حَسَنٍ لها. وقوله: لولا عليٌّ لهلك عمر.

عبادته ونسكه:

كان أعبدَ النّاس وأكثرهم صلاة وصوماً، كما كان غايةَ الغاياتِ في التقوى والورَع، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمةَ الأوْراد، وقيامَ النافلة. وما ظنُّك برجل يبلغ من محافظته على وِرْده أن يُبْسَط له نِطْعٌ بين الصفين ليلةَ الهرير، فيصلّي عليه وِرْدَه، والسهامُ تقع بين يديه وتمر على صِمَاخَيْه يميناً وشمالاً، فلا يرتاعُ لذلك، ولا يقوم حتى يفْرغَ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثَفِنَةِ[٢] البعير لطول سجوده!

وقد قيل لعليِّ بن الحسين ـ وكان الغاية في العبادة ـ: أين عبادتُك من عبادة جدك؟ فقال: عبادتي عند عبادة جدي، كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ﷺ.

وأنت إذا تأملت مناجاتَه ودَعوَاتِهِ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما تتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته، والاستخذاء له؛ عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيِّ قلب خرَجتْ، وعلى أي لسان جَرَتْ.

---

(١) العذية ـ بفتح العين وكسر الذال ـ والعذاة ـ كفلاة ـ: الأرض الطيبة البعيدة من الماء والوخم.
(٢) الثفنة من البعير والناقة: الركبة.

وكان وضّاءَ النفس، شفَّ الروح، نقيَّ القلب، صافِيَ الضمير، باطِنُه كظاهره، وسرُّهُ كعلانيته، لا يحابِي ولا يداهِنُ ولا يداجي، ولا تأخذه في الحق لومةُ لائمٍ، ولا يسكت عما لا يرضاه، ولا يرضى إلا الحقَّ وسيلةً وغايةً.

فصاحته:

هو إمامُ الفصحاءِ، وسيدُ البلغاء، وإمام الخطباء، بعد الرسول ﷺ وقد قيل في كلامه: دُونَ كلام الخالق، وفوقَ كلام المخلوقين، وقد سقط بعض الجبارين لسماع بعض كلماته، ومات بعض الناس تأثُراً بوعظه.

ومنه تعلّم الناسُ الخطَابة والكتابة؛ يقول عبد الحميد الكاتب: حفظت سبعين خطبةً من خطب الأصلع فغَاضت ثم فاضت[١].

وقال ابن نُباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سَعَةً وكثرة؛ حفظت مائة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب.

ويصرح المسعودي: بأن الذي حفظه الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيّف وثمانون خطبة، أوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولًا وعملًا.

ولما قال مِحْفَن بن أبي محفن المنافق لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس! قال له: ويحك! كيف يكون أعيا الناس! فوالله ما سَنَّ الفصاحة لقريش غَيْرُه!

وكان على قوله مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبويّ، وهو ـ إلى ذلك ـ كما يقول قُدامة: ممن برع في المعنيين: من الإيجاز والإطالة، فسلم في الإيجاز من التقصير، وفي الإطالة من الإسهاب والتكثير، وتقدّم الناس جميعاً في ذلك كتقدمه في سائر فضائله. وله من الخطب الطوال المشهورة: الزهراء، والغراء، والبيضاء، وغيرهنَّ مما قد حمل عنه ونقل إلينا.

حب الناس له:

كان أهل الذمة يحبُّونه على تكذيبهم بالنبوّة، ويعظمه الفلاسفة، على معاندتهم لأهل الملة.

وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بِيَعها وبيوتِ عبادتها، حاملًا سيفه، مشمّراً لحربه.

---

(١) أي ترسبت في وجدانه ثم فاضت على لسانه.

وتصور ملوك الترك والدَّيْلَم صورته على أسيافها، فكانت صورته على سيف عضد الدولة بن بويه، وسيف أبيه ركن الدولة، وعلى سيف إلب أرسلان، وابنه ملكشاه، كأنهم كانوا يتفاءلون به لنيل النصر والظفر.

وأربابُ الفتوة سمَّوْه سيد الفتيان، ونسبوا أنفسهم إليه، وصنَّفوا في ذلك كتباً.

حب أصحابه له:

وأما حبّ أصحابه له، فكانوا يحبونه كحبهم أنفسَهم وأولادهم بل أكثر، وكانوا يؤثرون أن يَفْدُوه بأنفسهم، وقد لقي كثيرٌ منهم الحرمان والجوع، بل الموت في سبيل ذلك! يقول له عمرو بن الحَمِق: إني والله يا أمير المؤمنين، ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادةِ مال تُؤْتِينِيه، ولا التماسِ سلطانٍ يُرْفَع ذِكري به، ولكن أحببتك لخصال خمس: أنك ابنُ عمّ رسول الله ﷺ، وأول من آمن به، وزوجُ سيدة نساء الأمة؛ فاطمة بنت محمد ﷺ، وأبو الذرية التي بَقِيَتْ فينا من رسول الله ﷺ، وأعظمُ رجل من المهاجرين سَهْماً في الجهاد، فلو أني كُلِّفْتُ نقْلَ الجبالِ الرواسي، ونزح البحور الطَّوَامي حتى يأتِيَ عليَّ يومي؛ في أمر أُقَوِّي به وليّك، وأُوهِنُ به عدوَّك، ما رأيت أني قد أدَّيت فيه كلَّ الذي يحقّ عليَّ من حقك.

فقال له أمير المؤمنين: اللهمَّ نوِّرْ قلبَه بالتقوى، واهْدِه إلى صراط مستقيم، ليت أنَّ في جندي مائةً مثلَك.

وسأل معاوية عامر بن واثلة: ما بلغ من حبِّك عليًا؟ قال: حبُّ أم موسى لموسى. قال: فما بلغ من بكائك عليه؟ قال: بكاء العجوز المِقْلات والشيخ الرَّقوب[1]!! إلى الله أشكو تقصيري! فقال معاوية: ولكن أصحابي هؤلاء لو سئلوا عني ما قالوا فيَّ ما قلت في صاحبك.

فقال أصحاب معاوية: إنا والله لا نقول الباطل.. فقال معاوية: لا والله ولا الحق.

وسأل معاوية ضِراراً الصُّدائيَّ: ما بلغ من حزنك عليه؟ فقال: حزن امرأة ذُبِحَ واحدُها في حجرها.

(١) المقلات ـ كمصباح ـ: المرأة التي لا يبقى لها ولد. والرقوب ـ كرؤوف ـ: الرجل الذي لا يبقى له ولد.

أدبه في الحرب:

كان إذا أراد القتال هلّل وكبّر، ثم قال:

أي يومَيَّ من الموت أفرّ أيومَ ما قُدِّر أم يومَ قُدِر

وإذا مشى إلى الحرب هَرْوَل.

وعن عبد الله بن جُندب عن أبيه، أن عليًا رضي الله عنه كان يأمرنا في كل موطنٍ لقينا معه عدوَّه بقوله: لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم؛ فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم.

فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم، فلا تقتلوا مُدْبراً ولا تُجْهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورةً، ولا تمثّلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستْراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في مُعَسْكرهم، ولا تهيجوا امرأةً بأذًى، وإن شَتَمْنَ أعراضكم، وتناوَلْنَ أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القُوَى والأنْفُس والعقول، ولقد كنا، وإنا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة الجاهلية بالهراوة أو الحديد، فيعيَّر بها عَقِبُه.

وعن سلام بن سُوَيْد: كان عليٌّ إذا أراد أن يسير إلى الحرب، قعد على دابته وقال: الحمد لله رب العالمين، على نعمه علينا وفضله العظيم، ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]. ثم يوجّه دابتَه إلى القبلة، ثم يرفع يديه إلى السماء، ثم يقول: اللهم، إليك نُقلتِ الأقدام، وأفْضَتِ القلوب، ورُفِعَتِ الأيدي، وشخَصَتِ الأبصار، نشكو إليك غيبة نبيِّنا، وكثرةَ عدُوِّنا، وتشتُّت أهوائنا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]. سيروا على بركة الله، ثم يحمل فيورد ـ والله ـ من اتّبعه ومن حادَّه حِياضَ الموت.

ويقول ابن عباس: خرج عليٌّ في اليوم الثامن بنفسه في وقعة صِفين على بَغْلة رسول الله ﷺ في الصحابة من البدريِّين وغيرهم من المهاجرين والأنصار، وربيعةَ وهَمْدان، وعليه عمامة بيضاء، وكأنَّ عينيه سِرَاجا سَليط، حتى انتهى إليَّ، فقال: يا معشر المسلمين، غَمُّوا الأصوات، وأكملوا اللأْمة، واستشعروا الخشية، وقَلْقلوا السيوف في الأجفان قبل السَّلَّة، والحظوا الشَزْر، واطعنوا الهبْرَ، ونافحوا بالظُّبَا، وصِلوا السيوفَ بالخُطا، والنبال بالرِّماح، فإنكم بعين الله، ومع ابن عم

رسول الله. وعاوِدُوا الكرَّ، واستقبِحُوا الْفَرَّ، فإنه عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب، ودونكم هذا السوادَ الأعظمَ، والرواق المطنّب[1] فاضربوا ثَبَجَه؛ فإن الشيطانَ راكبُ ضَبُعَيه[2]، معترضٌ ذراعَيه، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، فصبراً جميلاً، حتى تنجليَ عن وجه الحق ﴿**وأنتم الأعلوْنَ والله معكم ولن يَتِرَكم**[3] **أعمالَكم**﴾.

ولما سار إلى وقعة الجمل بأصحابه، نزلوا بالموضع المعروف بالزاوية - قرب البصرة - فصلى أربع ركعات، وعفّر خدَّيه على التربة، وقد خالط التراب دموعه، ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السموات وما أظلّت، والأرَضين وما أقلّت، وربَّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها؛ اللهم أنزلنا فيها خير مُنْزَلٍ، وأنت خير المُنزلين. اللهُمَّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي، وبغَوْا عليَّ، ونكثُوا بيعتي، اللهم احقِن دماء المسلمين!!

مقتله رضي الله عنه:

نقل من عدة جهات: أنه رضي الله عنه كان يقول دائماً: ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذا - يعني لحيته بدم رأسه - وسِرُّ ذلك: أنه برم بالناس وتلوُّنِهم ونفاقهم، وتقاعُدهم عن نصرة الحق، وافتتانهم بزهرة الدنيا، وتألُّب قُوَى الشرّ عليه، حتى دعا على نفسه أن يُلحقه الله بابن عَمّه - صلوات الله عليه.

ومما يدل على ضجره من قومه، ما رواه عبد الله بن رافع، قال: سمعت علياً - واجتمع الناس عليه حتى أدموا رجله - فقال: اللهم إني قد كرهتهم! قال: فما مات إلا تلك الليلة.

وكان إذا رأى عبد الرحمن بن ملجم المرادي - لعنه الله - ينشد متمثلاً قول عمرو بن معديكرب:

عذيرَكَ مِن خليلك مِن مُرَادِ أريد حياته ويريد قتلي

وكان يقال له - إذا نطق بذلك: فلِمَ لا تقتله يا أمير المؤمنين؟ فيجيب: كيف أقتل قاتلي؟!

وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ أخبره بذلك. ومما يؤيد هذا، ما روي

---

(١) المطنب: الممدود.

(٢) الضبع: العضد.

(٣) لن يتركم: لن ينقصكم.

عن أنس بن مالك، قال: مرض «علي» فدخلت إليه أعوده ـ وعنده أبو بكر وعمر ـ فجلسنا عنده ساعة، فأتى رسول الله ﷺ فنظر في وجهه، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، إنا نراه مائتاً! فقال ﷺ: «**لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى يُمْلأ غيظاً، ولن يموت إلا مقتولاً**».

وكان علي يُحسن دائماً إلى ابن ملجم.

ولما دخل رمضان من سنة أربعين كان الإمام يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار، فإذا أكل لا يزيد على ثلاث لقم، ويقول: إنما هي ليلة أو ليلتان ويأتي أمر الله وأنا خميص. فلم يمض إلا ليال قلائل حتى قُتل رضي الله عنه!!

أما أمر مقتله، فقد خرج من داره بالكوفة أول الفجر ـ كعادته ـ وبيده دِرَّة يوقظ بها الناس، فجعل ينادي: الصلاة.. يرحمكم الله!! فضربه أشقى الآخِرين ابن ملجم بسكين أو سيف في جبهته وفي رأسه، وصاح: الحكم لله لا لك يا عليُّ. وكان اللعين قد جلس له مقابل السُّدَّة[1] التي يخرج منها إلى الصلاة، فقال أمير المؤمنين: لا يفوتنّكم الرجل، فشدَّ الناس عليه فأخذوه، واسْتَناب «الإمامُ» في صلاة الصبح بعض أصحابه وأدخل داره، وقال: أحضروا الرجل عندي؛ فلما حضر قال له: يا عدوَّ الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه. فقال الإمام: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله!!

ثم أمر أن يطعموه ويسقوه، ثم قال: النفس بالنفس! إن عشت فأنا وليُّ دمي، إن شئت قتلت، وإن شئت عفوت، وإن مت فاقتلوه كما قتلني، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. يا بني عبد المطلب، لا تُجمِّعُوا من كل صوب، تقولون: قُتِل أمير المؤمنين!! ألا لا يُقتلَنَّ بي إلا قاتلي.

ثم التفت إلى ابنه الحسن، وقال: انظر يا حَسن، إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربةً بضربة، ولا تمثّلنَّ بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إياكم والمُثْلَةَ ولو بالكلْبِ العقور**».

ثم وصّى بنيه بتقوى الله تعالى وبإقامة الصلاة لوقتها، وإيتاءِ الزكاة عند محلها، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت للأمر، والتعاهُد للقرآن،

(١) السدة: الظلة على الباب تقيه المطر، وقيل: هي الباب نفسه، وقيل: هي الساحة بين يديه.

وحسنِ الجوار، والأمرِ بالمعروف، والنهيِ عن المنكر، واجتنابِ الفواحش. ثم كتب وصيته، ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى فاضت روحه إلى بارئها.

وذكر المسعوديُّ: أن طائفة من الناس قالوا: يا أمير المؤمنين، أرأيت إن فقدناك ـ ولن نفقدك ـ أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر!

ثم دعا الحسن والحسين، فقال لهما: أُوصيكما بتقوى الله وحده، ولا تَبْغِيا الدُّنيا وإن بَغَتْكُما، ولا تأسفا على شيء منها. قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، وكونا للظالم خَصْماً، وللمظلوم عَوْناً، ولا تأخذْكُما في الله لوْمَة لائم.

ثم نظر إلى ابن الحنفيّة، فقال: هل سمعت ما أوصيت به أخويْك؟ قال: نعم. قال: أوصيكَ بمثله، وأوصيك بتوقيرِ أخويك، وتزيين أمرهما، ولا تقطعَنْ أمراً دونهما.

ثم قال لهما: أوصيكما به، فإنه سيفكما وابن أبيكما، فأكْرِمَاه، واعْرِفَا حقَّه.

وقد اسْتُشْهِد رضي الله عنه ليلة الجمعة لسبعَ عشرةَ ليلة خلت من رمضان سنة أربعين.

وهي الرواية المشهورة، والأثبت عند المحدثين، وهي ليلة بدر.

وقد وردت الروايات: أنه يقتل في ليلة بدر.

وقيل: إن الإمام لم ينم تلك الليلة، وأنه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول: والله ما كذَبت ولا كُذِبْتُ، وإنها الليلة التي وُعِدت.

وقد حدث أن صرخ «بطٌّ» كان للصبيان، فصاح بهن بعض من كان في الدار، فقال الإمام: ويحك، دعهن فإنهنّ نوائح!!

وقد اختلف في مدة عمره ـ كما يقول ياقوت ـ فقال قوم: إنه استشهد وله ثمان وستون سنة، في قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمسَ عشرةَ سنة.

وقيل: ست وستون؛ وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاثَ عشرةَ سنة.

وقيل: ثلاث وستون، وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله عشر سنين.

وقيل: ثمان وخمسون، وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمس سنين.

وهذا أقل ما قيل في عمره.

وقد تُنُوزِع في موضع قبره، فقيل: إنه حُمل إلى المدينة، فدُفن عند فاطمة.

وقال الواقدي: دفن ليلاً وغُبِّي قبره.

وقال أبو اليقظان: صلى عليه الحسَن، ودُفن بالكوفة عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة، وهو الرأي الصحيح.

وقد بويع بالخلافة يوم الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحجة، والناس يحسبون ذلك من يوم مقتل عثمان رضي الله عنه.

ومدة خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً.

وكان ممن شهد معه صفين من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار.

وشهد معه من الأنصار ممّن بايع تحت الشجرة ـ وهي بيعة الرضوان ـ من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ تسعمائة.

وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة.

كَرَّمَ الله وجْهَهُ، ورَضي عنهُ وأرضاه!

حرف الهمزة

١ ـ الآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدةٌ[١]. [ق: ١٧]

٢ ـ الآدَابُ خَيْرُ مِيرَاثٍ. [ق: ١٧]

٣ ـ آلَةُ الرِّياسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ[٢]. [ر ٢: ١٩٢]

٤ ـ الآمالُ مطَايا، ورُبَّما حَسَرَتْ[٣]، ونَقِبَتْ أَخْفافُها[٤]. [ح ٢٠: ٣٠٧]

٥ ـ ابْتِدَاءُ الصَّنِيعَةِ نافِلَةٌ، ورَبُّها فَرِيضَةٌ[٥]. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٦ ـ أَبْخَلُ النَّاسِ بِمالِهِ أَجْوَدُهُمْ بِعِرْضِه[٦]. [ح ٢٠: ٣٢٨]

٧ ـ اُبْذُلْ لِصَديقِك كلَّ المَوَدَّة، ولا تَبْذُلْ لَه كلَّ الطُّمَأْنِينة[٧]، وأَعْطِه المُؤَاساةَ[٨]، ولا تُفْضِ إلَيْه بِكُلِّ الأَسْرَار. [ق: ٧٠]

٨ ـ ابْذُل لِصَديقِك مالَكَ، ولِمَعْرِفَتِك رِفْدَكَ ومَحْضَرَكَ[٩]، ولِلْعامَّة بِشْرَك وتَحنُّنَك، ولِعَدُوِّكَ عَدْلَكَ وإِنْصَافَك، واضْنَنْ بِدينِك وعِرْضِك عَنْ كُلِّ أَحَد. [ح ٢٠: ٣١٢]

---

(١) إذا تحلى الإنسان بمكارم الأخلاق؛ كان كمن يكتسي كل يوم حلة جديدة.

(٢) سعة الصدر: كناية عن الاحتمال؛ قال ابن أبي الحديد: الرئيس محتاج إلى أمور: منها الجود، ومنها الشجاعة، ومنها ـ وهو الأهم ـ سعة الصدر، فإنه لا تتم الرياسة إلا بذلك.

(٣) حسر، من باب قعد: كلّ وأعيا.

(٤) نقب البعير، من باب فرح: حفي ورقت أخفافه.

(٥) رب الصنيعة: تعهدها وتنميتها.

(٦) لأن بذل المال يصون العرض، ومن ذلك قول زهير:

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرْضِه ... يَفِرْه ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتَمِ

(٧) الطمأنينة: السكون، والمراد هنا عدم الإفراط في الثقة، لأن الإفراط فيها نوع من التورط، والشاعر يقول:

احذرْ عدوَّك مرَّةً ... وَاحذرْ صديقَك ألفَ مَرَّه

فلربما انقلب الصديقُ ... فكان أعلمَ بالمضرَّه

(٨) المؤاساة: المشاركة في المال، ومثلها: المواساة وهي لغة ضعيفة.

(٩) لمعرفتك: أي من تعرفه. والرفد: العطاء والمعونة. وبذل المحضر: حسن الاستقبال وإظهار البشاشة.

٩ ـ أبْصَرُ النَّاس لِعَوارِ النَّاس، المُعْوِر[١]. [ح ٢٠: ٢٩١]

١٠ ـ أبعَدُ النَّاسِ سَفَراً مَنْ كَانَ في طلَبِ صَديقٍ يَرْضاه[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٢]

١١ ـ أَبْقِ لرِضَاكَ مِنْ غضَبِك، وإذا طِرْتَ فقَعْ قَريباً[٣]. [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٢ ـ أَبَى اللّهُ إلّا خَرابَ الدُّنيا وعِمارةَ الآخِرَةِ[٤]. [ق: ٢٠]

١٣ ـ اتّقِ العَواقِبَ، عَالِماً بأنَّ للأعْمالِ جَزاءً وأَجْراً، واحْذَرْ تَبِعاتِ الأُمُور[٥] بتَقْديمِ الحَزْمِ فيها. [ح ٢٠: ٢٦٠]

١٤ ـ اتّقِ اللّهَ بعْضَ التُّقَى ـ وإنْ قَلَّ ـ واجْعَلْ بيْنَك وبيْنَ اللّهِ سِتْراً ـ وإنْ رَقَّ[٦]. [ر ٢: ٢٠٤]

١٥ ـ اتّقُوا ظُنُونَ المُؤْمِنين، فإنَّ اللّهَ تَعَالَى جَعلَ الحقَّ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ[٧]. [ر ٢: ٢٢٤]

١٦ ـ اتّقُوا اللّهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّر تجْرِيداً، وجَدَّ تَشْميراً، وكَمَّشَ في مَهَلٍ، وبَادرَ عَنْ وجَلٍ[٨]، ونَظرَ في كَرَّةِ المَوْئِلِ[٩]، وعَاقبَةِ المَصْدَر، ومَغَبَّةِ المَرْجِع[١٠]. [ر ٢: ١٩٧]

---

(١) العوار ـ بوزن كلام وقد تضم العين ـ: العيب. والمعور: البين العيوب.

(٢) المراد: أن الصديق الذي يرضيك في كل الأحوال معدوم، وصدق بشار في قوله:

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنه ... مُقارِفُ ذنبٍ مَرّةً ومُجانِبُهْ

(٣) المراد: التوسط في حالة الرضا والسخط، والاعتدال في الإقبال والإدبار، فالتناهي في الرضا يقود إلى الإدلال، والتناهي في الغضب يؤدي إلى العداوة؛ وخير الأمور الوسط.

(٤) المراد: أن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة دار بقاء، والآخرة خير وأبقى!

(٥) تبعات الأمور: ما يترتب عليها من جزاء وتكليف.

(٦) يحثنا الإمام على أن نخاف الله ولو بعض الخوف، وأن نستحيي منه ولو بعض الحياء، فإن ذلك قد يقوى ويشتد فيفضي بنا إلى الفوز والنجاة؛ وأما قطع صلتنا بالله عزّ وجلّ جملة، فهو دليل عمى القلب، وظلام البصيرة، وموت الوازع، وليس وراء ذلك إلا التردي في الهلكة والشقاء.

(٧) قامت الأدلة على أن المؤمنين الكاملي الإيمان تصفو نفوسهم، وتلطف سرائرهم، وتصدق فراساتهم، فيكون خيالهم حقيقة، وظنهم يقيناً، ويلهمون الصواب والسداد قولاً وفعلاً، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(٨) كمش بتشديد الميم: جد في السوق: أي بالغ في حث نفسه على المسير إلى الله، لكن مع تمهل البصيرة، والوجل: الخوف.

(٩) الموئل: مستقر السير، ويريد به هنا: ما ينتهي إليه الإنسان من سعادة وشقاء، وكرته: حملته وإقباله.

(١٠) المغبة: بفتح الميم والغين وتشديد الباء: العاقبة أيضاً، إلا أنه يلاحظ فيها مجرد كونها بعد الأمر. أما العاقبة فيلاحظ أنها مسببة عنه، والمصدر: عملك الذي يكون عنه ثوابك وعقابك، والمرجع: ما ترجع إليه بعد الموت وتتبعه: إما السعادة، وإما الشقاء.

١٧ ـ اتَّقُوا مَعاصِيَ اللَّهِ في الخَلَواتِ، فإنَّ الشَّاهِدَ هُو الحَاكِمُ. [ر ٢: ٢٢٨]

١٨ ـ إثْباتُ الحُجَّةِ عَلَى الجاهِلِ سَهْلٌ، ولكِنْ إقْرارُهُ بها صَعْبٌ. [ح ٢٠: ٢٩٤]

١٩ ـ اثْنانِ يَهُونُ عَلَيْهِما كُلُّ شَيءٍ: عَالِمٌ عَرَفَ العَواقِبَ، وجاهِلٌ يَجْهَلُ ما هُو فيهِ. [ح ٢٠: ٢٩١]

٢٠ ـ اجْتِماعُ المالِ عِندَ الأَسْخِياءِ أَحَدُ الخِصْبَيْنِ، واجْتِماعُ المالِ عِند البُخَلاءِ أَحدُ الجَدْبَيْنِ[١]. [ح ٢٠: ٣٣٥]

٢١ ـ الاجْتِهادُ أَرْبحُ بِضاعَةٍ. [ق: ١٥]

٢٢ ـ اجْعَلْ سِرَّكَ إلى واحِدٍ، ومَشُورَتَكَ إلى أَلْفٍ. [ح ٢٠: ٣١٠]

٢٣ ـ اجْعَلْ عُمْرَكَ كنَفَقَةٍ دُفِعَتْ إليْك، فَكما لا تُحِبُّ أَنْ يَذْهبَ ما تُنْفِقُ ضَياعاً، فَلا تُذْهِبْ عُمْرَكَ ضَياعاً[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٢٤ ـ اجعَلْ نَفسَكَ مِيزاناً فِيما بَيْنَك وبَيْنَ غَيْرِكَ[٣]. [ق: ٦٧]

٢٥ ـ أَجَلُّ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ التَّوْفِيقُ[٤]، وأَجَلُّ ما يَصْعَدُ مِنَ الأَرْضِ الإخْلاصُ[٥]. [ح ٢٠: ٢٩١]

٢٦ ـ أَجْمِلْ لِمَنْ أَدَلَّ عَليْكَ[٦]، واقْبَلْ عُذْرَ مَن اعْتذَرَ إليْكَ. [ق: ٦٩]

٢٧ ـ أَجْهَلُ الجُهَّالِ مَن عَثَر بحجَرٍ مرَّتَيْن[٧]. [ح ٢٠: ٣٣٢]

---

(١) لأن الأسخياء ينفقون ما يملكون، فيعم الانتفاع به وتتولد منه نعمة جديدة. وأما البخلاء فيمسكونه فيزداد بإمساكه الفقير فقراً، وصدق المتنبي في قوله:

ومن ينفق الساعاتِ في جمع ماله ... مخافةَ فقرٍ فالذي فعل: الفقرُ

(٢) من الغريب أن الإنسان قد يكون بخيلاً في إنفاق ماله، مسرفاً في إنفاق عمره، وشتان بينهما في القدر والمنزلة، وما أحسن قول الشاعر:

إذا كان رأس المالِ عمرَكَ فاحترس ... عليه من الإنفاق في غير واجب

(٣) أي اجعل نفسك حكماً عدلاً فيما يقع بينك وبين غيرك من خلاف، ولا تتعصب لنفسك؛ وأنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك.

(٤) صدق الإمام، فإنه لا ينفع اجتهاد بغير توفيق، بل قد يجني على المرء اجتهاده.

(٥) لأن الإخلاص روح العمل، والله طيب لا يقبل إلا الطيب، ونية المرء خير من عمله.

(٦) الإدلال والتدلل: الوثوق بالمحبة والانبساط، فيفرط المدل على من يحبه، فعلى صاحبه أن يرفق به ويحتمله؛ إكراماً لحسن نيته ووثيق محبته، وقد جاء المتنبي بهذا المعنى في قوله:

يُجَمِّشُكَ الزمانُ هوًى وحُبّاً ... وقد يُؤذَى من المِقَةِ الحبيبُ

(٧) فيه إشارة إلى الحكمة: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

٢٨ ـ أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً ما. . عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغيضَك يَوماً ما. . وأَبْغِض بَغِيضَك هَوْناً ما. . عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَك يَوماً ما(١). [ر ٢: ٢١٤]

٢٩ ـ أَحِبَّ لغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لنَفسِك، واكْرَه لَهُ ما تكْرَهُ لَها. [ق: ٦٧]

٣٠ ـ أَحَبُّ النَّاسِ إِلى العَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عاقِلًا عَدُوُّه؛ لأَنَّهُ إذا كانَ عاقِلًا كَانَ مِنهُ في عافِيَةٍ(٢). [ح ٢٠: ٣٣٥]

٣١ ـ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ مَنْ كَثُرَتْ أَيادِيه عِندَكَ(٣). [ح ٢٠: ٣٠٨]

٣٢ ـ احْتَرِسْ مِن ذِكْرِ العِلْمِ عِندَ مَن لا يَرْغَبُ فِيه، ومِن ذِكْرِ قَدِيمِ الشَّرَفِ عِندَ مَنْ لا قَدِيمَ لَهُ؛ فإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُحْقِدُهُما عَلَيْكَ(٤). [ح ٢٠: ٣٢٢]

٣٣ ـ احْتِمالُ الفَقْرِ أَحْسَنُ مِن احْتِمالِ الذُّلِّ، لأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الفَقْرِ قَناعةٌ، والصَّبرَ عَلَى الذُّلِّ ضَراعةٌ(٥). [ح ٢٠: ٢٩٤]

٣٤ ـ الاحْتِمالُ قَبْرُ العُيُوبِ(٦). [ق: ١٦]

٣٥ ـ احْتِمالُ نَخْوَةِ الشَّرَفِ(٧) أَشدُّ مِن احْتِمالِ بَطَرِ الغِنَى، وذِلَّةُ الفَقْرِ مانِعةٌ مِن الصَّبرِ، كما أَنَّ عِزَّ الغِنَى مانِـع مِن كَرمِ الإِنْصَاف، إِلَّا لِمنْ كَانَ في غَرِيزتِه فَضْلُ قُوَّةٍ، وأَعْراقٌ(٨) تُنازِعُه إِلى بُعْدِ الهِمَّةِ. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٣٦ ـ احْتَمِل أَخاكَ عَلَى ما فِيه. [ق: ٦٨]

٣٧ ـ احْذَرْ أَن يَراكَ اللَّهُ عِندَ مَعصِيَتِهِ، ويَفقِدَكَ عِند طاعَتِهِ(٩)؛ فَتَكُونَ مِن

---

(١) الهون بفتح الهاء: الحقير. . والمراد منه هنا: الخفيف الذي لا مبالغة فيه، أي لا تبالغ في الحب ولا في البغض: فعسى أن ينقلب كل إلى ضده، فلا تعظم ندامتك على ما قدمت منه.

(٢) ومن هنا جاءت الحكمة: «عدو عاقل خير من صديق جاهل».

(٣) الأيادي: النعم والإحسان.

(٤) يحقدهما عليك: أي يثير كراهيتهما لك.

(٥) ضرع يضرع ـ بفتح الراء فيهما ـ ضراعة: خضع وذل.

(٦) إذا رزق الإنسان قوة الاحتمال، تغاضى عن إساءات الناس إليه، فلا يذيع عيوبهم لأن نشر عيوب المسيئين: مجازاة، وهذا ينافي الاحتمال.

(٧) النخوة: الكبر والعظمة.

(٨) الأعراق: الأصول، جمع عرق، وتنازعه: تجذبه وتميل به.

(٩) فقده يفقده من باب ضرب: أي عدمه فلم يجده. والكلام من الكناية؛ أي إن الله يراك في الحالتين فاحذر أن تعصيه وألا تطيعه.

الخاسِرين، وإذا قَوِيتَ فاقْوَ عَلَى طاعَةِ اللّهِ، وإذا ضَعُفْتَ فاضعُفْ عَن مَعْصِيةِ اللّهِ. [ر ٢: ٢٤٣]

٣٨ ـ احْذَر التَّلوُّنَ في الدِّين. [ق: ٦٩]

٣٩ ـ احْذَر دَمْعَةَ المُؤمِن في السَّحَر؛ فإنَّها تقصِفُ مَنْ دَمَّعَها(١)، وتُطْفِئُ بُحُورَ النِّيرانِ عمَّن دَعا بها. [ق ٧٠: ٧١]

٤٠ ـ احْذَر كلَّ الحَذَرِ أَنْ يَخْدَعَك الشَّيطانُ فيُمثِّلَ لكَ التَّوانِيَ في صُورَة التَّوكُّل، ويُورِثَك الهُوَيْنَى بالإحالَةِ عَلَى القَدَر؛ فإنَّ اللّهَ أَمَرَ بالتَّوكُّل عِند انْقِطاع الحِيَل، وبالتَّسْليم للقَضاءِ بَعدَ الإنْذار(٢)، فقالَ: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ٩٥]. وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اعْقِلْها(٣) وتوكَّل». [ح ٣٠: ٣٠٦]

٤١ ـ احْذَر مِن أَصْحَابك ومُخَالِطيك: الكثيرَ المَسأَلةِ، الخَشِنَ البَحْث، اللَّطيفَ الاسْتِدراج(٤)، الَّذي يَحفَظُ أوَّل كَلامك عَلَى آخِره، ويَعتَبِرُ ما أَخَّرْتَ بما قَدَّمْتَ، ولا تُظْهِرَنَّ لهُ المخافَةَ؛ فيَرَى أنَّكَ قَد تحرَّزْتَ وتحفَّظْتَ. واعْلَمْ أَنَّ مِنْ يَقظَةِ الفِطْنة إظْهارَ الغَفْلَةِ معَ شِدَّةِ الحَذَر، فخَالِط هَذا مُخالَطةَ الآمِنِ، وتحفَّظْ منه تحفُّظَ الخائِفِ، فإنَّ البَحْثَ يُظهِرُ الْخَفِيَّ، ويُبْدِي المَسْتُورَ الكامِنَ(٥). [ح ٢٠: ٣١٨]

٤٢ ـ احْذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيمِ إذا جاعَ، واللَّئيمِ إذَا شَبعَ(٦). [ر ٢: ١٦٠]

---

(١) دمعها: أسالها، وخص وقت السحر؛ لأنه من أوقات إجابة الدعاء، والمراد: النهي عن الظلم، واتقاء دعوة المظلوم؛ فليس بينها وبين الله حجاب!

(٢) الإنذار: أي أن تستنفد كل حيلة.

(٣) اعقلها: أحكم ربطها بعقالها، ثم توكل على الله.

(٤) الاستدراج: الخداع والإدناء، واستدراج الله تعالى العبد: كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار، أو أن يأخذه قليلاً قليلاً، ولا يباغته.

(٥) حذرنا الإمام من هذا الصديق؛ لأن مثله في العادة يكون وده مدخولاً ونيته سيئة؛ فلا يطمأن إليه.

(٦) لأن الكريم إذا جاع ثارت نخوته وهاجت حميته، ونقم على الدنيا أن تضيم مثله وهو الأحق بالإعزاز والتكريم، فشنها حرباً شعواء!! وشبها ناراً لاهبة! فمثله كمثل الأسد في شبعه وجوعه؛ أما اللئيم فإنه إذا شبع بطر وتكبر، وطغى وبغى، وتنكر لأقاربه، وجفا أصدقاءه، وتطوع بالأذى والإساءة.

٤٣ ـ احْذَرُوا الكلامَ في مَجالسِ الخوْفِ، فإنَّ الخوْفَ يُذْهِلُ العَقْلَ الَّذي منه نَسْتمِدُّ، ويَشْغلهُ بحِراسةِ النَّفس عَنْ حِراسةِ المذْهَب الَّذي نَرومُ نُصْرَته، واحْذَر الغضَبَ مِمَّنْ يَحمِلُكَ عَليه؛ فإنَّهُ مُميتٌ للخواطِر[١]، مانعٌ مِنَ التَّثَبُّت. واحْذَر مَنْ تُبغِضُهُ؛ فإنَّ بُغْضَك لهُ يَدعُوكَ إلى الضَّجَر بهِ. وقَليلُ الغَضَبِ كثيرٌ في أَذَى النَّفس والعَقْل، والضَّجَرُ مُضَيِّقٌ للصَّدْر، مُضعفٌ لقُوَى العَقل. واحْذَر المحافِلَ الَّتي لا إنْصافَ لأَهْلِها في التَّسْويةِ بَينَك وبَيْنَ خَصْمك في الإقْبالِ والاسْتِماع، وَلا أدبَ لَهُم يَمْنعهم مِن جَوْر الحُكْم لَك أَوْ عَليك، واحْذَر حِينَ تَظهَرُ العَصَبِيَّةُ لخصْمك؛ بالاعتِراضِ عَلَيْك وتَشْييد قَوْلِهِ[٢] وحُجَّتهِ؛ فإن ذلِكَ يَهِيجُ العَصَبِيَّةَ، والاعْتِراضُ عَلَى هَذا الوَجْه يُخلِق[٣] الكَلامَ، ويُذْهِبُ بَهجَةَ المَعاني.

واحْذَر كَلَامَ مَنْ لا يَفهَمُ عَنك، فإنَّهُ يُضْجِرُك، واحْذَر اسْتِصغارَ الخَصْم؛ فإنْهُ يَمنَعُ مِنَ التَّحفُّظ. وَرُبَّ صَغيرٍ غَلبَ كَبيراً. [ح ٢٠: ٢٨١، ٢٨٢]

٤٤ ـ احْذَرُوا نِفارَ[٤] النِّعَم، فَما كُلُّ شارِدٍ بِمَرْدُود. [س: ٢٣]

٤٥ ـ احْذَرُوا هذهِ الدُّنْيا الخَدَّاعةَ الغَرَّارة، الَّتي قَد تَزَيَّنَتْ بِحَلْيِها، وفُتِنَتْ بغُرُورِها، وغَرَّتْ بآمالِها، وتَشوَّفَتْ[٥] لخُطَّابِها، فأَصْبحَتْ كالعَرُوس الْمَجْلُوَّة[٦]، والعُيُونُ إلَيها ناظِرَةٌ، والنُّفوسُ بها مَشْغُوفَةٌ، والقُلُوبُ إلَيها تائِقَة، وهِي لِأَزْواجِها كُلِّهم قاتِلة، فَلا الباقِي بالماضِي مُعْتَبِر، وَلا الآخِرُ بِسُوءِ أَثَرِها عَلَى الأَوَّلِ مُزدَجِر؛ وَلا اللَّبيبُ فِيها بالتَّجارِبِ مُنْتَفع. أَبتِ القُلُوبُ لَها إلَّا حُبًّا، والنُّفُوسُ بِها إلَّا ضِناً، فالنَّاسُ لَها طَالِبان: طالِبٌ ظَفِرَ بِها فاغْتَرَّ فِيها، ونَسيَ التَّزَوُّد مِنها لِلظَّعَنِ[٧] عَنها، فقَلَّ فِيها لُبْثُه حَتَّى خَلتْ مِنها يدُه، وَزلَّتْ عَنها قَدَمُه. [ق: ٦٥]

---

(١) الخواطر: جمع خاطر وهو ما يخطر ببالك.

(٢) قوله: «وتشييد قوله وحجته»: أي تحصينها وصونها عن تطرق الخلل إليها، وأصل التشييد: طلاء الحائط بالجص والطين لئلا يبقى به ثقب.

(٣) يخلق الكلام: يبليه.

(٤) نفار النعم: ذهابها ونقمتها.

(٥) تشوّفت: تطلعت وتشوقت.

(٦) المجلوة: المعروضة على زوجها مصقولة.

(٧) الظعن ـ بفتح العين وسكونها ـ: السير.

٤٦ ـ أحْزَمُ النَّاسِ مَنْ مَلَكَ جِدُّه هَزْلَه، وقَهرَ رأيُه هَواه، وأعْربَ عَن ضَمِيرِه فِعْلُهُ، وَلَمْ يَخْدَعْهُ رِضاه عَن حظِّه، وَلا غضَبُه عَنْ كَيْدِه. [ح ٢٠: ٢٦٣]

٤٧ ـ الإحسانُ يَقْطَعُ اللِّسانَ[١]. [ز: ٢٩].

٤٨ ـ الإحْسانُ إلى الحُرِّ يُحَرِّكُه عَلَى المُكافأةِ، وإحْسانُك إلى النَّذْلِ يبعَثُه عَلَى مُعاودَةِ المَسْألَة. [ح ٢٠: ٢٦٨]

٤٩ ـ احْسُبُوا كلامَكُم مِن أعْمالِكُم، وأقِلُّوهُ إلا في الخَيْر[٢]. [ح ٣٠: ٢٦٣]

٥٠ ـ أحْسِنْ إلى مَنْ أساءَ إلَيْك، وكافِئْ مَنْ أَحْسَن إلَيْك. [ق: ٦٩]

٥١ ـ أحْسِنِ العَفْوَ؛ فإنَّ العَفوَ مَعَ العَدْلِ أشَدُّ مِن الضَّرْبِ لِمَن كان لَهُ عَقْل[٣]. [ق: ٧٠]

٥٢ ـ أحْسِن كما تُحِبُّ أن يُحسَنَ إلَيْك. [ق: ٦٧]

٥٣ ـ أحْسِنُوا صُحْبَةَ النِّعَم، فإنَّها تَزُول، وتَشْهَد عَلَى صاحِبِها بِما عَمِلَ فِيها[٤]. [ح ٢٠: ٢٦٣]

٥٤ ـ أحْسِنُوا في عَقِب غَيْرِكُم، تُحْفَظُوا في عَقِبكُم[٥]. [ر ٢: ٢١٣]

٥٥ ـ احفَظْ شَيْئَك[٦] مِمَّن تَسْتَحِي أن تَسألَهُ عَن مثلِ ذلِكَ الشَّيءِ إذا ضاعَ لَكَ. [ح ٢٠: ٣١١]

٥٦ ـ أحْلِفُوا الظَّالِمَ إذا أرَدتُم يمينَه؛ بأنَّهُ بَرِيءٌ مِن حَوْلِ اللهِ وقُوَّته؛ فإنَّهُ إذا حلَفَ بها كاذِباً عُوجِلَ العقُوبة[٧]، وإذا حلَفَ باللهِ الَّذي

---

(١) المراد بقطع اللسان: كفه عن الذم؛ وهو كناية لطيفة.

(٢) احسبوا: أي عدوا، من باب نصر وكتب؛ وإنما يحسب الكلام من العمل؛ لأن الإنسان محاسب عليه، «وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم»!.

(٣) من المسلم به أن العفو يستأسر النفوس الحرة الكريمة، ولله در المتنبي حيث يقول:

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهُمُ ... ومَنْ لَكَ بالحُرِّ الذي يَحفَظُ اليَدَ!!

(٤) المراد بإحسان صحبة النعم: شكر الله عليها؛ لأن ذلك يزيدها ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وأن يشرك الناس فيها؛ ليتمتع بحبهم، ويأمن حسدهم وكيدهم؛ فإن كل ذي نعمة محسود.

(٥) أي كونوا رحماء بأبناء غيركم يرحم غيركم أبناءكم، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

(٦) المراد: إذا كنت تملك شيئاً تستحي ـ لو أخذه صديقك وضيعه ـ أن تسأله عنه، فمن الحزم ألا تمكنه منه، حتى لا تخسر صداقته.

(٧) بأن يحلف كالآتي: برئت من حول الله وقوته إن كنت كاذباً. وتعجيل الله العقوبة لمن يحلف بهذا اليمين كاذباً مقطوع به، وقد أيد ذلك الإمام جعفر الصادق؛ لأن في هذا جرأة صارخة على رب الأرباب، وانتهاكاً لحرمة قداسته، وازدراء بجبروته العظيم.

لا إِلَهَ إِلَّا هُو، لمْ يُعاجَلْ؛ لأنَّهُ قَدْ وحَّدَ اللَّهَ تَعالَى. [ر ٢: ٢٠٦]

٥٧ ـ اِحْمد مَن يُغْلِظُ عَلَيْك ويَعِظُك، لا مَن يُزكِّيك ويتَملَّقُك. [ح ٢٠: ٢٥٨]

٥٨ ـ الأحْمَق إذا حُدِّثَ ذَهَل[١]، وإذا حَدَّثَ عَجِل، وإذا حُمِلَ عَلَى القَبيح فعلَ. [ح ٢٠: ٢٩٤]

٥٩ ـ احْمِل نَفسَك عَن أخيك عِند صَرْمه[٢]. . عَلَى الصِّلة، وعِند صُدُوده. . عَلى لُطف المَسْألَة، وعِنْد جُمُوده. . عَلَى البَذْل، وعِند تَباعُده. . عَلَى الدُّنوّ، وعِند شِدَّته. . عَلَى اللِّين، وعِند تَجرّيه. . عَلَى الإِعْذارِ، حتَّى كأنَّك عَبدٌ وكأنَّهُ ذُو نِعمَة[٣]. [ق: ٧١، ٧٢]

٦٠ ـ أَخْي المَعرُوفَ بإماتَتِه[٤]. [ح ٢٠: ٣١٤]

٦١ ـ الأخ البارُّ مَغِيضُ الأسْرار[٥]. [ح ٢٠: ٢٩٧]

٦٢ ـ اخْبُرْ تَقْلِه[٦]. [ر ٢: ٢٥٣]

٦٣ ـ اخْتَرْ أَن تكُونَ مَغلُوباً وأنْتَ مُنصِف، وَلا تَختَرْ أَن تكُونَ غالِباً وأنْتَ ظالِم. [ح ٢٠: ٢٥٨]

٦٤ ـ أَخِّرِ الشَّرْ؛ فإنَّك إذا شِئتَ تَعجَّلْتَه[٧]. [ق: ٦٨]

٦٥ ـ أَخْلِصْ في المَسألَة لِربِّك، فإنَّ بِيَدِهِ العَطاءَ والحِرْمان. [ق: ٦٩]

---

(١) ذهل، بفتح الهاء وكسرها: نسي الشيء وغفل عنه.

(٢) الصرم ـ كصبر ـ: القطع والهجر.

(٣) احمل نفسك: المعنى: صله إذا قطعك، ولاطفه إذا صدّ، وابذل له مالك إذا بخل، وادن منه إذا بعد، ولن له إذا اشتد، واقبل عذره إذا تجرأ عليك.

(٤) أي لا تذكر الجميل الذي صنعته، فإن عدم ذكره يشهره ويحييه.

(٥) البار: المطيع الحافظ للود، ومغيض الأسرار: مجمعها وموضع صيانتها.

(٦) اخبر بضم الباء: أمر من خبرته من باب قتل: أي علمته، وتقله مضارع مجزوم بعد الأمر، وهاؤه للوقف من قلاه يقليه كرماه يرميه بمعنى أبغضه؛ ويجوز فتح اللام من باب رضيه يرضاه. . أي إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره، فربما وجدت فيه ما لا يسرك، فتبغضه.
ويروى هذا للرسول ﷺ ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين؛ ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي قال: قال المأمون: لولا أن علياً قال: اخبر تقله، لقلت: اقله تخبره.
ووجه ما اختاره المأمون أن المحبة ستر للعيوب؛ فإذا أبغضت شخصاً أمكنك أن تعلم حاله كما هو.

(٧) المراد: أن الشر تستطيع أن تفعله في كل وقت، فمن الخير أن تؤخره حتى تتبين وجه الحزم في ذلك، ولقد صدق من قال: الشر حلو أوله، مرّ آخره!!

٦٦ ـ أَخْلِقْ بِمَن غَدَرَ أَلَّا يُوفَى لَهُ. [ق: ١٨]

٦٧ ـ إِخْوَانُ السُّوْءِ كَشَجرةِ النَّارِ؛ يُحْرِقُ بَعْضُها بعضاً. [ح ٢٠: ٣٤٣]

٦٨ ـ أَدَاءُ الأَمانَةِ مِفْتاحُ الرِّزْقِ[1]. [ح ٢٠: ٣١٨]

٦٩ ـ الأَدَبُ صُورَةُ العَقْلِ. [س: ٢٣]

٧٠ ـ الأَدَبُ عِند الأَحْمَقِ كالماءِ العَذْبِ في أُصُول الحَنْظَلِ، كُلَّما ازْدادَ رِيًّا ازدادَ مَرارَةً[2]. [ح ٢٠: ٣٣٠]

٧١ ـ أَدِّبْ نَفسَكَ بِما كَرِهْتَهُ لِغَيْرِك[3]. [ق: ٦٨]

٧٢ ـ أُدْعُ لِمَنْ أَعْطَاكَ[4]. [ق: ٦٩]

٧٣ ـ إذا أَتَى عَلَيَّ يَومٌ لا أَزْدادُ فِيهِ عَمَلًا يُقَرِّبُنِي إلى اللهِ، فلَا بُورِكَ لِي في طُلُوعِ شَمْسِ ذلِكَ اليَوْمِ. [ح ٢٠: ٢٨٨]

٧٤ ـ إذا أَتَيْتَ مَجْلِسَ قَوْمٍ فارْمِهِمْ بِسَهْمِ الإِسْلامِ[5]، ثُمَّ اجْلِسْ، فإِنْ أَفاضُوا في ذِكْرِ اللهِ فأَجِلْ سَهْمَكَ معَ سِهامِهِم، وإِن أَفاضُوا في غَيْرِه فخَلِّهِم؛ وانْهَضْ. [ح ٢٠: ٣٢٥]

٧٥ ـ إذا احْتَجْتَ إلى المَشُورة في أَمْرٍ قَد طَرَأَ عَلَيْك فاسْتَبْدِهْ بِبَداهِ الشُّبَّان[6]؛ فإنَّهُم أَحَدُّ أَذْهاناً، وأَسْرَعُ حَدْساً[7]، ثُمَّ رُدَّهُ بَعدَ ذلِكَ إلى رَأْيِ الكُهُول والشُّيُوخِ، لِيَسْتَعقِبُوه[8]، ويُحسِنُوا الاختِيارَ لَهُ؛ فإنَّ تَجرِبَتهم أَكْثَر. [ح ٢٠: ٣٣٧]

٧٦ ـ إذا احْتَشَمَ المُؤْمِنُ أَخاه فقَد فارَقَهُ[9]. [ر ٢: ٢٦٢]

---

(١) لأن الأمناء يحبهم الناس، ويثقون بهم، ويؤثرون العمل معهم.

(٢) في مثل هذا المعنى جاء قول توفيق البكري:

كذاك مُرار النَّبْت إمّا سقيْتَه ... من العذب يزدَدْ طَعْم صابٍ وعلقم

(٣) أي ما كرهته من غيرك لا تفعله، وخذ نفسك بذلك حتى يصير لك أدباً.

(٤) لأن الدعاء إحدى الصدقتين كما جاء في الأثر، فهو يكافئ العطية؛ ويدخل في العطاء هنا صنع المعروف، ولعله المراد واللائق بقول الإمام.

(٥) سهم الإسلام: يعني السلام.

(٦) اطلب آراء الشبان على البديهة.

(٧) الحدس: الظن والتخمين.

(٨) استعقبه: تتبعه وبحثه.

(٩) يقال: حشمه وأحشمه: إذا أغضبه، وقيل: أخجله، واحتشمه: انقبض منه، وهو مظنة مفارقته.

٧٧ ـ إذا أَحْسَسْتَ مِن رَأْيك بإكْدادٍ، ومِن تَصَوُّرِك بِفَساد، فاتَّهِم نَفْسَك بمُجالَسَتك لِعامِّي الطَّبْع، أو لِسَيِّئ الفِكْر، وتَدارَكْ إصْلاحَ مِزاج تَخَيُّلِك بِمُكاثَرَةِ[1] أهْلِ الحِكْمَة، ومُجالَسَة ذَوِي السَّداد[2]، فإنَّ مُفاوَضَتَهم[3] تُرِيحُ الرَّأْيَ المَكْدُود، وتَرُدُّ ضالَّةَ الصَّوابِ المفقُود. [ح ٢٠: ٣٣٩]

٧٨ ـ إذا أَحْسَنَ أحدٌ مِن أَصْحَابِك فَلا تَخْرُجْ إلَيْه بِغَايَةِ بِرِّك، ولكِنْ اتْرُكْ مِنهُ شَيئاً تَزِيدُه إيَّاهُ عِندَ تَبيُّنِك مِنهُ الزِّيادةَ في نَصِيحَتِه. [ح ٢٠: ٣٣١]

٧٩ ـ إذا أَخْطأتْكَ الصَّنِيعَةُ[4] إلى مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ، فاصْنَعْها إلى مَنْ يَتَّقِي العَارَ[5].
[ح ٢٠: ٣١٣]

٨٠ ـ إذا أَرادَ اللَّهُ أن يُزِيلَ عَنْ عَبدِهِ نِعمَةً، كانَ أوَّلَ ما يُغَيِّرُ مِنهُ عَقلُه[6].
[ح ٢٠: ٣٠١]

٨١ ـ إذا أَرادَ اللَّهُ أَن يُسَلِّطَ عَلَى عَبدٍ عَدُوًّا لا يَرْحَمُه سَلَّطَ عَلَيهِ حاسِداً[7].
[ح ٢٠: ٣٠٠]

٨٢ ـ إذا أَرادَ اللَّهُ بِعبدٍ خَيْراً حالَ بَينَهُ وبَيْنَ شَهْوتِهِ، وَحَجَز بَينَهُ وبَينَ قَلْبه[8]، وإذا أَرادَ بهِ شَرًّا وَكَلَهُ إلى نَفْسِه. [ح ٢٠: ٢٥٦]

٨٣ ـ إذا أَرَدْتَ أَنْ تُحْمَد فَلا يَظْهَرْ مِنكَ حِرْصٌ عَلَى الحَمْد. [ح ٢٠: ٢٥٩]

٨٤ ـ إذا أَرَدْتَ أن تخْتِمَ عَلَى كِتابٍ فأعِدِ النَّظَرَ فِيهِ، فإنَّما تَخْتِمُ عَلَى عَقْلِك[9].
[ح ٢٠: ٣١٣]

---

(١) المكاثرة: المغالبة.
(٢) السداد: الاستقامة والصواب.
(٣) المفاوضة: المشاركة والمحاورة.
(٤) الصنيعة: المعروف.
(٥) لأن اتقاء العار لا يقع من كرام النفوس، شرفاء الأخلاق، وهم يستحقون أن تصنع فيهم الجميل!!
(٦) لأن العقل أنفس ما أنعم الله به على عبده، فلا قيمة لنعمة الله بعد زواله.
(٧) لأن الحاسد لا يرضيه إلا زوال نعمة من يحسده، فالحسد أشد من العداوة، وصدق المتنبي في قوله:

ولا تطمعَنْ من حاسدٍ في مودة ... وإن كنتَ تُبديها له وتُنيلُ
سِوَى وَجع الحُسَّاد داوِ، فإنه ... إذا حلَّ في قلبٍ فليس يزول

(٨) المراد: أهواء القلوب ونزواتها الباطلة.
(٩) لأن كتاب المرء: رائد نفسه، ودليل عقله، وترجمان ثقافته، وعنوان أدبه، ووسم خلقه!!

٨٥ ـ إذَا أَرَدْتَ أَن تُصَادِقَ رَجُلًا فانْظُرْ مَنْ عدُوُّه[1]. [ح ٢٠: ٢٨٦]

٨٦ ـ إذَا أَرَدْتَ أَنْ تُصَادِقَ رَجُلًا فأَغْضِبْه، فإنْ أَنْصَفَكَ في غَضَبِه.. وإلَّا فَدَعْه. [ح ٢٠: ٣٢٥]

٨٧ ـ إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ طَبْعَ الرَّجُلِ فاسْتَشِرْه، فإنَّك تَقِفُ مِن مَشُورَتِهِ عَلَى عَدْلِه وجَوْرِه، وخَيْرِه وشَرِّه. [ح ٢٠: ٢٧٢]

٨٨ ـ إذَا أَرَدْتَ العِلْمَ والخَيْرَ فانْفُضْ عَن يَدِكَ أَدَاةَ الجَهْلِ والشَّرِّ، فإنَّ الصَّائِغَ لا تَتَهيأُ لَهُ الصِّيَاغَةُ إلَّا إذا أَلْقَى أَدَاةَ الفِلَاحَةِ عَن يَدِه[2]. [ح ٢٠: ٣٠٧]

٨٩ ـ إذا أَرْذَلَ اللَّهُ عَبداً حَظَرَ عَلَيْهِ العِلْم[3]. [ر ٢: ٢١٩]

٩٠ ـ إذا أُرسِلْتَ لِيَعْرٍ فلَا تَأْتِ بِتَمْرٍ؛ فيُؤْكَلَ تَمْرُك، وتُعنَّفَ عَلَى خِلَافِك[4]. [ح ٢٠: ٢٨٦]

٩١ ـ إذا ازْدَحَم الجَوَاب؛ خَفِيَ الصَّوَاب[5]. [ر ٢: ٢٠٤]

٩٢ ـ إذَا اسْتَشَارَكَ عَدُوُّك فَجرِّدْ لَهُ النَّصِيحَة، لأَنَّهُ باسْتِشَارَتِك قَد خَرَجَ مِن عَدَاوَتِك، وَدخَلَ في مَوَدَّتِك. [ح ٢٠: ٢٧٦]

٩٣ ـ إذا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وخُذْ ما أَنْتَ مُحْتَاجٌ إلَيْهِ [ح ٢٠: ٢٦٢]

٩٤ ـ إذا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَان وأَهْلِهِ، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَة[6]، فَقَدْ ظَلَم، وإذا اسْتَوْلَى الفَسَادُ عَلَى الزَّمَان وأَهْلِه، فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ. [ر ٢: ١٧٥]

---

(١) لأن عدو الإنسان يدل عليه، فالسفلة أعداء العلية، واللئام أعداء الكرام، والجهلاء أعداء العلماء وهكذا؛ فاعتبر الأشياء بأضدادها.

(٢) المراد: أن بعض الأشياء ضرائر لبعض، فلا يمكن للمرء أن ينفذ إلى الغاية في أمر من الأمور؛ إلا إذا تخلص من ضده المعوق عن النجاح.

(٣) أرذله: جعله رذلًا، والرذل كرمل: الدون الخسيس، أو الرديء من كل شيء. وحظره عليه: حرمه منه.

(٤) المراد: طاعة أولي الأمر فيما يكلفونك به ـ في غير معصية الله ـ فعندهم من العلم فوق ما عندك، وللأمور ظواهر وبواطن.

(٥) ازدحام الجواب: تشابه المعاني حتى لا يدرى: أيها أوفق بالسؤال، وهو مما يوجب خفاء الصواب.

(٦) الخزية ـ بفتح فسكون ـ: البلية تصيب الإنسان فتذله وتفضحه، وغرر بالتشديد: أي أوقع نفسه =

٩٥ ـ إذا أَضَرَّتِ النَّوافِلُ بالفَرائِض فارْفُضوها[١]. [ر ٢: ٢١٨]

٩٦ ـ إذا أَعْجَبَكَ مَا يَتَواصَفُهُ[٢] النَّاسُ مِن مَحَاسِنِك، فانْظُر فيما بَطَنَ مِنْ مَساويك؛ ولْتَكُنْ مَعْرِفَتُك بِنَفسِك أَوْثَقَ عِندَكَ مِن مَدْحِ المَادِحِينَ لَك. [ح ٢٠: ٢٧٤]

٩٧ ـ إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا أَقْبَلَتْ عَلَى حِمَارٍ قَطُوف[٣]، وإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ عَلَى البُرَاق[٤]. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٩٨ ـ إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ، أَعارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ، سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ. [ر ٢: ١٥٠]

٩٩ ـ إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَو لِسُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبَنَّكَ ذَاكَ، فَإِنَّ زَوَالَ الكَرَامَةِ بِزَوَالِهِما، ولكِنْ لِيُعْجِبَنَّكَ أَنْ أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِدِينٍ أَو أَدَبٍ. [ح ٢٠: ٣١٣]

١٠٠ ـ إِذَا أَمْلَقْتُم فَتاجِرُوا اللَّهَ تَعَالَى بالصَّدَقَةِ[٥]. [ر ٢: ٢٠٧]

١٠١ ـ إِذَا انْقَضَى مُلْكُ قَوْمٍ خُيِّبُوا في آرَائِهِم[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٣]

١٠٢ ـ إِذَا أَيْسَرْتَ فَكُلُّ الرِّجالِ رِجالُك، وإِذَا أَعْسَرْتَ أَنْكَرَكَ أَهْلُكَ. [ح ٢٠: ٢٨٩]

١٠٣ ـ إِذَا بَلَغَ المَرْءُ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قَدْرِهِ، تَنَكَّرَتْ للنَّاسِ أَخْلَاقُهُ. [ح ٢٠: ٢٧٢]

١٠٤ ـ إِذَا تَحَرَّكَتْ صُورةُ الشَّرِّ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَّدَتِ الفَزَع؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ وَلَّدَتِ الأَلَم، وَإِذَا تَحَرَّكَتْ صُورةُ الخَيْرِ وَلَمْ تَظْهَر ولَّدَتِ الفَرَح، فَإِذَا ظَهَرَتْ ولَّدَتِ اللَّذَّةَ[٧]. [ح ٢٠: ٢٨٢]

= في الغرر ـ كسبب ـ وهو الخطر. والمعنى: أنه يجب إحسان الظن بالناس في زمن صلح وصلح أهله والعكس بالعكس.

(١) مثال ذلك أن يحيي الإنسان الليل بصلاة النافلة، فيغلبه النوم والإعياء فتفوته صلاة الصبح الواجبة.

(٢) تواصفوا الشيء: وصفه بعضهم لبعض، والمعنى: يجب ألا تغتر بمدح الناس لك إذا كانوا يمدحونك بما ليس فيك، فإنه لا يصح للإنسان أن يغش نفسه بنفسه!!

(٣) الحمار القطوف: الضيق المشي.

(٤) البراق ـ بضم الباء ـ: الدابة التي ركبها الرسول عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج؛ كناية عن السرعة.

(٥) أي إذا افتقرتم فتصدقوا، فإن الله يعطف الرزق عليكم بالصدقة، فكأنكم عاملتم الله بالتجارة ذلك لأن الله تعالى يخلف على المتصدق، ويضاعف له أجر ما أنفقه إلى ما لا نهاية ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

(٦) لأن انقضاء الملك دليل على انقضاء التوفيق والسعادة واليمن، فلا يعقب ذلك سداد ولا صواب؛ لأن العثرات تقع تباعاً!

(٧) هذا تصوير نفسي دقيق لا يخرج إلا من علم «باب مدينة العلم»!!.

١٠٥ ـ إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ فَقَدْ رَكِبَ البَحْرَ، فَإِنْ وُلِدَ لَهُ فَقَدْ كُسِرَ بِهِ[١]. [ح ٢٠: ٣٠١]

١٠٦ ـ إِذَا تَشَبَّه صَاحِبُ الرِّيَاءِ بالمُخْلِصِين في الهَيْئَةِ كَانَ مِثْلَ الوَارِمِ الَّذي يُوهِم النَّاسَ أَنَّهُ سَمِين؛ فَيَظُنُّ النَّاسُ ذَلِكَ فِيهِ، وَهُوَ يَسْتُر مَا يَلْقَى مِنَ الأَلَمِ التَّابِعِ للوَرَمِ. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٠٧ ـ إِذَا تَمَّ العَقْلُ نَقَصَ الكَلَامُ[٢]. [ر ٢: ١٦٢]

١٠٨ ـ إِذَا تَنَاهَى الغَمُّ انقَطَعَ الدَّمْعُ[٣]. [ح ٢٠: ٢٩٥]

١٠٩ ـ إِذَا تَوَاصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَم، فَلَا تُنفِّرُوها بِقِلَّةِ الشُّكْر[٤]. [ز ٣٠]

١١٠ ـ إِذَا جَرَتِ المَقَادِيرُ بالمَكارِهِ سَبَقَتِ الآفَةُ إلى العَقلِ فَحيَّرَتْه، وأَطْلَقَتِ الأَلْسُنَ بما فِيهِ تَلَفُ الأَنْفُس[٥]. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١١١ ـ إِذَا حَلَّ القَدَرُ بَطَلَ الحَذَر[٦]. [س ٢٢]

١١٢ ـ إِذَا خَبُثَ الزَّمَانُ كَسَدتِ الفَضَائِلُ وضَرَّتْ، ونَفَقَتِ الرَّذَائِلُ وَنفَعتْ، وكانَ خَوْفُ المُوسِرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ المُعْسِرِ. [ح ٢٠: ٢٧٠]

١١٣ ـ إِذَا خَدَمْتَ رَئِيساً فَلَا تَلْبَسْ مِثْلَ ثَوْبِهِ، وَلَا تَركَبْ مِثْلَ مَركُوبِهِ، ولَا تَسْتَخْدِمْ كَخَدمِهِ، فعَسَاكَ تَسْلم مِنهُ[٧]. [ح ٢٠: ٢٧٣]

١١٤ ـ إِذَا خُلِّيَ عِنانُ العقْلِ، ولَم يُحْبَسْ عَلَى هَوَى نَفْسٍ، أَو عَادَةِ دِينٍ، أَو عَصَبِيَّةٍ لِسَلَفٍ، وَرَدَ بِصَاحِبه عَلَى النَّجاة[٨]. [ح ٢٠: ٢٤٣]

---

(١) يشير الإمام بذلك إلى عظم تكاليف الزواج والعيال، وهو أمر مسلم، لا أنه يريد التزهيد في الزواج وما يتبعه، فلا رهبانية في الإسلام.

(٢) لأن العاقل يكفي قليل كلامه عن كثيره، بل قد يجتزئ باللمحة الدالة، والثرثرة والتفيهق مما يبغضه الله ويبغضه رسوله!!

(٣) قد ثبت ذلك بالتجارب غير المتناهية، وهي أشد ما يصاب به الإنسان، وفي ذلك يقول بعض العصريين:

أَعْذرُ النَّاس من دهتـه الرزايا ... ونهت دمعه عن التَّسكاب

(٤) قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال بعض العصريين:

فاشكر لربك ما أولاك من نِعَم ... إن الشكور عليه تُقبِلُ النِّعم

(٥) كل ذلك تمهيد لوقوع ما جرت به المقادير، وإذا أراد الله وقوع أمر هيأ له أسبابه.

(٦) المراد: لا ينفع الحذر من وقوع القدر.

(٧) تقليد الرؤساء في مثل ذلك يعد نوعاً من المنافسة لهم في أخص ما يعنون به، وكان هذا لا يطاق في العهود الاستبدادية الذاهبة إلى غير رجعة!!

(٨) في هذه الكلمة الجامعة يحث الإمام على حرية الفكر، وفتح باب الاجتهاد، وكراهة التقليد=

١١٥ ـ إِذَا رَأَتِ العامَّةُ مَنازِلَ الخَاصَّة مِنَ السُّلْطَانِ حسَدَتْها عَلَيْها، وتَمَنَّتْ أَمْثَالَها، فَإِذَا رَأَتْ مَصارِعَهَا. . بَدَا لَها[1]. [ح ٢٠: ٣٣٣]

١١٦ ـ إِذَا رَغِبْتَ في المَكَارِمِ، فاجْتَنِبِ المَحَارِمِ[2]. [ح ٢٠: ٣١٤]

١١٧ ـ إِذَا رَفَعْتَ أَحَداً فَوْقَ قَدْرِهِ، فتَوَقَّعْ مِنهُ أَنْ يَحُطَّ مِنكَ بِقَدْرِ مَا رَفَعْتَ مِنهُ. [ح ٢٠: ٢٩٨]

١١٨ ـ إِذَا زادَكَ المَلِكُ تَأْنِيساً، فَزِدْهُ إِجْلالاً[3]. [ح ٢٠: ٣٤٤]

١١٩ ـ إِذَا زَالَ المحْسُودُ عَليهِ، عَلِمْتَ أَنَّ الحاسِدَ كانَ يَحْسُد عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٢٠ ـ إِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ، وَإِذَا نَدِمْتَ فأَقْلِعْ، وَإِذَا أَسَأْتَ فانْدَمْ، وَإِذَا مَنَنْتَ[4] فاكتُمْ، وَإِذَا مَنَعْتَ فأَجْمِلْ[5] ومَن يُسْلِفِ[6] المَعْرُوفَ يَكُنْ رِبحُهُ الحَمْد. [ح ٢٠: ٣١٦]

١٢١ ـ إِذَا سَأَلْتَ كَرِيماً حاجَةً فدَعْهُ يُفكِّر؛ فَإِنَّهُ لا يُفكِّر إِلَّا في خَيْرٍ، وإِذَا سَأَلْتَ لَئيماً حاجَةً فَغَافِصْهُ[7]؛ فَإِنَّهُ إِذْ أَفكَرَ عادَ إِلَى طَبْعِهِ. [ح ٢٠: ٣٠٦]

١٢٢ ـ إِذَا سَمِعْتَ الكَلِمَةَ تُؤْذِيك فطَأْطِئ لَها، فإنَّها تَتَخطَّاك. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١٢٣ ـ إِذَا شَكَكْتَ في مَوَدَّةِ إِنْسَانٍ فاسْأَلْ قَلْبَك عَنْهُ[8]. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٢٤ ـ إِذَا شِئْتَ أَنْ تُطَاع؛ فاسْأَلْ ما يُسْتَطاع. [ح ٢٠: ٣١١]

= الضار، والتخلص من الأهواء المردية، والعادات الجامدة، والعصبيات المنكرة، التي تقعد بالدين، وتؤخر المسلمين!!

(١) بدا لها: أي ظهر لها في ذلك رأي آخر، فتحمد الله على أنها لم تنل ما نالوا فتصاب بمثل ما أصيبوا به!!

(٢) المحارم: جمع محرم كمقعد، وهو الحرام.

(٣) المراد بالملك هنا: كل ذي سلطان، ويدخل في ذلك كل من هو فوقك رتبة، وهذا من مقابلة الجميل بمثله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

(٤) مننت: أعطيت.

(٥) المراد بالإجمال هنا: المنع الحسن، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣] وفي الآثار: «الدعاء إحدى الصدقتين».

(٦) يسلف: يعجل ويقدم.

(٧) غافصته، أي أخذته على غرة.

(٨) من الحكم المأثورة: من القلب إلى القلب دليل، وهذا صادق في أغلب الأحيان.

١٢٥ ـ إِذَا صادَقْتَ إِنْسَاناً وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ صَدِيقَ صَدِيقِه، ولَيْسَ يَجِبُ عَلَيكَ أَن تَكُونَ عَدُوَّ عَدُوِّه؛ لأَنَّ هٰذَا إِنَّمَا يجِبُ عَلَى خَادِمِه؛ وَلَيْسَ يجِبُ عَلَى مُمَاثِلٍ لَهُ[1]. [ح ٢٠: ٣٣١]

١٢٦ ـ إِذَا صَافَاكَ عَدُوُّك رِياءً مِنْهُ؛ فتَلَقَّ ذٰلِكَ بأَوْكَدِ مَوَدَّةٍ؛ فإِنَّهُ إِنْ أَلِفَ ذٰلِك واعْتَادَه خَلَصَتْ لَكَ مَوَدَّتُه. [ح ٢٠: ٣٢١]

١٢٧ ـ إِذَا ضَحِكَ العَالِمُ ضَحْكَةً مَجَّ مِنَ العِلْمِ مَجَّةً[2]. [ع ٣: ٣١٩]

١٢٨ ـ إِذَا ظَفِرْتُم فأَكْرِمُوا الغَلَبَةَ[3]، وعَليكُمْ بالتَّغافُلِ؛ فإِنَّهُ فِعْلُ الكِرَامِ. وإِيَّاكُم والمَنَّ؛ فإِنَّهُ مَهْدَمَةٌ للصَّنيعَةِ[4]، مَنْبَهَةٌ للضَّغِينَةِ. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٢٩ ـ إِذَا عاتَبْتَ الحَدَثَ فاتْرُكْ لَهُ مَوْضِعاً مِنْ ذَنْبِه[5]؛ لِئَلَّا يَحمِلُه الإِحْرَاجُ عَلَى المُكابَرَة. [ح ٢٠: ٣٣٣]

١٣٠ ـ إِذَا عَصَى الرَّبَّ مَنْ يَعرِفُه، سَلَّطَ عَلَيْهِ مَنْ لا يَعرِفُه. [ح ٢٠: ٣١٥]

١٣١ ـ إِذَا غَشَّكَ صَدِيقُك فاجْعَلْه مَعَ عَدُوِّكَ. [ح ٢٠: ٣٢١]

١٣٢ ـ إِذَا غَضِبَ الكَرِيمُ فأَلِنْ لَهُ الكَلامَ، وإِذَا غَضِبَ اللَّئِيمُ فَخُذْ لَهُ العَصَا. [ح ٢٠: ٢٨٥]

١٣٣ ـ إِذَا فَعلْتَ كلَّ شَيْءٍ، فكُنْ كَمَنْ لَمْ يَفْعَل شَيْئاً[6]. [ح ٢٠: ٢٥٨]

١٣٤ ـ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: واللّهِ، فَلْيَنْظُرْ مَا يُضِيفُ إِلَيْهَا[7]. [ح ٢٠: ٣١٤]

---

(١) هذه الحكمة أصل من أصول أدب الاجتماع، وقوانين السلوك؛ فإن كثيراً من الناس لا يرضى من صديقه إلا بأن يعادي عدوه، وهذا حمق وضلال، ولا يقبله إلا من هانت عليه نفسه.

(٢) الضحكة: ـ بفتح الضاد ـ المرة الواحدة. والمج: الرمي. والمراد: حث العلماء على الجد والتوقر والتصون، وترك الإسفاف والتهافت؛ لأنهم موضع القدوة والإمامة للناس، وإلا فالضحك المعتدل في موضع الضحك غير محظور، وقد كان ضحك الرسول عليه الصلاة والسلام تبسماً في عامة أحواله، وكان يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه.

(٣) الغلبة: القهر. والمعنى: افعلوا ما يليق بالظاهر، وذلك من آداب الفروسة والبطولة.

(٤) المن هنا: ذكر ما فعلته من الجمائل وهو مذموم. والصنيعة: المعروف.

(٥) الحدث: الشاب. فاترك له موضعاً من ذنبه: أي لا تشتط في معاتبته. وهذه الحكمة من فنون التربية النفسية العالية.

(٦) المراد: الحث على الإكثار من الأفعال الصالحة، وإدامة الصنائع الكريمة، وعدم اعتداد الإنسان بما يقدم من خير وعمل طيب؛ حتى لا يستكثر ما عمل فيقف عنده؛ لأن الطيبات لا تتناهى.

(٧) المراد: الحث على ترك الحلف، وإذا اضطر إليه التزم الصدق، إجلالاً للفظ الجلالة والذات=

١٣٥ ـ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فاجْعَلِ العَفْوَ عَنْهُ، شُكْراً لِلقُدْرَةِ عَلَيْهِ. [ر ٢: ١٥١]

١٣٦ ـ إِذَا قُذِفْتَ بِشَيءٍ فَلَا تَتَهاوَنْ بهِ وإِنْ كانَ كَذِباً؛ بَلْ تَحرَّزْ مِن طُرُقِ القَذْفِ جُهْدَكَ؛ فَإِنَّ القَوْلَ ـ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ ـ يُوجِبُ رِيبَةً وَشَكًّا. [ح ٢٠: ٢٥٨]

١٣٧ ـ إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ المكَافَأَةِ، فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بالشُّكْرِ[١]. [ح ٢٠: ٣١٤]

١٣٨ ـ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ سُلْطانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَقْعَدُ رَجُلٍ؛ فَلَعلَّه أَنْ يَأْتِيَه مَنْ هُو آثَرُ عِنْدَهُ مِنكَ؛ فَيُرِيدَ أَنْ تَتَنَحَّى عَن مَجْلِسِك، فَيكُونَ ذَلِكَ نَقْصاً عَلَيكَ وشَيْناً[٢]. [ح ٢٠: ٣٢٥]

١٣٩ ـ إِذَا قَعَدْتَ وأَنْتَ صَغِيرٌ حَيْثُ تُحِبُّ، قَعَدْتَ وأَنْتَ كَبِيرٌ حَيْثُ تَكْرَه[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

١٤٠ ـ إِذَا قَوِيَ الوَالِي في عَمَلِهِ حَرَّكَتْهُ وِلايتُه، عَلَى حَسَبِ[٤] مَا هُو مُرَكَّزٌ في طَبعِهِ مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ. [ح ٢٠: ٢٦٩]

١٤١ ـ إِذَا قَوِيَتْ نَفْسُ الإِنْسَانِ انْقَطَعَ إِلى الرَّأْيِ، وإِذا ضَعُفَتْ انقَطَعَ إِلى البَخْتِ[٥]. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٤٢ ـ إِذَا كَانَ الإِيجَازُ كافِياً، كانَ الإِكْثَارُ عِيًّا[٦]، وإِذا كَانَ الإِيجَازُ مُقَصِّراً كانَ الإِكْثَارُ وَاجِباً. [ح ٢٠: ٣٤٠]

= العلية المقدسة، ولا يحلف أن يفعل شراً أو إثماً أو قطيعة، بل يكون ما صدر له اسم الله العظيم، لائقاً به من خير وبر وفضل.

(١) وقد أشار المتنبي إلى هذا المعنى بقوله:

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ   فليُسعدِ النطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ

(٢) الشين: ضد الزين؛ وهذا كقولهم: لأن أدعى من بعيد، خير من أن أقصى من قريب.

(٣) لأن الصغير ـ بحكم عقله ـ قد يحب القعود في مواطن لا تفضي به إلى الشرف مستقبلاً؛ كأماكن اللهو والخلاعة والمرح!! ويكفي أن نعلم أن الصغار يؤثرون دور الملاهي على المدارس، ولو تركوا وشأنهم لنشأوا جهالاً!!

(٤) على حسب ـ بفتح السين وتسكن ـ: على قدر. والمراد: أن الوالي إذا تمكن انساق بطبعه الغلاب إلى فعل الخير أو الشر، وجرى على سجيته في ذلك بدون تكلف، والمتنبي يقول:

وأسرع مفعول فعلتَ تغيُّراً   تكلُّفُ شيءٍ في طباعك ضدُّه

(٥) البخت: الحظ. والمعروف أن ضعفاء النفوس والعزائم هم الذين يعولون على الحظوظ ويخيلون على الأقدار!

(٦) العي: ضد البيان. وما يريده الإمام هو ما يعبرون عنه بقولهم: مطابقة مقتضى الحال.

١٤٣ ـ إِذَا كَانَ الرَّاعِي ذِئْباً، فالشَّاةُ مَنْ يَحفَظُها! [ح ٢٠: ٣٠٠]

١٤٤ ـ إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً، كانَ الخُرْقُ رِفقاً[١]. إِذا قَوِيتَ فاقْوَ عَلَى طاعَةِ اللَّهِ، وإِذَا ضَعفتَ فاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغيَّرَ الزَّمَان.

إِذَا ظَهَر الرِّبَا فِي قَوْمٍ بُلُوا بالوَباء. وإِذَا مَنَعُوا الخُمْس[٢] بُلُوا بالسِّنين الجَدْبة. إِذَا هُدِيتَ لِقَصْدِك فَكُنْ أَخْشعَ ما تَكونُ لِرَبِّك. إِذا قارَفْتَ[٣] سَيِّئَةً فَعاجِلْ مَحْوَها بالتَّوْبة. [ق: ٢١]

١٤٥ ـ إِذَا كَانَ العَقلُ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ احْتاجَ إِلى جُزْءٍ مِنْ جَهْلٍ؛ لِيُقْدِمَ بِهِ صاحِبُه عَلَى الأُمُورِ؛ فإِنَّ العاقِلَ أَبداً مُتَوانٍ.. مُتَرَقِّبٌ.. مُتَخَوِّفٌ. [ح ٢٠: ٢٩٥]

١٤٦ ـ وسأله رجل أن يعرِّفه الإيمان؛ فقال رضي الله عنه:

إِذا كَانَ الغد فأْتِني؛ حتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاس؛ فإِنْ نَسِيتَ مَقالَتِي حَفِظَها عَلَيْكَ غَيْرُك؛ فإِنَّ الكلامَ كالشَّارِدة؛ يَنقفُها هذا[٤]، ويُخطِئها هذا. [ر ٢: ٢١٣]

١٤٧ ـ إِذَا كانَ في رَجُل خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فانتَظِرُوا أَخَواتِها[٥]. [ر ٢: ٢٥٥]

١٤٨ ـ إِذا كانَ اللِّسَانُ آلَةً لِتَرْجَمَةِ ما يَخطُرُ في النَّفْسِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتعمله فيما لَمْ يَخطُرْ فيها. [ح ٢٠: ٢٦١]

١٤٩ ـ إِذا كانَ لَكَ صَدِيقٌ ولَم تحْمَد إِخاءَهُ وَمَوَدَّته فلَا تُظْهِرْ ذلِكَ لِلنَّاس؛ فإِنَّما هُو بِمَنْزِلَةِ السَّيْفِ الكليل في مَنْزِلِ الرَّجُل؛ يُرْهِبُ بِهِ عَدُوَّهُ، وَلا يَعْلَمُ العَدُوُّ: أَصارِمٌ[٦] هُو أَمْ كليلٌ؟ [ح ٢٠: ٣٠٩]

١٥٠ ـ إِذا كَانَتْ لَكَ إِلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حاجَةٌ، فابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى

---

(١) الخرق ـ بضم فسكون ـ: ضد الرفق.

(٢) الخمس: خمس الغنيمة.

(٣) قارف الذنب: قاربه وخالطه.

(٤) نقفه كسمعه: صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه.

(٥) الخلة ـ بالفتح ـ: الخصلة.. أي إذا أعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون إليه، وانتظر سائر الخلال.

(٦) الصارم: القاطع.

رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ سَلْ حاجَتَك؛ فإنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسأَلَ حاجَتَيْنِ[١] فَيَقضِيَ إِحْدَاهُما ويَمْنَعَ الأُخْرَى. [ر ٢: ٢٣٥]

١٥١ ـ إِذَا كَثُرَتِ المَقْدِرة قَلَّتِ الشَّهْوَة[٢]. [ر ٢: ٢٠٤]

١٥٢ ـ إِذَا كُنْتَ فِي إِدبَارٍ، والمَوْتُ في إِقْبَالٍ[٣].. فَمَا أَسْرَعَ المُلْتَقى. [ر ٢: ١٥٣]

١٥٣ ـ إِذَا كُنْتَ في مَجْلِسٍ وَلَمْ تَكُنِ المُحَدِّثَ ولا المُحَدَّثَ فَقُمْ. [ح ٢٠: ٣١٢]

١٥٤ ـ إِذَا لَمْ تُرْزَقْ غِنًى فَلَا تُحْرَمَنَّ تَقْوَى. [ح ٢٠: ٢٧١]

١٥٥ ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيا إِلَّا مُحْتاجٌ، فَأَغْنَى النَّاسِ أَقْنَعُهُم بِمَا رُزِقَ. [ح ٢٠: ٢٨٠]

١٥٦ ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيد، فَلَا تُبَلْ مَا كُنْتَ[٤]. [ر ٢: ١٦٢]

١٥٧ ـ إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انقَطَعَ عَمَلُه إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَة جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ كانَ عَلَّمَهُ النَّاسَ فانتَفَعُوا بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. [ح ٢٠: ٢٥٨]

١٥٨ ـ إِذَا ماتَ العالِمُ انْثَلَمَ بمَوْتِه في الإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ[٥] لا تُسَدُّ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ. [ق: ٢٣]

١٥٩ ـ إِذَا مُنِعْتَ مِن شَيْءٍ قَد الْتَمَسْتَه، فَلْيَكُنْ غَيْظُك مِنْهُ عَلَى نَفسِك في المَسْأَلَةِ أَكْثَرَ مِن غَيْظِك عَلَى مَنْ مَنَعَك. [ح ٢٠: ٣٣١]

١٦٠ ـ إِذَا مَنَعَك اللَّئِيمُ البِرَّ مَعَ إِعْظَامِهِ حَقَّك، كانَ أَحسَنَ مِن بَذْلِ السَّخِيِّ لَكَ إِيَّاهُ مَعَ الاسْتِخْفَافِ بِك. [ح ٢٠: ٢٧٩]

١٦١ ـ إِذَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فانظُرْ.. فإِنْ كانَ لَكَ حِيلَةٌ فَلَا تَعْجِزْ، وإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ فَلَا تَجْزَعْ. [ح ٢٠: ٣١٠]

---

(١) الحاجتان: الصلاة على النبي، وحاجتك، والأولى مقبولة مجابة قطعاً.

(٢) ذلك؛ لأن من ملك زهد، والعامة يقولون: من قدر على شراء الإوزة لم يشته أكلها!!

(٣) الإدبار: النقص والذهاب. والإقبال: المراد به المجيء.

(٤) إذا كان لك مرام لم تنله فاذهب في طلبه كل مذهب، ولا تبال إن حقروك أو عظموك؛ فإن محط السير الغاية وما دونها فداء لها.. وقد يكون المعنى: إذا عجزت عن مرادك فارض بأي حال.. على رأي القائل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

(٥) الثلمة: الخلل في الحائط وغيره، وفرجة المكسور والمهدوم، والفعل ثلمه من باب ضرب وفرح، وثلمه بالتشديد فانثلم وتثلم: كسر حرفه فانكسر.

١٦٢ ـ إِذَا نَزَلَتْ بِكَ النِّعْمَةُ فَاجْعَلْ قِرَاهَا[١] الشُّكْرَ. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٦٣ ـ إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ[٢]. [ر ٢: ١٩١]

١٦٤ ـ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُم أَطْرَافُ النِّعَمِ، فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ[٣]؛ إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وأَعْظَمُ مِنَ الكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ، وإِنْ كَانَ كلٌّ مِنْهُ. [ق: ٢٣]

١٦٥ ـ إِذَا وُضِعَ المَيِّتُ في قَبْرِهِ اعْتَوَرَتْهُ[٤] نِيرَانٌ أَرْبعٌ: فتَجِيءُ الصَّلاةُ فتُطْفِئُ وَاحِدةً، ويَجِيءُ الصَّوْمُ فيُطْفِئُ وَاحِدةً، وَتجِيءُ الصَّدَقَةُ فتُطْفِئُ وَاحِدةً، ويَجِيءُ العِلْمُ فيُطْفِئُ الرَّابِعَةَ، وَيَقُولُ: لَوْ أَدْرَكْتُهُنَّ لأَطْفَأْتُهُنَّ كُلَّهُنَّ، فَقَرَّ عَيْناً، فأَنا مَعَك، ولَنْ تَرَى بُؤْساً. [ح ٢٠: ٣٤٧]

١٦٦ ـ إِذَا وَقَعَ في يَدِكَ يَوْمُ السُّرُور فلا تُخْلِهِ[٥]، فإِنَّكَ إذا وَقَعْتَ فِي يَدِ يَوْمِ الغَمِّ لَم يُخَلِّكَ. [ح ٢٠: ٢٨٦]

١٦٧ ـ إِذَا وُلِّيَ صَدِيقُكَ وِلايَةً فأَصَبْتَهُ عَلَى العُشْرِ مِن صَدَاقَتِه فَلَيْسَ بِصَاحِبِ سَوْءٍ[٦]. [ح ٢٠: ٢٩٥]

١٦٨ ـ قيل له: إن درعك صدر لا ظهر له، وإنا نخاف أن تؤتى من قِبَل ظهرك؛ فقال:

إِذَا وَلَّيْتُ فَلَا وَأَلْتُ[٧]. [ح ٢٠: ٢٨٠]

١٦٩ ـ أُذْكُرْ عِنْدَ الظُّلْمِ.. عَدْلَ اللَّهِ فِيك، وعِنْدَ القُدْرَةِ.. قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْك. [ح ٢٠: ٣٢٨]

١٧٠ ـ أُذْكُرُوا انقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ[٨]. [ر ٢: ٢٥٢]

---

(١) القرى: ما يقدم للضيف.

(٢) إذا تخوفت من أمر فادخل فيه؛ فإن ألم الخوف منه أشد من مصيبة الوقوع فيه.

(٣) أطراف النعم: أوائلها. وأقاصيها: أواخرها، وعدم شكر الأوائل يمنع من مجيء الأواخر.

(٤) اعتورته: تداولته.

(٥) أي إذا مرت بك أيام سرور فلا تتباءس فيها، واعمرها بما أحله الله من ألوان الفرح وهي كثيرة.

(٦) المراد: أن الولاية والمناصب كلها تغير من نفس صاحبها، فإذا بقي لصديقه العشر منه فليقنع بذلك.

(٧) وأل: خلص ونجا؛ يدعو على نفسه بالهلاك إذا فر من عدوه.

(٨) التبعات: جمع تبعة ـ بفتح فكسر ـ وهي شبه الظلامة ونحوها مما يطالب الإنسان به ويؤاخذ عليه.

١٧١ ـ أَذَلُّ النَّاسِ مُعْتَذِرٌ إِلى اللَّئِيمِ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٧٢ ـ أَرْبَعٌ القَلِيلُ مِنهُنَّ كَثِير: النَّارُ، والعَدَاوَةُ، والمَرَضُ، والفَقْرُ. [ح ٢٠: ٢٧٦]

١٧٣ ـ أَرْبعٌ يُمِتْنَ القَلْبَ: الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، ومُلاحاةُ الأَحْمَقِ[٢]، وكَثْرَةُ مُثَافَنَةِ النِّسَاءِ[٣]، والجُلُوسُ مَعَ المَوْتَى.

قَالُوا: وَمَنِ المَوْتَى يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين؟

قالَ: كلُّ عَبْدٍ مُتْرَف[٤]. [ق: ١٣٨، ١٣٩]

١٧٤ ـ أَرْبَعَةٌ تَدْعُو إِلى الجَنَّةِ: كِتمانُ المُصِيبَةِ، وكِتمانُ الصَّدَقَةِ، وبِرُّ الوَالِدَيْنِ، والإِكْثَارُ مِنْ قَوْلِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». [ح ٢٠: ٣٧٦]

١٧٥ ـ أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقاءِ: جَارُ السَّوْءِ، وَوَلَدُ السَّوءِ، وامْرَأَةُ السَّوْءِ، والمَنزِلُ الضَّيِّقُ. [ح ٢٠: ٢٧٦]

١٧٦ ـ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَكْمَلُهُم فَضْلًا: مَنْ صَحِبَ أَيَّامَهُ بالمُوَادَعَة[٥]، وإِخْوانَه بالمُسَالَمَة، وقَبِلَ مِنَ الزَّمَانِ عَفْوَهُ[٦]. [ح ٢٠: ٣١٧]

١٧٧ ـ ارْحَمِ الفُقَرَاءَ؛ لِقِلَّةِ صَبْرِهِم، والأَغْنِياءَ؛ لقِلَّةِ شُكْرِهِم، وارْحَمِ الجَمِيعَ؛ لِطُولِ غَفْلَتِهِم. [ح ٢٠: ٣٢٥]

١٧٨ ـ ارْحَمُوا ضُعَفاءَكُم؛ فالرَّحْمَةُ لَهُم سَبَبُ رَحْمَةِ اللَّهِ لَكُمْ. [ح ٢٠: ٢٦٢]

١٧٩ ـ ارْضَ مِنَ النَّاسِ لَكَ؛ مَا تَرْضَى لَهُمْ بِهِ مِنك. [ق: ٦٧]

١٨٠ ـ أُرْفُقْ بالبَهائِمِ، فَلَا تُوقَفُ عَلَيْهَا أَحْمَالُها، ولَا تُسْقَى بِلُجُمِها، وَلَا تُحَمَّلْ فَوْقَ طاقَتِها. [ق: ٧١]

١٨١ ـ إِزَالَةُ الجِبَالِ أَسْهَلُ مِن إِزَالَةِ دَوْلَةٍ أَقْبَلَتْ؛ فاسْتَعِينُوا باللَّهِ واصْبِرُوا؛ فإِنَّ الأَرْضَ للَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشَاء. [ح ٢٠: ٢٦٢]

---

(١) لأن اللئيم لا يقبل العذر بخلاف الكريم، والعذر عند كرام الناس مقبول.

(٢) الملاحاة: المنازعة.

(٣) المثافنة: المجالسة والملازمة.

(٤) المترف: المنعم.

(٥) الموادعة: المراد الرفق واللين.

(٦) العفو: ما يجود به على أية حال.

١٨٢ ـ أَزْجُرِ المسيءَ بِثَوَابِ المُحْسِنِ[١]. [ر ٢: ١٩٢]

١٨٣ ـ أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وَرَضِيَ بالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُه مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَه[٢]. [ر ٢: ١٤٩]

١٨٤ ـ ازْهَدْ في الدُّنْيا يُبَصِّرْكَ اللّه عَوْرَاتِها، ولاَ تَغْفُلْ. فَلسْتَ بمَغْفُولٍ عَنْكَ. [ر ٢: ٢٤٤]

١٨٥ ـ إساءَةُ المُحْسِنِ؛ أَنْ يَمْنَعَكَ جَدْوَاه[٣]، وإِحْسَانُ المُسِيءِ أَنْ يَكُفَّ عَنْكَ أَذَاه. [ح ٢٠: ٢٩٨]

١٨٦ ـ أَسْأَلُكَ بِعزَّةِ الوَحْدانِيَّة، وكَرَمِ الأُلوهِيَّة؛ أَلَّا تَقْطَعَ عَنِّي بِرَّكَ بَعدَ مَمَاتِي، كَما لَمْ تَزَلْ تَرَانِي أَيَّامَ حَيَاتِي، أَنْتَ الَّذِي تجِيبُ مَنْ دَعَاكَ، وَلَا تُخَيِّبُ مَنْ رَجَاكَ، ضَلَّ مَنْ يَدْعُو إِلَّا إِيَّاك، فإِنَّكَ لا تحْجُبُ مَنْ أَتَاك، وتُفْضِلُ[٤] عَلَى مَنْ عَصَاك، ولا يَفُوتُك من ناوَاك[٥]، ولا يُعْجِزُكَ مَن عَادَاك؛ كلٌّ في قُدْرَتِك، وكلٌّ يَأْكلُ رِزْقَك. [ح ٢٠: ٣١٩، ٣٢٠]

١٨٧ ـ اسْتَجِيرُوا باللّهِ تَعالَى، واسْتَخِيرُوهُ فِي أُمورِكُم؛ فإِنَّهُ لا يُسْلِمُ[٦] مُسْتَجِيراً، ولا يَحْرِمُ مُسْتَخِيراً[٧]. [ح ٢٠: ٣٤٧]

١٨٨ ـ اسْتِشَارَةُ الأَعْدَاءِ مِن بابِ الخِذْلان. [ح ٢٠: ٣٠٢]

١٨٩ ـ اسْتَشِرْ عَدُوَّكَ تَجرِبةً؛ لِتَعْلَمَ مِقْدَارَ عَداوَتِه. [ح ٢٠: ٣١٧]

١٩٠ ـ اسْتَعْتِبْ مَنْ رَجَوْتَ إِعْتَابَهُ[٨]. [ق: ٦٨]

١٩١ ـ وقال لزياد ابن أبيه وقد استخلفه لعبد اللّه بن العباس على فارس وأعمالها، في كلام طويل كان بينهما، نهاه فيه عن تقدم الخراج[٩]:

---

(١) إذا كافأت المحسن على إحسانه أقلع المسيء عن إساءته؛ طلباً للمكافأة.

(٢) أزرى بها: حقرها. واستشعره: تبطنه وتخلق به، ومن كشف ضره للناس دعاهم للتهاون به، فكأنه رضي بالذل. وأمره: جعله أميراً.

(٣) الجدوى: العطية.

(٤) أفضل عليه: أحسن إليه.

(٥) ناوأه: عاداه.

(٦) لا يسلمه: لا يتركه للهلاك.

(٧) المستخير: طالب الخير من اللّه.

(٨) الاستعتاب: الاسترضاء. والإعتاب: الإرضاء، تقول: استعتبته فأعتبني: أي استرضيته فأرضاني.

(٩) تقدم الخراج: الزيادة فيه.

اسْتَعْمِلِ العَدْلَ، واحْذَرِ العَسْفَ والحَيْفَ؛ فإنَّ العَسْفَ يَعُودُ بالجَلاءِ[1]، والحَيْفَ يَدْعُو إلى السَّيْف. [ر ٢: ٢٦١]

١٩٢ ـ اسْتَعِنْ باللّهِ جَلَّ وَعَزَّ عَلَى أمْرِكَ؛ فإِنَّهُ أَكْفَى مُعِين. [ق: ٧٠]

١٩٣ ـ الاسْتِغْفَارُ يَحُتُّ[2] الذُّنُوبَ حَتَّ الوَرَق، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١١٠]. [ح ٢٠: ٣١٥]

١٩٤ ـ أَسْتَغْفِرُ اللّهَ مِمَّا أَمْلِكُ، وأَسْتَصْلِحُه فِيما لا أَمْلِكُ[3]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

١٩٥ ـ اسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ، واحْتَجْ إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ، وتَفَضَّلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ. [ت: ٣٠]

١٩٦ ـ الاسْتِغْنَاءُ عَنِ العُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ[4][*]. [ر ٢: ٢٢٨]

١٩٧ ـ اسْتَقْبِحْ مِن نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ مِن غَيْرِك. [ق: ٦٧]

١٩٨ ـ اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ. [ر ٢: ١٨٢]

١٩٩ ـ استَهِينُوا بالمَوْتِ؛ فإِنَّ مَرارَتَهُ في خَوْفِه. [ح ٢٠: ٣١٧]

٢٠٠ ـ الاستِئْثارُ يُوجِبُ الحَسَدَ[5]، والحَسَدُ يُوجِبُ البِغْضَةَ، والبِغْضَةُ تُوجِبُ الاختِلَافَ، والاختِلَافُ يُوجِبُ الفُرْقَةَ، والفُرْقَةُ تُوجِبُ الضَّعْفَ، والضَّعْفُ يُوجِبُ الذُّلَّ، والذُّلُّ يُوجِبُ زَوَالَ الدَّوْلَةِ، وَذَهابَ النِّعمَة. [ح ٢٠: ٣٤٥]

٢٠١ ـ الأَسخِيَاءُ يَشْمَتُونَ بالبُخَلاءِ عِنْدَ المَوتِ، والبُخَلاءُ يَشْمَتُونَ بالأَسخِيَاءِ عِندَ الفَقْر. [ح ٢٠: ٣٣١]

٢٠٢ ـ اُسْكُتْ واستُرْ. تَسلَمْ، وَمَا أَحسَنَ العِلْمَ يُزَيِّنُهُ العَمَلُ، وَما أَحسَنَ العَمَلَ يزَيِّنُهُ الرِّفْق. [ح ٢٠: ٢٥٩]

---

(١) العسف كعقل: الشدة في غير حق، والجلاء: بالفتح: التفرق والتشتت، والحيف: الميل عن العدل إلى الظلم، وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لإنقاذ أنفسهم.

(٢) الحت: الفرك.

(٣) أستصلحه: أطلب منه الصلاح.

(٤) العذر ـ وإن صدق ـ لا يخلو من تصاغر عند الموجه إليه؛ فإنه اعتراف بالتقصير في حقه؛ فالبعد عما يوجب الاعتذار أعز.

(*) (م) قال ابن أبي الحديد: روي (خير من الصدق) والمعنى؛ لا تفعل شيئاً تعتذر عنه ـ وإن كنت صادقاً ـ فأن لا تفعل خير لك، وأعز لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقاً.

(٥) الاستئثار: الاستبداد بالشيء.

٢٠٣ ـ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالاً: مَن اتَّسَعَتْ مَعرِفَتُه، وبَعُدَتْ هِمَّتُه، وَضاقَتْ قُدرَتُه. [ح ٢٠: ٢٨٧]

٢٠٤ ـ أَسْوَأُ النَّاسِ حالاً مَن لا يَثِقُ بأحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّه، وَلا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ أَثَرِهِ. [ح ٢٠: ٣٠٨]

٢٠٥ ـ أَشجَعُ النَّاسِ أَثبَتُهُم عَقلاً في بَدَاهَةِ الخَوْفِ[1]. [ح ٢٠: ٣٠٤]

٢٠٦ ـ أَشَدُّ الأَشياءِ الإِنسَانُ؛ لأَنَّ أَشَدَّها ـ فِيما يُرَى ـ الجَبَلُ، والحَدِيدُ يَنحَتُ الجَبَلَ، والنَّارُ تَأكلُ الحَدِيدَ، وَالماءُ يُطفِئُ النَّارَ، والسَّحَابُ يَحمِلُ الماءَ، والرِّيحُ تُفَرِّقُ السَّحابَ، والإِنسَانُ يَتَّقِي مِنَ الرِّيحِ. [ح ٢٠: ٢٨٠، ٢٨١]

٢٠٧ ـ أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا استَخَفَّ بِهِ صاحِبُه[2]. [ر ٢: ٢٦١]

٢٠٨ ـ أَشَدُّ المَشَاقِّ وَعدُ كَذَّابٍ لِحَرِيصٍ[3]. [ح ٢٠: ٢٩٧]

٢٠٩ ـ أَشَدُّ مِنَ البَلَاءِ شَمَاتَةُ الأَعدَاءِ. [ح ٢٠: ٣٢٤]

٢١٠ ـ الأَشرَارُ يَتَتَبَّعُونَ مَسَاوِئَ النَّاسِ، ويَترُكُونَ مَحاسِنَهُم، كَمَا يَتَتَبَّعُ الذُّبابُ المَوَاضِعَ الفَاسِدَةَ. [ح ٢٠: ٢٦٧]

٢١١ ـ الأَشرَافُ يُعاقَبُونَ بالهِجْرَانِ.. لا بالحِرْمَانِ[4]. [ح ٢٠: ٣٣٥]

٢١٢ ـ أَشرَفُ الأَشيَاءِ العِلْمُ؛ واللّهُ تَعالَى عَالِمٌ يُحِبُّ كلَّ عالِمٍ. [ح ٢٠: ٢٨٨]

٢١٣ ـ أَشرَفُ الغِنَى، تَرْكُ المُنَى[5]. [ر ٢: ١٥٦]

٢١٤ ـ أَشرَفُ المُلُوكِ مَنْ لَمْ يُخالِطْه البَطَرُ[6]، ولَم يَحُلْ عَنِ الحَقِّ، وأَغْنَى الأَغنِياءِ مَن لَمْ يَكُنْ للحِرْصِ أَسِيراً، وخَيْرُ الأَصْدِقاءِ مَن لَم يَكُنْ عَلَى إِخْوَانِه

---

(١) البداهة والبديهة: الفجاءة.

(٢) لأن الاستخفاف بالذنوب يستوجب الإيغال فيها، ويدل على عدم الخوف من الله تعالى والعلماء يعدون استصغار الذنوب الصغائر، من الكبائر.

(٣) الحريص: الجشع ـ بفتح فكسر ـ وإنما كان الأمر كذلك؛ لأن الكذاب لا ينجز ما وعد، والحريص مولع بالحصول على ما وعد به.

(٤) لأن الحرمان لا يقع على المذنب وحده ولكن يتناول من يعولهم.

(٥) المنى: جمع منية؛ ما يتمناه الإنسان لنفسه، وفي تركها غنى كامل؛ لأن من زهد شيئاً استغنى عنه، وهي رأس أموال المفاليس.

(٦) البطر: من معانيه: الأشر، وقلة احتمال النعمة، والطغيان بالنعمة، وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة.

مُستَصْعِباً(١)، وخَيْرُ الأخْلَاقِ أعْوَنُها عَلَى التُّقَى والوَرَع. [ح ٢٠: ٢٧٦]

٢١٥ ـ أُشْكُرِ اللّهَ عَلى مَا أَوْلاكَ، واحْمَدْهُ عَلَى مَا أَبْلاكَ(٢). [ق: ٦٩]

٢١٦ ـ أُشْكُرْ لِمَنْ أنعَمَ عَلَيْكَ، وأنعِمْ عَلَى مَنْ شَكَرَك. [ح ٢٠: ٢٨٥]

٢١٧ ـ كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل:

أَشهَدُ أَنَّ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ وَمَا بَيْنَهما آياتٌ تَدُلُّ عَلَيْكَ، وشَوَاهِدُ تَشهَدُ بِمَا إلَيْهِ دعَوْتَ، كلُّ مَا يُؤَدّي عَنك الحجَّةَ، ويَشْهَدُ لَكَ بالرُّبُوبيَّة؛ مَوْسُومٌ بآثارِ نِعمَتِك، ومَعالِمِ تَدْبِيرِك. عَلَوْتَ بِها عَن خَلْقِك، فأَوْصَلْتَ إلى القُلُوبِ مِن مَعْرِفَتِك ما آنَسَها مِن وَحْشَةِ الفِكْرِ، وكَفَاها رَجْمَ الاحْتِجَاج؛ فَهِي ـ مَعَ مَعرِفَتِها بِك، وَوَلَهِها إلَيْك(٣) ـ شاهِدَةٌ بأَنَّكَ لا تَأْخُذُكَ الأَوْهَامُ، ولا تُدْرِكُكَ العُقُولُ ولا الأَبْصَارُ. أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشِيرَ بِقَلْبٍ أَوْ لِسَانٍ أَوْ يَدٍ إلى غَيْرِك، لا إلٰهَ إلَّا أَنْتَ، وَاحِداً أَحَداً، فَرْداً صَمَداً(٤)، ونحْنُ لَكَ مُسلِمُون. [ح ٢٠: ٢٥٥]

٢١٨ ـ أَصَابَ مُتأَمِّلٌ.. أَوْ كَادَ، وَأَخْطَأَ مُتَعَجِّلٌ.. أَوْ كَادَ. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٢١٩ ـ أَصَابَتِ الدُّنْيا مَن أَمِنَها، وأَصَابَ الدُّنْيا مَن حَذِرَها. [ح ٢٠: ٢٧٥]

٢٢٠ ـ إصْبِرْ عَلَى سُلْطَانِك في حَاجاتِك، فَلَسْتَ أَكْبَرَ شُغْلِه، ولا بِكَ قِوَامُ أَمرِه(٥). [ح ٢٠: ٣٣٩]

٢٢١ ـ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ـ في المَثَلِ ـ كَقَومٍ رَقُوا جَبَلًا ثُمَّ سَقَطُوا مِنهُ، فأَقْرَبُهُم إلى الهَلَكَةِ والتَّلَفِ.. أَبعَدُهُم كانَ في المُرْتَقَى. [ح ٢٠: ٣٣٩]

٢٢٢ ـ اصْحَبِ النَّاسَ بأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ.. يَصْحَبُوكَ بِمِثْلِه. [ح ٢٠: ٣٠٩]

٢٢٣ ـ اصْحَبُوا مَن يَذْكُرُ إحْسَانَكُم إلَيْه؛ ويَنسَى أَيادِيَهُ(٦) عِندَكُم. [ح ٢٠: ٣١٤]

---

(١) المستصعب: اسم فاعل: أي الذي صار صعباً.

(٢) أبلاك: أصابك.

(٣) الوله: ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد.

(٤) الصمد: المقصود في الحوائج.

(٥) لا تستعجل مسألتك لدى رؤسائك وأولي الأمر؛ فهم مشغولون بأمور أخرى أكثر أهمية، يرجى منهم حلها وإنجازها.

(٦) الأيادي: النعم؛ والإحسان تصطنعه.

٢٢٤ ـ أَصلِحْ مَثْوَاكَ[1]، وأتبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ. [ق: ٦٧]

٢٢٥ ـ إِضاعَةُ الفُرْصَةِ غُصَّةٌ. [ر ٢: ١٧٦]

٢٢٦ ـ أَضَرُّ الأَشْيَاءِ عَلَيْكَ أَنْ تُعلِمَ رَئِيسَكَ أَنَّكَ أَعْرَفُ بالرِّيَاسَةِ مِنْهُ. [ح ٢٠: ٣٣٧]

٢٢٧ ـ اطْبَعِ الطِّينَ مَا دَامَ رَطْباً، واغْرِسِ العُودَ مَا دَامَ لَدْناً. [ح ٢٠: ٣١٥]

٢٢٨ ـ اطرَحْ عَنكَ وَارِدَاتِ الهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ، وحُسْنِ اليَقِينِ. [ق: ٧٠]

٢٢٩ ـ أَطِعْ أَخاكَ وإِن عَصَاكَ، وصِلْهُ وإِن جَفَاكَ. [ق: ٦٨]

٢٣٠ ـ أُطْلُبُوا الحَاجاتِ بِعِزَّةِ الأَنْفُسِ؛ فإِنَّ بِيَدِ اللَّهِ قَضَاءَها. [ح ٢٠: ٣١٧]

٢٣١ ـ وبنى رجل من عماله بناءً فخماً[2] فقال رضي الله عنه:

أَطْلَعَتِ الوَرِقُ رُؤُوسَها[3].. إن البِناءَ يَصِفُ لَكَ الغِنَى. [ر ٢: ٢٣٤]

٢٣٢ ـ أَطْوَلُ النَّاسِ عُمْراً مَن كَثُرَ عِلمُه فَتَأَدَّبَ بِهِ مَنْ بَعدَهُ، أَو كَثُرَ مَعرُوفُه فَشَرُفَ بِهِ عَقِبُه[4]. [ح ٢٠: ٣١٧]

٢٣٣ ـ أَطْوَلُ النَّاسِ نَصَباً: الحَرِيصُ[5] إِذا طَمِعَ، والحَقُودُ إِذَا مُنِعَ. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٢٣٤ ـ إِظْهارُ الفَاقَةِ مِن خُمُولِ الهِمَّةِ. [ح ٢٠: ٣١٧]

٢٣٥ ـ إِعادَةُ الاعْتِذَارِ تَذْكِيرٌ بالذَّنْبِ. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٢٣٦ ـ الاعْتِبارُ مُنْذِرٌ ناصِحٌ[6]. [ق: ١٥]

٢٣٧ ـ الاعْتِبارُ يُفِيدُكَ الرَّشَادَ. [ق: ١٥]

٢٣٨ ـ اعْتَصِمُوا بالذِّمَمِ في أَوْتَادِها[7]. [ر ٢: ١٨٩]

---

(١) المثوى: منزل الإقامة.

(٢) أي عظيماً ضخماً.

(٣) الورق: مثلثة، وككتف وجبل: المال من دراهم وإبل وغير ذلك؛ أي ظهرت الأموال فأطلعت رؤوسها؛ كناية عن الظهور، ووضح هذا بقوله: البناء يصف لك الغنى: أي يدلك عليه، وذلك كقول بعضهم: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها.

(٤) العقب: الولد.

(٥) الحريص: الجشع ـ بفتح فكسر.

(٦) الاعتبار: أي الاتعاظ. ومنذر: محذر.

(٧) تحصنوا بالذمم؛ أي العهود، واعقدوها بأوتادها: أي بالرجال أهل النجدة الذين يوفون بها، وإياكم والركون لعهد من لا عهد له.

٢٣٩ ـ الإِعْجَابُ ضِدُّ الصَّوَابِ[١]. [ق: ١٥]

٢٤٠ ـ الإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الازْدِيادِ[٢]. [ر ٢: ١٩٠]

٢٤١ ـ أَعْجَبُ الأَشْيَاءِ؛ بَدِيهَةُ أَمْنٍ وَرَدَتْ في مَقَامِ خَوْفٍ[٣]. [ح ٢٠: ٣٩٥]

٢٤٢ ـ أَعْجَبُ مَا فِي هٰذَا الإِنْسانِ قَلْبُه، ولَهُ مَوادُّ مِنَ الحِكْمَةِ، وأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِها؛ فإِنْ سَنَحَ[٤] لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَع، وإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الحِرْص، وإِنْ مَلَكَهُ اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وإِنْ عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الغَيْظُ، وإِنْ أُسْعِدَ بالرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وإِنْ نَالَهُ الفَزَعُ شَغَلَهُ الحَذَرُ، وإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الغِرَّةُ[٥]، وإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الغِنَى، وإِنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ مَسَّهُ الجَزَع، وإِنْ نَهِكَهُ[٦] الجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وإِنْ أَفْرَطَ بهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ البِطْنَةُ[٧]، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بهِ مُضِرٌّ، وكلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ. [ق: ١٣٠، ١٣١]

٢٤٣ ـ اعْجَبُوا لِهَذَا الإِنْسَانِ: يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكلَّمُ بِلَحْمٍ[٨]، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، ويَتَنَفَّسُ في خُرْمٍ. [ر ٢: ١٥٠]

٢٤٤ ـ أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وأَعْجَزُ مِنْهُ.. مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بهِ مِنْهُم. [ر ٢: ١٥٢]

٢٤٥ ـ أَعْجَلُ العُقُوبَةِ عُقُوبَةُ البَغْيِ والغَدْرِ واليَمِينِ الكَاذِبَةِ، وَمَنْ إِذَا تُضُرِّعَ إِلَيْهِ وسُئِلَ العَفْوَ لَمْ يَغْفِرْ. [ح ٢٠: ٣٤١]

٢٤٦ ـ أَعْدَاءُ الرَّجُلِ قَدْ يَكُونُونَ أَنْفَعَ مِنْ إِخْوَانِهِ؛ لِأَنَّهُم يُهْدُونَ إِلَيْهِ عُيُوبَهُ؛

---

(١) لأن إعجاب المرء بنفسه يعميه عن عيوبه، ويمنعه من قبول النصيحة، ويسوقه إلى الاستبداد برأيه، ومن استبد برأيه هلك!

(٢) من أعجب بنفسه وثق بكمالها، فلم يطلب لها الزيادة في الكمال، فلا يزيد بل ينقص.

(٣) أي: أعجب الأشياء قدرة الإنسان على إجادة القول وقت الخوف كما يتكلم وقت الأمن؛ وذلك من ثبات الجنان، ورباطة الجأش، وشدة العارضة، وقد عرف بعض القدامى بذلك.

(٤) سنح له: عرض.

(٥) الغرة كحدة: الغفلة.

(٦) نهكه: أضناه وجهده.

(٧) كظته: جهدته وأضنته. والبطنة ـ بكسر الباء ـ: امتلاء المعدة من الطعام فوق الطاقة.

(٨) الشحم: شحم الحدقة، واللحم: اللسان، والعظم: العظام التي تحيط بالأذن، والخرم: الأنف.

فَيَتَجَنَّبُها، ويَخافُ شَمَاتَتَهُم بِهِ فَيَضْبِطُ نِعْمَتِه[١]، وَيَتَحَرَّزُ مِنْ زَوالِها بِغايَةِ طَوْقه[٢]. [ح ٢٠: ٢٧١]

٢٤٧ ـ اِعْرِفِ الحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لَكَ؛ رَفِيعاً كانَ أَو وَضِيعاً. [ق: ٧٠]

٢٤٨ ـ أَعْسَرُ الحِيَلِ؛ تَصْوِيرُ الباطِلِ في صُورَةِ الْحَقِّ عِنْدَ العَاقِلِ المُمَيِّزِ. [ح ٢٠: ٣٠٣]

٢٤٩ ـ أَعْسَرُ العُيُوبِ صَلاحاً؛ العُجْبُ واللَّجَاجَةُ[٣]. [ح ٢٠: ٣٢٢]

٢٥٠ ـ اِعْصِ هَوَاكَ والنِّسَاءَ.. وافْعَلْ مَا بَدَا لَكَ[٤]. [ح ٢٠: ٣١٢]

٢٥١ ـ أَعْظَمُ الخَطَايا عِنْدَ اللهِ؛ اللِّسَانُ الكَذُوبُ. وقَائِلُ كَلِمَةِ الزُّور ومَنْ يَمُدُّ بِحَبْلِها[٥]؛ في الإِثْمِ سَوَاءٌ. [ح ٢٠: ٢٦٠]

٢٥٢ ـ اعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَك. [ق: ٦٩]

٢٥٣ ـ اِعْقِلُوا الخَبَرَ[٦] إذا سَمِعْتُمُوهُ.. عَقْلَ رِعَايَةٍ، لا عَقْلَ رِوَايَةٍ؛ فإِنَّ رُوَاةَ العِلْمِ كَثِيرٌ، ورُعَاتَهُ قَلِيلٌ. [ر ٢: ١٦٩]

٢٥٤ ـ اِعْلَمْ أَنَّ الَّذِي مَدَحَك بِما لَيسَ فِيكَ، إِنَّما هُو مُخَاطِبٌ غَيْرَك، وثَوابُهُ وجَزَاؤُهُ قَدْ سَقَطَا عَنْكَ. [ح ٢٠: ٢٦٨]

٢٥٥ ـ اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ ومَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْت، ومَوْقُوفُونَ عَلَى أَعْمالِكُمْ، ومَجْزِيُّونَ بِها، فَلَا تَغُرَّنَّكُم الحَيَاةُ الدُّنيا؛ فإِنَّها دَارٌ بالبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وبالفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وبالغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ، وكُلُّ مَا فِيها إلى زَوالٍ، وَهِي بَيْنَ أَهْلِها دُوَلٌ وسِجَالٌ[٧]، لَا تَدُومُ أَحْوَالُها، وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّ نُزَّالُها. بَيْنَا أَهْلُهَا مِنْها في

---

(١) ضبط الشيء: حفظه بالحزم.

(٢) الطوق: الطاقة والوسع، بضم الواو. وفي هذا المعنى ورد قول الشاعر:

عِداي لهم فضلُ عليّ ومِنّةٌ ... فلا أبْعَدَ الرحمنُ عني الأعاديا

هُمُ عرّفوني زلّتي فاجتنبتُها ... وهُمْ نافسوني فارتقيتُ المعاليا

(٣) العجب: الزهو والخيلاء، واللجاجة: التمادي في الخصومة.

(٤) لأن الإنسان بعد هذا لن يفعل ما يخل بالمروءة، أو يخالف مبادئ الدين.

(٥) يمد بحبلها: يسندها ويروجها.

(٦) المراد بالخبر: كل ما يؤثر من الأحاديث والقضايا الدينية، وعقل الخبر رواية لا رعاية؛ هو الذي ملأ الكتب الدينية بالأساطير والخرافات مما يبرأ منه الإسلام، وقد اتخذه أعداء الدين الحنيف أداة للطعن والتشكيك فيه!

(٧) سجال ككتاب: أي مرة على هؤلاء ومرة على هؤلاء.

رَخَاءٍ وَسُرُور، إذا هُمْ مِنها في بَلَاءٍ وغُرُور. أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ[١]. العَيْشُ فِيها مَذْمُوم، والرَّجَاءُ فِيها لَا يَدُوم، وإنّما أَهْلُها فِيها أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ[٢] فَتَرْمِيهِمْ بِسِهَامِها، وَتَقْصِمُهُمْ بِحِمامِها[٣]، وكُلٌّ حَتْفُه فِيها مَقْدُورٌ، وحَظه مِنْها مَوْفور. [ق: ٣٦، ٣٧]

٢٥٦ ـ اِعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وإنْ عَظُمَتْ حِيلَتُه، واشْتَدَّتْ طَلِبَتُه، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُه ـ أَكْثَرَ مِمَّا سَمَّى لَهُ في الذِّكْرِ الحَكِيم، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ العَبْدِ في ضَعْفِه وقِلَّةِ حِيلَته، وبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سَمَّى لهُ في الذِّكْرِ الحَكِيم[٤]. . والعَارِفُ لِهَذا، العَامِلُ بِهِ؛ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً في مَنْفَعَةٍ. . والتَّارِكُ له، الشَّاكُّ فِيهِ؛ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلاً في مَضَرَّةٍ. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيهِ مُسْتَدْرَجٌ بالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بالبَلْوَى. . فَزِدْ ـ أَيُّهاَ المُسْتَمِعُ ـ في شُكْرِكَ[٥]، وقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ[٦]، وقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ. [ر ٢: ٢١٦]

٢٥٧ ـ أَعَمُّ الأَشْيَاءِ نَفْعاً مَوْتُ الأَشْرَارِ. [ح ٢٠: ٣٣٨]

٢٥٨ ـ أَعْمَالُ العِبادِ في عاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ في آجِلِهِمْ[٧]. [ق: ٢٠]

٢٥٩ ـ كتب إلى عامل له:

اِعْمَلْ بالحَقِّ لِيَوْمٍ لَا يُقْضَى فِيهِ إلَّا بالحَقِّ. [ح ٢٠: ٢٨١]

---

(١) تارات: جمع تارة، وهي الحين والمرة. ومتصرفة: متقلبة.

(٢) الأغراض: الأهداف التي يرمى فيها. ومستهدفة: أي منتصبة للرمي.

(٣) قصمه: كسره حتى ينفصل. والحمام ـ ككتاب ـ: قضاء الموت وقدره.

(٤) الذكر الحكيم: القرآن، وليس للإنسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق ما نص عليه القرآن، ولن يحول الله بين أحد وبين ما عين في القرآن، وإن اشتد طلب الأول وقويت مكيدته، أو ضعف حال الثاني؛ فكل مكلف يستطيع أن يؤدي ما فرض الله في كتابه؛ وينال الكرامة المحدودة له. . وقد يراد من الذكر الحكيم: علم الله: أي ما قدر لك فلن تعدوه ولن تقصر عنه.

(٥) أي لا يغتر المنعم عليه بالنعمة فربما تكون استدراجاً من الله يمتحن بها قلبه؛ ثم يأخذه من حيث لا يشعر. ولا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعاً من الله له يرفع بها منزلته عنده.

(٦) أي قصر من التسرع في طلب الدنيا.

(٧) النصب ـ بفتح فسكون وكسبب ـ: العلم المنصوب، والغاية؛ والنصب بضمتين أيضاً: كل ما جعل علماً كالنصيبة. والمعنى أن أعمالهم في الدنيا تكون أمامهم في الآخرة.

٢٦٠ ـ اِغْتَنِمْ[١] مَنِ اسْتَقْرَضَكَ في حَالِ غِنَاك، واجْعَلْ قَضَاءَكَ في يَوْمِ عُسْرَتِك. [ق: ٧٠]

٢٦١ ـ أَغْضِ عَلَى القَذَى والأَلَمِ.. تَرْضَ أَبَداً[٢]. [ر ٢: ١٩٩]

٢٦٢ ـ أَغْنَى الغِنَى، تَرْكُ المُنَى[٣]. [ق: ٢٠]

٢٦٣ ـ أَغْنَى الغِنَى: العَقْلُ. [ز: ٣٠]

٢٦٤ ـ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تَمُوتَ ولِسَانُك رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ[٤]. [ح ٢٠: ٣٤٧]

٢٦٥ ـ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَك عَلَيْهِ[٥]. [ر ٢: ٢٠٤]

٢٦٦ ـ أَفْضَلُ الزُّهْدِ.. إِخْفَاءُ الزُّهْدِ. [ر ٢: ١٥٣]

٢٦٧ ـ أَفْضَلُ العِبَادَةِ؛ الإِمْسَاك عَنِ المَعْصِيَةِ، والوُقُوفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ. [ح٢٠: ٣٣٦]

٢٦٨ ـ أَفْضَلُ العِبَادَةِ الصَّمْتُ، وانْتِظَارُ الفَرَجِ. [ب ٢: ١٦٥]

٢٦٩ ـ أَفْضِلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ، واسْتَغْنِ عَمَّن شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ، واحْتَجْ إِلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ. [ح ٢٠: ٢٥٥]

٢٧٠ ـ أَفْضَلُ الوُلَاةِ مَنْ بَقِيَ بالعَدْلِ ذِكْرُهُ، واسْتَمَدَّهُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ. [ح ٢٠: ٢٧٨]

٢٧١ ـ اِفْعَلُوا الخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً؛ فإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وقَلِيلَهُ كَثِيرٌ.. ولَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ ـ واللَّهِ ـ كَذَلِكَ. إِنَّ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ أَهْلاً.. فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُه[٦]. [ر ٢: ٢٥٠]

---

(١) اغتنمه وتغنمه: عدّه غنيمة. واستقرضه: طلب منه القرض فأقرض: أي انتهز فرصة الغنى، وأقرض من طلب منك القرض، فهو معروف عاجل، وثواب آجل، ودين يرد إليك في حال فاقتك.

(٢) القذى: الشيء يسقط في العين، والإغضاء عليه: كناية عن تحمل الأذى، ومن لم يتحمل يعش ساخطاً؛ لأن الحياة لا تخلو من أذى.

(٣) لأن المنى رأس أموال المفاليس كما جاء في الحكمة، وهي تبدد الرأي، وتتلف العزيمة، وتصرف صاحبها عن العمل المثمر.

(٤) ذلك لأن الإنسان يحشر على ما مات عليه.

(٥) أي ما خالفت فيه الشهوة؛ والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ... ﴾ [يوسف: ٥٣].

(٦) ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم، وما تركتموه من الشر يؤديه بدلكم أهله، فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلاً، ولا أن يكون عنكم في الخير بدل.

٢٧٢ ـ أَفْقَرُ الْفَقْرِ؛ الْحُمْقُ[١]. [ز: ٣٠]

٢٧٣ ـ الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ[٢]، وكلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، والنَّاسُ مَنْقُوصُون مَدْخُولُون[٣]، إلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، ومُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّف، يَكادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّه عَن فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا والسُّخط[٤]، ويَكادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً؛ تَنكَؤُه اللَّحْظَةُ، وتَسْتَحِيلُه الكَلِمَةُ الوَاحِدَةُ[٥].

مَعَاشِرَ النَّاسِ: اتَّقُوا اللَّهَ؛ فَكَمْ مِن مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبلُغُه، وَبَانٍ مَا لَا يَسكُنُه، وجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَترُكُه، ولَعلَّهُ مِن بَاطِلٍ جَمَعَه، ومِن حَقٍّ مَنَعَه، أَصَابه حَرَاماً، واحْتَمَلَ بهِ أَثاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِه، وقَدِمَ عَلَى رَبِّه آسِفاً لَاهِفاً. قَدْ ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]. [ر ٢: ٢٣١]

٢٧٤ ـ اِقْبَلْ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْك. [ق: ٦٨]

٢٧٥ ـ الاقتِصَادُ يُنْمِي[٦] اليَسِيرَ، والفَسَادُ يُبِيدُ الكَثِير. [ق: ١٦]

٢٧٦ ـ اِقْتَصِرْ مِنْ شَهْوَةٍ خَالَفَتْ عَقْلَك بالخِلَافِ[٧] عَلَيْها. [ح ٢٠: ٢٣٨]

٢٧٧ ـ أَقْتَلُ الأَشْيَاءِ لعَدُوِّك؛ أَلَّا تُعَرِّفَهُ أَنَّكَ اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا. [ح ٢٠: ٢٨٣]

٢٧٨ ـ أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّه: أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِه عَلَى مَعَاصِيه. [ر ٢: ٢٢٩]

٢٧٩ ـ أَقِمِ الحُدُودَ[٨] في القَرِيب، يَجْتَنِبْها البَعِيد. [ق: ٦٨]

---

(١) الحمق ـ بسكون الميم وضمها ـ: قلة العقل.

(٢) بلاها الله: اختبرها وعلمها: يريد أن ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله، والأنفس مرهونة بأعمالها؛ فإن كانت خيراً خصتها، وإن كانت شراً حبستها.

(٣) المدخول: المغشوش، مصاب بالدخل بالتحريك وهو مرض العقل والقلب، والمنقوص: المأخوذ عن رشده وكماله كأنه نقص منه بعض جوهره.

(٤) أي لو كان في الناس ذو رأي غلب على رأيه رضاه وسخطه، فإذا رضي حكم لمن استرضاه بغير حق، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل.

(٥) أصلبهم عوداً: أشدهم بدينه تمسكاً، واللحظة: النظرة إلى مشتهى، وتنكؤه: أي تسيل جرحه وتأخذ بقلبه. وتستحيله: تحوله عما هو عليه: أي نظرة إلى مرغوب تجذبه إلى مواقعة الشهوة، وكلمة من عظيم تحيله إلى موافقة الباطل.

(٦) ينميه: يزيده.

(٧) الخلاف: المخالفة: أي اختص ما خالف عقلك بمخالفته.

(٨) الحدود: العقوبات المفروضة على ارتكاب المحرمات.

٢٨٠ ـ أَقِمِ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ مَقَامَ الحُرْمَةِ[١] بِك، وَعَظِّمْ نَفسَكَ عَنِ التَّعَظُّمِ، وَتَطَوَّلْ.. وَلَا تَتَطَاوَلْ[٢]. [ر ٢٠: ٢١١]

٢٨١ ـ أَقْوَى مَا يَكُونُ التَّصَنُّعُ في أَوَائِله، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ التَّطَبُّعُ في أَوَاخِرِه. [ح ٢٠: ٣٣٨]

٢٨٢ ـ أَقِيلُوا ذَوِي المُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْثُر مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ تَرْفَعُهُ[٣]. [ر ٢: ١٥٢]

٢٨٣ ـ أَكْبَرُ الأَعْدَاءِ مَكِيدَةً؛ أَخْفَاهُم مَشُورَةً. [ز: ٢٩]

٢٨٤ ـ أَكْبَرُ العَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُه[٤]. [ر ٢: ٢٣٣]

٢٨٥ ـ أَكْبَرُ الفَخْرِ أَلَّا تَفْخَر. [ح ٢٠: ٢٥٩]

٢٨٦ ـ أَكْثَرُ حُلُولِ النِّقَمِ عِنْدَ أَمْنِها[٥]. [س: ٢٣]

٢٨٧ ـ أَكْثَرُ مَصَارِعِ العُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ المَطَامِـعِ. [ر ٢: ١٩٩]

٢٨٨ ـ أَكْثِرُوا ذِكْرَ المَوْت، وَيَوْمَ خُرُوجِكُم مِنْ قُبُورِكُم، وَيَوْمَ وُقُوفِكُم بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَهُنْ عَلَيكُمُ المَصَائِبُ. [ح ٢٠: ٢٦٣]

٢٨٩ ـ أَكْرَمُ الحَسَبِ حُسْنُ الخُلُقِ[٦]. [ق: ٢٠]

٢٩٠ ـ أَكْرَمُ النَّسَبِ، حُسْنُ الأَدَبِ. [س: ٢٣]

---

(١) الحرمة: الذمة والمهابة وما لا يحل انتهاكه: أي اجعل من يرغب إليك كمن له عندك ذمة في الرعاية والعناية والإكرام.

(٢) التطول: الامتنان. وتطاول: استطال.

(٣) العثرة: السقطة، وإقالة عثرته؛ رفعه من سقطته، والمروءة بضم الميم: صنعة للنفس تحملها على فعل الخير؛ لأنه خير، وقوله برفعه: جملة حالية من لفظ الجلالة.

(٤) والشاعر يقول:

لا تَنْـهَ عـن خُـلُقٍ وتـأْتِـيَ مِـثْـلَه ... عـارٌ عـلـيكَ ـ إذا فَـعَـلْتَ ـ عَـظِـيـمُ

(٥) وفي هذا المعنى قول الشاعر:

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بالأيامِ إذْ حَسُنَتْ ... ولـم تَـخَـفْ سوءَ ما يأتي به القَدَرُ

وسالَمَتْكَ اللَّيالي فاغتررْتَ بـهـا ... وعنْدَ صَفْوِ اللَّيالي يَحْدُثُ الكَدَرُ

(٦) الحسب ـ كسبب ـ: ما تعده من مفاخر آبائك، أو المال، أو الدين، أو الكرم، أو الشرف في الفعل، أو الفعال الصالح، أو الشرف الثابت في الآباء. وقال ابن السكيت: الحسب والكرم يكونان بدون الآباء، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء.

٢٩١ ـ أَكْرِمْ نَفْسَك عَن كلِّ دَنِيئَةٍ، وإنْ سَاقَتْكَ إلى الرَّغْبِ[1]؛ فإنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بما تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِك عِوَضاً. [ق: ٧٠]

٢٩٢ ـ أَلْأَمُ اللُّؤْمِ البَغْيُ عِنْدَ القُدْرَةِ. [ق: ٢٢]

٢٩٣ ـ أَلْأَمُ النَّاسِ مَنْ سَعَى بِإِنْسَانٍ ضَعِيفٍ إلى سُلْطَانٍ جَائِرٍ. [ح ٢٠: ٣٠٣]

٢٩٤ ـ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ثَمَرَةِ الجَنَّةِ؟: «لَا إِلٰهَ إلَّا اللّٰهُ..» بِشَرْطِ الإِخْلَاصِ. [ح ٢٠: ٣٤٧]

٢٩٥ ـ أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ[2] لِأَهْلِها؟ إنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إلَّا الجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوها إلَّا بِها. [ر ٢: ٩٥]

٢٩٦ ـ أَلَا.. وإنَّ مِنَ البَلَاءِ الفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ الفَاقَةِ مَرَضُ البَدَنِ، وأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ البَدَنِ مَرَضُ القَلْبِ.. أَلَا وإنَّ مِنَ النِّعَم سَعَةَ المَالِ. وأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ المَالِ صِحَّةُ البَدَنِ. وأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ البَدَنِ تَقْوَى القَلْب. [ر ٢: ٢١٤]

٢٩٧ ـ إلٰهِي، كفَانِي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا، وكفَانِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، أَنْتَ كَما أُرِيدُ؛ فاجْعَلْنِي كَما تُرِيدُ. [ح ٢٠: ٢٢٥]

٢٩٨ ـ إلٰهِي: كَيْفَ لَا يَحْسُن مِنِّي الظَّنُّ؛ وَقَدْ حَسُنَ مِنْكَ المَنُّ[3]؟.. إلٰهِي: إنْ عَامَلْتَنَا بِعَدْلِك.. لَمْ يَبْقَ لَنَا حَسَنَةٌ، وإنْ أَنَلْتَنَا فَضْلَك.. لَمْ يَبْقَ لَنا سَيِّئَةٌ. [ح ٢٠: ٣١٩]

٢٩٩ ـ إلٰهِي: مَا قَدْرُ ذُنُوبٍ أُقَابِلُ بها كَرَمَك، وَمَا قَدْرُ عِبَادَةٍ أُقَابِلُ بِها نِعَمَك، وإنِّي لأَرْجُو أَنْ تَسْتَغْرِقَ[4] ذُنُوبِي في كَرَمِك، كَما اسْتَغْرَقَتْ أَعْمَالِي في نِعَمِك. [ح ٢٠: ٢٨٤].

٣٠٠ ـ اللّٰهُمَّ ارْحَمني رَحْمَةَ الغُفْرَان، إنْ لَمْ تَرْحَمْنِي رَحْمَةَ الرِّضَا. [ح ٢٠: ٣١٩]

٣٠١ ـ قال رضي اللّٰه عنه في دعاء اسْتَسْقَى به:

اللّٰهُمَّ اسْقِنا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِها[5]. [ر ٢: ٣٦٠ ـ ٣٦١]

---

(١) الرغب: ما تشتهيه النفس.

(٢) اللماظة بالضم: بقية الطعام في الفم؛ يريد بها الدنيا، أي: ألا يوجد حر يترك هذا الشيء الدنيء لأهله!

(٣) المن: الإعطاء. (٤) الاستغراق: الاستيعاب.

(٥) هذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك أنه رضي الله عنه شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق=

٣٠٢ ـ اللَّهُمَّ اغْفِرْ رَمَزَاتِ الأَلْحَاظ[١]، وَسَقَطَاتِ الأَلْفَاظ، وَشَهَوَاتِ الجَنَان[٢]، وهَفَوَاتِ اللِّسَان. [س: ٢٣]

٣٠٣ ـ اللَّهُمَّ إنَّ ذُنُوبِي لَا تَضُرُّك، وإنَّ رَحْمَتَك إيَّايَ لَا تَنْقُصُك، فاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّك، وأَعْطِنِي مَا لَا يَنْقُصُك. [ب ٣: ٢٧٤]

٣٠٤ ـ اللَّهُمَّ إنْ فَهِهتُ[٣] عَنْ مَسْأَلَتِي، أو عَمَهْتُ[٤] عَنْ طَلِبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِنَاصِيَتِي إلى مَرَاشِدِي[٥]. اللَّهُم احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِك[٦]، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِك. [ح ٢٠: ٣٤٧]

٣٠٥ ـ اللَّهُمَّ إنْ كُنَّا قَدْ قَصَّرْنَا عَن بُلُوغِ طَاعَتِك، فَقَدْ تَمَسَّكْنَا مِنْ طَاعَتِك بأَحَبِّها إلَيْك: «لَا إِلَهَ إلَّا أَنْتَ» . . . جَاءَتْ بالحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ. [ح ٢٠: ٢٧٥]

٣٠٦ ـ اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي كَمَا شِئْتَ، فارْحَمْنِي كَيْفَ شِئْتَ، وَوَفِّقْنِي لِطاعَتِك؛ حَتَّى تَكُونَ ثِقَتِي كُلُّها بِك، وخَوْفِي كُلُّهُ مِنْكَ. [ح ٢٠: ٣٢٩]

٣٠٧ ـ اللَّهُمَّ إنَّ الآمَالَ مَنُوطَةٌ بِكَرَمِك[٧]، فَلَا تَقْطَعْ عَلَائِقَهَا بِسَخَطِك. اللَّهُمَّ إنِّي أَبْرَأُ مِنَ الحَوْلِ[٨] والقُوَّةِ إلَّا بِكَ، وأَرْبَأُ[٩] بِنَفْسِي عَنِ التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِك. [ح ٢٠: ٣٤٨]

٣٠٨ ـ اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ بَيَاتِ[١٠] غَفْلَةٍ، وَصَبَاحِ نَدَامَةٍ. [ح ٢٠: ٢٤٨]

٣٠٩ ـ ومدحه قوم في وجهه، فقال:

اللَّهُمَّ إنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِن نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُم، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّون، واغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُون. [ر ٢: ١٧]

= والرياح والصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص برحالها، وتقص بركبانها (وهو نوع من السير). وشبه السحاب خالية من تلك الروائع بالإبل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة.

(١) الرمز: الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب، وبابه نصر وضرب.

(٢) الجنان بالفتح: القلب.

(٣) الفهة بتشديد الهاء: السقطة، والجهلة ونحوها.

(٤) العمه ـ كسبب ـ: التحير والتردد. فعله عمه، كطرب.

(٥) المراشد: مقاصد الطرق؛ أي سددني واهدني.

(٦) العفو: الصفح وترك عقوبة المستحق؛ أي لا تؤاخذني بذنوبي وتغمدها بغفرانك.

(٧) منوطة: معلقة.

(٨) الحول: الحيلة.

(٩) أربأ بنفسي: أدفع بها وأصونها.

(١٠) البيات: الإيقاع بالعدو ليلًا.

٣١٠ ـ اللّٰهُمّ إنِّي أرَى لَديَّ مِنْ فَضلِك مَا لَمْ أسْألْكَ، فَعَلِمْتُ أنَّ لَدَيْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا لَا أعْلَمُ، فَصَغُرَتْ قِيمَة مَطْلَبِي فِيمَا عَايَنْتُ، وَقَصُرَتْ غَايَةُ أمَلِي عِنْدَمَا رَجَوْتُ، فَإنْ ألْحَفْتُ[1] في سُؤَالِي فَلِفَاقَتِي إلى مَا عِنْدَك، وَإنْ قَصَّرْتُ في دُعَائِي فبِمَا عَوَّدْتَ مِن ابتِدَائِكَ. [ح ٢٠: ٣١٩]

٣١١ ـ اللّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ إخْبَاتَ المُخْبِتِينَ[2]، وإخْلَاصَ المُوقنين، ومُرَافَقَةَ الأبْرَار، والعَزِيمَةَ فِي كُلِّ بِرّ، والسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ. [ح ٢٠: ٢٨٩]

٣١٢ ـ اللّهُمّ إنّي أسْتَعْدِيكَ[3] عَلَى قُرَيْش؛ فإنَّهُمْ أضْمَرُوا لِرَسُولِكَ ﷺ ضُرُوباً مِنَ الشَّرِّ والغَدْرِ، فَعَجَزُوا عَنْهَا؛ وحُلْتَ بَيْنَهُم وَبَيْنَها؛ فَكَانَت الوَجْبَةُ بِي[4]، والدَّائِرَةُ عَلَيّ، اللّهُمّ احْفَظْ حَسَناً وحُسَيْناً، ولَا تُمَكِّنْ فَجَرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حَيًّا، فَإذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ، وَأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. [ح ٢٠: ٢٨٩]

٣١٣ ـ اللّهُمّ إنِّي أسْتَغْفِرُك لِمَا تُبْتُ مِنْهُ إلَيْكَ ثمَّ عُدْتُ فِيهِ، وأسْتَغْفِرُك لِما وَعَدْتُك مِن نَفْسِي ثمّ أخلَفْتُكَ، وأسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الّتي أنْعَمْتَ بِها عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِك. [ح ٢٠: ٣٤٨]

٣١٤ ـ اللّهُمّ إنّي أعُوذ بِك أن أقُولَ حَقاً[5] لَيْسَ فِيهِ رِضَاكَ، ألْتَمِسُ بِهِ أحَداً سِوَاك، وأعُوذُ بِكَ أنْ أتَزَيَّنَ للنَّاسِ بِشيءٍ يَشِينُنِي عِندَك، وأعُوذُ بِكَ أنْ أكُونَ عِبْرَةً لِأحدٍ مِن خَلْقِك، وأعُوذُ بِك أن يَكُونَ أحَدٌ مِن خَلْقِكَ أسْعَدَ بِمَا عَلَّمْتَنِي مِنِّي. [ح ٢٠: ٣٤٨]

٣١٥ ـ اللّهُمّ إنِّي أعُوذُ بِكَ أنْ تُحَسِّنَ في لامِعَةِ العُيُونِ عَلَانِيَتِي، وتُقَبِّحَ فِيما أُبْطِنُ لَك سَرِيرَتِي؛ مُحَافِظاً عَلَى رِئَاء النَّاسِ مِن نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فأُبْدِيَ للنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِري، وأُفْضِيَ إلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي؛

---

(١) الحف: ألح. (٢) الإخبات: الخشوع.

(٣) أستعديك: أستعينك وأستنصرك.

(٤) الوجبة كوردة: السقطة مع الهدة.

(٥) أي: أقول قولاً أظنه حقاً أبتغي به رضا الناس، وهو لا يرضيك.

تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِك، وَتَبَاعُداً مِن مَرْضَاتِك[١]. [ح ٢٠: ٢١٧]

٣١٦ ـ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كُلَّما ذَكَرَهُ الذَّاكِرُون، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كلَّما غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُون، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ عَدَدَ كلِمَاتِك، وَعددَ مَعلُومَاتِك، صَلاةً لا نِهايَةَ لَهَا، وَلا غَايَةَ لِأَمَدِها. [ح ٢٠: ٣٤٨]

٣١٧ ـ اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي باليَسَارِ[٢]، ولَا تَبذُلْ جَاهِي بالإقتَار[٣]؛ فأَستَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِك، وأَسْتَعْطِفَ شِرارَ خَلقِك، وأُبتَلَى بحَمْدِ مَن أَعْطَانِي، وأُفتَتَنَ[٤] بِذَمِّ مَن مَنَعَنِي؛ وأنتَ مِن وَرَاءِ ذَلِكَ وَلِيُّ[٥] الإعطَاءِ والمَنعِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. [ح ٢٠: ٣٢٨]

٣١٨ ـ اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، ولَا تَشغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي به، وَلا تَحرِمْنِي وأَنا أَسأَلُك، وَلا تُعَذِّبْنِي وأَنا أَستَغْفِرُك. [ح ٢٠: ٣٤٨]

٣١٩ ـ اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَن السُّجُودِ لِغَيْرِك، فَصُنْ وَجْهِي عَنْ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ. [ح ٢٠: ٣٢٠]

٣٢٠ ـ اللَّهُمَّ لَا تَجعَلِ الدُّنْيَا لِي سِجْناً، وَلا فِرَاقَها عَلَيَّ حُزْناً؛ أَعُوذُ بِك مِن دُنْيا تَحرِمُنِي الآخِرَة، ومِن أَمَلٍ يَحرِمُنِي العَمَلَ، ومِن حَيَاة تَحرِمُنِي خَيْرَ المَمَات. [ح ٢٠: ٢٨١]

٣٢١ ـ أَلْجِئْ نَفسَك في الأُمُورِ كُلِّها إِلى إِلٰهِك؛ فَإِنَّك تُلْجِئُها إلى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ[٦]. [ق: ٦٩، ٧٠]

٣٢٢ ـ أَلْحِحْ بالمَسْأَلَةِ تُفتَحْ لَكَ أَبوابُ الرَّحْمَةِ[٧]. [ق: ٦٧]

---

(١) يستعيذ بالله من حسن ما يظهر منه للناس، وقبح ما يبطنه لله من السريرة. وقوله: «محافظاً»: حال من الياء في «سريرتي». ورئاء الناس بهمزتين أو بياء بعد الراء: إظهار العمل لهم ليحمدوه، وقوله: «بجميع» متعلق برئاء.

(٢) اليسار: الغنى. (٣) الإقتار: الافتقار.

(٤) الافتتان: الامتحان.

(٥) الولي: المتولي.

(٦) ألجئ: أسند. والكهف: الملجأ. والحريز: الموضع الحصين.

(٧) المعنى: أكثر من دعاء الله ـ تعالى ـ ولا تضجر من تأخر الإجابة، فقد ورد: «إن الله يحب العبد اللحوح»، وآفة الدعاء أن يتبرم صاحبه به فيقطعه.

٣٢٣ ـ الَّذِي يَسْتَحِقُّ اسْمَ السَّعَادَةِ ـ عَلَى الحَقِيقَةِ ـ سَعَادَةُ الآخِرَةِ، وهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْواعٍ: بَقَاءٌ بِلا فَنَاءٍ، وعِلْمٌ بلا جَهْلٍ، وقُدْرَةٌ بِلا عَجْزٍ، وغِنًى بِلا فَقْرٍ. [ح ٢٠: ٣٠٦]

٣٢٤ ـ وقال رضي الله عنه لكاتبه عبد الله بن رافع:

أَلِقْ دَوَاتَك، وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِك[١]، وفَرِّج بَيْنَ السُّطُور، وقَرْمِطْ بَيْنَ الحُرُوف؛ فإنَّ ذَلِك أجدَرُ بِصَبَاحَةِ[٢] الخَطِّ. [ر ٢: ٢٢٥]

٣٢٥ ـ اِلْقَ النَّاسَ عِنْدَ حَاجَتِهِم إِلَيْكَ بالبِشْرِ والتَّوَاضُعِ؛ فإنْ نابَتْكَ نائِبَةٌ، وحَالَتْ بِكَ حالٌ، لَقِيتَهُم.. وقَد أَمِنْتَ ذِلَّةَ التَّنَصُّلِ[٣] إليهِمْ والتَّوَاضُعِ. [ح ٢٠: ٣٣٦]

٣٢٦ ـ أَمَا والَّذِي فَلَقَ الحَبَّة، وبَرَأَ النَّسَمَةَ[٤]، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ: إِنَّ الأُمَّةَ ستَغْدِرُ بِكَ مِن بَعدِي. [ح ٢٠: ٣٢٦]

٣٢٧ ـ إِمَامٌ عادِلٌ، خَيْرٌ مِن مَطَرٍ وَابِلٍ[٥]. [ق: ١٧]

٣٢٨ ـ أَمَّا بَعدُ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ فإذا سأَلَ سائِلٌ فَلْيَعْقِلْ، وإذا سُئِلَ فَلْيَتَثَبَّتْ، فَواللهِ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ نَوازِلُ البَلاء، وحقَائِقُ الأُمُور، لفَشَلِ كَثِيرٍ مِنَ المَسْؤُولين، وإِطْراقِ كَثِيرٍ مِنَ السَّائِلِين[٦]. [ق: ٩٧]

٣٢٩ ـ كتب إلى سلمان الفارسي:

أَمَّا بَعْدُ؛ فإِنَّ مَثَلَ الدُّنْيا مَثَلُ الحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّها، قَاتِلٌ سُمُّها، يَهْوِي إِلَيْهَا الصَّبِيُّ الجاهِل، ويَحْذَرُها اللَّبِيبُ العَاقِل؛ فأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُك فِيها؛ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُك مِنها، وَضَعْ هُمُومَها لِما لَقِيتَ مِن فِراقِها، وكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ

---

(١) جلفة القلم بكسر الجيم: ما بين مبراه وسنته، وإلاقة الدواة: وضع الليقة فيها، والقرمطة بين الحروف: المقاربة بينها، وتضييق فواصلها.

(٢) الصباحة: الجمال.

(٣) التنصل: التبرؤ من الذنب.

(٤) أي: خلق النفس.

(٥) الإمام: المراد به: الخليفة ومن بيده السلطان. والوابل: المطر الشديد.

(٦) الفشل: الضعف والجبن. والإطراق: سكوت الإنسان فلا يتكلم، وإرخاء عينيه ينظر إلى الأرض.

فِيها. . أَحْذَر ما تَكُونُ لَها؛ فإنَّ صاحِبَها كُلَّما اطمَأَنَّ مِنها إلى سُرُورٍ أَشْخَصه(١) عَنهُ مَكْرُوهٌ. والسَّلام. [ق: ٣٧]

٣٣٠ ـ أَمَّا بَعْدُ؛ فإنَّ المَرءَ يَفرَحُ بإدْراكِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيغتَمُّ لِفَوْتِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ؛ فإذَا آتاكَ اللَّهُ مِنَ الدُّنيا شَيْئاً. . فَلَا تُكْثِرَنَّ بِهِ فَرَحاً، وَإذا مَنَعَك مِنها شَيْئاً. . فَلا تُكْثِرَنَّ عَلَيهِ حُزْناً، ولْيَكُنْ هَمُّك لِما بَعْدَ المَوْتِ. والسَّلام(٢). [ق: ٩٦، ٩٧]

٣٣١ ـ وسئل عن قريش فقال:

أَمَّا بَنُو مَخزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْش، يُحَبُّ حَدِيثُ رِجالِهِم، والنِّكاحُ في نِسَائِهِم، وأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْس(٣) فأَبْعَدُها رأساً(٤)، وأَمْنَعُها لِما وَراء ظُهُورِها، وأَمَّا نَحنُ فأَبْذَلُ لِما في أَيْدِينا، وأَسْمَحُ عِندَ المَوْتِ بنفُوسِنا، وهُمْ: أَكْثَرُ، وأَمْكَرُ، وأَنْكَرُ(٥). . . ونَحنُ: أَفْصَحُ، وأَنْصَحُ، وأَصْبَحُ(٦). [ر ٢: ١٧٦]

٣٣٢ ـ إمْحَضْ أَخاكَ النَّصِيحَةَ؛ حَسَنَةً كانَتْ أَمْ قَبِيحَةً(٧). [ق: ٦٨]

٣٣٣ ـ الأَمْرُ قَرِيبٌ، والاصْطِحَابُ قَلِيلٌ(٨). [ر ٢: ١٩١]

٣٣٤ ـ أَمْرٌ لا تَدْرِي مَتَى يَغْشاكَ؛ مَا يَمْنَعُك أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَك! . . [ح ٢٠: ٢٧٣]

٣٣٥ ـ أَمْرَانِ لا يَنْفكَّانِ مِنَ الكَذِبِ: كَثْرَةُ المَوَاعِيد، وشِدَّةُ الاعْتِذار. [ح ٢٠: ٢٨٧]

٣٣٦ ـ أَمسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذَا خِفْتَ ضَلالَةً؛ فإنَّ الكَفَّ عِندَ حَيْرَةِ الضَّلالِ، خَيْرٌ مِن رُكُوبِ الأَهْوَالِ. [ق: ٧١]

---

(١) أشخصه: أبعده وأذهبه.

(٢) قال ابن عباس: ما انتفعت بشيء بعد النبي ﷺ انتفاعي بكلمات كتبهنّ إليّ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب يعني هذه الكلمات.

(٣) بنو عبد شمس: منهم بنو أمية.

(٤) بعد الرأس: كناية عن الرفعة والحصانة.

(٥) أنكر: أدهى.

(٦) أنصح: أصدق وأبعد من الغش. وأصبح: أكثر جمالاً.

(٧) أمحضت فلاناً الودّ ـ كمحضته ـ: أخلصته. ومعنى قبحها: شدتها وثقلها عليه، أي: انصح له على كل حال، قبل أو لم يقبل.

(٨) أمر الآخرة قريب، والاصطحاب في الدنيا قصير الزمن قليله.

٣٣٧ ـ إمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِك[١]. [ر ٢: ١٥٣]

٣٣٨ ـ الأَمَلُ رَفِيقٌ مُؤنِسٌ، إن لَم يُبَلِّغْكَ فَقَد اسْتَمْتَعْتَ بِهِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٣٣٩ ـ إن اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَك وبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعمَةٍ فافعَلْ[٣]. [ق: ٢٣]

٣٤٠ ـ إن تَتعَبْ في البِرِّ؛ فإنَّ التَّعَبَ يَزُول.. والبِرّ يَبْقَى. [ح ٢٠: ٣٢٢]

٣٤١ ـ كان يقول إذا عزّى رجلاً:

إن تَجْزَعْ فأَهْلُ ذَلِكَ الرَّحِمُ[٤]، وإن تَصْبِرْ فَفِي اللَّهِ عِوَضٌ مِن كُلِّ فائِتٍ، وصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكم. [ع ٣: ٦١]

٣٤٢ ـ ووقف على قوم أصيبوا بمصيبة، فقال:

إن تَجزعُوا فَحَقَّ الرَّحِمِ بِلَّغتُم، وإنْ تَصبِرُوا فَحَقَّ اللَّهِ أَدَّيتُم. [ح ٢٠: ٢٧٥]

٣٤٣ ـ إن حَسَدَكَ أَخٌ مِن إِخْوَانِك عَلَى فَضِيلَةٍ ظَهَرَتْ مِنكَ، فَسَعَى فِي مَكرُوهِك، فَلا تُقَابِلْهُ بِمثلِ مَا كافحك بِهِ، فتَعذِرَ نَفسَهُ في الإِساءَةِ إِلَيْك؛ وتَشْرَعَ لَهُ طَرِيقاً إِلى مَا يحبُّه فِيك[٥]، لكِنِ اجتَهِدْ في التَّزَيُّدِ مِن تِلكَ الفضِيلَةِ الَّتي حَسَدَكَ عَلَيْها؛ فإِنَّك تَسُوؤه مِن غَيرِ أَن تُوجِدَهُ حُجَّةً عَليك. [ح ٢٠: ٢٧٢]

٣٤٤ ـ إن غلِبْتَ يوماً عَلَى المَالِ، فَلا تُغلَبَنَّ عَلى الحِيلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. [ح ٢٠: ٣١٤]

٣٤٥ ـ عاتبه عثمان رضي الله عنه فأكثر وهو ساكت، فقال: ما لك لا تقول؟... قال:

إن قُلتُ لَمْ أَقُلْ إِلَّا مَا تَكْرَه، ولَيْسَ لَكَ عِندِي إِلَّا مَا تُحِبُّ. [ح ٢٠: ٢٧٧]

---

(١) أي ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل، فإن أعياك فاسترح له. وهذه الحكمة أصل من أصول الطب؛ فإن الأطباء يرون أن لزوم المريض الفراش إطلاقاً مما يضاعف مرضه ويملأ نفسه يأساً، وأن العمل الخفيف حتى مع الأمراض الخطيرة كالسل وضعف القلب مما يكسب المريض أملاً ويقويه على المرض.

(٢) ومثله قول الشاعر:

مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المُنى ... وإلّا.. فقد عشنا بها زمناً رَغَدا

(٣) أي اجتهد ألا يكون لأحد عليك فضل إلا الله تعالى.

(٤) الرحم هنا: القرابة.

(٥) تعذر نفسه، أي تمهد له ليخرج من ذنبه، وشرع له: سنّ له.

٣٤٦ ـ إِنْ كُنْتَ جازِعاً عَلَى مَا يُفْلِتُ مِن يَدَيْكَ، فاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ[1]. [ق: ٢١]

٣٤٧ ـ إِنْ لَمْ تَعْلَم مِنْ أَيْنَ جِئْتَ، لَمْ تَعْلَمْ إلى أَيْنَ تَذْهَب. [ح ٢٠: ٢٩٢]

٣٤٨ ـ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحلَّمْ؛ فإنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أن يَكُونَ مِنْهُمْ. [ر ٢: ١٩٧]

٣٤٩ ـ إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً[2]، وأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ في طَلَبِ مَالِه، وَلَمْ تُساعِدْه الـمَقادِيرُ عَلَى إرادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيا بِحَسْرَتِهِ، وقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ. [ر ٢: ٢٥١، ٢٥٢]

٣٥٠ ـ إِنَّ أَخْوَفَ الأَشْيَاءِ عَلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الدَّجَّالِ، أَئِمَّةٌ مُضِلُّون[3]، وَهُمْ رُؤساءُ أَهْلِ البِدَع. [ح ٢٠: ٣١٦]

٣٥١ ـ إِنَّ أَعْظَمَ الحَسَراتِ يَوْمَ القِيامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مالاً في غَيرِ طاعَةِ اللَّهِ، فَورِثَهُ رجُلٌ فأَنْفَقَهُ في طاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانه فَدَخَلَ بِهِ الجَنَّةَ، وَدَخَلَ الأَوَّلُ بِهِ النَّارَ. [ر ٢: ٢٥١]

٣٥٢ ـ إِنَّ القُلُوبَ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكْمَةِ[4]. [ق: ٢٢]

٣٥٣ ـ إِنَّ اللَّهَ تَعالَى لَيُدْخِلُ الفَاسِقَ في دِينِهِ، الجَرِيءَ عَلَى خَلْقِهِ. الجَنَّةَ بِسَخَائِهِ[5]. [ق: ٢٣]

٣٥٤ ـ إِنَّ امْرأً عَرَفَ حَقِيقَةَ الأَمْرِ، وَزَهِدَ فيهِ لأَحْمَقُ، وإنَّ امْرأً جَهِلَ حَقِيقَةَ الأَمْرِ ـ مَع وُضُوحِه ـ لَجَاهِلٌ. [ح ٢٠: ٣١٣]

٣٥٥ ـ إِنَّ الأُمُورَ إذا اشْتَبَهَت اعْتُبِر آخِرُها بأَوَّلِها[6]. [ر ٢: ١٦٣]

---

(١) لأن الجزع ـ في حاليه لن يرد ما ضاع، أو يأتي بما في عالم الغيب.

(٢) الصفقة، أي البيعة، أي أخسرهم بيعاً وأشدهم خيبة في سعيه: ذلك الرجل الذي أخلق بدنه أي أبلاه ونهكه في المال ولم يحصله، والتبعة بفتح فكسر: حق الله وحق الناس عنده يطالب بهما.

(٣) لأن كل إمام قدوة ورائد لقومه.

(٤) طرائف الحكمة: غرائبها؛ لتنبسط إليها القلوب، كما تنبسط الأبدان لغرائب المناظر.

(٥) الضمير في سخائه للفاسق. ولعله بسخائه أن يفك العاني، ويسعف الفقير، ويساعد كل محتاج. وقد يتقبل الله عمله ويتجاوز عما فرط من سيئاته.

(٦) أي يقاس آخرها على أولها، فعلى حسب البدايات تكون النهايات.

٣٥٦ ـ إنَّ أَوْلَى النَّاس بالأَنْبِياءِ أَعلَمُهُم[١] بِما جاؤوا بِهِ. . ثمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ٦٨]. ثم قالَ: إنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وإنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُه[٢]، وإنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ، وإنْ قَرُبَتْ قَرابَتُه. [ر ٢: ١٦٩]

٣٥٧ ـ إنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إلى باطِنِ الدُّنْيا إذا نَظَرَ النَّاسُ إلى ظاهِرِها، واشتَغَلُوا بِآجِلِها[٣] إذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعاجِلِها، فَأَماتُوا مِنْهَا ما خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُم[٤]، وتَرَكُوا مِنْها ما عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَترُكُهُمْ، ورأَوْا استِكْثارَ غَيرِهم مِنها استِقْلالاً، ودَرَكَهُم لَهَا فَوْتاً، أَعْداءُ ما سالَمَ النَّاسُ. . وسِلْمُ ما عادَى النَّاسُ[٥]. . بِهِم عُلِمَ الكِتابُ. . وبِهِ عُلِمُوا، وبِهِم قامَ الكِتابُ. . وبِهِ قامُوا، لا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ ما يَرْجُون، ولا مَخُوفاً فَوْقَ ما يَخافُون[٦]. [ر ٢: ٢٥٢]

٣٥٨ ـ إنَّ الإيمَانَ يَبدُو لُمْظَةً في القَلْبِ، كُلَّما ازْدادَ الإيمانُ ازْدادَتِ اللُّمْظَةُ[٧]. [ر ٢: ٢٠٩]

٣٥٩ ـ قال رضي الله عنه لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر:

إنَّ حُزْنَنا عَلَيهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِم بِهِ. أَلَا إِنَّهُم نَقَصُوا بَغِيضاً، ونَقَصْنا حَبِيباً. [ر ٢: ٢٢٨]

---

(١) قال ابن أبي الحديد: هكذا الرواية: أعلمهم، والصحيح: أعملهم؛ أي بتقديم الميم على اللام؛ لأن استدلاله بالآية يقتضي ذلك، وكذا قوله فيما بعد: إن ولي محمد من أطاع الله.. إلى آخر الفصل، فلم يذكر العلم، وإنما ذكر العمل.

(٢) لحمته ـ بضم اللام وتفتح ـ: أي نسبه.

(٣) إضافة الآجل إلى الدنيا؛ لأنه يأتي بعدها، أو لأنه عاقبة الإهمال فيها. والمراد منه: ما بعد الموت.

(٤) أماتوا قوة الشهوة والغضب التي يخشون أن تميت فضائلهم، وتركوا اللذات العاجلة التي ستتركهم، ورأوا أن الكثير من هذه اللذات قليل في جانب الأجر على تركه، وإدراكه فوات؛ لأنه يعقب حسرة العقاب.

(٥) الدرك محركة اللحاق، والمراد أن الناس يسالمون الشهوات، وأولياء الله يحاربونها، والناس يحاربون العفة والعدالة، وأولياء الله يسالمونهما وينصرونهما.

(٦) أي مرجو فوق ثواب الله؟ وأي مخوف أعظم من غضب الله!

(٧) اللمظة بضم اللام وسكون الميم. مثل النكتة أو نحوها من البياض.

قال ابن أبي الحديد: قال أبو عبيد: هي لمظة بضم اللام: والمحدثون يقولون لمظة بفتح. والمعروف من كلام العرب مثل الدهمة والشهبة والحمرة.. قال: وقد رواه بعضهم لمطة بالطاء المهملة.. وهذا لا نعرفه.

٣٦٠ ـ إِنَّ الحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وإِنَّ البَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ[١]. [ر ٢: ٢٤١]

٣٦١ ـ إِنَّ الدُّنْيا قَدْ أَدْبَرت، وآذَنَتْ بِوَداعٍ، وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وأَشرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ[٢]؛ والمِضْمارُ[٣] اليَوْمَ، وَغداً السِّباق. [ق: ٣٥]

٣٦٢ ـ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُه، ولا يَرُدُّ القَضاءَ إِلَّا الدُّعاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمْرِ إِلَّا البِرُّ، ولا يَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ.. فِيمَ أَفْناه؟ وَعَنْ شَبابِهِ.. فِيمَ أَبلاه؟ وَعَنْ مَالِهِ.. مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وعَمَّا عَمِل.. فِيمَ عَلِم[٤]!... [ح ٢٠: ٢٥٩]

٣٦٣ ـ إِنَّ الرَّحِيلَ حَقُّ أَحَدِ اليَوْمَيْنِ[٥].

وفِي رِوَايَة: حَقٌّ أَحَدَ اليَوْمَيْنِ ـ بتَنْوِين «حقٌّ». [ق: ٢٣]

٣٦٤ ـ قال رضي الله عنه على قبر رسول الله ﷺ ساعة دفن:

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْك، وإِنَّ الجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وإِنَّ المُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ[٦]. [ر ٢: ٢٢١]

٣٦٥ ـ إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ[٧]، وضَامِنٌ غَيرُ وَفِيٍّ، ورُبَّما شَرِقَ صاحِبُ المَاءِ قَبْلَ رِيِّه[٨]. وكُلَّما عَظُمَ قَدْرُ الشَّيءِ المُتنافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لفَقْدِهِ. والأَمانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ البَصائِرِ. والحَظُّ يَأْتِي مَنْ لا يَأْتِيهِ. [ر ٢: ٢١٧]

٣٦٦ ـ وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه حلي الكعبة وكثرته،

---

(١) مريء، من مرأ الطعام مثلثة الراء ـ فهو مريء أي هنيء حميد العاقبة، والحق ـ وإن ثقل ـ إلا أنه حميد العاقبة، والباطل ـ وإن خف ـ فهو وبيء وخيم العاقبة.. أرض وبيئة: كثيرة الوباء وهو المرض العسام.

(٢) الإشراف: العلو، وأشرف المكان علاه، كشارفه، والاطلاع هنا بمعنى المجيء.

(٣) المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

(٤) عما عمل.. أي يسأل عن مبلغ عمله من علمه، لأن العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر وهو حجة على صاحبه.

(٥) المعنى؛ أن الإنسان إن لم يمت في يومه فسيموت في غده.

(٦) أي أن المصائب قبل مصيبتك وبعدها هينة حقيرة، والجلل بالتحريك: الهين الصغير، وقد يطلق على العظيم وليس مراداً هنا.

(٧) أي: من ورده هلك فيه ولم يصدر عنه.

(٨) شرق كتعب: أي غص، تمثيل لحالة الطامع بحال الظمآن، فربما يشرق بالماء عند الشرب قبل أن يرتوي به، وربما هلك الطامع في الطلب قبل الانتفاع بالمطلوب، وقد يأتي الحظ لقاعد لا يسعى.

فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهمّ عمر بذلك، وسأل أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال:

إِنَّ القُرآنَ أُنزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ والأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ المُسْلِمِين فقَسَّمَها بَيْنَ الوَرَثَةِ في الفَرائِض، والفَيْءِ فقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّه، والخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، والصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَها.. وكانَ حَلْيُ الكَعْبَةِ فِيهَا يومَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَترُكْهُ اللَّهُ نِسْياناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكاناً[1]. فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَر: لَوْلاكَ لافْتَضَحْنَا.. وتَرَكَ الحَلْي بحالِهِ. [ر ٢: ٢١٥]

٣٦٧ ـ سمع رجلاً يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، فقال رضي الله عنه: إِنَّ قَوْلَنَا «إِنَّا لِلَّهِ».. إِقْرارٌ عَلَى أَنْفُسِنا بالمُلْكِ.. وقولنا: «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون».. إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بالهُلْكِ[2]. [ر ٢: ١٦٩]

٣٦٨ ـ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً، فَتِلْكَ عِبادةُ التُّجَّار[3]. وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً.. فَتِلْكَ عِبادة العَبِيد[4]. وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً.. فَتِلْكَ عِبادةُ الأَحْرار[5]. [ر ٢: ٢٠٣]

٣٦٩ ـ إِنَّ كلامَ الحُكَماءِ إذا كانَ صَوَاباً كانَ دواءً، وإِذَا كانَ خَطأً كانَ دَاءً[6].

٣٧٠ ـ إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيكُمُ الفَرائِضَ فَلا تُضِيعُوها، وحَدَّ لَكُم حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوها، ونَهاكُمْ عَن أَشْيَاءَ فَلا تَنْهَكُوها[7]، وسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ ـ وَلَمْ يَدَعْها نِسْياناً ـ فَلا تَتَكلَّفُوها. [ر ٢: ١٧٢]

٣٧١ ـ إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى العِبادِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ، وكلَّفَهم مِن الشكْرِ بقَدْرِ قُدْرَتِهِم. [ح ٢٠: ٣٠٤]

---

(١) أي لم يكن مكان على الكعبة خافياً على الله. «فمكاناً» تمييز نسبة الخفاء إلى الحلي.

(٢) الهلك بالضم: الهلاك.

(٣) لأنهم يعبدون لطلب عوض.

(٤) لأنهم ذلوا للخوف.

(٥) لأنهم عرفوا حقاً عليهم فأدوه وتلك شيمة الأحرار.

(٦) أي: لشدة لصوقه بالعقول في الحالين.

(٧) أي لا تنتهكوا نهيه عنها بإتيانها، والانتهاك: الإهانة والإضعاف. ولا تتكلفوا: أي لا تكلفوا أنفسكم بها بعدما سكت الله عنها.

٣٧٢ ـ إنَّ اللَّهَ خَلَقَ النِّسَاءَ مِنْ عِيٍّ وعَوْرَةٍ، فَداوُوا عِيَّهُنَّ بالسُّكوت، واسْتُرُوا العَوْرةَ بالبُيُوت. [ح ٢٠: ٣١٠]

٣٧٣ ـ قال لمريض أبَلَّ من مرضه:

إنَّ اللَّهَ ذكَرَكَ فاذكُرْه، وأقالَك[١] فاشكُرْه. [ح ٢٠: ٣٠٩]

٣٧٤ ـ إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أدَّبَ نَبِيَّه ﷺ بقَوْلِهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[٢] [الأعراف: ١٩٩]، فَلَمَّا عَلِمَ أنَّهُ قَدْ تَأدَّب، قالَ لهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فَلَمَّا استَحْكَمَ لَهُ مِنْ رَسُولِهِ ما أحبَّ قالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. [ح ٢٠: ٢٧٠]

٣٧٥ ـ إنَّ اللَّهَ سُبحانَهُ جَعَلَ الطَّاعةَ غَنِيمةَ الأكْيَاسِ عِندَ تَفْرِيطِ العَجَزَة[٣]. [ر ٢: ٢٢٩]

٣٧٦ ـ إنَّ اللَّهَ سُبحانَهُ فَرَضَ في أمْوالِ الأغْنِياءِ أقْواتَ الفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إلَّا بِما مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ. . واللَّهُ تَعالَى سائِلُهُم عَن ذلِك. [ر ٢: ٢٢٨]

٣٧٧ ـ إنَّ اللَّهَ سُبحانَهُ وَضعَ الثَّوابَ عَلَى طَاعَتِهِ، والعِقابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ ذِيادةً لِعبادِهِ عَن نِقْمَته[٤]، وحِياشَةً لَهُم إلى جَنَّتِه[٥]. [ر ٢: ٢٣٧]

٣٧٨ ـ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أنْ يُعفَى عَنْ زَلَّةِ السَّرِيِّ[٦]. [ح ٢٠: ٣٣٦]

٣٧٩ ـ إنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَداً[٧] يَجْرُونَ فِيهِ، ولَوْ قَد اخْتَلفُوا فِيما بَيْنَهُمْ، ثُمَّ كادَتْهُم الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُم. [ر ٢: ٢٥٨]

---

(١) أقاله: خلصه. . من أقاله البيع: إذا فسخه.

(٢) قد جمعت هذه الآية جميع مكارم الأخلاق، ففي العفو: الصفح والرفق والمسامحة والإغضاء. وفي العرف: صلة الرحم وترك الكذب والغيبة، وغض الطرف عن المحرمات، والبعد عن كل منكر. وفي الإعراض عن الجاهلين: الصبر والحلم وكظم الغيظ. .

(٣) العجزة: جمع عاجز، وهم المقصرون في أعمالهم؛ لغلبة شهواتهم على عقولهم. والأكياس: جمع كيس كسيد. وهم العقلاء، فإذا منع الضعيف إحسانه عن الفقير ـ مثلاً ـ كان ذلك غنيمة للعاقل في الإحسان إليه. . وعلى ذلك بقية الأعمال الخيرية.

(٤) ذيادة بالذال: أي منعاً لهم عن المعاصي الجالبة للنقم.

(٥) حياشة، من حاش الصيد: جاءه من حواليه؛ ليصرفه إلى الحبالة، ويسوقه إليها؛ ليصيده. . أي سوقاً إلى جنته.

(٦) السري: السيد الشريف، السخي في مروءة. وسر ذلك: أن زلته فلتة من الفلتات، وأن أخذه بالقليل يضع منه ويذلّ نفسه، ويحزن قلبه، وربما أمات إحساسه وجرأه على الشر.

(٧) مرود: بضم فسكون ففتح: فسره بعضهم بالمهلة وهي مدة اتحادهم، فلو اختلفوا، ثم كادتهم=

٣٨٠ ـ إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً[١]. [ر ٢: ٢٠٨]

٣٨١ ـ إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً، وإِدْباراً[٢].. فإذا أَقبلَتْ فاحْمِلْها عَلَى النَّوافِلِ، وإذا أَدْبَرَتْ فاقْتَصِرْ بها عَلَى الفَرَائِضِ. [ر ٢: ٢٢٤]

٣٨٢ ـ إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً، وإِقْبالاً، وإِدْباراً.. فأْتُوها مِن قِبَلِ شَهْوتِها وإِقْبالِها؛ فإِنَّ القَلْبَ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ. [ر ٢: ١٩٤]

٣٨٣ ـ إِنَّ لَك فيمَنْ مَضى مِن آبائِك وإِخْوانِك لَعِبْرَةً، وإِنَّ مَلَكَ المَوْتِ دخَلَ عَلَى داوُدَ النَّبيِّ فقَالَ: مَنْ أَنتَ؟ قالَ: مَنْ لا يَهابُ المُلُوك، ولَا تَمْنَعُ مِنهُ القُصُورُ، ولا يَقْبَلُ الرِّشَا[٣]، قالَ: فإِذاً أَنتَ مَلَكُ المَوْتِ، جِئْتَ... ولَمْ أَسْتَعِدَّ بَعدُ؟ فقَال: فأَيْنَ فُلانٌ جارُك؟ أَيْنَ فُلانٌ نَسِيبُك؟ قالَ: ماتُوا.. قالَ: أَلَمْ يَكُنْ لَكَ في هَؤلَاءِ عِبْرَةٌ لِتَسْتَعِدَّ! [ح ٢٠: ٣٤٦]

٣٨٤ ـ إِنَّ لِلَّهِ عِباداً اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ بالنِّعَم لمنافِـعِ العِباد، فيُقِرُّها في أَيْدِيهِمْ ما بَذَلوها[٤]. فإذا مَنَعُوها نَزَعَها منهُمْ، ثمَّ حَوَّلَها إِلى غَيْرِهِم. [ر ٢: ٢٥١].

٣٨٥ ـ إِنَّ لِلَّهِ عِباداً في الأَرْضِ؛ كأَنَّما رأَوْا أَهْلَ الجَنَّةِ في جَنَّتِهِم، وأَهْلَ النَّارِ في نارِهِم: اليَقِينُ وأَنوارُه لامِعَةٌ عَلَى وجُوهِهِم. قُلُوبُهُم مَحْزُونَةٌ؛ وشُرُورُهُم مَأْمُونَةٌ، وأَنْفُسُهُم عَفِيفَةٌ، وحَوائِجُهُم خَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَلِيلَةً؛ لِرَاحَةٍ طَوِيلَةٍ.

أَمَّا اللَّيْلُ: فَصَافُّون[٥] أَقْدَامَهُم، تَجْرِي دُمُوعُهُم عَلَى خُدُودِهِم، يَجْأَرُون[٦] إِلى اللَّهِ ـ سُبحانَهُ ـ بِأَدْعِيَتِهِم، قَد حَلَا في أَفْواهِهِم، وحَلَا في قُلُوبِهِم طَعْمُ

= ـ أي مكرت بهم أو حاربتهم ـ الضباع دون الأسود، لفرقتهم، وقد حدث ذلك بالفعل.

(١) القحم ـ بضم ففتح ـ: المهالك والمصاعب، جمع قحمة كغلبة؛ لأنها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر.. ومن ذلك قحمة الأعراب وهو أن تصيبهم السنة فتتعرق أموالهم ـ أي تأكلها جميعها ـ فذلك لقحمها فيهم. وقيل فيه وجه آخر، وهو أنها تتقحمهم بلاد الريف، أي تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو.

(٢) إقبال القلوب: رغبتها في العمل. وإدبارها: مللها منه؛ وإنما قال الإمام ذلك؛ لأن إكراه القلوب على الأعمال في حال إدبارها يقسيها ويطفئ روحانيتها.

(٣) الرشا بكسر الراء وفتحها: جمع رشوة.

(٤) يقرّها: أي يبقيها ويحفظها مدة بذلهم لها.

(٥) صافون أقدامهم: كناية عن قيامهم للصلاة.

(٦) جأر الرجل إلى الله: تضرع بالدعاء.

مُناجاتِه، ولَذِيذُ الخلْوَةِ بهِ؛ قَد أقْسَمَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ بِجَلالِ عِزَّتِهِ لَيُورِثَنَّهُم المَقَامَ الأَعْلَى في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَهُ. وأمَّا نَهارُهُم: فَحُلمَاءُ عُلَمَاءُ، بَرَرَة أتقِياءُ؛ كالقِدَاحِ[1] يَنظُرُ إليهِم النَّاظِرُ فيَقُول: مَرْضَى - ومَا بالقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ - أو يَقُول: قَد خُولِطُوا؛ ولَعَمْرِي لقَدْ خالَطَهُمْ أمْرٌ عَظِيمٌ جَليلٌ. [ح ٢٠: ٢٧٧]

٣٨٦ - إنَّ للَّهِ في كلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا، فَمنْ أدَّاهُ زادَهُ مِنها، ومَنْ قَصَّرَ عَنهُ خاطَرَ بزَوالِ نِعمتِه. [ر ٢: ٢٠٤]

٣٨٧ - إنَّ للَّهِ مَلَكاً يُنادِي في كلِّ يَومٍ: لِدُوا[2] لِلمَوْتِ، واجْمَعُوا لِلفنَاءِ، وابْنُوا لِلخَرَابِ. [ر ٢: ١٨١]

٣٨٨ - إنَّ لِلمَكْرُوهِ غَاياتٍ لا بدَّ أنْ يَنْتَهِيَ إلَيْها، فينبَغِي لِلعاقِلِ أنْ يَنامَ لهَا إلى حِينِ انقِضائِها، فإنَّ إعْمَالَ الحِيلَةِ فيها قَبْلَ تَصَرُّمِها[3]، زِيادةٌ في مَكْرُوهِها. [ق: ١٥٥]

٣٨٩ - إنَّ المِسْكِينَ... رسُولُ اللَّه[4]؛ فَمنْ مَنَعَهُ فقَدْ مَنعَ اللَّهَ، ومَنْ أعْطاهُ فقَدْ أعْطَى اللَّهَ. [ر ٢: ٢٢٣]

٣٩٠ - إنَّ مَعَ كُلِّ إنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظانِهِ، فإذا جَاءَ القَدَرُ.. خلَّيَا بيْنَه وبَيْنَه، وإنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ[5]. [ر ٢: ١٩٦]

٣٩١ - إنَّ مِنَ السُّكُوتِ مَا هُوَ أبْلَغُ مِن الجَوَابِ. [ت: ٣٠]

٣٩٢ - إنَّ مِنَ الغِرَّةِ باللَّهِ[6].. أنْ يُصِرَّ العَبْدُ عَلَى المَعْصِيةِ، ويَتمنَّى عَلَى اللَّهِ المَغْفِرَةَ. [ق: ٢٢]

٣٩٣ - إنَّ مِنَ الكَرَمِ، الوَفاءَ بالذِّمَمِ[7]. [ق: ١٨]

---

(١) القداح: السهام واحدها قدح كبئر، والمراد: أن أبدانهم نحيلة مهزولة كأنها السهام.

(٢) لدوا: أمر من الولادة. (٣) التصرم: الانقطاع.

(٤) أي مبعوث اللَّه إلى الغنيّ؛ لأن اللَّه هو الذي حرمه الرزق لحكمة يعلمها؛ فكأنه أرسله إلى الغني ليمتحنه به.

(٥) الأجل: ما قدره اللَّه للحي من مدة العمر، وهو وقاية منيعة من الهلكة، لأن الإنسان لا يموت قبل حلول أجله.

(٦) الغرة - بكسر الغين -: الاغترار والغفلة.

(٧) الذمم: جمع ذمة؛ وهي العهد والكفالة. وهي في الحديث الشريف: «ويسعى بذمتهم أدناهم». بمعنى الأمان، كما قال أبو عبيدة.

٣٩٤ ـ إِنَّ مِنْ كُنُوزِ البِرِّ، الصَّبْرَ عَلَى الرَّزَايا، وكِتْمانَ المَصَائِبِ. [ق: ٢٢]

٣٩٥ ـ عزَّى قوماً عن ميت مات لهم فقال:

إِنَّ هَذا الأمرَ لَيْسَ بِكُم بَدَأَ، ولا إِلَيْكُم انْتَهى[١]. وقَد كانَ صاحِبُكُم هذا يُسافِرُ، فَعُدُّوهُ في بَعْضِ أَسْفَارِه، فإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُم.. وإِلّا فأَنْتُم قَدِمْتُم عَليهِ. [ر ٢: ٢٣٤]

٣٩٦ ـ إِنَّ هَذا المَوْتَ قَد أَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ نَعِيمَ الدُّنيا؛ فَمَا لكُمْ لا تَلْتَمِسُونَ نَعِيماً لا مَوْتَ بَعده! [ح ٢٠: ٣٤٦]

٣٩٧ ـ إِنَّ يَوماً أَسْكَرَ الكِبارَ، وشَيَّبَ الصِّغارَ.. لَشَديدٌ[٢]. [ح ٢٠: ٣١٣]

٣٩٨ ـ وقال رضي الله عنه لرجل أفرط في الثناء عليه ـ وكان له متهماً: أَنَا.. دُونَ مَا تَقُولُ، وفَوْقَ مَا في نَفْسِك. [ر ٢: ١٦٦]

٣٩٩ ـ أنا عَبْدُ اللَّهِ، وأَخُو رسُولِ اللَّهِ، لا يَقُولُها بَعْدِي إِلّا كَذَّابٌ. [ح ٢٠/٢٨٦]

٤٠٠ ـ أنا قاتِلُ الأَقْرَانِ[٣]، ومُجَدِّلُ[٤] الشُّجْعان. أنا الَّذِي فَقَأْتُ عَيْنَ الشِّرْكِ، وثَلَلْتُ عَرْشَهُ[٥]، غَيْرَ مُمْتَنٍّ[٦] عَلَى اللَّهِ بِجِهَادِي، ولا مُدِلٌّ[٧] إِليهِ بِطاعَتِي؛ وَلكِنْ أُحَدِّثُ بِنِعْمَةِ رَبِّي. [ح ٢٠: ٢٩٦]

٤٠١ ـ أنا للمَرِيضِ الَّذِي يَشْتَهِي، أَرْجَى مِنِّي للصَّحِيحِ الَّذِي لا يَشْتَهِي[٨]. [ت: ١٨٠]

٤٠٢ ـ أنا مِنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ كالعَضُدِ مِنَ المِنْكَبِ، وكالذِّراعِ مِنَ العَضُدِ، وكالكَفِّ

---

(١) هذا الأمر: أي الموت لم يكن تناوله لصاحبكم أول فعل له، ولا آخر فعل له، بل سبقه ميتون، وسيكون بعده ميتون. وقد كان ميتكم هذا يسافر لبعض حاجاته فاحسبوه مسافراً، فإذا طال زمن سفره فإنكم ستلاقون معه، وتقدمون عليه عند موتكم.

(٢) المراد بهذا اليوم: يوم القيامة.

(٣) الأقران: جمع قرن كبئر، وهو الكفء في الشجاعة.

(٤) جدله ـ بالتخفيف والتشديد: صرعه على الجدالة ـ كسحابة ـ وهي الأرض.

(٥) ثل عرشه: أذهب عزه أو ملكه.

(٦) غير ممتن: غير متحدث بما فعل.

(٧) المدل: الواثق بالمحبة.

(٨) لأن المريض الذي يشتهي الشفاء يشعر بحاجته إلى الله فيدعوه ويرجو رحمته، أما الصحيح الغافل عن شكر النعم فلا أمل في تهذيب نفسه وتقويمها؛ لأنه ممن ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ...﴾ [الحشر: ١٩].

مِن الذِّراعِ؛ ربَّانِي صَغِيراً، وآخانِي كبِيراً، ولَقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّهُ كانَ لِي مِنهُ مَجْلِسُ سِرٍّ لَا يَطَّلِعُ عَليهِ غَيْرِي؛ وأَنَّهُ أَوْصى إليَّ دُونَ أَصْحَابِهِ وأَهْلِ بَيتِه. ولأَقُولَنَّ مَا لَمْ أَقُلْهُ لأحَدٍ قَبْلَ هَذا اليَوْم: سأَلْتُه مرَّةً أَنْ يَدعُوَ لِي بالمَغْفِرَةِ، فَقالَ: أَفْعَل، ثمَّ قامَ فَصَلَّى، فَلمَّا رفَعَ يَدَهُ للدُّعَاءِ اسْتَمَعْتُ إِلَيْه، فإذا هُوَ قائِلٌ: اللّهُمَّ بحَقِّ عَلِيٍّ عِندكَ اغْفِرْ لِعَلِيٍّ؛ فَقُلْتُ: يا رسُولَ اللّهِ، مَا هَذا؟ فقَالَ: أَوَ أَحَدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ عَليْهِ فأَسْتَشْفِعَ بِهِ إِلَيْهِ!.. [ح ٢٠: ٣١٦]

٤٠٣ ـ أنا يَعْسُوبُ المُؤْمِنِين، والمَالُ يَعْسُوبُ الفُجَّار[١].

٤٠٤ ـ إنَّا لا نَمْلِكُ مَع اللّهِ شَيْئاً، ولا نَمْلِكُ إلَّا مَا ملَّكَنا، فَمتَى ملَّكَنا مَا هُو أَمْلَكُ بهِ مِنَّا.. كلَّفَنا[٢]، ومَتَى أَخذَهُ مِنَّا.. وَضَع تَكْلِيفَهُ عَنَّا. [ر ٢/٢٤٦].

٤٠٥ ـ أَنْتَ مُخَيَّرٌ في الإحْسَانِ إلى مَنْ تُحسِنُ إليْه، ومُرْتَهَنٌ[٣] بِدَوَام الإحْسَانِ إلى مَنْ أَحْسَنْتَ إليهِ؛ لأنَّكَ إنْ قَطعْتَهُ.. فَقدْ أَهْدَرْتَهُ[٤]، وإنْ أَهْدَرْتَهُ.. فَلِمَ فَعَلْتَهُ! [ح ٢٠: ٣٤٠]

٤٠٦ ـ اِنْتَقِمْ مِن الحِرْصِ بالقَنَاعَةِ[٥]، كما تَنتَقِم مِن العَدُوِّ بالقِصَاص. [ح ٢٠: ٢١٤]

٤٠٧ ـ أَنْزِلِ الصَّدِيقَ مَنْزِلَةَ العَدُوِّ في رَفْـعِ المَؤُونَةِ عنه[٦]، وَأَنْزِلِ العَدُوَّ مَنْزِلَةَ الصَّدِيقِ في تَحمُّلِ المَؤُونَةِ لَهُ. [ح ٢٠: ٣٢٩]

٤٠٨ ـ الإنْسَانُ في سَعْيِهِ وتَصَرُّفاتِهِ كالعَائِمِ في اللُّجَّة، فَهُو يُكافِحُ الجرْيَةَ في إدْبارِه، ويَجْرِي مَعهَا في إقْبالِه.

٤٠٩ ـ الأُنْسُ بالعِلْمِ مِنْ نُبْلِ الهِمَّة. [ح ٢٠: ٣٢٠]

---

(١) معنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني، والفجار يتبعون المال، كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

(٢) أي: متى ملكنا الله القوة على العمل ـ وهي في قبضته أكثر مما هي في قبضتنا ـ فرض علينا العمل.

(٣) مرتهن بكذا: مأخوذ به ومحبوس عليه.

(٤) أهدره: أبطله.

(٥) الحرص: الجشع.

(٦) المؤونة: ما تتكلفه من الأمر.

٤١٠ ـ الإنْصَافُ راحَةٌ، واللَّجَاجُ وقَاحَةٌ[١]. [ق: ١٤٥]

٤١١ ـ اِنْصَحْ لِكُلِّ مُسْتَشِيرٍ، ولا تَسْتَشِرْ إلّا النَّاصِحَ اللَّبِيبَ. [ح ٢٠: ٣١٥]

٤١٢ ـ أَنْصِفْ مِن نَفْسِكَ قَبلَ أَنْ يُنْتَصَفَ مِنْكَ. [ق: ٦٧]

وفي رواية: «قبل أن ينصف منك».

٤١٣ ـ أُنْظُرْ إلى المُتَنَصِّحِ إلَيْكَ[٢]، فإنْ دخَلَ مِنْ حيْثُ يُضَارُّ النَّاسَ فَلَا تَقبَلْ نَصِيحَتَه، وتَحَرَّزْ مِنْهُ، وإنْ دخَلَ مِن حيْثُ العَدْلُ والصَّلَاحُ فاقبَلْها مِنهُ[٣]. [ح ٢٠: ٢٧٠]

٤١٤ ـ أُنْظُرِ العمَلَ الَّذِي يَسُرُّكَ أَنْ يَأْتِيَكَ المَوْتُ وأَنْتَ عَليهِ فافْعَلْهُ الآنَ؛ فلَسْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَمُوتَ الآن. [ح ٢٠: ٣٤٦]

٤١٥ ـ أُنْظُرْ مَا عِندَكَ فَلَا تَضَعْهُ إلّا في حَقِّه؛ ومَا عِندَ غَيْرِك فَلا تأْخُذه إلّا بحقِّه. [ح ٢٠/ ٣٢١]

٤١٦ ـ أُنْظُرْ وَجْهَكَ كلَّ وقْتٍ في المِرْآةِ؛ فإنْ كانَ حَسَناً فاستَقْبِحْ أَنْ تُضِيفَ إليهِ فِعلاً قَبِيحاً وتَشِينَهُ بهِ، وإنْ كانَ قَبِيحاً فاستَقبِحْ أَن تجمَعَ بيْنَ قُبْحَيْنِ[٤]. [ح ٢٠: ٢٧١]

٤١٧ ـ أَنْعَمُ النَّاسِ عَيْشاً مَنْ عاشَ في عَيْشِهِ غَيْرُه. [ح ٢٠: ٣٠٠]

٤١٨ ـ أَنْعَمُ النَّاسِ عِيشَةً: مَنْ تَحلَّى بالعَفافِ، ورَضِيَ بالكَفافِ[٥]، وتَجاوَزَ مَا يُخافُ إلى مَا لا يُخافُ. [ح ٢٠: ٣٠١]

٤١٩ ـ اِنْفَرِدْ بِسِرِّكَ؛ ولا تُودِعْهُ حازماً فَيَزِلَّ، ولا جاهِلًا فَيَخُونَ. [ح ٢٠: ٣٢٧]

---

(١) اللجاج ـ بفتح اللام ـ: التمادي في الخصام. والوقاحة: قلة الحياء.

(٢) المتنصح: المتشبه بالنصحاء.

(٣) الضمير يعود على النصيحة.

(٤) نظر بعض الشعراء إلى ذلك فقال:

يا حَسَنَ الوجه تَوقَّ الخَنَى لا تَخلِطَنَّ الزَّيْنَ بالشَّيْنِ

ويا قبيحَ الوجه كن مُحسِناً لا تَجْمَعَنْ بين قبيحَيْنِ

(٥) الكفاف: القليل.

٤٢٠ ـ أَنْفَسُ الأَعْلَاقِ عَقْلٌ قُرِنَ إليهِ حَظٌّ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٤٢١ ـ أَنْفَعُ الكُنُوزِ مَحبَّةُ القُلُوبِ. [ق: ٢٠]

٤٢٢ ـ أَنْفِقْ في حَقٍّ، ولا تكنْ خَازِناً لِغَيْرِك. [ق: ٦٧، ٦٨]

٤٢٣ ـ الانْقِباضُ بيْنَ المُنْبَسِطِينَ ثِقَلٌ، والانْبِسَاطُ[٢] بيْنَ المُنْقَبِضِينَ سُخْفٌ[٣]. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٤٢٤ ـ الانْقِباضُ مِن النَّاسِ مَكْسَبةٌ لِلعَداوَةِ، والانْبِسَاطُ مَجْلَبَةٌ لِقَرِينِ السُّوءِ، فَكُنْ بيْنَ المُنْقَبِضِ والمُسْتَرْسِلِ؛ فإنَّ خَيْرَ الأُمُورِ أَوْسَاطُها. [ح ٢٠: ٢٨٦]

٤٢٥ ـ أَنْكَى لعَدُوِّك أَلَّا تُرِيَهُ أنَّك اتَّخَذْتَه عَدُوًّا. [ح ٢٠/٢٩٦]

٤٢٦ ـ إنَّكُمْ مَخْلُوقُون اقْتِداراً، ومَرْبُوبُون اقْتِسَاراً[٤]، ومُضَمَّنُون أَجْداثاً[٥]، وكائِنُون رُفاتاً[٦] ومَبعُوثُون أَفْراداً، ومَدِينُون حِسَاباً. . فَرحِمَ اللَّهُ امْرأً اقْتَرَف. . فاعْتَرف، ووَجِل. . فعقَل، وحاذَرَ. . فَبادَر، وعُمِّرَ. . فاعْتَبَر، وحُذِّرَ. . فازْدَجَر، وأَجابَ. . فأَناب[٧]، وَراجَعَ. . فَتاب، واقْتَدَى. . فاحْتَذَى[٨]، وتأَهَّبَ لِلمَعاد، واستَظهَرَ بالزَّاد لِيَوْمِ رَحيلِه، وَوَجهِ سَبِيلِه، ولِحَالِ حاجَتِه، ومَوْطِنِ فاقَتِهِ، فقَدَّمَ أَمامَه لِدارِ مُقامِه؛ فَمهِّدُوا لأَنْفُسِكُم عَلَى سلَامةِ الأَبْدان، وفُسْحةِ الأَعْمارِ. فَهَلْ يَنتَظِرُ أَهْلُ غَضارةِ[٩] الشَّباب. . إلَّا حَوانِيَ الْهَرَم، وأَهْلُ بَضاضَةِ الصِّحَّةِ. . إلَّا نَوازِلَ السَّقَم، وأَهْلُ مُدَّةِ البَقاء. . إلْا مُفاجأَةَ الفَناء، واقْتِرَابَ الفَوْت، ومُشارفَةَ الانْتِقال،

(١) الأعلاق: الأشياء النفيسة القيمة.
(٢) الانبساط: السرور وترك الاحتشام.
(٣) السخف: ضعف العقل ورقته.
(٤) قسره: قهره.
(٥) الجدث كسبب: القبر، والجمع أجداث.
(٦) رفاتاً، رفته: كسره، ودقه، والرفات: الحطام.
(٧) أناب: رجع.
(٨) احتذى: اهتدى.
(٩) الغضارة: النعمة والسعة والخصب.

وإشْفاءَ الزَّوَال، وحَفْزَ الأَنِين[١]، وَرشْحَ الجَبِين، وامْتِدادَ العِرْنِين[٢] وعَلَزَ القَلَق[٣]، وقَيْظَ الرَّمَق[٤]، وشِدَّةَ المَضَض، وغَصَص الجَرَض[٥]! [ح ٢٠: ٢٥٧]

٤٢٧ ـ وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه.. فقال رضي الله عنه له:

إنَّما اختَلَفْنا عَنهُ لا فِيه[٦].. ولكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرجُلكمْ مِن البَحْر حتَّى قُلْتُم لنَبِيِّكُم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فَقالَ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. [ر ٢: ٢٢٥]

٤٢٨ ـ إنَّما أَنْتَ أَحدُ رجُلَيْن: إمَّا امرُؤٌ سخَتْ نَفْسُك بالبَذْلِ في الحَقّ، فَفِيمَ احْتِجَابُك مِن واجِبِ حقٍّ تُعْطِيه، وخُلُقٍ كَرِيمٍ تُسْدِيه[٧]! وإمَّا مُبْتَلًى بالمَنْعِ، فمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَن مَسْأَلَتِك إذا يَئِسُوا مِنْ بَذْلِك! [ق: ١٥٠، ١٥١]

٤٢٩ ـ وقال رضي الله عنه لرجل رآه يسعى على عدوّ له بما فيه إضرار بنفسه:

إنَّما أَنْتَ كالطَّاعِنِ نَفْسَهُ، لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ[٨]. [ر ٢: ٢٢٢]

٤٣٠ ـ سمع رجلًا يدعو لصاحبه بقوله: لا أراك الله مكروهاً، فقال: إنَّما دعَوْتَ لهُ بالمَوْتِ، لِأَنَّ مَنْ عَاشَ في الدُّنْيَا لا بُدَّ أَنْ يَرَى المَكْرُوه. [ح ٢٠: ٢٨٩]

٤٣١ ـ إنَّما قَلْبُ الحَدَثِ كالأَرْضِ الخَالِيَةِ[٩]، مَا أُلْقِيَ فيها مِنْ شَيْءٍ إلَّا قَبِلَتْهُ. [ق: ٢٥، ٢٦]

---

(١) إشفاء الزوال أي الغروب والانتقال، والحفز: الحث والإعجال.

(٢) العرنين: الأنف؛ فإنه يمتد عند الموت.

(٣) العلز: الخفة.

(٤) القيظ بالقاف: شدة الحر، وبالفاء: الموت، والرمق: بقية الحياة.

(٥) الغصة: ما اعترض الحلق، والجرض: الريق.

(٦) أي اختلفنا في أخبار وردت عنه؛ لا في صدقه وأصول الاعتقاد بدينه.

(٧) أسدى إليه: أحسن؛ والمراد معاشرة الناس بخلق حسن.

(٨) الردف بالكسر: الراكب خلف الراكب.

(٩) الحدث كسبب: الصغير السن.

٤٣٢ ـ إنَّما لَكَ مِنْ دُنْيَاك، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْواك[١]. [ق: ٢٥]

٤٣٣ ـ إنَّما لَم تَجْتَمِـع الحِكْمَةُ والمَالُ؛ لِعِزَّةِ وُجُودِ الكَمَال. [ح ٢٠: ٣٣٣]

٤٣٤ ـ إنَّما المَرْءُ في الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فيهِ المَنَايا[٢]، ونَهْبٌ تُبادِرُه المَصَائِبُ، ومَعَ كلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وفي كلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ[٣]، ولا يَنالُ العَبْدُ نِعْمَةً إلَّا بِفِراقِ أُخْرَى، ولا يَسْتَقبِلُ يَوماً مِن عُمْرِه، إلَّا بِفِراقِ آخَرَ مِن أَجَلِه، فَنَحْنُ أَعْوانُ المَنُونِ[٤]، وأَنفُسُنا نُصْبُ الحُتُوفِ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو البَقاءَ، وهَذا اللَّيْلُ والنَّهارُ: لَم يَرْفَعَا مِن شَيْءٍ شَرَفاً[٥].. إلَّا أَسْرَعا الكَرَّةَ في هَدْمِ مَا بَنَيا، وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا! [ر ٢: ١٩٣، ١٩٤]

٤٣٥ ـ إنَّما النَّاسُ في نَفَسٍ مَعْدُود، وأَمَلٍ مَمْدُود، وأَجَلٍ مَحْدُود، فَلَا بُدَّ لِلأَجَلِ أن يَتَناهَى، ولِلنَّفَس أَن يُحْصَى، ولِلأَمَلِ أَن يَنْقَضِيَ. ثمَّ قَرَأ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]. [ح ٢٠: ٢٨١]

٤٣٦ ـ وقال في بعض الأعياد:

إنَّما هُو عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهُ صِيامَهُ، وشَكَرَ قِيَامَهُ.. وكلُّ يَومٍ لا يُعْصَى اللَّهُ فيهِ.. فَهُو عِيدٌ. [ر ٢: ٢٥١]

٤٣٧ ـ إنَّما يَحْزَنُ الحَسَدَةُ أبداً؛ لأَنَّهُم لا يَحْزَنُونَ لِمَا يَنْزِلُ بِهِم مِنَ الشَّرِّ فَقَطْ، بَلْ ولِمَا يَنَالُ النَّاسُ مِنَ الخَيْرِ. [ح ٢٠: ٣٣٢]

٤٣٨ ـ إنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَن يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِن عَفْوِي، أو جَهْلٌ[٦] أَعْظَمَ

---

(١) المثوى: مكان الإقامة.

(٢) الغرض بالتحريك: ما ينصب ليصيبه الرامي، وتنتضل فيه: أي تصيبه، والمنايا: جمع منية، وهي الموت. والنهب بفتح فسكون: ما ينهب.

(٣) الشرق بالتحريك: وقوف الماء في الحلق، والغصص: ما اعترض في الحلق فأشرق، أي مع كل لذة ألم.

(٤) المنون بفتح الميم: الموت، وكلما تقدمنا في العمر اقتربنا منه، فنحن بمعيشتنا أعوانه على أنفسنا، وأنفسنا نصب الحتوف: أي تجاهها.. والحتوف: جمع حتف وهو الهلاك.

(٥) الشرف: المكان العالي، والمراد به هنا كل ما علا من مكان وغيره.

(٦) الجهل: المراد به هنا: الحمق والسفه.

مِنْ حِلْمِي، أو عَوْرةٌ لا يُوَارِيها سِتْرِي[١]، أو خَلَّةٌ[٢] لا يَسُدُّها جُودِي. [ق: ١٣٨]

٤٣٩ ـ أَهْلُ الدُّنْيا كَرَكْبٍ.. يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَام. [ر ٢: ١٦٢]

٤٤٠ ـ أَهْوَنُ الأَعْداءِ كَيْداً أَظْهَرُهُمْ لِعَدَاوَتِه. [ح ٢٠: ٣٤٣]

٤٤١ ـ أَوْثَقُ سُلَّمٍ يُتَسَلَّقُ[٣] عَليهِ إِلى اللهِ تَعالَى أَن يَكُونَ خَيْراً. [ح ٢٠: ٢٦٢]

٤٤٢ ـ أَوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْب[٤]. [ق: ٢٠]

٤٤٣ ـ أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الكَرِيمُ مَغْفِرَةً، إِذا ضاقَتْ بالمُذْنِبِ المَعْذِرَة. [ح ٢٠: ٢٩٨]

٤٤٤ ـ أُوصِيكُم بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْها آباطَ الإِبِلِ[٥] لَكانَتْ لِذَلِك أَهْلاً: لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنكُمْ إِلّا رَبَّه، ولا يَخافَنَّ إِلّا ذَنْبَه، ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحدٌ إِذا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمْ أن يَقُولَ: لا أَعْلَمُ، ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحدٌ إِذا لَم يَعْلَم الشَّيْءَ أَن يَتعلَّمَه، وعَليكُمْ بالصَّبْرِ؛ فإِنَّ الصَّبْرَ مِن الإِيمَان كالرَّأْسِ مِن الجَسَد[٦]، ولا خَيْرَ في جَسَدٍ لا رَأْسَ مَعهُ؛ ولا في إيمَانٍ لا صَبْرَ مَعهُ. [ر ٢: ١٦٥]

٤٤٥ ـ أَوْضَعُ العِلْم مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ[٧]، وأَرْفَعُه مَا ظَهَرَ في الجَوَارِحِ والأَرْكان. [ر ٢: ١٦٧]

٤٤٦ ـ الأَوْطارُ[٨] تُكْسِبُ الأَوْزَارَ، فارْفُضْ وَطَرَك، واغْضُضْ بَصَرَك. [ح ٢٠: ٣٢٥]

---

(١) الستر ـ بفتح السين ـ مصدر ستر، وبكسرها: الستار والغطاء، وكلاهما سائغ.
(٢) الخلة ـ بفتح الخاء ـ الحاجة والفقر.
(٣) تسلق الشيء: علاه.
(٤) العجب، بضم فسكون: الزهو والكبر، وأعجب بنفسه وبرأيه، على ما لم يسم فاعله فهو معجب ـ بفتح الجيم؛ وإنما كان أوحش الوحشة؛ لأن صاحبه ممقوت لا يألفه أحد، ومن عادة المعجب بنفسه أن يكتفي بنفسه عن مشورة غيره.
(٥) الآباط: جمع إبط، بكسر الهمزة والباء، وبسكون الباء أيضاً، وضرب الآباط كناية عن شد الرحال وحث المسير.
(٦) في البيان والتبيين بعد ذلك: «فإذا قطع الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الإيمان».
(٧) أي أدنى العلم ما وقف على اللسان ولم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال، وأركان البدن: أعضاؤه الرئيسة كالقلب والمخ.
(٨) الوطر المراد هنا: الحاجة والشهوة.

٤٤٧ ـ أَوْكَدُ سَبَبٍ أَخَذْتَهُ، سَبَبٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللَّه. [ق: ٢٠]

٤٤٨ ـ أوَّلُ رَأْيِ الْعَاقِلِ، آخِرُ رَأْيِ الجَاهِلِ. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٤٤٩ ـ أَوَّلُ عُقُوبَةِ الكاذِبِ، أَنَّ صِدْقَهُ يُرَدُّ عليه(١). [ح ٢٠: ٣٢٠]

٤٥٠ ـ أوَّلُ عِوَضِ الحَليمِ مِن حِلْمِه. أَنَّ النَّاسَ أَنْصارُه عَلَى الجَاهِلِ. [ر ٢: ١٩٧]

٤٥١ ـ أوَّلُ الغَضَبِ جُنُونٌ، وآخِرُهُ نَدَمٌ. [ح ٢٠: ٣٢٧]

٤٥٢ ـ أوَّلُ المَعْرُوفِ مُسْتَخَفٌّ، وآخِرُه مُسْتَثْقَلٌ؛ تَكادُ أَوَائِلُهُ تَكُونُ لِلْهَوَى دُونَ الرَّأْيِ، وأَوَاخِرُه لِلرَّأْيِ دُونَ الْهَوَى؛ ولِذَلِك قِيلَ: رَبُّ(٢) الصَّنِيعةِ أَشَدُّ مِنَ الابْتِداءِ بِها. [ح ٢٠: ٣٢٢]

٤٥٣ ـ أَوْلَى الأَشْيَاءِ أَن يَتعلَّمَها الأَحْداثُ، الأَشْياءُ الَّتي إِذا صَارُوا رِجَالًا احْتَاجُوا إِلَيْها. [ح ٢٠: ٣٣٣]

٤٥٤ ـ أَوْلَى النَّاسِ بالعَفْوِ أَقْدَرُهُم عَلَى العُقُوبَةِ(٣). [ر ٢: ١٦١]

٤٥٥ ـ إِيَّاكَ أن تَعْتَذِرَ مِن ذَنْبٍ تَجِدُ إلى تَرْكِه سَبِيلًا، فإنَّ أَحْسَنَ حَالِك في الاعْتِذارِ أن تَبْلُغَ مَنْزِلَةَ السَّلامَةِ مِن الذُّنُوب. [ق: ٧٦]

٤٥٦ ـ إِيَّاكَ أن تُوجِفَ(٤) بِكَ مَطَايا الطَّمَع. [ق: ٧٥]

٤٥٧ ـ إِيَّاكَ أَنْ يَطْمَعَ بِكَ اللَّجَاجُ(٥). [ق: ٧٦]

٤٥٨ ـ إِيَّاكَ والاتِّكالَ عَلَى المُنَى؛ فإنَّها بَضَائِعُ النَّوْكَى(٦)، وتُثَبِّطُ(٧) عَن الآخِرَةِ والدُّنْيَا. [ق: ٧٧]

٤٥٩ ـ إِيَّاكَ والشَّهَواتِ، ولْيَكُنْ مِمَّا تَسْتَعِينُ بهِ عَلَى كَفِّها: عِلْمُك بأَنَّها مُلْهِيَةٌ

---

(١) أي لا يقبل منه قول الصدق أبداً، وإن صدق أحياناً.

(٢) رب الصنيعة: تربيتها وتنميتها.

(٣) لأن الشعور بالقدرة على العقوبة، يذهب الحقد ويدعو إلى التسامح: والقادر على العقوبة لا يتهم في تسامحه بالضعف.

(٤) أوجف به: أسرع.

(٥) اللجاج، كسحاب: التمادي في الخصومة.

(٦) النوكى: أهل الحماقة.

(٧) تثبط: تشغل وتعوق.

لِعَقْلِك، مُهَجِّنَةٌ[١] لِرَأيك، شَائِنةٌ لِعِرْضِك، شَاغِلَةٌ لَكَ عَن مَعاظِمِ أُمُورِك، مُشْتَدَّةٌ بها التَّبِعةُ عَلَيْك في آخِرَتِك. إنَّما الشَّهوَاتُ لَعِبٌ؛ فإذا حضَرَ اللَّعِبُ غابَ الجِدّ، ولَنْ يُقامَ الدِّينُ وتُصْلَحَ الدُّنْيا إلّا بالجِدّ؛ فإذا نازَعَتْك[٢] نَفْسُك إلى اللَّهْو واللَّذّات، فاعْلَم أنَّها قَد نَزَعَت[٣] بك إلى شَرِّ مَنْزَع، وأرادَتْ بِك أَفْضَحَ الفُضُوح؛ فغَالِبْها مُغَالبَةَ ذلِك[٤]، وامتَنِعْ مِنها امْتِناعَ ذلِك[٥]؛ وَلْيَكُنْ مَرْجِعُكَ مِنها إلى الحَقّ؛ فإنَّك مَهْما تَتْرُكْ مِن الحَقّ لا تَتْرُكْه إلّا إلى البَاطِل، ومَهْما تَدَعْ مِن الصَّوابِ لا تَدَعْه إلّا إلى الخَطإ، فَلا تُدَاهِنَنَّ[٦] هوَاكَ في اليَسِير، فَيطْمَعَ مِنك في الكَثِير.

ولَيْسَ شَيءٌ مِمَّا أُوتِيتَ فاضِلاً عَمَّا يُصْلِحُك؛ ولَيْسَ لِعُمْرِك ـ وإنْ طَالَ ـ فَضْلٌ عَمَّا يَنُوبُك مِن الحَقِّ اللَّازِمِ لَك، ولا بمالِك ـ وإن كَثُرَ ـ فَضْلٌ عَمَّا يَجِبُ عَليكَ فيهِ، ولا بِقُوَّتِك ـ وإن تَمَّتْ ـ فَضْلٌ عَن أَداءِ حقِّ اللهِ عَلَيْك، ولا بِرَأْيِك ـ وإن حَزُم ـ فَضْلٌ عَمَّا لا تُعذَرُ بالخَطإ فيهِ؛ فَلْيَمْنَعْكَ عِلْمُك بذَلِك مِن أَنْ تُطِيلَ لَك عُمراً[٧] في غَيْرِ نَفعٍ، أَو تُضَيِّعَ لَكَ مَالاً في غَيرِ حقٍّ، أَو أَن تَصْرِفَ لَك قُوَّةً في غَيرِ عِبادَةٍ، أَو تُعَدِّلَ لَك رَأْياً في غَيرِ رَشَدٍ.

فالحِفْظَ الحِفْظَ لِمَا أُوتِيتَ، فإنَّ بِكَ ـ إلى صَغِيرِ مَا أُوتِيتَ الكَثِيرَ مِنهُ ـ أَشَدَّ الحَاجَةِ. وعَلَيْك ـ بما أَضَعْتَهُ مِنهُ ـ أَشَدَّ الرَّزِيَّة؛ ولا سِيَّما العُمْرُ الَّذِي كلُّ مَنْفَذٍ سِوَاه مُسْتَخْلَف[٨]، وكلُّ ذَاهِبٍ بَعْدَه مُرْتَجَع.

فإنْ كُنْتَ شَاغِلًا نَفْسَك بِلَذَّةٍ؛ فَلتَكُنْ لَذَّتُك في مُحَادَثَةِ العُلَمَاءِ ودَرْسِ

---

(١) التهجين: التقبيح.

(٢) د: وإن.

(٣) نزع به: مال.

(٤) أي كمغالبة ذلك اللهو لك.

(٥) أي كامتناع ذلك الجد عليك.

(٦) المداهنة: الغش والنفاق.

(٧) أي لا تسوف ظاناً أن عمرك سيطول حتى تعمل فيه مستقبلاً ما ينفع.

(٨) يمكن تعويضه بغيره.

كُتُبِهِم، فإنَّهُ ليسَ سُرُورُك بالشَّهَواتِ بالِغاً مِنك مَبلَغاً إلَّا وإكبابُك عَلى ذَلِك، ونَظَرُك فيهِ بالِغهُ[1] مِنك، غيرَ أنَّ ذَلِك يَجْمَعُ إلى عاجِلِ السُّرورِ تَمامَ السَّعادَةِ، وخِلافُ ذَلِك يَجْمَعُ إلى عاجِلِ الْغَيِّ وَخامةَ العاقِبَةِ؛ وقَديماً قِيلَ: أَسْعَدُ النَّاسِ أَدرَكُهُم لِهَواهُ، إذا كانَ هَوَاهُ في رَشَدِهِ. فإذا كانَ هَوَاهُ في غَيرِ رَشَدِهِ، فَقَدْ شَقِيَ بما أَدرَكَ مِنهُ، وقَديماً قِيلَ: عَوِّدْ نَفْسَك الجَمِيلَ؛ فَباعْتِيادِك إيَّاهُ يَعُودُ لَذِيذاً. [ح ٢٠: ٢٦٥]

٤٦٠ ـ إيَّاكَ وصَاحِبَ السُّوءِ؛ فإنَّهُ كالسَّيفِ المَسْلُول: يَرُوقُ مَنْظَرُه، ويَقْبُح أَثَرُه. [ح ٢٠: ٢٧٣]

٤٦١ ـ إيَّاكَ وصَدْرَ المَجْلِسِ؛ فإنَّهُ مَجْلِسُ قُلْعَة[2]. [ح ٢٠: ٢٨٥]

٤٦٢ ـ إيَّاكَ وقَبُولَ تُحَفِ الْخُصُومِ[3]. [ق: ٧٧]

٤٦٣ ـ إيَّاك وكَثْرَةَ الإِخْوَان؛ فإنَّهُ لا يُؤْذِيكَ إلَّا مَنْ يَعْرِفُك. [ح ٢٠: ٣٠٩].

٤٦٤ ـ إيَّاكَ وكَثْرَةَ الاعْتِذَارِ؛ فإنَّ الكَذِبَ كَثيراً مَا يُخَالِطُ المَعَاذِير. [ح ٢٠: ٢٨٥]

٤٦٥ ـ إيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاء؛ فإنَّ رَأْيَهُنَّ إلى أَفْنٍ[4]، وَعَزْمَهُنَّ إلى وَهْنٍ[5]، واكْفُفْ مِن أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابك إيَّاهُنَّ؛ فإنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ خَيْرٌ لَك مِن الارْتِيَاب، وإيَّاكَ والتَّغايُرَ في غَيْرِ مَوْضِعِ الغَيْرَة، فإنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ مِنهُنَّ إلَى السُّقْم. [ح ٢٠: ٣٣٠]

٤٦٦ ـ إيَّاك ومُصَادَقَةَ البَخِيلِ؛ فإنَّهُ يَقْعُدُ بِك.. عِنْدَ أَحْوَجِ مَا تَكُونُ إلَيْهِ. [ق: ٧٧]

٤٦٧ ـ إيَّاك ومُصَادَقَةَ التَّاجِرِ؛ فإنَّهُ يَبِيعُكَ في نَفَاقِهِ[6]. [ق: ٧٦]

---

(١) الضمير يعود على السرور.

(٢) مجلس قلعة: يحتاج صاحبه إلى أن يقوم مرة بعد مرة. أو أن ينقل من مكان إلى آخر وقد قيل: اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر؛ لا حيث يؤخذ برجلك وتجرّ.

(٣) لأن قبول هدايا الخصوم يفسد عملك ويشوه سمعتك ويضعك مواضع الريبة والتهم.

(٤) الأفن كالأمن وتحرك الفاء: ضعف الرأي والعقل.

(٥) الوهن كالأمن وتحرك الهاء: الضعف في العمل.
والمراد بالنساء هنا: عامة النساء لا المتعلمات الراشدات.

(٦) نفاق التاجر: رواج تجارته، لأن المال عنده كل شيء.

٤٦٨ ـ إِيَّاك ومُصَادَقَةَ الكَذَّابِ؛ فإِنَّهُ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البَعِيدَ، ويُبَعِّدُ عَلَيْكَ القَرِيبَ. [ق: ٧٧]

٤٦٩ ـ إِيَّاكَ ومُقَارَبَةَ مَنْ رهِبْتَه[١] عَلَى دِينِك وعِرْضِك. [ق: ٧٧]

٤٧٠ ـ إِيَّاك والمَلَالَةَ، فإنها مِن السُّخْفِ[٢] والنَّذَالَةِ. [ق: ٧٧]

٤٧١ ـ إِيَّاكَ ومَواقِفَ الاعْتِذارِ؛ فرُبَّ عُذْرٍ أَثْبَتَ الْحُجَّةَ عَلَى صاحِبِهِ وإِنْ كانَ بَرِيئاً. [ح ٢٠: ٢٧٧]

٤٧٢ ـ إِيَّاكَ والوُقُوفَ عَمَّا عَرَفْتَه[٣]؛ فإِنَّ كُلَّ ناظِرٍ مَسْؤُولٌ عَنْ عَمَلِهِ وقَوْلِهِ وإِرادَتِهِ. [ق: ٧٦]

٤٧٣ ـ إِيَّاكُم وحَمِيَّةَ الأَوْغادِ[٤]؛ فإِنَّهُم يَرَوْنَ العَفْوَ ضَيْماً[٥]. [ح ٢٠: ٣٢٠]

٤٧٤ ـ إِيَّاكُم والفُحْشَ؛ فإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ، وإِيَّاكُم والشُّحَّ فإِنَّهُ أَهْلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم؛ هُو الَّذِي سَفَكَ دِمَاءَ الرِّجالِ، وهُو الَّذِي قَطَّعَ أَرْحامَها.. فاجْتَنِبُوه. [ح ٢٠: ٢٥٨]

٤٧٥ ـ إِيَّاكُم والكَسَلَ؛ فإِنَّهُ مَنْ كَسِلَ لَم يُؤَدِّ للَّهِ حَقًّا. [ح ٢٠: ٢٦٣]

٤٧٦ ـ إِيَّاكُمْ وكُفْرَ النِّعَمِ؛ فَتَحُلَّ بِكُمُ النِّقَمُ[٦]. [ق: ٧٧]

٤٧٧ ـ الإِيمانُ: أَنْ تؤثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّك، عَلَى الكَذِب حيْثُ يَنفَعُك، وأَلَّا يَكُونَ في حَدِيثِك فَضلٌ عَنْ عَمَلِك[٧]، وأَنْ تتَّقِيَ اللَّهَ في حدِيثِ غَيْرِك[٨]. [ر ٢: ٢٥٧]

٤٧٨ ـ وسئل عن الإيمان، فقال:

---

(١) رهبته: خفته.

(٢) السخف: رقة العقل وضعفه.

(٣) أي: لا تترك العمل بما علمته.

(٤) الحمية: الأنفة. والأوغاد: جمع وغد، وهو الرجل الدنيء والأحمق الضعيف.

(٥) الضيم: الظلم.

(٦) جمع نقمة ـ بكسر النون ـ: غضب الله وعقابه.

(٧) أي ألا تقول أكثر مما تفعل، وحديث الغير: الرواية عنه.

(٨) التقوى فيه: عدم الافتراء، وحديث الغير التكلم في صفاته ـ وقد نهي عن الغيبة.

الإيمانُ عَلَى أَرْبَعِ دعائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، واليَقِينِ، والعَدْلِ، والجِهاد. .

والصَّبْرُ مِنها عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، والشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، والتَّرَقُّب. فَمَنِ اشْتاقَ إلى الجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَواتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ المُحَرَّماتِ، وَمَن زَهِدَ في الدُّنْيا اسْتَهانَ بالمُصِيباتِ، ومَن ارْتَقَبَ المَوْتَ سَارَعَ إلى الخَيْراتِ.

وَاليَقِينُ مِنها عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِرَةِ الفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الحِكْمَةِ[١] وَمَوْعِظَةِ العِبْرَةِ، وسُنَّةِ الأَوَّلِين. . فَمنْ تَبَصَّرَ في الفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ له الحِكمَةَ عَرفَ العِبْرَة، وَمَنْ عَرفَ العِبْرةَ فَكأَنَّما كانَ فِي الأَوَّلِين.

وَالعَدْلُ مِنها عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غائِصِ الفَهْمِ، وَغَوْرِ العِلْمِ، وزُهْرَةِ الحُكْمِ[٢]، وَرَساخَةِ الحِلْمِ، فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ العِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ العِلْمِ، صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الحُكْمِ[٣]، وَمَنْ حَلُمَ لَم يُفَرِّطْ في أَمْرِه، وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

والجِهادُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَبٍ: عَلَى الأَمْرِ بالمَعْرُوف، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَر، والصِّدْقِ في المَواطِنِ[٤]، وشَنآنِ[٥] الفاسِقِين. . فَمَنْ أَمَرَ بالمَعْرُوف شَدَّ ظُهُورَ المُؤْمِنين، وَمَنْ نَهَى عَنِ المُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الكافِرِين، وَمَنْ صَدَقَ في المَواطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِئَ الفاسِقِين، وغَضِبَ لِلَّهِ. غَضِبَ اللَّهُ لَهُ، وأَرْضَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. [ر: ١٥٤]

٤٧٩ ـ وسئل عن الإيمان، فقال:

الإيمانُ: مَعْرِفَةٌ بالقَلْبِ، وإِقْرارٌ باللِّسَانِ، وعَمَلٌ بالأَرْكَانِ. [ر ٢: ٢٠٠]

---

(١) تأوّل الحكمة: الوصول إلى دقائقها، والعبرة: الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأولين وما رزئوا به عند الغفلة، وما حظوا به عند الانتباه.

(٢) غور العلم: سره وباطنه، وزهرة الحكم بضم الزاي: أي حسنه.

(٣) الشرائع جمع شريعة، وهي مورد الشاربة، والمراد هنا الظاهر المستقيم من المذاهب، وصدر عنها: أي رجع عنها بعدما اغترف، ليفيض على الناس مما اغترف، فيحسن حكمه.

(٤) المواطن: مواضع القتال في سبيل الحق.

(٥) الشنآن ـ بالتحريك ـ: البغض.

٤٨٠ ـ قال رضي اللّه عنه. . . وقد سمع رجلاً يذم الدنيا:

أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا: أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا[١]، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟. . مَتَى اسْتَهْوَتْكَ[٢]، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟. . أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى[٣]، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟. . كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ[٤]. . وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ. . تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ[٥]، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ. . لم يَنْفَعْ أَحَدَهم إِشْفَاقُكَ[٦]، وَلم تُسْعَفْ بِطَلِبَتِك. . . وَلم تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِك، قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ[٧]، وَبمصْرَعِهِ مصْرَعك، إِنَّ الدُّنْيا دَارُ صِدْقٍ لمنْ صَدَّقَها، ودَارُ عافِيَةٍ لمنْ فَهِمَ عَنها، ودَارُ غِنًى لمن تَزَوَّدَ منها[٨]، ودَارُ مَوْعِظَةٍ لمن اتَّعظَ بها؛ مَسْجدُ أَحِبَّاءِ اللّه، ومُصَلَّى مَلائِكَةِ اللّه، ومَهْبِطُ وحْيِ اللّه، ومَتْجَرُ أَوْلِياءِ اللّه. اكْتَسَبُوا فيها الرَّحْمَةَ، ورَبِحُوا فيها الجنَّةَ، فمن ذَا يَذُمُّها وقد آذَنَتْ بِبَيْنِها[٩]، ونادَتْ بِفِراقِها، ونَعَتْ نَفْسَها وأَهْلَها! فمثَّلَتْ لهمْ بِبلائِها البَلاءَ، وشَوَّقَتْهُم بسُرُورِها إلى السُّرُورِ. رَاحَتْ بِعافِيَةٍ، وابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ[١٠]: تَرْغِيباً وتَرْهِيباً، وتخْوِيفاً وتحْذِيراً، فَذَمَّها رِجالٌ غَدَاةَ

---

(١) تجرم: ادعى عليه الجرم ـ بالضم ـ أي الذنب.

(٢) استهواه: ذهب بعقله وأذله فحيره.

(٣) البلى بكسر الباء: الفناء بالتحلل، والمصرع: مكان الانصراع أي السقوط أي أماكن سقوط آبائك من الفناء، والثرى: التراب.

(٤) علل المريض: خدمه في علته، كمرضه: خدمه في مرضه.

(٥) الضمير في «لهم» يعود على الكثير المفهوم من كم، واستوصف الطبيب: طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء.

(٦) إشفاقك: خوفك، الطلبة بفتح الطاء وكسر اللام: المطلوب، وأسعفه بمطلوبه: أعطاه إياه على ضرورة إليه. .

(٧) أي أن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالاً لنفسك تقيسها عليه.

(٨) أي أخذ منها زاده للآخرة.

(٩) آذنت بمد الهمزة: أي أعلمت أهلها ببينها، أي ببعدها وزوالها عنهم. ونعاه: إذا أخبر بفقده، والدنيا أخبرت بفنائها وفناء أهلها بما أظهرت من أحوالها.

(١٠) راح إليه: وافاه وقت العشي. أي أنها تمسي بعافية، وتبتكر: أي تصبح، بفجيعة: أي بمصيبة فاجعة.

النَّدَامة[١]، وحمِدَها آخَرُونَ يَوْمَ القِيامة، ذَكَّرتهم الدُّنيا فَتَذَكَّرُوا، وحَدَّثَتْهم فَصدَّقُوا، ووعَظَتْهم فاتَّعَظُوا. [ر ١٨٠: ١٧١]

٤٨١ ـ أَيُّها المُسْتَكْثِرُ مِن الذُّنُوبِ: إِنَّ أَبَاكَ أُخْرِجَ مِن الجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ. [ح ٢٠: ٣١٥]

٤٨٢ ـ وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ـ وكان ممن خرجوا لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ـ أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد: إني سمعت عليًا رضي الله عنه يقول يوم لقينا أهل الشام:

أَيُّها المُؤْمِنُون، إِنَّهُ مَن رأَى عُدْواناً يُعْمَلُ بهِ، ومُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ فأَنْكَرَهُ، فَقَد سَلِمَ وَبَرِئَ[٢]، وَمَن أَنْكَرَه بِلِسَانِه فَقَد أُجِرَ، وهُو أَفْضَلُ مِن صاحِبِهِ، ومَنْ أَنْكَرَ بالسَّيفِ؛ لِتكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيا، وكلِمَةُ الظَّالِمين هِي السُّفْلَى، فذَلِك الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيق، ونوَّرَ في قَلبهِ اليَقِينُ. [ر ٢: ٢٣٩، ٢٤٠]

٤٨٣ ـ أَيُّها النَّاسُ؛ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِن قُلْتُمْ سَمِع، وإِن أَضْمَرْتُم عَلِم. وبَادِرُوا المَوْتَ الَّذِي إِن هَرَبْتُمْ أَدرَكَكُمْ، وإِن أَقَمْتُمْ أَخذَكُمْ، وإِن نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ. [ر ٢: ١٩٦]

٤٨٤ ـ وروي أنه رضي الله عنه قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام الخطبة:

أَيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَما خُلِقَ امْرُؤٌ عَبثاً فَيلهُوَ، ولا تُرِكَ سُدًى فَيلغُوَ[٣]، ومَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِن الآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحها سُوءُ النَّظَرِ عِندهُ، وَما المَغرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِن الدُّنْيا بأَعْلَى هِمَّتِه، كالآخَر الَّذِي ظَفِرَ مِن الآخِرَةِ بأَدْنَى سُهْمَتِه[٤]. [ر ٢: ٢٣٨]

---

(١) أي ذموها عندما أصبحوا نادمين على ما فرطوا فيها، أما الذين حمدوها فهم الذين عملوا، فجنوا ثمرة أعمالهم. ذكرتهم بحوادثها فانتبهوا لما يجب عليهم، وكأنها بحوادثها تحدثهم بما فيه العبرة وتحكي لهم ما به الغصة.

(٢) برئ من الإثم، وسلم من العقاب. لأنه أنكره بقلبه وهو أضعف الإيمان.

(٣) لها: تلهى بلذته، ولغا: أتى باللغو وهو ما لا فائدة فيه.

(٤) السهمة بالضم: النصيب، وأدنى حظ من الآخرة أفضل من أعلاه في الدنيا، والفرق بين الباقي والفاني ـ وإن كان الأول قليلًا والثاني كثيراً ـ لا يخفى.

٤٨٥ ـ أَيُّها النَّاسُ: إِنَّ أَوَّلَ وُقُوعِ الفِتَنِ أَهْواءٌ تُتَّبَع، وأَحكامٌ تُبْتَدعُ، يُخالَفُ فِيها حُكمُ اللَّهِ، ويُعظِّم عَليها رِجالٌ رِجالاً. ولو أنَّ الحَقَّ أُخْلِصَ[1] فَعُمِلَ بهِ لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي حِجاً[2]، ولكِنَّه يُؤْخذُ ضِغثٌ[3] مِن هٰذا، وضِغثٌ مِن هٰذا، فَيُخْلَطُ فَيُعْمَلُ بهِ؛ فعِندَ ذٰلِكَ يَسْتَولي الشَّيطانُ عَلَى أَوْلِيَائه[4]، ويَنجُو الَّذِين ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[5] [الأنبياء: ١٠١]. [ق: ١٣٢، ١٣٣]

٤٨٦ ـ أَيُّها النَّاسُ: لِيَرَكُمُ اللَّهُ مِن النِّعْمَةِ وَجِلين، كما يَراكُم مِن النِّقْمَة فَرِقِين[6]. إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ في ذَاتِ يَدِهِ فَلَم يَرَ ذٰلِكَ اسْتِدْرَاجاً، فَقَد أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ في ذَاتِ يَدِهِ فَلَم يَرَ ذٰلِكَ اخْتِباراً، فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً. [ر ٢: ٢٢٤]

---

(١) أخلص مبني للمجهول: ميز وأفرد عن غيره.

(٢) الحجا: العقل.

(٣) الضغث كضرس: القبضة من الحشيش اختلط فيها الرطب باليابس، والمراد بذلك: البدع والشبهات المخالفة للدين.

(٤) أولياء الشيطان: أصدقاؤه وشيعته.

(٥) ما بين قوسين جزء من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ...﴾ [الأنبياء: ١٠١] والحسنى كفضلى: ضد السوأى، والعاقبة الحسنة، والظفر، والنظر إلى وجه الله تعالى.

(٦) وجلين: خائفين، وفرقين: فزعين. . كونوا بحيث يراكم الله خائفين من مكره عند النعمة، كما يراكم فرقين من بلائه عند النقمة؛ فإن صاحب النعمة إذا لم يظن نعمته استدراجاً من الله فقد أمن مكر الله، ومتى كان في ضيق فلم يحسب ذلك امتحاناً من الله، فقد أيس من رحمة الله وضيع أجراً مأمولاً.

حرف الباء

٤٨٧ ـ سأله رجل فقال: بماذا أسوء عدوي؟ فقال:

بأَنْ تَكُونَ عَلَى غايةِ الفَضائِلِ؛ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ يَسُوؤه أَن يكُونَ لَك فَرسٌ فارِهٌ[1]، أَو كلْبٌ صَيُودٌ، فَهُو لِأَنْ تُذْكَرَ بالجَمِيلِ ويُنْسَبَ إِلَيْك.. أَشَدُّ مَساءَةً. [ح ٢٠: ٢٥٨]

٤٨٨ ـ بَادِرِ الفُرْصَةَ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. [ق: ٦٧]

٤٨٩ ـ بِئْسَ الطَّعَامُ الحَرَامُ. [ق: ٢١]

٤٩٠ ـ بِئسَ القِلادَةُ للخَيِّرِ العفِيف، قِلادَةُ الدَّيْن[2]. [ق: ٢١]

٤٩١ ـ بالبِرّ يُسْتَعْبَدُ الحُرُّ. [ز: ٢٨]

٤٩٢ ـ البِرُّ ما سَكَنَتْ إِليهِ نَفْسُك، واطْمأَنَّ إِليهِ قَلْبُكَ؛ والإثْمُ ما جالَ في نَفسِك، وتَرَدَّدَ في صَدْرِك. [ح ٢٠: ٢٩٩]

٤٩٣ ـ بِرُّ الوالدَيْنِ مِنْ أَكْرَمِ الطَّبائع. [ق: ٢٠]

٤٩٤ ـ بِحَسَبِ مُجَاهَدةِ النُّفوسِ وَردِّها عَن شَهَواتِها وَمَنْعِها عَنْ مُصَافَحَة لذَّاتِها، وَمَنْعِ ما أَدَّت إِلَيْهِ العُيُونُ الطَّامِحَة مِنْ لحظَاتِها ـ تَكُونُ المثُوباتُ وَالعقُوبات. وَالحازِمُ مَن مَلك هَواهُ؛ فَكَانَ بمُلْكِهِ لَهُ قَاهِراً؛ ولِما قَدَحَتِ الأَفْكَارُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ زَاجِراً؛ فَمَتى لم تَرُدَّ النَّفسُ عَن ذَلك هجمَ عليها الفِكْرُ بمطالبةِ ما شُغِفَتْ[3] بِهِ، فَعِندَ ذَلِكَ تَأْنَسُ بالآراءِ الفَاسِدة، والأَطْماعِ

---

(١) الفاره بين الناس: المليح الحسن، ومن الدواب: الجيد السير. وقال الجوهري: يقال للبرذون والبغل والحمار: فاره، ولا يقال للفرس: فاره، ولكن رائع وجواد.

(٢) الخير ـ بتشديد الياء المكسورة ـ الكثير الخير. والعفيف: البعيد عن الحرام. والمعنى: إن الدين يزري بأهل الخير والتقى أكثر من غيرهم؛ لأنفتهم وعزة نفوسهم وكثرة حيائهم مما يستحيا منه!!

(٣) شغفت: رغبت وأغرمت.

الكَاذِبة، والأَمانِيّ المتَلَاشِية. وكما أَنَّ البَصَرَ إِذَا اعْتَلَّ[(١)] رَأى أَشْبَاحاً وَخَيالاتٍ لا حقِيقَةَ لهَا؛ كذَلِكَ النَّفسُ إِذَا اعْتَلَّت بحُبِّ الشَّهَوَات، وانطَوت عَلَى قَبِيح الإرَادَات، رَأَت الآرَاءَ الكَاذِبَةَ. فَإِلى اللَّه سُبحانَه نَرْغبُ في إِصْلَاح ما فَسَد مِنْ قُلوبِنا، وَبِهِ نَسْتَعِينُ عَلَى إِرْشَادِ نُفوسِنا؛ فَإِنَّ القُلوبَ بِيَدِهِ، يُصَرِّفُها كَيْفَ شَاءَ. [ح ٢٠: ٢٦٤]

٤٩٥ ـ البُخَلاءُ مِنَ النَّاسِ، يَكُونُ تَغَافُلُهم عَنْ عَظِيم الجُرْمِ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ المكَافَأَةِ عَلَى يَسِيرِ الإِحْسَانِ. [ح ٢٠: ٢٧٥]

٤٩٦ ـ البُخْلُ جَامِعٌ لمساوِئ العُيُوبِ، وهُو زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلى كلِّ سُوءٍ. [ر ٢: ٢٤١]

٤٩٧ ـ البُخْلُ عَارٌ. [ر ٢: ١٤٩]

٤٩٨ ـ البَخِيلُ مُسْتَعْجِلُ الفَقْرِ: يَعِيشُ في الدُّنيا عَيْشَ الفُقَراءِ، ويُحاسَبُ في الآخِرة حِسابَ الأَغْنِياءِ. [س: ٢٣]

٤٩٩ ـ البَخِيلُ يسْخو منْ عِرْضه بِمِقْدَارِ ما يَبخَلُ بهِ مِنْ مَالِه، والسَّخِيُّ يَبخَلُ مِنْ عِرْضِه بِمِقْدَار ما يَسْخُو بهِ مِنْ ماله. [ح ٢٠: ٢٧٩]

٥٠٠ ـ البَشَاشَةُ مُخُّ[(٢)] المودَّة. وفي رواية: «حِبالة[(٣)] المودَّة». [ق: ١٥]

٥٠١ ـ بَشِّرْ مَالَ البَخِيلِ بحَارِث أو وارِثٍ[(٤)]. [ر: ٢٨]

٥٠٢ ـ البَغْيُ آخِرُ مُدَّةِ المُلُوكِ. [ح ٢٠: ٣٣٤]

٥٠٣ ـ البَغْيُ سَائِقٌ إِلَى الشَّرِّ. [س: ٢٣]

٥٠٤ ـ البَغْيُ سَائِقُ الحَيْنِ[(٥)]. [ز: ٢٩]

٥٠٥ ـ بَقِيَّةُ السَّيفِ أَبْقَى عَدداً، وأَكْثَرُ ولداً[(٦)]. [ر ٢: ١٦٦]

---

(١) اعتل: أصابته العلة.

(٢) المح بوزن مخ: خالص كل شيء.

(٣) الحبالة ـ بكسر الحاء ـ: المصيدة.

(٤) الحارث: الزارع المستفيد. نظر الشاعر إلى هذا المعنى فقال:

اسْمَحْ بمالِكَ في الحقوقِ؛ فإنما ... مالُ البخيلِ لحارثٍ أو وارثِ

لَا ينفَعُ التَّدبِيرُ والحزمُ امرَأً ... حتَّى يُعزِّزَهُ القَضاءُ بثالثِ

(٥) الحين ـ بفتح فسكون ـ: الهلاك والمحنة، وقد حان وأحانه الله.

(٦) بقية السيف: هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا في حفظ شرفهم، ودفع الضيم عنهم، وفضلوا ـ

٥٠٦ ـ بقِيَّةُ عُمْرِ المُؤمِنِ لا ثَمنَ لها[١]، يدرِكُ بِها ما فات، ويُحيي ما أَمَات. [ت: ٣٠]

٥٠٧ ـ البَلاغَة البَصَرُ بالحُجَّة، والمَعرِفةُ بِمَواضِـع الفُرْصَة؛ ومِن البَصَر بالحُجَّة أن تَدَعَ الإفْصَاحَ بِها إلى الكِنايَةِ عَنها، إذا كانَ الإفصاحُ أَوْعَر طَرِيقةً، وكانَتِ الكِنايةُ أَبْلَغَ في الدَّرَكِ[٢]، وأحقَّ بالظَّفر. [ح ٢٠: ٢٦٥]

٥٠٨ ـ بُلُوغُ أَعْلَى المَنازِل بغَيْرِ اسْتِحْقاقٍ مِن أَكْبَرِ أَسْبابِ الهَلَكة[٣]. [ح ٢٠: ٢٨٧]

٥٠٩ ـ وقال وقد مرَّ بقتلى الخوارج يوم النهروان[٤]:

بُؤْساً لكُمْ! لقَد ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ.

فقيل له: مَنْ غرَّهم يا أمير المؤمنين؟.. فقال:

الشَّيطانُ المُضِلّ، والأَنْفُسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ، غَرَّتْهُم بِالأَمانيّ، وفَسَحَتْ لَهُم بالمَعَاصِي، وَوَعدَتْهُم الإظْهار، فاقْتَحَمتْ بِهِمُ النَّار. [ر ٢: ٢٢٧، ٢٢٨]

٥١٠ ـ بِئْسَ الزَّادُ إِلَى المَعَادِ.. العُدْوانُ عَلَى العِبادِ. [ر ٢: ١٩٩]

٥١١ ـ بَيْنَكُم وَبينَ المَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِن الغِرَّةِ[٥]. [ر ٢: ٢١٨]

= الموت على الذل، فيكون الباقون شرفاء نجداء، فعددهم أبقى، وولدهم يكون أكثر، بخلاف الأذلاء، فإن مصيرهم إلى المحو والفناء. وقد دلت التجارب على أن من يكثر فيهم القتل، ينسلون كثيراً تعويضاً لهم، كما حدث في الطالبيين والمهالبة وآل الزبير، وقد أثبت ذلك الطب الحديث.

(١) أي: لا تقدر بثمن.

(٢) الدرك: اللحاق.

(٣) والسر في ذلك: أن هؤلاء يبطرون، ويتصرفون تصرف الحمقى فيقعون في الهلاك!

(٤) النهروان ـ بفتح النون وتثليث الراء وبضمهما ـ ثلاث قرى أعلى وأوسط وأسفل، هن بين واسط وبغداد، وقد نكل الإمام بالخوارج في هذه الأمكنة.

(٥) الغرة بالكسر: الغفلة.

حرف التاء

٥١٢ ـ التَّاجِرُ مُخاطِر[١]. [ق: ١٤]

٥١٣ ـ تَأَمَّلْ مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ؛ فإنَّما تُملي عَلَى كاتِبَيْكَ صَحِيفَةً يُوَصِّلانِها إلى ربِّك؛ فانْظُرْ: عَلَى مَنْ تُملي، وإلى مَنْ تَكْتُبُ[٢]؟. [ح ٢٠: ٣١١]

٥١٤ ـ تَباعَدْ مِن السُّلْطان، وَلا تَأْمَنْ خُدَعَ الشَّيْطان. [ق: ٦٨]

٥١٥ ـ التَّثَبُّتُ حَزْمٌ[٣]. [ق: ١٤]

٥١٦ ـ التَّجَرُّمُ[٤].. وَجْهُ القَطِيعَةِ. [ق: ١٥٤]

٥١٧ ـ التَّجَنِّي[٥].. وافِدُ القَطِيعَةِ. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٥١٨ ـ تَحتَاجُ القَرابَةُ إِلَى مَوَدَّةٍ، وَلا تَحتَاجُ المودَّةُ إِلَى قَرابةٍ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٥١٩ ـ تَحرِيكُ السَّاكِنِ، أَسْهَلُ مِن تَسْكِينِ المُتَحَرِّك[٧]. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٥٢٠ ـ التَّخَلِّي جِلْبابُ المسْكَنَةِ[٨]. [ق: ١٥]

---

(١) مخاطر: أي مشرف بماله على الهلاك؛ لأن بضاعته قد تتلف أو ترخص أو تكسد.

(٢) كل ما ينطق به الإنسان يقيد عليه حتى الأنين في المرض كما نقل، وفي القرآن الكريم: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(٣) التثبت: التأني. وهو طريق النجاح والفلاح، وعصمة من الندامة، وأمان من الضرر والخسران.

(٤) التجرم: أن يدعي الإنسان على غيره ما لم يفعله.

(٥) التجني: أن يدعي الإنسان على غيره ما لم يفعله كالتجرم. وهذه الحكمة في معنى سابقتها.

(٦) هذه كلمة حق تؤيدها التجربة والمشاهدة، ولأمر ما قالوا: رب صديق خير من شقيق. ورب أخ لك لم تلده أمك!!

(٧) المراد: أن يتثبت الإنسان فيما يفعله حتى لا يقع في شر يصعب عليه تلافيه، والخروج منه.

(٨) التخلي: ترك الأمر. وجلباب المسكنة: لباس الذل. والمعنى: أن القعود عن معاناة المشاق، وعدم الإسهام في بناء المعالي، والقناعة بأقل الأشياء: سلبية بغيضة، وذلة نفس، وانحطاط همة! وقديماً قيل: بعد الهمة من الإيمان.

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ المتاعِ

٥٢١ ـ تَخَيَّرْ لِنَفْسِكَ مِن كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ، فإنَّ الخَيْرَ عادَةٌ. [ق: ٦٨]

٥٢٢ ـ تَخَيَّرْ لِوِرْدِكَ[١]. [ق: ٦٩]

٥٢٣ ـ التَّدْبيرُ قَبْلَ العَملِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ. [ق: ٢٠]

٥٢٤ ـ تَذَكَّرْ قَبْلَ الوِرْدِ الصَّدَرَ، والحَذرُ لا يُغْنِي مِنَ القَدَرِ، والصَّبْرُ مِن أَسْبَابِ الظَّفرِ. [ح ٢٠: ٣٤١]

٥٢٥ ـ تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّى يكونَ الحتْفُ في التَّدْبيرِ[٢]. [ر ٢: ٢٥١]

٥٢٦ ـ التَّذلُّل مَسْكَنَةٌ[٣]. [ق: ١٥]

٥٢٧ ـ تُرْضَى الكِرامُ بالكلامِ، وتُصَادُ اللِّئَامُ بالمال، وتُسْتَصْلَح السِّفْلَةُ بالهَوَان. [ح ٢٠: ٢٨٨]

٥٢٨ ـ تَرْكُ الذَّنْبِ. . أهْونُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبة[٤]. [ر ٢: ١٢١]

٥٢٩ ـ تُعْرَف خَساسَةُ المَرْءِ بِكَثْرَة كلامِهِ فِيما لا يَعْنِيه، وإِخْبَارِهِ عَمَّا لا يُسْأَلُ عَنْهُ. [ح ٢٠: ٣٢٢]

٥٣٠ ـ التَّعْزِيةُ بَعدَ ثَلاثٍ تَجْدِيدٌ لِلْمُصيبَة، والتَّهنِئَةُ بَعد ثَلاثٍ اسْتِخْفَافٌ بالْمَوَدَّة. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٥٣١ ـ تَعَطَّرُوا بالاسْتِغْفَارِ لا تَفْضَحْكُمْ رَائحةُ الذُّنُوب[٥]. [ح ٢٠: ٢٨١]

٥٣٢ ـ تَعَفَّفْ عَن أَمْوَالِ النَّاسِ، واسْتَشْعِرْ مِنْهَا اليأْسَ. [ق: ٦٩]

---

(١) أي قبل أن تشرع في الأمور، فكر في أيها أفضل.

(٢) الحتف بفتح فسكون: الهلاك، وتذل: تخضع.

أي أنَّ ما قُدِّر يكون، حتى ليُؤتى الحَذرُ من مأمَنِه، وتكونُ منيّة المتمني في أُمنيته:

وقد يهلكُ الإنسانُ من بابِ أمنِه ... وينجو بإذن الله من حيثُ قدَّرا

* * *

إذا كان غيرُ الله للمرءِ واقياً ... أتتْهُ الرزايا من وُجوه الفوائد

(٣) المسكنة: الخضوع والذل؛ والمعنى: أن التذلل والذل سواء، لأن التذلل يسوق إلى الذل.

(٤) لأن المذنب قد يطلب التوبة فلا تواتيه فيموت عاصياً، وما أحسن قول الشاعر:

تَوَقِّي الداءِ خيرٌ من تَصدٍّ ... لأيسرِه، وإن قَرُبَ الطبيبُ

وقد قيل لبعض الصالحين: أترضى أن تقدم على ذنب توقن معه أن الله يغفره لك؟ فقال: لا أرضى بالسلامة شيئاً!

(٥) هذا كلام عليه طلاوة وله حلاوة، وهو في الذروة من البلاغة!!

٥٣٣ ـ تَعلَّمُوا العِلْمَ تُعْرَفُوا بهِ، واعْمَلُوا بهِ تكُونُوا مِن أَهْلِه؛ فإنَّهُ يَأْتِي مِن بَعْدِكُم زَمانٌ ينكِرُ فِيهِ الحَقَّ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِم؛ لا يَنْجُو فِيهِ إلّا كلُّ نُومَةٍ[1]. أُولئِكَ أَئِمَّةُ الهُدَى، ومَصابِيحُ العِلْم؛ لَيْسُوا بالعُجُلِ المَذَايِيع البُذُرِ[2]. [ع ٢: ٣٥٢]

٥٣٤ ـ تَعلَّمُوا العِلْمَ صِغاراً؛ تَسُودُوا بهِ كِباراً. تَعلَّمُوا العِلْمَ وَلَوْ لِغَيْرِ اللّهِ؛ فإنَّهُ سَيَصِيرُ للّهِ[3]. العِلْمُ ذَكَرٌ لا يُحِبُّه إلّا ذَكَرٌ مِن الرِّجَال[4]. [ح ٢٠: ٢٦٧]

٥٣٥ ـ تَعَلَّمُوا العِلْمَ؛ فإنَّهُ زَيْنٌ لِلغَنِيِّ، وعَوْنٌ لِلفَقِيرِ، وَلَسْتُ أَقُولُ: إنَّهُ يَطْلُب بهِ، ولكِن يَدْعُوه إلى القَناعَة[5]. [ح ٢٠: ٣١٠]

٥٣٦ ـ تَعلَّمُوا العِلْمَ، وَإِنْ لَمْ تَنالُوا بهِ حَظًّا؛ فَلأَنْ يُذَمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ.. أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُذَمَّ بِكُم[6]. [ح ٢٠: ٣١٠]

٥٣٧ ـ وقال في صفة الدنيا:

تَغُرُّ.. وتَضُرُّ.. وتَمُرُّ.. إنَّ اللّه تعالى لَم يَرْضَها ثَواباً لِأَوْلِيَائِه، ولا عِقَاباً لأَعْدَائِه. وإنَّ الدُّنيا كَركْبٍ: بَيْنَا هُمْ حَلُّوا، إذْ صَاحَ بِهِم سَائِقُهم.. فارْتَحَلُوا[7]. [ر ٢: ٢٤٧]

٥٣٨ ـ ورُوي أنه رضي اللّه عنه لمّا وردَ الكوفةَ قادماً من صِفّين مر بالشّباميين[8]، فسمع بكاء النساء على قتْلَى صِفّين، وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشِّبامي وكان من وجوه قومه.. فقال له:

---

(١) النومة ـ بضم ففتح ـ: الخامل الذكر.

(٢) العجل ـ بضم العين والجيم ـ: جمع عجول. المذاييع: جمع مذياع؛ وهو الذي لا يكتم السر. والبذر ـ بضم الباء والذال ـ: جمع بذور ـ كغيور ـ؛ وهو الذي يبذر السر؛ أي يفشيه.

(٣) ذلك لأن في العلم نوراً ويمناً وبركة، ستفضي بصاحبها إلى أن يجعله خالصاً لوجه الله؛ إن عاجلاً أو آجلاً.! والأعمال بخواتيمها.

(٤) المراد: أنه لا يقوم بحقه ولا يصبر على تحصيله، إلا الرجل الصلب الإرادة، القوي العزم، الصبور على الشدائد.

(٥) يريد الإمام: أن لا يستخذي بعلمه، ولا يذل، ولا يستجدي.

أأشقى به غرساً، وأجنيه ذِلَّةً؟ إذاً فاتّباعُ الجهل قد كان أحزما

(٦) يعني: أن العالم غير المحظوظ لا ينسب إليه تقصير، ولكن ينسب التقصير إلى الزمان.

(٧) أي بينما هم قد حلوا.. يفاجئهم صائح الأجل. وهو سائقهم ـ بالرحيل.. فارتحلوا.

(٨) شبام ككتاب: اسم حي.

تَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكم عَلَى ما أَسْمَعُ[1]. أَلا تَنْهَوْنَهُنَّ عن هٰذَا الرَّنِينِ!

وأقبل يمشي معه رضي الله عنه وهو راكب... فقال رضي الله عنه له:

اِرْجِعْ؛ فإنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي، ومَذَلَّةٌ لِلمؤْمِنِ[2]. [ر ٢: ٢٢٧]

٥٣٩ ـ تَفَقَّهْ في الدِّين، وعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبرَ عَلَى المَكرُوه. [ق: ٦٩]

٥٤٠ ـ التُّقى رَئِيسُ الأَخْلاقِ. [ر ٢: ٢٤٧]

٥٤١ ـ التَّكبُّرُ عَلَى المتكَبِّرين.. هُو التَّواضعُ بِعَيْنِهِ. [ح ٢٠: ٢٩٨]

٥٤٢ ـ تكلَّمُوا تُعْرَفُوا؛ فإنَّ المَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحتَ لِسَانِه. [ر ٢: ٢٤٤]

٥٤٣ ـ تَلَافِيكَ ما فَرَّطتَ مِنْ صَمْتِكَ، أَيْسَرُ مِن إدْرَاكِكَ ما فَاتَ مِن مَنْطِقِكَ[3]. [ق: ١٨]

٥٤٤ ـ تمامُ الإخْلاصِ تجَنُّبُ المعَاصِي. [ق: ١٦]

٥٤٥ ـ تُنبِئُ عنِ امرِئٍ دِخْلَتُهُ[4]. [ق: ٢٠]

٥٤٦ ـ تَنزِلُ المعُونَةُ على قَدرِ المؤُونَةِ[5]. [ر ٢: ١٨٢]

٥٤٧ ـ التَّواضعُ إحْدَى مَصايِدِ الشَّرَفِ. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٥٤٨ ـ تَواضُعُ الرَّجُلِ في مَرْتَبَتِه، ذَبٌّ[6] للشَّمَاتَةِ عَنْهُ عِندَ سَقطَتِه. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٥٤٩ ـ التَّواضعُ نِعْمَةٌ لا يَفْطِنُ لها الحاسِدُ[7]. [ح ٢٠: ٣٠١]

٥٥٠ ـ التَّواضعُ يُرشِدُ إلَى السَّلَامَة. [ق: ١٩]

---

(١) على ما أسمع: أي من البكاء، وتغلبكم عليه: أي يأتينه قهراً عنكم. والرنين: صوت البكاء.

(٢) أي مشيك وأنت من وجوه القوم معي وأنا راكب فتنة للحاكم تنفخ فيه روح الكبر.. ومذلة: أي موجبة لذل المؤمن.. ينزلونه منزلة العبد والخادم.

(٣) في مثله يقول الشاعر:

ما إن ندمتُ على سكوتي مرةً ... ولقد ندمتُ على الكلام مرارا

(٤) دخلة الرجل ـ مثلثة الدال وإسكان الخاء ـ ودخيلته ودخيله: نيته، ومذهبه، وجميع أمره، وخلده، وبطانته.

(٥) أي على قدر نفقة الإنسان وما يتكلفه تكون مساعدة الله له.

(٦) الذب: الدفع.

(٧) من شأن الحاسد: أن يحسد الناس على ما ينعمون به كالمال والجاه والصحة وما إلى ذلك، ولكنه يعمى عن التواضع، وهو من أجل النعم فلا يحسد عليه؛ لسوء إدراكه.

٥٥١ ـ التَّوَانِي[١] إِضَاعَةٌ. [ق: ١٤]

٥٥٢ ـ وسئل عن التوحيد والعدل فقال:

التَّوْحِيدُ أَلَّا نَتوهَّمه، والعَدْلُ أَلا نَتَّهِمَهُ[٢]. [ر ٢: ٢٦٠]

٥٥٣ ـ التَّوفِيقُ خَيْرُ قَائدٍ[٣]. [ق: ١٧]

٥٥٤ ـ تَوَقَّوْا ٱلبَرْدَ في أَوَّلِه، وتَلَقَّوْهُ في آخِرِه؛ فإِنَّهُ يَفْعَلُ في ٱلأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ في ٱلأَشْجَارِ: أَوَّلُه يُحْرِق، وآخِرُه يُورِق[٤]. [ر ٢: ١٧٨]

---

(١) التواني: التقصير في الأمور، وهو من أسباب الخيبة والفشل والخسران!

(٢) الضمير المنصوب لله: فمن توحيده ألا تتوهمه.. أي لا تصوره بوهمك فكل موهوم محدود، والله لا يحد بوهم وكل ما خطر ببالك فهو بخلاف ذلك!!. واعتقادك بعدله: ألا تتهمه في أفعاله بأن تظن عدم الحكمة فيها، وكل فعل له واقع على مقتضى الحكمة؛ لأن أفعاله منزهة عن العبث، وهو الحكيم الخبير.

(٣) لأن التوفيق يقود الإنسان إلى مواطن الصواب، ويجنبه الزلل في الأمور، والوقوع في الموبقات، والاجتهاد بغير توفيق؛ سلم الإخفاق. وقد صدق الشاعر في قوله:

إذا لم يكنْ عونٌ من اللهِ للفَتَى ... فأوَّلُ ما يَجْنِي عليه اجْتِهادُهُ

(٤) ولأنه في أوله يأتي على عهد من الأبدان بالحر فيؤذيها، أما في آخره فيمسها بعد تعودها عليه، وهو ـ إذ ذاك ـ أخف.

قال ابن أبي الحديد: «هذه مسألة طبيعية ذكرها الحكماء، قالوا: لماذا كان تأثير الخريف في الأبدان، وتوليد الأمراض كالزكام والسعال وغيرهما أكثر من تأثير الربيع، مع أنهما جميعاً فصلا الاعتدال، وقد أجابوا بأن برد الخريف يفجأ الإنسان وهو معتاد للحر بالصيف فينكأ فيه، ويسد مسام دماغه؛ لأن البرد يكثف ويسد المسام، فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلى خيش رقيق بارد، فأما المتنقل من الشتاء إلى فصل الربيع فإنه لا يكاد برد الربيع يؤذيه ذلك الأذى؛ لأنه قد اعتاد جسمه برد الشتاء».

حرف الثاء

٥٥٥ ـ وقال لقائل قال بحضرته: أستغفر الله:

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ.. أتَدْرِي ما الاسْتِغْفَارُ؟ الاسْتِغْفَارُ درَجةُ العَلِيِّين.. وهُو اسمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعانٍ: **أوَّلُها**: النَّدمُ عَلَى مَا مَضَى، **والثَّاني**: العَزْمُ عَلَى تَرْكِ العَوْد إلَيْه أبَداً، **والثَّالِثُ**: أَنْ تُؤَدِّيَ إلى المَخْلُوقِين حُقُوقَهم؛ حتَّى تلْقَى اللّه أمْلَسَ لَيسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، **والرَّابِعُ**: أَنْ تعْمِدَ إلَى كلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعتها فَتُؤَدِّيَ حَقَّها، **والخَامِسُ**: أَنْ تَعْمِدَ إلى اللَّحْم الَّذِي نَبتَ عَلَى السُّحتِ[1] فَتُذِيبَهُ بالأحزان؛ حتَّى تُلْصِقَ الجِلْدَ بالعَظْم ويَنْشأَ بَيْنَهُما لَحمٌ جَدِيدٌ، **والسَّادِسُ**: أنْ تُذِيقَ الجِسمَ ألَم الطَّاعَة، كما أذَقْتَه حَلاوَةَ المَعْصِية.. فعِندَ ذَلِك تَقُول: أَسْتَغْفِرُ اللّهَ. [ر ٢: ٢٤٩]

٥٥٦ ـ ثَلاثٌ لا يُسْتَصْلَحُ فَسَادُهُنَّ بِحيلَةٍ أَصْلًا: العَدَاوَةُ بَينَ ٱلأَقَارِبِ، وتَحاسُدُ ٱلأَكْفَاءِ، ورَكاكَةُ ٱلمُلوكِ[2]. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٥٥٧ ـ ثَلاثٌ مُنْجِياتٌ: خَشْيَةُ اللّهِ في السِّرِّ والعَلَانِية، والقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنَى، والعَدْلُ في الغَضَبِ والرِّضَا. [ح ٢٠: ٢٥٧]

٥٥٨ ـ ثَلاثٌ مُوبِقَات[3]: الكِبْرُ؛ فإِنَّهُ حَطَّ إبلِيسَ عَن مَرْتَبَتِه، والحِرْصُ؛ فإِنَّهُ أَخْرَجَ آدَمَ مِن الجَنَّة، والحَسَدُ؛ فإِنَّهُ دَعا ٱبْنَ آدَمَ إلى قَتْلِ أَخِيه[4]. [ح ٢: ٢٩٣]

---

(١) السحت بالضم: المال من كسب حرام.

(٢) الركيك: الفَسْل، وهو الرذل الذي لا مروءة له، والضعيف في عقله ورأيه.

(٣) الموبقات: المهلكات.

(٤) في القصة المعروفة بين هابيل وقابيل، ولذلك يعد الحسد بكر الذنوب.

٥٥٩ ـ ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى عُقُولِ أَرْبَابِها: الهَدِيَّةُ، والرَّسُولُ[١]، والكِتَابُ. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٥٦٠ ـ ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ لا دَوامَ لَها: المَالُ في يَدِ المُبَذِّرِ، وسَحَابَةُ الصَّيْفِ، وغَضَبُ العَاشِقِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٠١]

٥٦١ ـ ثَلاثَةٌ في ٱلمَجْلِسِ ولَيْسُوا فِيهِ: الحَاقِنُ[٣]، والضَّيِّقُ الخُفِّ، والسَّيِّئُ الظَّنِّ بأَهْلِهِ. [ح ٢٠: ٣٠٣]

٥٦٢ ـ ثَلاثٌ لا يُسْتَحَى مِن الخَتْمِ عَلَيْها[٤]: المَالُ؛ لِنَفْيِ التُّهْمَةِ، والجَوْهَرُ؛ لِنَفَاسَتِه، والدَّوَاءُ، لِلاحْتِيَاطِ مِن العَدُوِّ. [ح ٢٠: ٢٨٩]

٥٦٣ ـ ثَلاثَةٌ لا يُعْرَفُون إِلَّا في ثَلاثٍ: لا يُعْرَفُ الشُّجَاعُ إِلَّا في ٱلحَرْبِ، ولا ٱلحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الغَضَبِ، ولا الصَّدِيقُ إِلَّا عِنْدَ ٱلحَاجَةِ. [ك ١: ٢١٣]

٥٦٤ ـ ثَلاثَةٌ يُرْحَمُون: عَاقِلٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ جاهِلٍ، وضعِيفٌ في يدِ ظَالِمٍ قَوِيٍّ، وَكَرِيمُ قَوْمٍ ٱحْتَاجَ إِلَى لَئِيمٍ. [ح ٢٠: ٢٧٥]

٥٦٥ ـ ثَلاثَةٌ يُؤْثِرُونَ المالَ على أَنْفُسِهِمْ[٥]: تَاجِرُ ٱلبَحْرِ، وَصَاحِبُ السُّلْطَانِ، وَٱلمُرْتَشِي في ٱلحُكْمِ. [ح ٢٠: ٢٩٧]

٥٦٦ ـ ثَمانِيَةٌ إِذَا أُهِينُوا فَلَا يَلُومُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم: الآتِي طعَاماً لم يُدْعَ إِلَيْهِ، وَالمتأَمِّرُ عَلَى رَبِّ البَيْتِ في بَيْتِهِ، وَطَالِبُ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَٱلدَّاخِلُ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ لم يُدْخِلَاه، وَٱلمُسْتَخِفُّ بالسُّلْطَانِ، وَٱلجَالِسُ مَجْلِساً لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، وَالمُقْبِلُ بِحَدِيثِهِ عَلَى مَنْ لا يَسْمَعُهُ، وَمَنْ جَرَّبَ ٱلمُجَرَّبَ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠١، ٣٠٢]

---

(١) لأن الهدية تدل على ذوق مهديها، وحسن اختياره أو سوئه، والرسول: صورة مرسله، والكتاب: وافد عقله.

(٢) لأن العاشق لا يطاوعه قلبه أن يغضب على من يعشق، ورحم الله من قال:

يُـؤَازِرُه قـلـبـي عـلـيَّ ولَيْـسَ لـي ... يَـدانِ بـمَـنْ قـلْـبـي عـلـيَّ يُـؤَازِرُهْ

(٣) الحاقن: الذي به بول شديد، ويقال: لا رأي لحاقن.

(٤) الختم عليها: أي حفظها وصيانها.

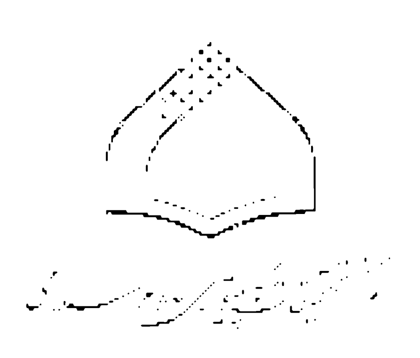
(٥) أي أن المال عندهم أنفس من أنفسهم وأكرم عليهم منها؛ لأن الأول عرضة للخطر، والثاني عرضة للهلاك، والثالث عرضة للفضيحة.

(٦) أي أن المجرب لا يحتاج إلى تجريب، فمحاولة تجريبه تدعو إلى إهانة من جربه.

٥٦٧ ـ ثَمَرةُ التَّفْرِيط النَّدَامَةُ، وثَمَرَةُ الحَزْمِ السَّلَامَةُ. [ر ٢: ١٩٢]

٥٦٨ ـ ثَمَرةُ القَنَاعَةِ الرَّاحَةُ، وثَمَرَةُ التَّواضُعِ ٱلمَحَبَّةُ. [ح ٢٠: ٢٩٦]

٥٦٩ ـ الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ.. مَلَقٌ[1]، والتَّقْصِيرُ عَنِ ٱلاسْتِحْقَاقِ.. عِيٌّ وحَسَدٌ. [ر ٢: ٢٣٢]



(١) الملق بالتحريك: أن تعطي باللسان ما ليس في القلب. والعي بالكسر: العجز عن الكلام.

حرف الجيم

٥٧٠ ـ جَالِسِ العُقَلَاءَ: أَعْدَاءَ كانُوا، أَمْ أَصْدِقَاءَ؛ فَإِنَّ العَقْلَ يَقَعُ عَلَى العَقْلِ. [ح ٢٠: ٣١٢]

٥٧١ ـ جَاهِدُوا أَهْوَاءكم كما تُجَاهِدُونَ أعداءكم[١]. [ح ٢٠: ٣١٤]

٥٧٢ ـ الجَاهِلُ صَغِيرٌ وإِنْ كانَ شَيْخاً، والعَالِمُ كَبِيرٌ وإِنْ كانَ حَدَثاً. [ح ٢٠: ٣٢٨]

٥٧٣ ـ الجَاهِلُ يُعْرَفُ بِستِّ خِصَالٍ: الغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، والكلامُ في غَيْرِ نَفْعٍ، والعَطِيَّةُ في غَيْرِ مَوْضِعِها، وأَلَّا يَعْرِفَ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّه، وإِفْشَاءُ السِّرِّ، والثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٥٧٤ ـ جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، وعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ[٢]. [ر ٢: ٢١٨]

٥٧٥ ـ الجُبْنُ مَنْقَصَةٌ. [ر ٢: ١٤٩]

٥٧٦ ـ جَدُّكَ لا كَدُّكَ[٣]. [ح ٢٠: ٣٤١]

٥٧٧ ـ الجَزعُ أَعْتَبُ مِنَ الصَّبْرِ[٤]. [س: ٣٤٥]

٥٧٨ ـ الجَزَعُ عِنْدَ البَلَاءِ تمامُ المِحْنَةِ[٥]. [ع: ٢٨]

---

(١) الأهواء: جمع هوى، وهو ميل النفس وإرادتها، والمراد به هنا الميل إلى الباطل.

(٢) أي جاهلكم يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة، وعالمكم يسوف بعمله، أي يؤخره عن أوقاته. وبئست الحال هذه.

(٣) الجد ـ بفتح الجيم ـ الحظ: أي أن الحظ كثيراً ما يقدم غير العامل ويؤخر العامل، ومن قول المتنبي في ذلك:

هو الجَدُّ حتّى تفضُلَ العينُ أختَها ... وحتى يكونَ اليومُ لليوم سيِّدا

وقد دعت أعرابية لولدها فقالت: أسأل الله أن يرزقك حظاً يخدمك به ذوو العقول، وألا يرزقك عقلًا تخدم به ذوي الحظوظ!

(٤) العتب: الملامة، أي أن الجزع أكثر جلباً للوم من الصبر.

(٥) لأن الجزع نفسه بلاء، أو أشد من البلاء، وبذلك تكون المصيبة بلغت منتهاها!

٥٧٩ ـ جَزَعُكَ في مُصِيبَةِ صَدِيقِكَ أَحْسَنُ مِنْ صَبْرِكَ، وَصَبْرُكَ في مُصِيبَتِكَ أَحْسَنُ مِنْ جَزَعِكَ[١]. [ح ٢٠: ٣٤٤]

٥٨٠ ـ جِزْيَةُ المُؤْمِنِ كِرَاءُ مَنْزِلِهِ[٢]، وَعَذَابُهُ سُوءُ خُلُقِ زَوْجَتِهِ[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

٥٨١ ـ قال لبعض أصحابه في عِلّة اعْتلَّها:

جَعَلَ اللَّهُ ما كانَ مِنْ شَكْوَاك حَطًّا لِسَيِّئَاتِك، فإِنَّ المَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ، ولكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، ويَحُتُّها حَتَّ ٱلأَوْرَاقِ[٤]، وَإِنَّمَا ٱلأَجْرُ في القَوْلِ باللِّسانِ، وَالعَمَلِ في ٱلأَيْدِي وٱلأَقْدَامِ. وإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الجَنَّةَ. [ر ٢: ١٥٩]

٥٨٢ ـ جَنِّبُوا مَوْتَاكُمْ في مَدَافِنِهِمْ جَارَ السَّوْءِ؛ فَإِنَّ ٱلجَارَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ في الآخِرَةِ، كما يَنْفَعُ في ٱلدُّنْيا. [ح ٢٠: ٣٤٤]

٥٨٣ ـ الجِهَادُ ثَلَاثَةٌ: جِهَادُ الْيَدِ، ثمَّ اللِّسَان، ثمَّ القَلْبِ، فَإِذَا كانَ القَلْبُ لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، ولَا يُنْكِرُ مُنْكَراً، نُكِسَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ[٥]. [ق: ٢٤]

٥٨٤ ـ الجَهْلُ بالفَضَائِلِ عِدْلُ المَوْتِ[٦]. [ح ٢٠: ٢٥٨]

٥٨٥ ـ الجُودُ حَارِسُ ٱلأَعْرَاضِ، وٱلحِلْمُ فِدَامُ السَّفَهِ[٧]، والعَفْو زَكاة الظَّفَر،

---

(١) لأن ذلك يدل على عمق صداقتك، وإيثارك لصديقك على نفسك.

(٢) الجزية في الأصل: ما يؤخذ من أهل الذمة. والمراد أن كراء المنزل غرم للمؤمن لأنه يعيش في ملك غيره فلا يشعر بالحرية التامة.

(٣) لأن سوء خلق الزوجة شيء دائم ملازم، ومن هنا كان نوعاً من العذاب!

(٤) حت الورق من الشجر: قشره، والصبر على العلة رجوع إلى الله واستسلام لقدره، وفي ذلك خروج إليه من جميع السيئات وتوبة منها، لهذا كان يحت الذنوب، أما الأجر فلا يكون إلا عن عمل بعد التوبة.

(٥) نكس.. أي قلبت طبيعته فأصبح لا ينتفع به، ومتى وصلت الحال إلى الحد الذي تصبح فيه القلوب على هذه الصفة ـ وهي أضعف الإيمان ـ فقد مات الوازع، وطمست البصائر، وعميت العقول، واستحلت المحارم، وأصبح الناس كالأنعام بل أضل سبيلًا!!

(٦) العدل ـ بفتح العين وكسرها ـ والعديل: المثل والنظير. وإنما كان الأمر كذلك؛ لأن الجهل بالفضائل موت معنوي!

(٧) الفدام ككتاب وسحاب وتشدد الدال أيضاً مع الفتح: ما يوضع على فم الإبريق ليصفى ما فيه. وإذا حلمت فكأنك ربطت فم السفيه بالفدام، فمنعته عن الكلام.

والسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدر[١]، والاسْتِشارةُ عَينُ الهِدَاية، وَقَدْ خاطَرَ مَن اَسْتَغْنَى بِرَأيه. والصَّبْرُ يُناضِلُ الحِدْثانَ[٢] والَجَزَعُ مِن أَعْوَانِ الزَّمَان. وأَشْرَفُ الغِنَى، تَرْكُ المُنَى[٣]. وَكَمْ مِن عَقْلٍ أسِيرٍ، تَحْتَ هَوَى أميرٍ[٤]! وَمِن التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَة، والمَوَدَّةُ قَرَابةٌ مُسْتَفَادةٌ. وَلا تَأمَنَنَّ مَلُولاً[٥].

[ر ٢: ١٩٨]

٥٨٦ ـ الجُودُ الَّذِي يُسْتَطاعُ أَن يُتَنَاوَل بِهِ كلُّ أَحَدٍ، هُو أَن يُنْوَى الخَيْرُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

[ح ٢٠: ٣٢٩]

---

(١) أي من غدرك فلك خلف عنه وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن.

(٢) الحدثان بكسر فسكون: نوائب الدهر، والصبر يناضلها؛ أي يدافعها، والجزع ـ وهو شدة الفزع ـ يعين الزمان على الإضرار بصاحبه.

(٣) المنى بضم ففتح: جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان، وإذا لم تتمن شيئاً فقد استغنيت عنه.

(٤) كثير من الناس جعلوا أهواءهم مسلطة على عقولهم، فعقولهم أسرى تحت حكمها.

(٥) الملول بفتح الميم: السريع الملل والسآمة، وهو لا يؤمن جانبه؛ إذ قد يمل عند حاجتك إليه، فيفسد عليك عملك.

حرف الحاء

٥٨٧ ـ الحاجَةُ مَسْأَلَةٌ[١]، وَٱلدُّعاءُ زِيادةٌ، والْحمْدُ شُكْرٌ، والنَّدَمُ تَوْبَةٌ. [ح ٢٠: ٢٦١]

٥٨٨ ـ الحَازِمُ إذا أَشْكلَ[٢] عَليهِ الرَّأيُ، بمنزلةِ مَنْ أَضَلَّ لُؤْلُؤةً، فَجمعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِها من التُّرَابِ، ثمَّ ٱلتَمَسَها حتَّى وَجدَها، ولِذٰلك فالحَازِمُ يَجْمَعُ وُجُوهَ الرَّأيِ في ٱلأَمْرِ المُشْكِلِ، ثمَّ يَضْرِبُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، حتَّى يَخْلُصَ إلَيْهِ الصَّواب. [ح ٢٠: ٣٣٥]

٥٨٩ ـ الحَازِمُ مَنْ لَم يَشْغَلْه البَطَرُ[٣] بالنِّعمةِ.. عَنِ العَمَلِ لِلعاقِبَةِ، والْهَمُّ بالْحَادثَةِ.. عَنِ الحِيلَةِ لِدَفْعِها. [ح ٢٠: ٣٤٣]

٥٩٠ ـ الحاسِدُ ضَاغِنٌ عَلَى مَن لا ذَنْبَ لَهُ[٤]. [ع: ٦٩]

٥٩١ ـ الحاسِدُ المُبْطِنُ لِلْحسَدِ كالنَّحْلِ، يَمُجُّ الدَّوَاء، ويُبْطِنُ الدَّاء[٥]. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٥٩٢ ـ الحاسِدُ يَرَى زَوَالَ نِعْمَتِك.. نِعمَةً عَلَيْهِ[٦]. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٥٩٣ ـ حُبُّ الرِّياسةِ شَاغِلٌ عَن حُبِّ اللَّهِ سُبْحانَه. [ح ٢٠: ٣٠٧]

٥٩٤ ـ الحَجَرُ الغَصِيبُ في الدَّار.. رَهْنٌ عَلَى خَرَابِها[٧].

ويروى هذا الكلام عن النبي ﷺ، ولا عجب أن يشتبه الكلامان؛ لأن مستقاهما من قليب[٨]، وتفرغهما من ذنوب[٩]. [ر ٢: ٢٠٣]

---

(١) الحاجة: الاحتياج، وإنما كانت الحاجة مسألة؛ لأنها تؤدي إليها.

(٢) أشكل عليه الرأي: استبهم.

(٣) البطر، كسبب: الطغيان بالنعمة.

(٤) الضاغن: المنطوي على الضغن، وهو الحاقد وزناً ومعنى.

(٥) لأن الحاسد في هذه الحال يظهر الحسن ويضمر السوء.

(٦) يتمنى الحاسد في العادة زوال نعمة المحسود: سواء أوصلت إليه أم لم تصل.

(٧) الغصيب: المغصوب.. أي أن الاغتصاب قاضٍ بالخراب، كما يقضي الرهن بأداء الدين المرهون إليه.

(٨) القليب ـ بفتح فكسر: البئر.

(٩) الذنوب ـ كصبور ـ الدلو الكبيرة، والإمام يستقي من قليب النبوة، ويستمد من ذنوبها!

٥٩٥ ـ الحَذَرَ . . الحَذَرَ . . فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَر ، حَتَّى كَأَنَّه قَد غَفَر[١] . [ر ٢ : ١٥٤]

٥٩٦ ـ الحُرُّ عَبدٌ مَا طَمِع ، والعَبدُ حُرٌّ مَا قَنِع . [ح ٢٠ : ٢٩٣]

٥٩٧ ـ الحِرْصُ دَاعٍ إلى التَّقَحُّم في الذُّنُوب[٢] . [ق : ٢٠]

٥٩٨ ـ الحِرْصُ[٣] عَلامةُ الفَقْر . [ق : ١٥]

٥٩٩ ـ الحِرْصُ مَحْرَمَةٌ[٤] ، والجُبْنُ مَقْتَلَةٌ ، وإلَّا . . فانْظُرْ فِيمَنْ رأَيْتَ وسَمِعْتَ : أَمَنْ قُتِلَ في الحَرْب مُقْبِلاً أكْثَرُ ، أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدبِراً؟ . . وانْظُرْ : أَمَنْ يَطلُبُ بالإجمَالِ[٥] والتَّكَرُّمِ أَحَقُّ أن تَسْخُوَ نَفْسُك لَهُ ، أَمْ مَنْ يَطلُبُ بالشَّرَهِ[٦] والحِرْصِ؟ . . [ح ٢٠ : ٢٩٥]

٦٠٠ ـ الحِرْصُ مَحْقَرَة ، وَالزِّنَى مَفْقَرَة[٧] . [ق : ١٤ ، ١٥]

٦٠١ ـ الحِرْصُ يَنْقُصُ مِنْ قَدْرِ الإنسانِ ، وَلا يَزِيدُ في حَظِّه[٨] . [ح ٢٠ : ٣٢٨]

٦٠٢ ـ الحَرَكَةُ كِفَاحُ الجَدِّ العَظِيم[٩] . [ح ٢٠ : ٢٨٩]

٦٠٣ ـ الحِرْمَانُ مَعَ الحِرْصِ[١٠] . [ر : ٢٩]

---

(١) الضمير في قوله : «ستر» لله تعالى ، فقد ستر مخازي عباده حتى ظنوا أنه غفرها لهم ، ويوشك أن يأخذهم بمكره .

(٢) التقحم : الدخول في الشيء من غير تفكير في العواقب . والحريص لا يقف عند شيء ، ولا يقنع بشيء ؛ فيقع في المعاصي .

(٣) الحرص : الجشع ، وإنما كان علامة للفقر ، لأن صاحبه لا يقنع ولا يشبع فهو فقير ـ وإن كان غنياً ـ ولله در المتنبي حيث يقول :

ومن يُنْفِق الساعاتِ في جمع ماله مَخافةَ فقرٍ فالذي فعلَ : الفقرُ

(٤) محرمة : سبب للحرمان .

(٥) الإجمال : الاتئاد والاعتدال ، وعدم الإفراط في الطلب .

(٦) الشره ، كسبب : غلبة الحرص .

(٧) محقرة : يؤدي إلى الاحتقار . والزنى والزناء ـ بكسر الزاي فيهما : الفجور . ومفقرة : يؤدي إلى الفقر ، وفي بعض الآثار : «بشر الزناة بالفقر ولو بعد حين» .

(٨) لا يزيد في حظه : لأن الرزق مقسوم ، وما كان لك سوف يأتيك وإن كنت ضعيفاً .

(٩) الجد ـ بفتح الجيم ـ الحظ . وقد قيل : في الحركة بركة ، وقال تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك : ١٥] .

(١٠) لأن صاحبه بغيض إلى الناس ، فيكرهون التعامل معه ، ويقعدون عن قضاء حوائجه .

٦٠٤ ـ الحَزْمُ كِيَاسَةٌ(١)، وَٱلأَدَبُ رِيَاسَةٌ(٢). [ق: ١٥]

٦٠٥ ـ الحُزْنُ سُوءُ اسْتِكَانَةٍ(٣)، وَٱلْغَضَبُ لُؤْمُ قُدْرَةٍ(٤). [ح ٢٠: ٣٠٣]

٦٠٦ ـ الحُزْنُ وَٱلْغَضَبُ أَمِيرَانِ تَابِعَانِ لِوُقُوعِ ٱلأَمْرِ بِخِلافِ ما تُحِبُّ، إِلَّا أَنَّ المَكْرُوهَ إِذَا أَتَاكَ مِمَّنْ فَوْقَكَ نَتَحَ(٥) عَلَيْكَ حُزْناً، وإِنْ أَتَاكَ مِمَّنْ دُونَكَ نَتَحَ عَلَيْكَ غَضَباً. [ح ٢٠: ٣٢٢]

٦٠٧ ـ الحَسَبُ(٦) حُسْنُ ٱلْخُلُقِ. [ع: ٣٠]

٦٠٨ ـ الحَسَدُ آفَةُ ٱلدِّينِ(٧). [ق: ١٩]

٦٠٩ ـ الحَسَدُ حُزْنٌ لَازِمٌ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ، وَنَفَسٌ دَائِمٌ(٨)، والنِّعْمَةُ عَلَى المَحْسُودِ نِعْمَةٌ، وهِيَ عَلَى ٱلحاسِدِ نِقْمَةٌ(٩). [ح ٢٠: ٢٩٧]

٦١٠ ـ الحَسَدُ خُلُقٌ دَنِيءٌ. . ومِنْ دَنَاءَتِهِ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ(١٠). [ح ٢٠: ٣٠٠]

٦١١ ـ حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ المَوَدَّةِ(١١). [ر ٢: ١٩٩]

---

(١) الكياسة بكسر الكاف: العقل والفطنة.

(٢) لأنه يرفع من قيمة صاحبه، ويمهد له القصد في المجالس.

(٣) الاستكانة: الخضوع والذل، والحزن ليس إلا خضوعاً للخواطر السود!!

(٤) لأن الغضب يدفع إلى الانتقام ممن دونك في الأعم الأغلب.

(٥) نتح الحر العرق: أظهره، والمراد أن المكروه يظهر على وجه الإنسان: حزناً، أو غضباً.

(٦) من معاني الحسب: الدين، والكرم، والشرف في الفعل، والفعال الصالح، بفتح الفاء.

(٧) لأنه اعتراض على الله تعالى وتسخط عليه في تقسيمه الأرزاق، وإنعامه على العباد، وكثيراً ما يؤدي إلى الكفر. وكفاه ذماً أنه أول ذنب عصي الله به في السماء؛ وذلك حسد إبليس لآدم، وأول ذنب عصي الله به في الأرض؛ وذلك حسد قابيل لأخيه هابيل!!

(٨) نفس دائم: أي زفرة دائمة؛ لأن الحزين يعلو نفسه ويصعد الزفرات.

(٩) لأن الحسد يرفع ذكر المحسود ويقتل الحاسد، وما أحسن قول أبي تمام:

لولا التخوُّفُ للعواقب لم تزلْ ... للحاسِدِ النُّعمَى على المحسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ... ما كانَ يُعرفُ طِيبُ عرفِ العُودِ

(١٠) لأنه يبدأ بالأقارب ثم بمن بعدهم وهكذا حتى يتلاشى، فمثلًا يحسد الأخ أخاه، ثم ابن عمه، ثم ذوي رحمه، ثم أصدقاءه، ثم أهل بلده، ثم أهل إقليمه، ثم أهل مملكته، ثم بني جنسه، ثم بني دينه، ثم يقف عند ذلك، لهذا لا تجد عربياً يحسد إنجليزياً أو فرنسياً أو ألمانياً ـ أو حتى يهودياً ـ على حين تراه يضطرم حسداً على عربي من أبناء عمومته. ولله في خلقه شؤون!!

(١١) لولا ضعف المودة ما كان الحسد، وأول الصداقة: انصراف النظر عن رؤية التفاوت.

٦١٢ ـ حُسْنُ التَّدْبيرِ معَ الكَفافِ[١]، أَكْفَى لَكَ مِنَ الْكَثِيرِ معَ الإِسْرَافِ. [ق: ١٧، ١٨]

٦١٣ ـ حُسْنُ الخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ. [ق: ١٧]

٦١٤ ـ حُسْنُ اليَأْسِ.. خيرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ[٢]. [ق: ١٧]

٦١٥ ـ الحَسُودُ ظَالِمٌ، ضَعُفَتْ يَدُهُ عَنِ انْتِزاعِ ما حَسَدَكَ عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا قَصُرَ عَنْكَ[٣]، بَعَثَ إِلَيْكَ تَأَسُّفَه. [ح ٢٠: ٣٣١]

٦١٦ ـ حَصِّنْ عِلْمَكَ مِنَ العُجْبِ، ووقَارَكَ مِنَ الكِبْرِ، وعَطَاءَكَ مِنَ السَّرَفِ، وصَرَامَتَكَ مِنَ العَجَلَةِ، وعُقُوبَتَكَ مِنَ الإِفْرَاطِ، وعَفْوَكَ مِنْ تَعْطِيلِ الحُدُود، وصَمْتَكَ مِنَ العِيِّ، واسْتِماعَكَ مِنْ سُوءِ الفَهْمِ، واسْتِئْنَاسَكَ مِنَ البَذَاء[٤] وخَلَواتِكَ مِنَ الإِضَاعَةِ، وغَرَامَاتِكَ[٥] مِنَ اللَّجَاجَةِ وَرَوَغَاتِك مِنَ الاسْتِسْلام، وحَذَرَاتِكَ مِنَ الجُبن. [ح ٢٠: ٣١٨]

٦١٧ ـ حِفْظُ ما في يَدكَ، أَحَبُّ إِليكَ مِن طَلَبِ ما في يَدِ غَيرِك. [ق: ١٨]

٦١٨ ـ حَقُّ كلِّ سِرٍّ أَنْ يُصَانَ، وأَحَقُّ الأَسْرَارِ بالصِّيَانَةِ سِرُّكَ مَع مَوْلَاكَ[٦]، وسِرُّهُ معك؛ واعْلَمْ أَنَّ من فَضَح.. فُضِحَ، وَمَن بَاحَ.. فَلِدَمِهِ أَبَاح. [ح ٢٠: ٣٤٥]

٦١٩ ـ الحقُّ مِثَالٌ، والبَاطِلُ خَبَال[٧]. [ق: ١٦]

٦٢٠ ـ الحَقّ يُنْجِي، والبَاطِلُ يُرْدِي[٨]. [ق: ١٦]

٦٢١ ـ حَقِيقٌ[٩] بالإنسَانِ أَنْ يَخْشَى اللَّه بالغَيْبِ[١٠]، ويَحْرُسَ نَفْسَه مِن

---

(١) الكفاف كسحاب: الرزق الذي يكفي الإنسان، وهو ما فوق النزر ودون السعة.

(٢) لأن الطلب إلى الناس ذل وضعة ومهانة. واليأس منهم عز ورفعة وكرامة؛ واليأس: إحدى الراحتين؛ كما جاء في الآثار.

(٣) قصر عنك، أي لم يستطع النيل منك.

(٤) البذاء ـ كسحاب ـ والبذاءة: فحش القول.

(٥) الغرامات: جمع غرامة وهو ما يلزم أداؤه. واللجاجة: الخصومة، أي أحسن التقاضي.

(٦) المولى هنا: السيد، ويدخل فيه السلطان والرئيس ومن هو فوقك.

(٧) مثال: أي يقاس عليه. والخبال ـ كسحاب ـ: الفساد والنقصان والهلاك والجنون.

(٨) يردي: يهلك.

(٩) حقيق، أي جدير وواجب.

(١٠) لأن الله معه حيثما كان وأينما كان.

العَيْبِ، ويزْدَادَ خَيراً مع الشَّيْب[١]. [ح ٢٠: ٢٧٨]

٦٢٢ ـ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المؤمِنِ، فاطْلُبْ ضَالَّتَك، ولو في أَهْلِ الشِّرْكِ[٢]. [ق: ١٩]

٦٢٣ ـ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المؤمِنِ، فَخُذِ الحِكْمَةَ.. ولو مِن أَهْلِ النِّفَاقِ. [ر ٢: ١٦٥]

٦٢٤ ـ الحِلْمُ سَجِيَّةٌ[٣] فاضِلَةٌ. [ق: ١٦]

٦٢٥ ـ الحِلْمُ عَشِيرَةٌ[٤]. [ر ٢: ٢٤٩]

٦٢٦ ـ الحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، والعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِـع، فاسْتُر خَلَلَ خُلُقِك بِحلمِكَ، وقاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِك[٥]. [ر ٢: ٥٠]

٦٢٧ ـ الحِلْمُ والأَنَاةُ تَوْأَمَانِ؛ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الهِمَّة[٦]. [ر ٢: ٢٥٧]

٦٢٨ ـ الحَيَاءُ سَبَبٌ إِلَى كلِّ جَمِيلٍ[٧]. [ق: ٢٠]

٦٢٩ ـ الحَيَاءُ: لِباسٌ سابِـغٌ، وحِجَابٌ مَانِـعٌ، وسِتْرٌ مِن المَسَاوِئ وَاقٍ، وحَلِيفٌ لِلدِّين، ومُوجِبٌ لِلمَحبَّة، وَعيْنٌ كالِئَةٌ[٨] تَذُودُ عَن الفَسَادِ، وَتَنْهَى عَن الفَحْشَاءِ.

والعَجَلَةُ في الأُمورِ مَكْسَبَةٌ لِلمَذَلَّة، وزِمامٌ للنَّدَامَة، وسَلْبٌ للمُرُوءةِ، وشَيْنٌ لِلحِجَا، وَدَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ العَقِيدة. [ح ٢٠: ٢٧٢]

---

(١) لأن الشيب نذير الموت، وإيذان بانقضاء الأجل، وانتهاء العمل.

(٢) الضالة في الأصل: ما ضل من البهيمة.. للذكر والأنثى. والمعنى: أن الحكمة كالشيء الضائع من الإنسان؛ فيتحتم عليه أن ينشده حيثما وجده، وقديماً قال الشاعر:

... فـاجْـنِ الـثِّـمـارَ وخَـلِّ الـعـودَ لـلـنَّـارِ

وقال... ينفعُك قَوْلي ولا يضْرُرْك تقْصيري

وقال... فالكوكب النحسُ يسْقِي الأرضَ أحيانا

(٣) السجية: الخلق والطبيعة.

(٤) خلق الحلم يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجتمع لك بالعشيرة؛ لأنه يوليك محبة الناس فكأنه عشيرة.

(٥) لما جعل الحلم غطاء، والعقل حساماً، أمر الإنسان بأن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء، وأن يقاتل هواه بذلك الحسام.

(٦) الحلم بالكسر: حبس النفس عند الغضب، والأناة يريد بها التأني. والتوأمان في الأصل: المولودان في بطن واحد، والتشبيه في الاقتران والتولد من أصل واحد.

(٧) لأن الحياء نظام الإيمان كما جاء في الأثر؛ ولأنه يعقل صاحبه عن كل قبيح، ومن لا حياء فيه.. لا خير فيه.

(٨) الكالئة: الحافظة.

٦٣٠ ـ قيل له في بعض الحروب: إن جالت الخيل أين نطلبك؟ قال: حَيْثُ تَرَكْتُمُوني[١]. [ح ٢٠: ٢٨٣]

٦٣١ ـ حَيْثُ تَكُونُ الحِكْمَةُ[٢] تَكُونُ خَشْيَةُ اللّهِ، وحَيْثُ تَكُونُ خَشْيَتُه.. تَكُونُ رَحْمَتُه. [ح ٢٠: ٣١٩]

(١) يريد الإمام: أنه ثابت في مكانه الذي اختاره في المعمعة لا يريمه مهما اشتد البأس.
(٢) من معاني الحكمة: العلم، والحكيم: العالم والمتقن للأمور.

حرف الخاء

٦٣٢ ـ خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً: إنْ مُتُّم معَها بكَوْا عَلَيْكُم، وإن عِشْتُمْ حَنُّوا إلَيْكم[١]. [ر ٢: ١٥٠]

٦٣٣ ـ خُذِ الحِكْمَةَ أنَّى أتَتْك؛ فإنَّ الكَلِمَةَ مِن الحِكمَةِ تَكُونُ في صَدْرِ المُنَافِق، فتَلَجْلَجُ حَتَّى تَسْكُنَ إلى صَاحِبِها[٢]. [ق: ١٢٨]

٦٣٤ ـ خُذِ العَفْوَ مِنَ النَّاس[٣]، ولا تَبْلُغْ مِن أحَدٍ ما تَكْرَهُه. [ق: ٦٩]

٦٣٥ ـ خُذِ الفَضْلَ[٤]، وأَحْسِنِ البَذْلَ، وقُلْ للنَّاسِ حُسْناً. [ق: ٦٧]

٦٣٦ ـ خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أتَاكَ، وتَوَلَّ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْكَ، فَإنْ أنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فأجْمِلْ في الطَّلَب[٥]. [ر ٢: ٢٤٤]

٦٣٧ ـ وقال في الذين اعتزلوا القتال معه:

خَذَلُوا الحَقَّ، وَلَمْ يَنْصُرُوا البَاطِلَ[٦]. [ر ٢: ١٥٢]

٦٣٨ ـ خَرَجَ الفَقْرُ والغِنَى يَجُولَانِ، فَلَقِيَا القَنَاعَةَ.. فاسْتَقَرَّا[٧]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

---

(١) روي: «خنوا» بالخاء المعجمة، من الخنين، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء.

(٢) يقال: لجلج اللقمة في فمه: إذا أدارها ولم يسغها، والفعل هنا مضارع حذفت تاؤه تخفيفاً، والمراد: أن الكلمة الحكيمة لا تزال تتحرك في صدر المنافق حتى تخرج منه، فيسمعها المؤمن، فيضمها إلى أخواتها في صدره.

(٣) العفو: الصفح عمن أساء، والرفق في كل الأمور، والمسامحة، والإغضاء عن المكروه.

(٤) الفضل، من معانيه الزيادة والبقية، والمراد هنا: عدم الاستقصاء في الأخذ، فإن الكريم لا يستقصي.

(٥) أي إن رغبت في طلب ما تولى وذهب عنك منها، فليكن طلبك جميلًا واقفاً بك عند الحق. والإجمال في الطلب: الاتئاد والاعتدال وعدم الإفراط فيه.

(٦) أي لم ينفعوا ولم يضروا، وهذه صفة أهل الضعف والفسولة من الناس، وقد قال الشاعر:

إذا أنتَ لم تنفعْ فضُرَّ فإنما ... يُرجى الفتى كيما يضُرَّ وينفعا

(٧) لأن العز: عدم التذلل للناس، والغنى: الاستغناء عنهم، والقناعة تجمع ذلك.

٦٣٩ ـ خَيرَ مُرُوءته مَنْ ضَعُفَتْ نَفْسُه[١]. [ق: ١٩]

٦٤٠ ـ الخُصُومَةُ تَمْحَقُ الدِّين[٢]. [ح ٢٠: ٢٦٠]

٦٤١ ـ وقيل له رضي اللّه عنه لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين! فقال:
الخِضَابُ زِينَةٌ، ونحْنُ قَوْمٌ في مُصِيبَةٍ[٣]. [ر ٢: ٢٦١]

٦٤٢ ـ خُضِ الغَمَرَاتِ إلَى الحقِّ[٤]. [ق: ٦٨]

٦٤٣ ـ الخطَأُ في إعْطَاءِ مَن لَا يَبْتَغِي، وَمَنْعُ مَن يَبْتَغِي.. وَاحِدٌ[٥]. [ح ٢٠: ٢٦٠]

٦٤٤ ـ خَفِ الضَّعِيفَ إذَا كَانَ تَحْتَ رَايَةِ الإنْصَافِ، أكْثَرَ مِنْ خَوفِكَ الْقَوِيَّ تَحْتَ رَايَةِ الْجوْرِ؛ فَإِنَّ النَّصْرَ يَأْتِيهِ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُر، وَجُرْحُهُ لَا يَنْدَمِل[٦].
[ح ٢٠: ٣٣٧]

---

(١) لأن ضعف النفس، ملتقى خصال السوء، وعنوان الطبيعة الدنيئة، والمروءة أعلى مراتب الإنسانية، ولذلك يمدحون الرجل الشريف بقولهم: لو علم أن شرب الماء القراح يفسد مروءته ما فعله، والمروءة من الصفات النادرة في الناس، ولأمر ما قال الشاعر القديم:

مَرَرتُ على المروءة وهْيَ تبكي ... فقلت: علامَ تنتحبُ الفتاةُ؟
فقالت: كيف لا أبكي وأهلي ... جميعاً دُونَ خلْقِ اللهِ ماتُوا!!

(٢) محقه: أبطله وأذهب بركته، وأمحقه: لغة رديئة. وإنما كان ذلك؛ لأنها تحمل أصحابها على طلب الانتصار بأية وسيلة! والإغراق في المراء، والسفه، والمهاترة، والعداوة والبغضاء، وإزهاق الحق، وإماتة الباطل!

(٣) يريد بالمصيبة: موت الرسول ﷺ! وهي مصيبة لا يتسلى عنها المسلم إلى يوم القيامة، ورحم الله الشاعر الذي يقول معزياً بعض أصدقائه عن موت ابنه محمد:

اصبرْ لكلّ مصيبةٍ وتجلّدِ ... واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مُخلَّدِ
وإذا ذكرتَ محمداً ومُصابَه ... فاذكرْ مُصابك بالنبيِّ محمدِ

(٤) الغمرات: الشدائد، جمع غمرة.

(٥) قريب من معناه قول المتنبي:

ووضعُ النّدى في موضع السّيْفِ بالعُلا ... مُضرٌ، كوضع السَّيف في موضع النَّدى

وقول الآخر:

إن الصَّنيعةَ لا تُعَدُّ صَنيعَةً ... حتى تُصِيبَ بها سَواءَ المصنَعِ

(٦) اندمل الجرح: تماثل للشفاء. وذلك: أن القوي يستطيع أن ينتصر لنفسه بنفسه ممن يظلمه، ولكن الضعيف ينتصر من ظالمه بمالك الملك ومن له الخلق والأمر، ومن بيده نواصي العباد.

٦٤٥ ـ خَفِ ٱللَّه حَتَّى كأنَّكَ لم تُطِعْهُ، وَارْجُ اللَّهَ حَتّى كأنَّكَ لم تَعْصِهِ[١]. [ح ٢٠ : ٣١٥]

٦٤٦ ـ خَفِ اللَّه في سِرِّكَ، يَكْفِكَ مَا يَضُرُّكَ. [ق: ٦٨]

٦٤٧ ـ الخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأيَ[٢]. [ر ٢: ١٩٩]

٦٤٨ ـ الخَلْقُ عِيَالُ اللَّه[٣] وأَحَبُّ النَّاسِ إلَى اللَّه أشْفَقُهُم عَلَى عِيَالِه. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٦٤٩ ـ وسُئِل عن الفَرْق بين الغَمّ والخوْف فقال:

الخَوْفُ مُجاهَدةُ ٱلْأمْرِ المَخُوفِ قَبْلَ وقُوعِهِ، والغَمُّ مَا يَلْحَقُ ٱلإنْسَانَ مِنْ وقُوعِهِ[٤]. [ح ٢٠: ٢٨٥]

٦٥٠ ـ خِيَارُ خِصالِ النِّسَاء شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ، والْجُبنُ، والبُخْل[٥].
فَإذَا كانَتِ المرْأَةُ مَزْهُوّةً لم تُمكِّنْ مِنْ نَفْسها، وإذَا كانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالهَا ومَالَ بَعْلِهَا، وإذَا كانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ من كل شَيْءٍ يَعْرِضُ لهَا[٦].
[ر ٢٠: ٢٠٢]

---

(١) أي يجب على الإنسان أن يقف بين هذين المقامين: مقام الخوف والرجاء. وقد اختلف العلماء في: أي المقامين أفضل؟ والأحسن: أن يكون الإنسان في مقام الخوف حال الصحة والقوة والشباب، وفي مقام الرجاء حال الضعف والعجز والهرم! وما أحسن قول الإمام الشافعي في تصويره مقام الرجاء:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ـ ربي ـ كان عفوُك أعظما

(٢) المراد بالخلاف في الرأي: الخصومة فيه عناداً ومكابرة لا طلباً للصواب، ولا متابعة للمشورة؛ وبهذا تتشعب الآراء، وتختفي معالم الحقيقة.

(٣) عيال الله على المجاز؛ لأن الله جل جلاله منزه عن الصاحبة والولد ومشابهة الحوادث؛ والعيال في الأصل: جمع عيل ـ بالتشديد ـ كجياد وجيد قاله الصاغاني في التكملة وهو من يلزم الإنفاق عليه، ومن تتكفل به، ويكون اسماً للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته، وذكره المارزي في شرحه.

(٤) وفرقوا أيضاً بين الهم والغم؛ فقالوا: الهم: الحزن لما يأتي، وبه يمتنع النوم والأكل ويحدث الهزل، قال المتنبي:

والهَمُّ يخترم الجسيمَ نحافةً ... ويُشيب ناصيةَ الصبيّ ويُهرِمُ

والغم: الحزن على ما فات. والخوف في كلام الإمام بمعنى الهم.

(٥) الزهو بالفتح؛ الكبر، وزهي كعني مبني للمجهول: أي تكبّر. ومنه مزهوة: أي متكبرة.

(٦) فرقت كفرحت: أي فزعت. وبالرغم من مشاركة المرأة للرجل في كل شيء، حتى في غزو الفضاء لا تزال هذه الخصال مستحسنة فيها!

٦٥١ ـ خِيَارُ النَّاس يَتَرفَّعُونَ عَنْ ذِكْرِ مَعايِبِ النَّاسِ، ويَتَّهِمُونَ ٱلمخْبِرَ بِهَا، ويأثُرُونَ الفَضَائِلَ[١]، ويَتَعَصَّبُونَ لِأَهْلِهَا، ويَسْتَعْرِضُونَ مَآثِرَ الرُّؤَساءِ، وإفْضَالَهُمْ عَلَيهِمْ، ويُطَالِبُونَ أَنْفُسَهُمْ بالمكافَأةِ عَلَيها، وحُسْنِ الرِّعَاية لها. [ح ٢٠: ٢٧٤]

٦٥٢ ـ خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ آسَاكَ[٢]، وخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ كَفَاكَ[٣]. [ت: ٣٠]

٦٥٣ ـ خَيْرُ ٱلأُمُورِ أَوْسَاطُها. [ق: ١٤]

٦٥٤ ـ خَيْرُ أَهْلِكَ مَن كَفَاك. [ق: ١٤]

٦٥٥ ـ خَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَك. [ق: ١٤]

٦٥٦ ـ خَيْرُ ٱلإِخْوَانِ مَنْ إذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لم يَزِدْكَ في المَوَدَّة، وَإنِ احْتَجْتَ إِليْهِ لم يَنْقُصْكَ مِنهَا. [ح ٢٠: ٣٣٠]

٦٥٧ ـ خَيْرُ ٱلدُّنْيا والآخِرَةِ في خَصْلَتَيْنِ: الغِنَى والتُّقَى، وشَرُّ ٱلدُّنْيا وَٱلآخِرةِ في خَصْلَتَين: الفَقْرِ وَالفُجُورِ[٤]. [ح ٢٠: ٣٠١]

٦٥٨ ـ خَيْرُ ٱلْعَيْشِ ما لَا يُطْغِيكَ[٥]، وَلَا يُلْهِيكَ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠١]

٦٥٩ ـ خَيْرُ القُلُوبِ أَوْعَاهَا[٧]. [ح ٢٠: ٣٧٢]

---

(١) يأثرون الفضائل: ينقلونها ويروونها ويذكرونها عن غيرهم.

(٢) آساه بماله مواساة: أناله منه، وجعله فيه أسوة، أو. لا يكون ذلك إلا من كفاف؛ فإن كان من فضلة فليس بمواساة.

(٣) كفاه مؤونته يكفيه كفاية، وهي مرتبة فوق المواساة.

(٤) قريب منه في المعنى قول الشاعر:

ما أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنيا إذا اجتمعا ... وأَقْبَحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

(٥) الطغيان: مجاوزة الحد والقدر والارتفاع، والغلو في الكفر، والإسراف في المعاصي.

(٦) ألهاه: شغله. واللهو: اللعب ـ كما في القاموس ـ وفي المصباح: التروح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة. وفرق جماعة بين اللهو واللعب، فقيل: يشتركان في أنهما اشتغال بما لا يعني حراماً أو لا. وقيل: اللهو: أعم، فاستماع الملاهي: لهو لا لعب.

(٧) أوعاها: أي أحفظها لما يستحسن.

٦٦٠ ـ خَيرُ المقَالِ مَا صَدَّقَه ٱلفِعَال[١]. [ق: ١٤]

٦٦١ ـ خَيرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ. [ق: ١٤]

٦٦٢ ـ الخيرُ كُلُّه في السَّيفِ، ومَا قَامَ هَذَا ٱلدِّينُ إِلَّا بالسَّيْفِ. أَتَعْلَمُونَ مَعْنَى قَولِهِ تَعالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ...﴾؟ [الحديد: ٢٥] هَذَا هُوَ السَّيف[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

٦٦٣ ـ الخيرُ ٱلَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ: الشُّكْرُ مَعَ النِّعْمَةِ، وَالصبرُ عِنْدَ النَّازِلَةِ[٣]. [ق: ٢٥]

٦٦٤ ـ خَيرُ مَا عُوشِرَ بِهِ الملِكُ: قِلَّةُ ٱلخِلَافِ، وَتخفِيفُ ٱلمؤُونَةِ، وأَصْعَبُ ٱلأَشْيَاءِ عَلَى ٱلإِنْسَانِ: أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ[٤]، وأَنْ يَكْتُمَ سِرَّهُ[٥]. [ح ٢٠: ٣٣٣]

٦٦٥ ـ خَيرُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُجَرِّبْه[٦]. [ح ٢٠: ٢٩١]

٦٦٦ ـ خَيرُ النَّوَالِ، ما وَصَلَ قَبْلَ السُّؤَالِ. [س: ٢٣]

٦٦٧ ـ الخِيَرَةُ في تَرْكِ الطِّيَرَةِ[٧]. [ح ٢٠: ٢٨٣]

---

(١) الفعال ـ بفتح الفاء ـ: الكرم، وبالكسر: جمع فعل. والله تعالى يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

(٢) يريد الإمام: أن الحق الأعزل لا نفاذ له، وأن مصيره الموت ما لم تدفع عنه القوة وتحصنه، وهو أمر مشاهد لا مرية فيه، وقيام الدين بالسيف معناه: أن السيف شرع لحمايته لا لنشره، وحسبنا في ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ؟﴾ [يونس: ٩٩] وقوله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٩٦].

(٣) النازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.

(٤) معرفة الإنسان نفسه لباب الحكمة، وكنز الحقيقة، ولو عرف كل إنسان نفسه، ما تظالم الناس ولا تعادوا ولا التبست عليهم الأمور، ولا خفي وجه الصواب! ومن كلام سقراط: اعرف نفسك.

(٥) كتمان السر شديد على الإنسان، ولا يستطيعه إلا الأريب اللبيب وقد عبر عن ذلك بعض الشعراء حيث يقول:

ولا أكتم الأسرارَ لكن أنُمُّها ... ولا أدع الأسرارَ تغلي على قلبي
فإن قليلَ العقلِ من باتَ ليله ... تقلِّبه الأسرارُ جنباً إلى جَنْبِ

(٦) لأن الناس صناديق مقفلة، مفتاحها التجربة والمعاشرة، فإذا جربتهم بانت خبيئاتهم، وانكشفت سرائرهم، فربما فجعت فيهم؛ وقد قال الشاعر:

لا تمدحنَّ امرأً حتى تُجرِّبَه ... ولا تَذُمَّنْهُ مِنْ غيرِ تجريبِ

(٧) الخيرة ـ كجيزة وعنبة: الشيء المختار. والطيرة كعنبة: ما يتشاءم به من الفأل وفي الحديث: «أنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة»، ومن قولهم: الشؤم عند التشاؤم، والمؤمن الصادق=

٦٦٨ ـ الخيْرُ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يُصَرِّفَ نَفْسَهُ كما يَشاءُ ويَدْفَعها عَن الشُّرُورِ؛ والشِرِّيرُ مَن لم يَكُنْ كَذَلِك. [ح ٢٠: ٢٨٢]

٦٦٩ ـ الخيْرُ النَّفْسِ تَكُونُ ٱلحَرَكَةُ في ٱلخيْرِ عَليهِ سَهْلَةً مُتَيَسِّرةً، والحَركَةُ في الإِضْرَارِ عَسِرَةً بَطِيئةً، والشِّرِّيرُ بالضِّدِّ مِن ذَلِك. [ح ٢٠: ٢٧٥]

= لا يبالي بالطيرة، بل يمضي قدماً معتمداً على الله رب كل شيء؛ وقد سمع ابن عباس رجلاً قال ـ عند صياح غراب ـ: خيراً؛ فقال: لا خير ولا شر؛ والشاعر يقول:

لعَمْرُكَ ما تدرِي الطّوارق بالحصَى ولا زاجِرات الطيرِ ما اللّهُ صانعُ

حرف الدال

٦٧٠ ـ الدَّارُ الضَّيِّقَةُ. . العَمَى الأَصْغَرُ[١]. [ح ٢٠: ٣٤١]

٦٧١ ـ دَارِئ[٢] عَنِ الْمُؤمِنِ مَا اسْتَطَعْتَ، فإنَّ ظَهْرَه حِمَى[٣] اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ونَفْسَهُ كَرِيمةٌ عَلَى اللَّهِ تَعالَى، ولَهُ يكُونُ ثَوابُ اللَّهِ سُبْحانَه، فَظالِمُهُ خَصْمُ اللَّه، فَلا يكُنْ خَصْمَك. [ز: ١٥٥]

٦٧٢ ـ الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ، كالرَّامِي بِلَا وَتَر[٤]. [ر ٢: ٢٣٠]

٦٧٣ ـ الدَّاهِيَةُ مِنَ الرِّجالِ، مَن كَتَمَ سِرَّه مِمَّن يُحِبُّ؛ كَراهِيَةَ أَن يَشْهَرَه عِنْدَ غَضَبٍ مِنَ المُسْتَوْدِعِ، والصُّلْبُ مَن اشْتَدَّتْ عارِضَتُه[٥] في اليَقِينِ، وظَهَرَ حَزْمُه في التَّوكل[٦]. [ق: ٢٤، ٢٥]

٦٧٤ ـ دَعِ الذُّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَدَعَك[٧]. [ح ٢٠: ٣١٠]

---

(١) لأن الدار الضيقة لا تهش لها النفس، ولا ينشرح لها الصدر، ولا يسرح فيها البصر. . . فكأن صاحبها أعمى.

(٢) دارئ عن المؤمن: دافع عنه.

(٣) الحمى: ما وجبت حمايته، والمعنى: أن الله يمنع المؤمن أن يضام، فلا تظلمه فتكون خصماً لله، ومن كان خصماً لله كتب عليه الخذلان، وألحق به الخسران!

(٤) الرامي من قوس بلا وتر يسقط سهمه ولا يصيب، والذي يدعو الله ولا يعمل لا يجيب الله دعاءه، وفي الأثر: «تعرفْ إلى الله في الرخاء، يتعرف إليك في الشدة. . .».

(٥) العارضة: البيان واللسن والجلد والصرامة: أي تكون فصاحته وشجاعته وقوته في الحق.

(٦) الحزم في التوكل: أن يفرق الإنسان بين التوكل والتواكل، فيأخذ بالأسباب، ولا يفرط في الوسائل، ويعد لكل شيء عدته، معتمداً على الله، واثقاً بمعونته له، والله يحب الأقوياء ولا يضيع أجر العاملين!

(٧) أي اترك الذنوب اختياراً في الشباب، لا اضطراراً في الهرم! ولا تكن ممن قضى خير عمره في اقتراف الآثام فإذا عرته الشيخوخة أقلع عن المعاصي مكرهاً لا بطلاً، وتاب اضطراراً لا اختياراً، وصدق المعري حيث يقول:

رُوَيْدَكَ في عَهْدِ الصِّبا مُلِئَ الطِّرْسُ

٦٧٥ ـ دَعْ عَنْكَ: أَظُنُّ، وأَحْسِبُ، وأَرَى[١]. [ق: ٦٧]

٦٧٦ ـ دَعِ الْقَوْلَ فِيما لا تَعْرِف[٢]، والْخِطابَ فِيما لا تُكَلَّف[٣]. [ق: ٦٧]

٦٧٧ ـ دَعِ الكَذِبَ تَكَرُّماً، إِنْ لَمْ تَدَعْهُ تَأَثُّماً[٤]. [ح ٢٠: ٢٧١]

٦٧٨ ـ دَعِ اليَمِينَ للهِ إِجْلالاً، ولِلنَّاسِ إِجْمَالاً[٥]. [ح ٢٠: ٣٠٩]

٦٧٩ ـ الدُّعاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ. [ق: ١٦]

٦٨٠ ـ الدُّنيا أَوَّلُها عَناءٌ، وآخِرُها فَناءٌ. حَلالُها حِسابٌ، وحَرامُها عَذابٌ. مَنْ صَحَّ فِيها أَمِنَ، ومَنْ مَرِضَ فِيها نَدِمَ، ومَنِ اسْتَغْنَى فِيها فُتِنَ[٦]، ومَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، ومَنْ سَاعاهَا[٧] فاتَتْه، ومَنْ قَعَدَ عَنها أَتَتْه، ومَنْ نظَرَ إِلَيْها أَعْمَتْه، ومَنْ نظَرَ بِها بَصَّرَتْه[٨]. [ق ٣٢، ٣٣]

٦٨١ ـ الدُّنيا بالأَمْوَال، وَالآخِرَةُ بالأَعْمَال. [ت: ٣٠]

٦٨٢ ـ الدُّنيا جَمَّةُ المَصَائِب، مُرَّةُ المَشَارِب، لَا تُمَتِّعُ صَاحِباً بِصَاحِب. [ح ٢٠: ٢٧١]

٦٨٣ ـ الدُّنيا حُلُمٌ والآخِرَةُ يَقَظَةٌ؛ ونحنُ بَينهُما أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ[٩]. [ح ٢٠: ٣٢٦]

٦٨٤ ـ الدُّنيا حَمْقَاءُ، لا تَمِيلُ إِلَّا إِلى أَشْبَاهِهَا[١٠]. [ح ٢٠: ٢٩٤]

---

(١) المعنى: لا تعتمد على رأيك وحده، وتثبت في الأمور، ولا تحكم بالظنون؛ فإنها سهام خواطئ!

(٢) أي قف عند حد ما تعرفه، ولا تتجاوز قدرك، واعلم أن «لا أدري»: نصف العلم، ومن ترك قول: «لا أدري»، أصيبت مقاتله!

(٣) أي لا تكن فضولياً يدس أنفه فيما لا يراد منه، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

(٤) التأثم: ترك الإثم ومن ذلك قول عثمان رضي الله عنه: والله ما تركت الخمر تأثماً، ولكن تركتها تذمماً: أي لم أتركها من أجل الإثم بل مراعاة للمروءة والتصون!

(٥) لأن ترك اليمين تعظيم لله تعالى، وتحصين لاسمه الكريم من اللغو، وهو تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وأجمل في الطلب: اتأد واعتدل ولم يفرّط، وأجمل الصنيعة: حسنها وكثّرها، والتجمل للناس يدعو إلى ترك الحلف؛ لأن الحلاف لا يعظم في أعينهم ولا يكرم في نفوسهم!

(٦) فتن ـ مبني للمجهول ـ: ذهب ماله.

(٧) ساعاها: أي جاراها ومشى معها.

(٨) من نظر بها: أي استدل بأحوالها.

(٩) أضغاث أحلام: الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها. من الضغث وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس.

(١٠) وفي ذلك جاء قول المتنبي:

شَبِيهُ الشَّيءِ مُنجذِبٌ إِلَيهِ ... وأَشْبَهُنا بِدُنْيانا الطَّغَامُ

٦٨٥ ـ الدُّنْيا خُلِقَتْ لِغَيْرِها، ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِها[١]. [ر ٢: ٢٥٨]

٦٨٦ ـ ذم رجل الدنيا عنده فقال:

الدُّنيا دارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَها؛ ودارُ نَجاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْها، ودارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنها، مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ، ومُصَلَّى مَلائكتِهِ، ومَسْجِدُ أَنْبِيائِه، ومَتْجَرُ أَوْلِيائِه، رَبِحُوا مِنْهَا الرَّحْمَة، واَكْتَسَبُوا فِيها اَلْجَنَّة، فَمَنْ ذا يَذُمُّها وقَد آذَنَتْ بَبَيْنِها، وَنَادَتْ بفِراقِها، وشَبَّهَتْ بسُرُورِها السُّرُور، وبِبَلائِها البَلاء؛ تَرْغِيباً وتَرْهِيباً! فَيأيُّها الذَّامُّ للدُّنيا، المُعَلِّلُ نَفْسَه، مَتَى خَدَعَتْك؟ أَمْ مَتَى اَسْتَذَمَّتْ إِلَيْكَ[٢]! أَبِمَصَارِعِ آبائِك في البِلَى، أَمْ بمَضَاجِعِ أُمَّهاتِك في الثَّرَى! كَمْ مَرَّضْتَ بيَدَيْك، وعَلَّلْتَ بِكَفَّيْك، تَطلُب لَمرِيضِكَ الشِّفاء، وتَسْتَوْصِفُ لَهُ اَلأَطِبَّاء، غَدَاةَ لا يُغْنِي عَنهُ دَوَاؤُك، ولا يَنْفَعُه بُكاؤُك. [ع ٢: ٣٢٩]

٦٨٧ ـ الدُّنيا دارُ عَناء وَفَناء، وغِيَرٍ[٣] وَعِبَر[٤]؛ فَمِن الفَناء: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ[٥] قَوْسَه، مُفَوِّقٌ[٦] نَبْلَه، لا تَطِيشُ سِهامُه، وَلا تُؤْسَى[٧] جِراحُه، يَرْمِي الشَّبابَ بالهَرَم، والصَّحِيحَ بالسَّقَم، والحَياةَ بالمَوْتِ، شَارِبٌ لا يَرْوَى، وَآكِلٌ لا يَشْبَع.

ومِن العَناءِ: أَنَّ المَرْءَ يَجمَعُ مَا لا يَأْكُل، ويَبْنِي مَا لَا يَسكُن، ثُمَ يَخرُج إلى اللَّهِ ـ تَعالَى ـ بِلَا بِناءٍ نَقَل، ولَا مَالٍ حَمَل.

ومِن غِيَرِها: أَنَّها تُلْفِيك المَحْرُوم مَغْبُوطاً[٨]، والمَغْبُوطَ مَحْرُوماً؟ ولَيْسَ بَيْنَ ذَلِك إِلَّا نَعِيمٌ زَال، وَبُؤْسٌ نَزَل.

ومِن عِبَرِها: أَنَّ المَرْءَ يُشرِفُ عَلَى أملِه، فَيَقْطَعُه دُونَه أَجَلُه، فَلا أَمَلَ

---

(١) خلقت الدنيا سبيلاً إلى الآخرة، ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلود.

(٢) استذمّ إليه: فعل ما يذم على فعله.

(٣) الغير: الحوادث التي لا تدوم على حال.

(٤) العبر: الاعتبار والاتعاظ، جمع عبرة ـ بكسر العين ـ.

(٥) أوتر قوسه: جعل لها وتراً.

(٦) فوق نبله: أعدها للإرسال.

(٧) لا تؤسى: لا تداوى.

(٨) تلفيك: أي تريك وتصور لك، والمغبوط: من يتمنى الناس أن يكونوا مثله.

مُدْرَك، وَلا مُؤَمِّلَ مُدْرِك. فَسُبْحَان اللَّهِ! مَا أَغَرَّ سُرُورَها، وأَظْمَأَ رِيَّها[١]، وأَضْحَى فَيْأَها[٢]، كأَنَّ الَّذِي كانَ مِن الدُّنْيا لَمْ يَكُن، وكأَنَّ الَّذِي هُو كائِنٌ مِنها قَد كان، لا جَاءٍ يُرَدُّ، ولا مَاضٍ يُرْتَجَع، وإنَّ الآخِرَةَ هِي دَارُ القَرَار؛ ودَارُ المُقَام، وجَنَّةٌ ونَار. صَارَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ إلى الآخِرةِ بالصَّبْر، وإلى الأَمَلِ بالعَمَل، جَاوَرُوا اللَّهَ في دَارِه.. مُلُوكاً خالِدِين!! [ق: ٣٣، ٣٤]

٦٨٨ ـ الدُّنْيا دَارُ غُرُورٍ حَائِل[٣]، وزُخْرُفٍ ناصِل[٤]، وظِلٌّ آفِل[٥]، وسَنَدٍ مَائِل. تُرْدِي[٦] مُسْتَزِيدَها، وتَضُرُّ مُسْتَفِيدَها[٧]، فَكَم وَاثِقٍ بِها رَاكِنٍ إلَيْها قَد أَرْهَقَتْهُ إيثَاقُها[٨]، وأَعْلَقَتْهُ أَرْبَاقُها[٩]، وأَشْرَبَتْه خِنَاقُها[١٠]، وأَلْزَمَته وَثاقُها[١١]. [ق: ٣٤]

٦٨٩ ـ الدُّنْيا دَارُ مَمَرّ، إلَى دَارِ مَقَرّ، والنَّاسُ فِيهَا رَجُلَان: رَجُلٌ باعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَها[١٢]، وَرَجُلٌ أَبْتَاعَ نَفْسَه فَأَعْتَقَهَا. [ر ٢: ١٨١]

٦٩٠ ـ الدُّنْيا طَوَّاحَةٌ، طَرَّاحَةٌ فَضَّاحَةٌ، آسِيَةٌ[١٣] جَرَّاحَةٌ. [ح ٢٠: ٢٧١]

٦٩١ ـ الدُّنْيا مَزْرَعةُ إبْلِيسَ، وَأَهْلُها أَكَرَةٌ[١٤] حَرَّاثُونَ لَهُ فيهَا. [ح ٢٠: ٣٢٥]

---

(١) يعني: أن الارتواء منها شدة عطش.

(٢) ضحى للشمس كفرح: برز لها، والفيء: ما بعد الزوال من الظل، يعني: أن ظلها شدة حر؛ مبالغة جميلة في تصوير ضررها وذمها كما تقول: دواؤه داء، وخيره شر.

(٣) حائل: متحول.

(٤) الزخرف: الذهب والحسن من كل شيء. وناصل: ذاهب لونه.

(٥) آفل: غائب وذاهب.

(٦) تردي: تهلك.

(٧) طالب الفائدة منها.

(٨) أرهقته: كلفته مشقة. وإيثاقها: شدها.

(٩) أعلقته: جعلته يشد بها. وأرباقها: جمع ربق بفتح فسكون وهو حبل به عدة عرا يشد به البهم، كل عروة ربقة بكسر الراء وفتحها.

(١٠) أشربته: جعلته يحبه، والخناق ـ بالكسر ـ: الحبل يخنق به.

(١١) الوثاق ـ بفتح الواو وكسرها ـ: ما يشد به.

(١٢) باع نفسه لهواه وشهواته فأوبقها: أي أهلكها، وابتاع نفسه: أي اشتراها وخلصها من أثر الشهوات.

(١٣) آسية: مداوية معالجة.

(١٤) الأكرة ـ بوزن بررة ـ: الأجراء.

٦٩٢ ـ الدُّنْيا مَطِيَّةُ المؤمِن، عَليهَا يَرْتَحِلِ إِلَى رَبِّه، فَأَصْلِحُوا مَطَايَاكُمْ؛ تُبَلِّغْكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ. [ح ٢٠: ٢١٧]

٦٩٣ ـ الدَّهْرُ يُخْلِقُ ٱلْأَبْدَانَ، ويُجَدِّدُ ٱلآمالَ، وَيُقَرِّبُ المنِيَّةَ، ويُبَاعِد ٱلأُمْنِيَةَ. مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، ومَن فاتَه تَعِبَ[١]. [ر ٢: ١٦٢]

٦٩٤ ـ دَواءُ كلِّ دَاءٍ كِتْمَانُهُ[٢]. [ق: ١٧]

٦٩٥ ـ الدَّيْنُ رِقٌّ... فَلَا تَبْذُلْ رِقَّكَ، لمنْ لَا يَعْرِفُ حَقَّكَ[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٦]

٦٩٦ ـ الدَّيْنُ غُلُّ اللَّه في أَرْضِهِ[٤]، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُذِلَّ عَبْداً جَعَلَهُ في عُنُقِه. [ح ٢٠: ٢٨٩]

٦٩٧ ـ الدِّين مِيسَمُ[٥] الكِرَام، وطَالما وُقِّرَ الكِرَامُ بالدِّين. [ح ٢٠: ٣٣٠]

٦٩٨ ـ الدَّيِّنُ[٦] قَد كُشِفَ عَن غِطَاءِ قَلْبِهِ، يَرى مَطْلوبَه قَد طَبَّقَ ٱلْخَافِقَيْنِ[٧]، فَلَا يَقَعُ بَصَرُهُ عَلَى شَيءٍ إِلَّا رَآهُ فِيه. [ح ٢٠: ٣٠٧]

---

(١) يخلق الأبدان أي يبليها، ونصب من باب تعب: أعيا وكلّ، ومن ظفر بالدهر لزمته حقوق، وحقت به شؤون يعيبه مراعاتها، ويعجزه أداؤها، هذا إلى ما يتجدد له من الآمال التي تحتاج إلى طلب ونصب دائمين.

(٢) المراد كتمانه عن الأعداء لا عن الأطباء؛ لأن شماتة الأعداء، أشد من الداء! وما أصدق قول المتنبي في ذلك.

ولا تشكُ إلى خلقٍ فتُشمِتَهُ شكْوى الجريحِ إلى العِقْبان والرَّخَم

(٣) لأن الدائن اللئيم يستعبد المدين، والدين إلى ذلك ـ: هم بالليل ومذلة بالنهار!

(٤) الغلّ: الطوق من حديد.

(٥) الميسم ـ بكسر الميم وفتح السين ـ: الجمال. ولا شك أن الدين جمال الكرام، ومناط توقيرهم، ولا حسب لمن لا دين له، والشاعر العصري يقول:

إن الشريفَ هو الشَّريفُ بدينه دُنيا الشَّريف وجَاهُهُ في النَّار

(٦) الديِّن بتشديد الياء: المتدين.

(٧) الخافقان: أفق المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.

والمتدين: يصفو قلبه، وتلطف سريرته، فيستشف الغيب من ستر رقيق، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

حرف الذال

٦٩٩ ـ ذَاكِرُ اللّهِ في الغَافِلِينَ، كالشَّجَرَةِ ٱلخَضْرَاءِ في وَسَطِ ٱلهَشِيم[١]، وكالدَّارِ العَامِرَةِ بَيْنَ الرُّبُوعِ ٱلخَرِبَة. [ح ٢٠: ٣٤٧]

٧٠٠ ـ وقال لغالب بن صعصعة، أبي الفرزدق، في كلام دار بينهما:

مَا فَعلَت إِبِلُكَ الكَثِيرَةُ؟ قال: دَغْدَغَتْهَا الحقُوقُ يا أمير المؤمنين، فقال رضي الله عنه:

ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِها[٢] [ر ٢: ٢٥٥]

٧٠١ ـ ذَكِّ قَلْبَك بِالأَدَب، كما تُذَكّى[٣] النّار بِالحَطب. [ق: ٦٨]

٧٠٢ ـ ذَمُّ الرَّجُلِ نَفسَه في العَلَانِيَةِ مدْحٌ لها في السّرّ[٤]. [ر ٢٠: ٣٣٦]

٧٠٣ ـ ذَمُّ العُقَلَاءِ، أَشَدُّ منْ عُقُوبَةِ السُّلْطَانِ[٥]. [ح ٢٠: ٣٢٠]

٧٠٤ ـ ذُو الهِمَّة ـ وإِنْ حَطَّ نَفسَه ـ يأبَى إِلَّا عُلُوًّا؛ كالشُّعْلَةِ من النّار يُخْفيهَا صَاحِبُها، وَتَأْبَى إِلَّا ٱرْتِفَاعاً. [ح ٢٠: ٢٨٩]

---

(١) الهشيم: اليابس المتكسر من النبات، والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء.

(٢) دغدغ المال: فرقه وبدده.. أي: فرقت إبلي حقوق الزكاة والصدقات. وذلك أحمد سبلها: جمع سبيل، أي: أفضل طرق إفنائها؛ لأن المال يفنى، أما الثواب والذكر الحسن فباقيان.. وفي هذا المعنى يقول بعض العصريين:

دَغْدغَتْ مالَه ـ على واسعِ الثرْ ... وةِ ـ جدْواهُ.. والمعالي مَغارِمْ

(٣) التذكية: الإيقاد والإشعال؛ والمعنى: أن الأدب يوقد القلب ويزيد حدته، كما يزيد الحطب لهب النار.

(٤) في السر: أي مدح الناس لها فيما بينهم؛ لأن الناس يكرهون من يزكي نفسه، ويحبون من يهضمها.

(٥) لأن عقوبة السلطان عقوبة حسية، وقد تقع ظلماً فيرق الناس لمن وقعت به! أما ذم العقلاء فعقوبة معنوية دائمة الأثر، وهي تزري بمقام المعاقب ـ بفتح القاف ـ وتنادي عليه بسوء الخلق وفساد العقل، والشاعر يقول:

إذا اتّفقَ الناسُ في وَاحدٍ ... وخالفهم في الرِّضا واحدُ

فقد دلَّ إجماعُهم دونَه ... على عقلِهِ أنّهُ فاسدُ

حرف الراء

٧٠٥ ـ رَأْسُ الأَمْرِ مَعْرِفَةُ اللَّه تَعالَى، وعَمُودُه طَاعَةُ اللَّه عَزْ وجَلْ[١] [ق: ١٦]

٧٠٦ ـ رَأْسُ الدِّينِ صِحَّةُ اليَقِين[٢]. [ق: ١٦]

٧٠٧ ـ رَأْسُ العِلْمِ الرِّفق، وآفَتُه الْخُرْق[٣]. [ق: ١٦]

٧٠٨ ـ رَأْيُ الشَّيْخ أَحَبُّ إِلَيَّ من جَلَدِ الغُلَام[٤] ورُوِي «من مَشْهَدِ الغُلَام». [ر ٢: ١٦٦]

٧٠٩ ـ الرَّأْي يُرِيكَ غَايَةَ الأَمْرِ مَبْدَأَه[٥]. [ح ٢٠: ٢٨٢]

٧١٠ ـ رَأْيُكَ لَا يَتَّسِعُ لكُلِّ شيء؛ فَفرِّغْهُ لِلمُهِمّ منْ أُمُورِك؛ ومَالُك لَا يُغْنِي النَّاسَ كلَّهمْ؛ فَاخْصُصْ بهِ أَهْلَ الحَقّ. وكَرامَتُكَ لَا تُطِيقُ بَذْلَها في العَامَّة؛ فَتَوَخَّ بها أَهْلَ الفَضْل. ولَيْلُك ونَهارُكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَوائجَك؛ فَأَحْسِنِ القِسْمَةَ بَيْنَ عَمَلِك ودَعَتِك[٦]. [ح ٢٠: ٣١٤]

٧١١ ـ رَاحَةُ الإِنْسَان في حِفْظِ اللِّسَان. [ب ٣: ٦٥]

٧١٢ ـ الرَّاحَةُ مَع اليَأْسِ[٧]. [ز: ٢٩]

---

(١) إذا اجتمعت معرفة الله تعالى وطاعته للعبد فقد رسخ إيمانه وصحت عبادته، وتمسك من دينه بحبل متين، وسار في الطريق الأمين، وصانه الله من زلل القول والعمل!

(٢) اليقين: العلم وزوال الشك، والدين بغير يقين: ظنون وأوهام وتسويلات شياطين.

(٣) الخرق ـ بضم فسكون وبفتح الخاء والراء: ضد الرفق، وعدم إحسان العمل والتصرف في الأمور، والحمق.

(٤) جلد الغلام: صبره على القتال، ومشهده: إيقاعه بالأعداء، والرأي في الحرب أشد فعلًا من الإقدام.

والمعنى: ما يراه كبير السن بفكره، أفضل مما يباشره الصغير بجسمه، «والحرب خدعة» ـ كما جاء في الأثر.

(٥) أي إن الرأي يبين لك عاقبة الأمر قبل وقوعه.

(٦) الدعة: السكون والراحة.

وهذه الكلمات العبقرية، وتعدّ دستوراً رشيداً للحياة!

(٧) لأن اليأس من الشيء يصرف عن التفكير فيه، فيرتاح صاحبه، وقد قالوا: اليأس إحدى الراحتين.

٧١٣ ـ الرَّاضِي بِفِعْلِ قَومٍ كالدَّاخِلِ فيهِ مَعهُم، وعَلَى كلِّ داخلٍ في باطلٍ إثمان: إثْمُ العَمَلِ بهِ، وإِثْمُ الرِّضَا بهِ. [ر ٢: ١٨٩]

٧١٤ ـ رُبَّ أمْرٍ قَدْ طَلَبْتَه، وفِيهِ هَلاكُ دِينِك.. لَوْ أتَيْتَه. [ق: ٢٦]

٧١٥ ـ رُبَّ أمَلٍ خَائِبٌ، وطَمَعٍ كاذِبٌ. [ق: ٢٦]

٧١٦ ـ رُبَّ بَاحِثٍ عَن حَتفِه[1]. [ق: ٢٦]

٧١٧ ـ رُبَّ بَعِيدٍ أقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ. [ق: ٢٦]

٧١٨ ـ رُبَّ حَرْبٍ[2] أُحْيِيَتْ بِلَفْظَةٍ[3]، ورُبَّ وُدٍّ غُرِسَ بِلَحْظةٍ. [ح ٢٠: ٣٠١]

٧١٩ ـ رُبَّ رَجاءٍ يَعُودُ إلَى الحِرْمَانِ، ورُبَّ أرْبَاحٍ تَعُودُ إلَى الخُسْرَانِ. [ق: ٢٦]

٧٢٠ ـ رُبَّ سَاعٍ فِيما يَضُرُّه. [ق: ٢٦]

٧٢١ ـ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلَى حَرَبٍ[4]. [ق: ٢٦]

٧٢٢ ـ رُبَّ قَوْلٍ أنْفَذُ منْ صَوْلٍ[5]. [ر ٢: ٢٤٤]

٧٢٣ ـ رُبَّ كلمةٍ يَجْتَرِعُها حَليمٌ؛ مَخَافَةَ ما هُو شَرٌّ منها، وكَفَى بالحِلْمِ نَاصِراً. [ح ٢٠: ٢٦٤]

٧٢٤ ـ رُبَّ مُرْتاحٍ إلَى بَلَدٍ، وهُو لَا يَدْرِي أنَّ حِمَامَه في ذَلِكَ البَلَدِ[6]. [ح ٢٠: ٢٤٦]

٧٢٥ ـ رُبَّ مُسْتَقبِلٍ يَوماً.. لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، ومَغْبُوطٍ في أوَّلِ لَيْلِهِ.. قَامَتْ بَواكِيهِ في آخِرِه[7]. [ح ٢٠: ٢٤٢]

---

(١) الحتف: الموت.

(٢) لقد قامت حرب «السبعين» بين بروسيا وفرنسا بسبب برقية: «إمز» المشهورة في عهد غليوم الأول وبسمارك الألمانيين، ونابليون الثالث الفرنسي.

(٣) كثيراً ما تتولد المحبة من نظرة رقيقة حانية يمنحها الإنسان الإنسان؛ لأن اللحظ يعرب عن اللفظ ـ كما يقول بعض البلغاء ـ.

(٤) الحرب ـ كسبب ـ: أن يسلب المرء ماله.

(٥) الصول بالفتح: السطوة، وما أحسن قول بعضهم في معناه:

في لفظه واللحظ مندوحة ... عن صارم الحدين دلاقِ

(٦) الحمام بوزن كتاب: قدر الموت. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

(٧) ربما يستقبل شخص يوماً فيموت فيه ولا يستدبره: أي لا يعيش بعده، فيخلفه وراءه، والمغبوط: المنظور إلى نعمته.. وقد يكون المرء كذلك في أول الليل فيموت في آخره فتقوم بواكيه: جمع باكية!

٧٢٦ ـ رُبَّ مُشِيرٍ بما يَضِيرُ[١]. [ق: ٢٧]

٧٢٧ ـ رُبَّ مَغْبُوطٍ[٢] بِنعمَةٍ هِيَ دَاؤه، ومَرْحُومٍ من سَقَمٍ[٣] هُو شِفاؤه. [ح ٢٠: ٣٠٠]

٧٢٨ ـ رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ القَوْلِ فيه[٤]. [ر ٢٠: ٢٥٨]

٧٢٩ ـ رُبَّ هَزْلٍ قَدْ عَادَ جِدًّا. [ق: ٢٧]

٧٣٠ ـ رُبَّما أُتِيَ الحَازِمُ مِنْ حَيْثُ يَأمَنُ. [س: ٢٩]

٧٣١ ـ رُبَّما أُخِّرَ عَنكَ الإجَابَةُ؛ لِيَكُونَ أطْوَلَ لِلْمَسْألَةِ، وأَجْزَلَ لِلْعَطِيَّةِ[٥]. [ق: ٢٧]

٧٣٢ ـ رُبَّما أَخطَأَ البَصِيرُ قَصْدَه، وأَصَابَ العَمِي[٦] رُشْدَه. [ق: ٢٦]

٧٣٣ ـ رُبَّما أَكْدَى الحَرِيصُ[٧]. [ق: ٢٦]

٧٣٤ ـ رُبَّما سَأَلْتَ الشيءَ فَلَمْ تُؤْتَهُ، وأُوتِيتَ خَيْراً مِنه ـ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ـ، وصُرِفَ عَنكَ بما هُوَ خَيْرٌ لَكَ. [ق: ٢٦]

٧٣٥ ـ رُبَّما كانَ الدَّوَاءُ دَاءً. [ق: ٢٧]

٧٣٦ ـ رُبَّما نَصَحَ غَيْرُ نَاصِحٍ، وغَشَّ غَيْرُ المتَنَصِّحِ[٨]. [ق: ٢٧]

٧٣٧ ـ الرَّجَاءُ لِلخَالِقِ ـ سُبْحَانَه ـ أَقْوَى مِنَ الخَوفِ؛ لأنَّكَ تَخَافُه لذَنْبِك، وتَرْجُوه لجُودِه، فالخَوْفُ لَك، والرَّجَاءُ لَه. [ح ٢٠: ٣١٩]

٧٣٨ ـ رَحِمَ اللَّه امْرأً عَرفَ قَدْرَه، ولم يَتَعدَّ طَورَه. [ع: ٢٩]

---

(١) يضير: يضر.

(٢) الغبطة ـ بكسر الغين ـ: حسن الحال والمسرة، والمغبوط: المحسود على نعمته من غير تمني زوالها.

(٣) أي يشفق عليه الناس من سقم قد يكون فيه شفاؤه، ورُبَّ علة أذهبت العلل.

(٤) ومن هنا قالوا: بعض المدح، ذبح!.

(٥) ورد أن شخصين: أحدهما يحبه الله، والآخر يبغضه؛ فسألا الله حاجة، فأوحى الله إلى الملك أن يقضي حاجة البغيض مسرعاً، حتى يكف عن الدعاء؛ لأنه يبغض سماع صوته، وقال للملك: توقف عن حاجة فلان؛ لأني أحب صوته. ولو كشف الله الحجاب لفرح هذا، وحزن ذاك. والحديث الشريف يقول: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**».
(وانظر كتاب في ملكوت الله مع أسماء الله، للعارف بالله الحاج عبد المقصود محمد سالم ص٧٧ مطبعة الشمرلي بالقاهرة).

(٦) العمي: الضال.

(٧) أكدى: خاب وانقطع.

(٨) المتنصح: المتشبه بالنصحاء.

٧٣٩ ـ رَحِمَ اللَّه عَبداً اتَّقى ربَّه، ونَاصحَ نفسَه، وقَدَّمَ تَوْبَتَه، وغَلَبَ شَهوتَه؛ فَإِنَّ أَجلَه مَسْتُورٌ عَنه، وأَمَله خَادِعٌ لَه، والشَّيطَانَ مُوكَّلٌ به. [ح ٢٠: ٢٥٦]

٧٤٠ ـ الرَّحِيلُ وشِيكٌ[١]. [ر ٢: ١٩٣]

٧٤١ ـ رُدُّوا الحَجَرَ منْ حَيثُ جَاء؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُه إِلَّا الشرُّ[٢]. [ر ٢: ٢٢٥]

٧٤٢ ـ الرِّزْقُ رِزْقان: رِزْقٌ تَطْلُبه، ورِزْقٌ يَطْلُبك.. فَإِنْ لَم تَأْتِه أَتَاكَ، فَلا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى همِّ يَومِك.. كَفَاكَ كلُّ يَوم عَلَى مَا فيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ منْ عُمْرِك فَإِنَّ اللَّه تَعالَى سَيُؤْتِيك في كلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وإِنْ لَم تَكُن السَّنَةُ منْ عُمْرِك فما تَصْنَعُ بِالهَمِّ لِمَا لَيسَ لَك!.. ولَن يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، ولَنْ يَغْلِبَك عَليهِ غَالِبٌ، ولنْ يُبْطِئَ عَنكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ... [ر ٢: ٢٤٢]

٧٤٣ ـ الرِّزْقُ رِزْقَان: طَالِبٌ وَمَطْلوبٌ.. فَمن طَلَبَ الدُّنيا طَلَبَهُ المَوتُ حَتّى يُخْرِجَه عَنها، ومنْ طَلَبَ الآخِرَة طَلَبَتْهُ الدُّنْيا حَتّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنها. [ر ٢: ٢٥٢]

٧٤٤ ـ الرِّزْقُ مَقْسُومٌ، والأَيامُ دُوَلٌ، والنَّاسُ شَرَعٌ[٣] سَواءٌ؛ آدَمُ أَبُوهُم، وحَوَّاءُ أُمُّهُم. [ح ٢٠: ٢٧٨]

٧٤٥ ـ رَسُولُكَ تُرْجُمَانُ[٤] عَقلِك، وكِتَابُكَ أَبْلَغ مَا يَنطِقُ عَنكَ. [ر ٢: ٢٢٣]

٧٤٦ ـ رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّه[٥]. [ق: ١٩]

---

(١) الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب وإن طال الأجل.
فكيف والموت قد ينزل فجأة؟!

(٢) رد الحجر: كناية عن مقابلة الشر بزجر فاعله ودفعه؛ ليرتدع عنه، وهذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن؛ وفي ذلك يقول المتنبي:

إذا قيل رفقٌ قال للحلم موضعٌ … وحلمُ الفتى في غير موضعه جهلُ

(٣) شرع ـ كسبب ـ: أي متساوون.

(٤) الترجمان: المفسر للكلام بلسان آخر، وجمعه: تراجم كزعفران وزعافر.
وفيه لغات: فتح التاء والجيم، وفتح التاء وضم الجيم، وضم التاء والجيم.

(٥) أي قد يحمل الضر الإنسان على أن يرضى بالذل مع كراهته له! ولله در الشاعر الذي يقول:

ألا قاتلَ اللّهُ الضرورةَ إنها … تُكلف أعلى الخلقِ أدنى الخلائقِ

٧٤٧ ـ رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَك، فَتَحَرَّ الخَيْرَ بِجَهْدِكَ، وَلَا تُبَالِ بِسُخْطِ مَن يُرْضِيهِ البَاطِلُ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٧٤٨ ـ الرَّغْبَةُ إِلَى الكَرِيمِ تُحَرِّكُه عَلَى البَذْل، وإِلَى الخَسِيسِ[٢] تُغْرِيهِ بالمَنْع. [ح ٢٠: ٢٧٤]

٧٤٩ ـ الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ التَّعبِ، ومَطِيَّةُ النَّصَب[٣]. [ق: ١٩]

٧٥٠ ـ الرِّفْقُ تُنَالُ بِهِ الحَاجَة، وبِحُسْنِ التَّأَنِّي تَسْهُلُ المطَالِبُ. [ح ٢٠: ٢٦٣]

٧٥١ ـ الرِّفْقُ يَفُلُّ حَدَّ المُخَالَفة[٤]. [ح ٢٠: ٣١٧]

٧٥٢ ـ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيا ـ مَع مَا تُعايِنُ منهَا ـ جَهْل[٥]، والتَّقْصِيرُ في حُسْنِ العَمَلِ ـ إِذَا وَثِقْتَ بالثَّوابِ عَلَيهِ ـ غَبْنٌ[٦]، والطُّمَأْنِينةُ إِلَى كُلِّ أَحَد ـ قَبْلَ الاخْتِبارِ ـ عَجْزٌ. [ر ٢: ٢٤٣]

٧٥٣ ـ الرُّوحُ حَياةُ البَدَن، والعَقْلُ حَيَاةُ الرُّوحِ. [ح ٢٠: ٢٧٨]

---

(١) في مثله قال القائل:

وابغ رضا المولى فأغنى الورى   من أسخط المولى وأرضى العبيد

(٢) الخسيس: اللئيم البعيد عن مكارم الأخلاق.

(٣) المعنى: أن الاسترسال مع الآمال، يحمل صاحبه المشقات والآلام.

(٤) بالرفق تلين عريكة المخالف، ويجنح إلى السلم.

(٥) تعاين من الدنيا تقلباً وتحولاً لا ينقطع ولا يختص بخير ولا شر، فالثقة بها عمى عما تشاهد منها.

(٦) الغبن ـ بسكون الغين وفتحها ـ الخسارة الفاحشة، وعند اليقين بثواب الله على حسن العمل.. يعد التقصير فيه خسارة فاحشة!

حرف الزّاي

٧٥٤ ـ الزَّاهِدُ في الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ، أَعَزُّ مِنَ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ. [ح ٢٠: ٣٠١]

٧٥٥ ـ زُرِ القُبُور. . تَذْكُرْ بها الآخِرَةَ، وغَسِّلِ الموْتَى. . يَتَحَرَّكْ قَلْبُك؛ فَإِنَّ الجَسَدَ الخَاوِيَ[١] عِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وصَلِّ عَلَى الجَنَائِزِ، لعلَّهُ يَحْزُنُكَ؛ فَإِنَّ الحَزِينَ قَرِيبٌ مِن اللهِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٤٤]

٧٥٦ ـ الزَّكاةُ نَقْصٌ في الصُّورَة، وزِيادَةٌ في المعنَى[٣]. [ح ٢٠: ٢٩٩]

٧٥٧ ـ زَلَّةُ العَالِم كانْكِسَارِ السَّفِينَة، تَغْرَق ويَغْرَقُ مَعَها خَلْقٌ[٤]. [ح ٢٠: ٣٤٣]

٧٥٨ ـ زَمانُ الجَائِرِ مِن السَّلاطِينِ والوُلَاةِ أَقْصَرُ مِنْ زَمَانِ العَادِل؛ لِأَنَّ الجائِرَ مُفْسِدٌ، والعَادِلَ مُصْلِحٌ، وإِفْسَادُ الشَّيْءِ أَسْرَعُ مِن إِصْلَاحِه. [ح ٢٠: ٢٧٢]

٧٥٩ ـ الزَّمَانُ ذُو أَلْوَانٍ، ومَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرَ الْهَوان[٥]. [ح ٢٠: ٣١٤]

٧٦٠ ـ الزُّهْدُ في الدُّنيا قِصَرُ الأَمَل[٦]. [ق: ١٦]

---

(١) الجسد الخاوي: الهامد الخالي من الروح والحياة.

(٢) المراد بالحزين هنا: الممتلئ خشية من الله، المتفكر في لقائه، الذي يشعر بالتقصير في حقه، الباكي على خطيئته؛ وفي الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» ومن كلام الصوفية: رب معصية أورثت ذلّاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

(٣) لأن ما نقص من الزكاة في ظاهر الأمر، يخلفه الله على أصحابه ويضاعفه أضعافاً كثيرة، ويبارك للمزكين في رزقهم فوق ما ينالهم من الجزاء الأوفى؛ فالزكاة تجارة مربحة مع الله الرزاق المتين.

(٤) لأن المفروض أنه قدوة ورائد لقومه.

(٥) المراد بصحبة الزمان: طول عمر الإنسان؛ فتتقلب عليه أحوال كثيرة: من غنى وفقر، وسعادة وشقاء، وهناء وعزاء، ورخاء وشدة، وصحة وسقم.

وصدق ابن الرومي في قوله:

أرَى المرءَ مُذْ يَلقَى الترابَ بوجهه ... إلى أن يُوارَى فيه رَهْنَ المعاطبِ
وإنْ لم يُصَبْ إلّا بشرْخِ شبابه ... لكان قد استوْفَى جميعَ المصائبِ

(٦) لأن الجري وراء الآمال، جري وراء المطامع التي لا تحدها حدود، ولا يكفي بعضها عن بعض:

تموتُ مع المرءِ حاجاتُهُ ... وتبقَى له حاجةٌ ما بَقِي

٧٦١ ـ الزُّهْدُ ثَرْوَةٌ. [ر ٢: ١٤٩]

٧٦٢ ـ الزُّهْدُ قُرْبَةٌ[1]. [ق: ١٦]

٧٦٣ ـ الزُّهْدُ كُلُّه بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ القُرْآن: قالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ[2] وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[3] [الحديد: ٢٣]. ومَن لَم يَأْسَ عَلى المَاضِي، ولَم يَفْرَحْ بالآتي، فَقدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْه. [ح ٢٠: ٢٥٤]

٧٦٤ ـ زُهْدُكَ في رَاغِبٍ فِيكَ.. نُقْصَانُ حَظٍّ، ورَغْبَتُكَ في زَاهِدٍ فِيكَ.. ذُلُّ نَفْس[4]. [ر ٢: ٢٥٦]

---

(١) القربة: ما يقرب الإنسان من الله تعالى.

(٢) الأسى: الحزن؛ أي لكيلا تحزنوا على ما لم تدركوه. أو على ما تفقدونه؛ تسليماً لقضاء الله وقدره.

(٣) أي لكيلا تفرحوا بما تنالون فرح الزهو والخيلاء، والبطر بالنعمة، والاستطالة على من دونكم؛ كأنكم في أمان من الفقر والموت، والله لا يحب الفرحين!

(٤) بعدك عمن يتقرب منك ويلتمس مودتك، تضييع لحظ من الخير صادفك وأنت تلوي عنه، وتقربك ممن يبتعد عنك ذلّ ظاهر.

حرف السين

٧٦٥ ـ السَّاعاتُ تَهْضِمُ عُمْرَكَ[1]. [ق: ١٩]

٧٦٦ ـ سَاعِدْ أَخَاكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وزُلْ مَعَهُ حَيْثُ زَالَ[2]. [ص: ٦٨]

٧٦٧ ـ السَّامِعُ لِلْغِيبَةِ أَحَدُ المُغْتَابِين[3]. [س: ٢٣]

٧٦٨ ـ سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ قَعُودُه[4]. [ق: ٦٧]

٧٦٩ ـ السِّبابُ مُزَاحُ النَّوْكَى[5]، ولا بَأْسَ بالمُفاكهة يُرَوِّحُ بِها الإِنْسَانُ عَن نَفْسِه، ويَخْرُجُ عَنْ حَدِّ العُبُوس. [ح ٢٠: ٣٣٩]

٧٧٠ ـ سُبْحَانَ مَنْ نَدْعُوهُ لحظِّنا فَيُسْرِعُ، وَيدْعُونا لحظِّنا فَنُبْطِئ[6]؛ خَيْرُهُ إِلَيْنَا نازِلٌ، وشَرُّنا إِلَيْهِ صَاعِدٌ؛ وهُوَ مَالِكٌ قَادِرٌ. [ح ٢٠: ٢٤٨]

---

(١) أي كل ساعة تمر، تنقص من العمر، ونحن في غفلة عن هذا! ورحم الله القائل:

يَسُرُّ المرءَ ما ذَهَبَ الليالي وكان ذَهابُهنَّ له ذَهابا

(٢) وزل... المعنى: لا تخذله ولا تتخل عنه أبداً؛ فإن كان محقاً عاونته على الحق، وإن كان مبطلاً عاونته على الرجوع إلى الحق.

(٣) وفي ذلك يقول الشاعر:

والسامع الذم شريكٌ له...

(٤) القعود ـ كعمود ـ: البعير من الإبل، وهو البكر ـ بفتح الباء ـ حين يركب وأقله سنتان إلى أن يدخل في السادسة فيسمى جملاً. والمعنى كن سمحاً سهلاً في حال رخاء الأيام ولينها، وانتهزها فرصة للتمتع بما أحله الله من الطيبات، والمبادرة إلى فعل الخيرات، والإفضال على الأقارب والإخوان.

(٥) النوكى كسكرى: جمع أنوك كأحول، وهو الأحمق، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

أفِدْ طبعَك المكدودَ بالجدِّ راحةً يَجِمُّ، وعلِّله بشيءٍ من المزحِ

ولكن إذا أعطيتَه المزحَ فليكُنْ بمقدار ما يُعطى الطَّعامُ من المِلْحِ

(٦) نسأله تعالى قضاء حاجاتنا ومآربنا فيستجيب لنا؛ ويدعونا إلى ما فيه خيرنا وسعادتنا في العاجلة والآجلة فلا نسمع له.

٧٧١ ـ سَبُعٌ حَطُومٌ أَكُولٌ، خَيْرٌ مِن وَالٍ غَشُومٍ ظَلُومٍ[١]؛ ووالٍ ظَلُومٌ غَشُومٌ، خَيْرٌ مِن فِتْنَةٍ تَدُومُ[٢]. [ق: ١٧]

٧٧٢ ـ سِتَّةٌ لا تُخْطِئُهُم الكآبَةُ: فَقِيرٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِغِنًى[٣]، ومُكْثِرٌ يَخافُ عَلَى مَالِه، وطَالِبُ مَرْتَبَةٍ فَوْقَ قَدْرِه، والحَسُودُ، والحَقُودُ، ومُخَالِطُ أَهْلِ الأَدَبِ ولَيْسَ بِأَدِيبٍ. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٧٧٣ ـ سَتْرُ مَا عَايَنْتَ، أَحْسَنُ مِن إِشَاعَةِ مَا ظَنَنْتَ[٤]. [ح ٢٠: ٢٩٨]

٧٧٤ ـ سَتُسَاقُ إلى مَا أَنْتَ لاقٍ[٥]. [ح ٢٠: ٣٤١]

٧٧٥ ـ سَتَعْرِفُ الحَالَ عَلَى حَقِيقَتِها، ولَكِنْ حَيْثُ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُذَاكِرَ أَحداً بِها[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٧]

٧٧٦ ـ السَّخَاءُ قُرْبَةٌ[٧]، واللُّؤْمُ غُرْبَةٌ[٨]. [ق: ١٥]

٧٧٧ ـ السَّخَاءُ والجُودُ: بالطَّعَامِ لا بالْمَال، ومَن وَهَبَ أَلْفاً وشَحَّ بِصَحْفَةِ طَعامٍ، فَلَيْسَ بِجَوَادٍ[٩]. [ح ٢٠: ٣٤٠]

---

(١) الحطوم: الذي يكسر الفريسة. والغشوم: الظلوم.

(٢) لأن الوالي الظلوم الغشوم سيذهب ويذهب معه ظلمه وغشمه، ولكن الفتنة الدائمة تقضي على الحرث والنسل، وتميت الأمم، ولا يستقيم معها أمر.

(٣) لأن غناه فجأة يحير نفسه ويقلق قلبه، ويملأ صدره بالهواجس والوساوس، ويصير به إلى حال لا يحسن معها التصرف، ويفتح عليه أبواباً لا يدري كيف يدخلها أو يخرج منها.

(٤) يحب الله الستر لعباده، لأنه ستّير يحب الستير، ويكره أن تشيع الفاحشة في عباده المؤمنين، ومما يؤسف له أن الناس يعملون ضد ذلك ويغالون فيه كأنهم موكلون بهتك أستارهم، ونشر مثالبهم.

(٥) أي لا بدّ من نفاذ ما كتب عليك في الأزل؛ رفعت الأقلام وجفت الصحف.

(٦) أي سيكشف عنك الغطاء بعد الموت، فتعلم ما كنت به جاهلاً، وفي الحديث الشريف: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

(٧) القربة ـ بضم القاف ـ: القرابة، وتقرب إلى الله بشيء: طلب به القربة عنده؛ أي الدنو من رحمته.

(٨) اللؤم: دناءة الأصل وشح النفس. وغربة: أي بعد؛ لأنه يحمل على كراهية الناس لصاحبه فيعيش كأنه غريب.

(٩) يشير الإمام إلى خلق غريب في بعض الناس، وهو أنهم قد يسخون بالمال ويمنعون القرى، وممن عرف بذلك في الأقدمين: «محمد الأمين» العباسي وكثير غيره، وهو من عجائب الطبائع والأخلاق.

٧٧٨ ـ السَّخَاءُ مَا كانَ ابْتِداءً، فأمَّا ما كانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ . . فَحَياءٌ وتَذَمُّمٌ(١). [ر ٢: ١٦١]

٧٧٩ ـ السَّخِيُّ شُجَاعُ الْقَلْبِ(٢)، والبَخِيلُ شُجَاعُ الْوَجْه(٣). [ح ٢٠: ٢٩٠]

٧٨٠ ـ سِرُّكَ دَمُكَ؛ فَلَا تُجْرِيَنَّهُ إلَّا في أَوْدَاجِك(٤). [ح ٢٠: ٢٨٥]

٧٨١ ـ السَّعادَةُ التَّامَّةُ بالعِلْمِ، والسَّعادَةُ الناقِصَةُ . . بالزُّهْد(٥)، والعِبَادَةُ مِن غَيْرِ عِلْمٍ ولا زَهادَةٍ: تَعَبُ الجَسَدِ(٦). [ح ٢٠: ٣٠٧]

٧٨٢ ـ سَعَةُ الأَخْلَاقِ، كِيمياءُ الأَرْزَاقِ(٧). [ح ٢٠: ٣٣٩]

٧٨٣ ـ السَّعِيدُ مَن وُعِظَ بِغَيْرِه(٨)، والشَّقِيُّ مَن اتَّعَظَ بِهِ غَيْرُه(٩). [ح ٢٠: ٢٨٩]

٧٨٤ ـ السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، والرَّفِيقُ السوءُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّار. [ر ٢٠: ٣٣٨]

٧٨٥ ـ السَّفَرُ مِيزانُ الأَخْلَاقِ(١٠). [ح ٢٠: ٢٩٤]

---

(١) التذمم: الفرار من اللم كالتأثم والتحرج. وفي هذا المعنى يقول حافظ إبراهيم:

خَيْرُ الصنائع في الأنام صنيعةٌ … تَنْبُو بِصانِعِها عن الإذلالِ
وإذا النَّوالُ أتى ولم يُهْرِقْ له … ماءَ الوجوهِ فذاك خيرُ نوالِ
مَنْ جادَ من بَعْدِ السؤال فإنه … ـ وهو الجوادُ ـ يُعَدُّ في البُخّالِ

(٢) السخاء، أخو الشجاعة، وهما خلق الفتوة العربية، وقل أن يفترقا. وفي ذلك يقول مهيار:

سَخا بِهِمُ أن السخاةَ شجاعةٌ … وشجَّعهم أن الشجاعةَ جُودُ

ويقول أيضاً:

وإذا الخِلالُ الصالحاتُ تكاملتْ … فهي الشَّجاعةُ أو أخُوها الجُودُ

(٣) شجاعة الوجه: كناية عن الصفاقة؛ لأن البخيل لو لم يكن صفيقاً ما استطاع أن يعيش بين الناس، على كراهتهم له ونفورهم منه!!

(٤) الأوداج: جمع ودج ـ كسبب ـ: عرق في العنق. والمعنى: أن إفشاء السر قد يؤدي إلى سفك دمك؛ فاحتفظ به كما تحتفظ بحياتك.

(٥) يمنع الزهد أصحابه من الشره إلى اللذات، ويكفهم عن التمتع بكل ما تميل إليه نفوسهم؛ فلا يرضون شهواتهم في الدنيا. روى حبة العرني: أن الإمام جيء له بفالوذ؛ فقال: والله إنك لطيب الريح حسن اللون طيب المطعم، ولكني أكره أن أعوّد نفسي ما لم تعتده.

(٦) لأن العبادة بغير علم لا تكشف الظلمات، وبغير زهد لا تقمع الشهوات!!

(٧) لأن سعة الخلق وانفساح الصدر ولين العريكة، تحبب الناس في صاحبها، فيحسنون معاملته، ويؤثرون التعاون معه.

(٨) السعيد: هو الذي يستمد العظة مما وقع فيه غيره، فيتحرز من أسباب البلاء، ولا يغمض عينه عما يجري حوله، بل يتعظ ويعتبر قبل أن تحل به الكوارث!!

(٩) الشقي: من يعمى عن وجوه الحزم، والتبصر في العواقب، والتحصن من طوارق الأحداث، فتحل به المصائب؛ فيكون منبهاً لغيره من الناس وواعظاً لهم بسوء حاله.

(١٠) لأن السفر يكشف عن أخلاق الناس، ويفضح ما يكتمونه، ويهتك ما يتصنعونه، وكم من=

٧٨٦ ـ السِّفْلَةُ إذا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا، وإذا تَمَوَّلُوا[١] اسْتَطَالُوا، والعِلْيَةُ إذا تَعلَّمُوا تَواضَعُوا، وإذا افْتَقَرُوا صَالُوا. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٧٨٧ ـ مرَّ بمقبرة فقال:

السَّلَامُ عَلَيْكُم يا أَهْلَ الدِّيَارِ المُوْحِشَة، والمَحَالِّ المُقْفِرَة مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنات، والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ. أَنْتُمْ لنَا فَرَطٌ[٢]، ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ[٣]. نَزُورُكُمْ عَمَّا قَليلٍ، ونَلْحَقُ بِكُمْ بَعْدَ زَمانٍ قَصِير، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنَا ولَهُمْ، وتجاوَزْ عَنَّا وَعنهُم، الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعلَ الأَرْضَ كِفاتاً[٤]، أَحْيَاءً وأَمْواتاً. والحمدُ للهِ الَّذِي مِنْها خَلَقَنَا، وعَلَيها مَمْشَانا، وفِيها مَعاشُنَا، وإلَيْها يُعِيدُنا، فَطُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ المَعاد، وقَنِعَ بالكَفاف، وأَعَدَّ لِلْحِساب. [ح ٢٠: ٢٥٦، ٢٥٧]

٧٨٨ ـ السَّلَامَةُ، مَعَ الاسْتِقامَةِ. [ق: ١٦]

٧٨٩ ـ وقال لسائل سأله عن معضلة:

سَلْ تَفَقُّهاً، ولا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً؛ فإِنَّ الجَاهِلَ المُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بالعَالِم، وإِنَّ العَالِمَ المُتَعَسِّفَ[٥] شَبِيهٌ بالجَاهِلِ المُتَعَنِّتِ. [ر ٢: ٢٢٦]

٧٩٠ ـ سَلْ مَسأَلَةَ الحَمْقَى، واحْفَظْ حِفْظَ الأَكْيَاسِ[٦]. [ح ٢٠: ٢٨٥]

= أصدقاء اصطحبوا في سفر، فرجعوا أعداء!! ومن قول عمر ـ رضي الله عنه ـ لرجل مدح عنده رجلًا: . . . هل سافرت معه؟

(١) تمول الرجل: صار ذا مال. والمراد بالسفلة: أصحاب الأخلاق الدنيئة، وبالعلية: أصحاب الأخلاق الشريفة، والنفوس الدنيئة يملؤها العلم كبراً، والمال تجبراً، والنفوس الشريفة يزينها العلم بالتواضع، وإذا مسها الفقر لم يذلها بل يزيدها عزة وأنفة.

(٢) فرط القوم يفرطهم من باب نصر ـ: تقدمهم إلى الورد. والفرط بالتحريك: التقدم إلى الماء.

(٣) التبع: التابع.

(٤) قوله: ﴿كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦] مقتبسة؛ أي جعل الأرض مجمعاً لنا في حياتنا ومماتنا، الكفات ـ بالكسر ـ الموضع يكفت فيه الشيء، أي يضم ويجمع.. والأرض كفات لنا.

(٥) المتعسف: الآخذ على غير الطريق.

(٦) الحمق: ضعف العقل. والأكياس: العقلاء، جمع كيس ـ كجيد ـ والمراد: بالغ في مسألة العلماء حتى كأنك غبيّ؛ لتتمكن من تمام الفهم، واحفظ حفظ العقلاء الذين لا يضيعون شيئاً، وقد سئل ابن عباس عن سبب علمه، فقال: بلغنا ما بلغنا بلسان سؤول، وقلب عقول.

٧٩١ ـ سَلُوا الْقُلُوبَ عَنِ الْمَوَدَّاتِ؛ فإنَّها شُهُودٌ لا تَقْبَلُ الرِّشا[١]. [ح ٢٠: ٣٣٢]

٧٩٢ ـ السُّلْطانُ الفَاضِلُ هُوَ الَّذِي يَحْرُسُ الفضَائِلَ، ويَجُودُ بِها لِمَنْ دُونَه، ويَرْعاها مِن خاصَّتِه وعَامَّتِه، حَتَّى تَكْثُرَ في أَيَّامِه، وَيَتَحَسَّنَ بِها مَن لَمْ تَكُنْ فيهِ[٢]. [ح ٢٠: ٢٨٢]

٧٩٣ ـ السُّلْطانُ وَزَعَةُ اللّهِ في أَرْضِه[٣]. [ر ٢: ٢٢٩]

٧٩٤ ـ سُوءُ حَمْلِ الْغِنَى يُورِثُ مَقْتاً، وسُوءُ حَمْلِ الْفَاقَةِ يُضِيعُ شَرَفاً[٤]. [ح ٢٠: ٢٨٧]

٧٩٥ ـ سُوءُ الخُلُقِ يُعْدِي؛ وذاكَ أَنَّهُ يَدْعُو حِبَّكَ[٥] إلى أَنْ يُقَابِلَكَ بِمِثْلِه. [ح ٢٠: ٢٩٠]

٧٩٦ ـ سُوءُ الظَّنِّ يَدْوِي[٦] القُلُوب، ويَتَّهِم المَأْمُون، ويُوحِشُ المُسْتَأْنِس، ويُغَيِّرُ مَوَدَّةَ الإِخْوَان. [ح ٢٠: ٢٨٠]

٧٩٧ ـ سُوءُ العَادَةِ كَمِينٌ لا يُؤْمَن[٧]. [ح ٢٠: ٣٠٢]

---

(١) الرشا: جمع رشوة ـ بكسر الراء وضمها فيهما ـ: أي إن القلوب لا تكذب أصحابها، وقد قيل: اتقوا من تبغضه قلوبكم، والشاعر يقول:

وللقلب على القلب ... دليلٌ حين يلقاهُ.

(٢) هو كقولهم: الناس على دين ملوكهم، والرعية صورة الراعي؛ لأنه الإمام والقدوة لهم.

(٣) الوزعة بالتحريك: جمع وازع وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة، والإخبار بالجمع، لأن أل في السلطان للجنس، ومن قول الخليفة عثمان رضي الله عنه:

إن الله ليزعُ بالسّلطان، ما لا يزع بالقرآن

(٤) المقت: البغض. والمعنى: أن الغني إذا أبطره الغنى أبغضه الناس، وأن الفقير إذا لم يتجمل أضاع كرامته، وحط من قدره!! ويقول بعض العصريين في هذا المعنى:

ولم أرَ في عسْرٍ مُقراً بِذِلّةٍ ... ولا ساحباً ذيلَ المخيلةِ في يُسْر

(٥) الحب ـ بكسر الحاء ـ: الحبيب. وفي الأثر: «المرء على دين خليله».

وقال الحكيم: اعتبر الصاحب بالصاحب.

وقال الشاعر:

عن المرء لا تسألْ وسَلْ عن قرينه ... فكلُّ قرينٍ بالمُقارَنِ يَقْتدي

(٦) يدوي: يصيب القلب بالداء، والدوى ـ كالنوى ـ: المرض، وأدويته: أمرضته. وقد صدق المتنبي في قوله:

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظُنونُه ... وصدَّق ما يعْتادُهُ من توهُّم

وعادَى مُحبِّيه بقولِ عُداته ... وأصبحَ في ليلٍ من الشّكِّ مُظْلِم

(٧) لأن العادة طبيعة ثانية فلا يؤمن جانبها، ولا يدرى متى تهيج على صاحبها فتوقعه في المشكلات!!

٧٩٨ ـ سُوءُ الْقَالَةِ في الإنْسَان ـ إذا كانَ كَذِباً ـ نَظِيرُ المَوْتِ؛ لِفَسادِ دُنياه، فإن كانَ صِدْقاً فأَشَدُّ مِن المَوْتِ؛ لِفَسادِ آخِرَته[1]. [ح ٢٠: ٢٨٨]

٧٩٩ ـ سُوسُوا إِيمانَكُمْ بالصَّدَقَة، وحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بالزَّكاةِ[2]، وادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ، بالدُّعاءِ. [ر ٢: ١٨٣]

٨٠٠ ـ سَيِّئَةٌ تَسُوؤُكَ، خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِن حَسَنَةٍ تعْجِبُك[3]. [ر ٢: ١٦٠]

---

(١) ذيوع القول السيئ في الإنسان يفسد عليه دنياه إذا كان كذباً، لأنه يشوه سمعته، ويباعد بينه وبين الناس، وهذا يساوي الموت!! وإن كان صدقاً يفسد عليه آخرته؛ لأنه سيجازى به يوم القيامة، ويلقى عليه العذاب، وهذا أشد من الموت؛ لأن الموت راحة. ومن يصلى النار لا يموت فيها ولا يحيا!!

(٢) السياسة: حفظ الشيء بما يحوطه من غيره، فسياسة الرعية حفظ نظامها بقوة الرأي، والأخذ بالحدود، والصدقة تستحفظ الشفقة، والشفقة تستزيد الإيمان وتذكر بالله. والزكاة: أداء حق الله من المال، وأداء الحق حصن النعمة.

(٣) لأن الحسنة المعجبة ربما جرّ الإعجاب بها إلى سيئات، والسيئة المسيئة ربما بعث الكدر منها إلى حسنات. . .

وهو كقول الصوفية:

رُبَّ معصية أورثت ذُلّاً وانكساراً، خيرٌ من طاعة أورثت عزًّا واستكبارا!!

وقولهم:

أنين المذنبين، أحبُّ إلى الله من زجَل المسبِّحين!

حرف الشين

٨٠١ ـ شَارِكُوا الَّذِي قَد أَقْبَلَ عَليهِ الرِّزْقُ؛ فإنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى، وأَجْدَرُ بإقْبالِ الحَظِّ عَلَيْه[١]. [ر ٢: ٢٠١]

٨٠٢ ـ شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْن: عَمَلٌ تَذْهَبُ لَذَّتُه، وتَبْقَى تَبِعَتُه؛ وعَمَلٌ تَذْهَبُ مَؤُونَتُه، ويَبْقَى أَجْرُه[٢]. [ر ٢: ١٧٦]

٨٠٣ ـ الشُّحُّ أَضَرُّ عَلَى الإنْسَانِ مِن الفَقْر، لِأنَّ الفَقِيرَ إذا وَجَد.. اتَّسَع[٣]، والشَّحِيحُ لا يَتَّسِعُ.. وإن وَجَد. [ح ٢٠: ٣٣٥]

٨٠٤ ـ الشُّحُّ[٤] يَجْلِبُ المَلَالَة. وفي رِوَايَة: «يَجْلِب المَلَامَة». «وهي الرواية الصحيحة». [ق: ١٥]

٨٠٥ ـ شَرُّ الإخْوَانِ مَن تُكُلِّفَ لَهُ[٥]. [ر ٢: ٢٦٢]

٨٠٦ ـ الشَّرُّ جَامِعٌ لمسَاوِئِ العُيُوبِ. [س: ٢٣]

٨٠٧ ـ شَرٌّ مِنَ المَوْتِ مَا إذا نَزَلَ تَمَنَّيْتَ بِنزُولِه المَوْتَ[٦]، وخَيْرٌ مِنَ الحَياةِ مَا إذا فَقَدْتَه أَبْغَضْتَ لِفَقْدِهِ الحَياةَ[٧]. [ح ٢٠: ٢٩١]

---

(١) أي إذا رأيتم شخصاً أقبل عليه الرزق؛ فاشتركوا معه في عمله من تجارة أو زراعة أو غيرهما، فإنه مظنة الربح؛ لأن حظه الحسن سيعمكم، وبضد هذا مشاركة المشؤوم؛ والتجربة قد دلّت على ذلك.

(٢) الأول عمل في شهوات النفس، والثاني عمل في طاعة الله.

(٣) أنفق عن سَعة. والمعنى: أن الشحيح فقير في حاليْ عسره ويسره.

(٤) الشح: البخل مع الحرص.

وعلى رواية «الملالة»: يمله الناس ويمقتونه ويفرون منه!!

(٥) التكلف مستلزم للمشقة ومستدع لزيادة النفقة. وهو شر لازم عن الأخ المتكلف له، فهو شر الإخوان؛ والله لا يحب المتكلفين.

(٦) وفي ذلك يقول أحمد بن أبي بكر:

مَن كان يرجو أن يعيش فإنني ... أصبحتُ أرجو أن أموتَ فأُعتَقا
في الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنها ... عُرِفَتْ لكان سبيلُه أن يُعشَقا

(٧) وفي ذلك يقول بعض العصريين ـ يبكي الشباب ـ:

رزئني الدهرُ صحّتي وشبابي ... ليته كان حاكماً بالسَّويه =

٨٠٨ ـ شُرْبُ الدَّوَاءِ لِلْجَسَدِ كالصَّابُونِ لِلثَّوْبِ؛ يُنَقِّيه، ولكِن يُخْلِقُه[١]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

٨٠٩ ـ الشَّرَفُ اعْتِقَادُ المِنَنِ في أَعْنَاقِ الرِّجَالِ[٢]. [ح ٢٠: ٢٦٢]

٨١٠ ـ الشَّرَفُ بالْعَقْلِ، والأدَبِ، لا بالأصْلِ والحَسَبِ[٣]. [ز: ٣٠]

٨١١ ـ الشَّرَهُ جَامِعٌ لِمسَاوِئِ العُيُوبِ[٤]. [ق: ١٩]

٨١٢ ـ الشَّرِيفُ دُونَ حَقِّهِ يُقْتَل، ويُعْطِي نافِلَةً فَوْقَ الحَقِّ عَليهِ[٥]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٨١٣ ـ الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ[٦]. [ز: ٢٩]

٨١٤ ـ شَفِيعُ المُذْنِبِ إقْرَارُه[٧]، وتَوْبَتُه اعْتِذَارُه[٨]. [ح ٢٠: ٢٨٣]

٨١٥ ـ الشُّكْرُ زِينَةُ الغِنَى. [ق: ١٦]

٨١٦ ـ شُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ: الوَرَعُ عَن مَحَارِمِ اللهِ[٩]. [ق: ٢٠]

= ما انتفاعي ـ وإن عمرت طويلاً ـ بحياة من الهناء خليه؟
عمر نوح عندي أقل غناء من شهور بالطيبات غنيه
ذهب الأكرمان ـ يا عمر ـ فاذهب أو فلبث؛ إني خسرت القضيه

(١) يخلقه: يبليه، وقد أجمع الأطباء قديماً وحديثاً: على أن الإفراط في تناول الأدوية لا يحمد، وقد يفقد به الجسم قوته ومناعته!! كما أنه إذ أمكن التداوي من طريق الطعام، كان خيراً من التداوي بالعقاقير وحدها.

(٢) المنن: النعم وزناً ومعنى؛ واحدتها منة كنعمة. واعتقاد المنن في أعناقهم: كناية عن فعل المعروف معهم.

(٣) الحسب: المال، أو ما تعده من مفاخر الآباء، أو الشرف الثابت في الآباء، أو مفاخر الإنسان نفسه لا مفاخر آبائه.

والمراد: أن العصامي خير من العظامي، وما أحسن قول الشاعر:

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

(٤) الشره: غلبة الحرص. والمساوئ: العيوب: أي جامع لعيوب العيوب!!

كقول الشاعر:

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

(٥) المعنى: أن الرجل الحر يستعذب الموت دون غصب حقه، ولكنه يتبرع بما فوق حقه راضياً مختاراً.

(٦) أي يقوم له مقام الجناح للطائر في إنجاح سعيه وإيصاله إلى بغيته.

(٧) لأن الاعتراف، يمحو الاقتراف.

(٨) لأن الاعتذار تنصل من الذنب، وندم على فعله، فهو توبة و«التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

(٩) محارم الله: ما حرمه من الخبائث والآثام. ومن حق الله علينا أن نقابل نعمه بترك عصيانه.

٨١٧ ـ الشُّكْرُ والوَرَعُ: جُنَّةٌ[1]. [ق: ١٦]

٨١٨ ـ شَكَرْتَ الوَاهِبَ، وبُورِكَ لَكَ فِي المَوْهُوب، ورُزِقْتَ خَيْرَه وبِرَّه، خُذْ إِلَيْكَ أَبَا الأَمْلَاك[2].

[قالها لعبد الله بن العباس لما وُلد ابنه علي بن عبد الله]. [ح ٢٠: ٣٣٤]

٨١٩ ـ الشَّيءُ الَّذِي لا يَحْسُنُ أَن يُقَالَ ـ وإِن كانَ حَقًّا ـ مَدْحُ الإِنْسَانِ نَفْسَه. [ح ٢٠: ٢٩٧]

٨٢٠ ـ الشَّيْءُ الَّذِي لا يَسْتَغْنِي عَنهُ أَحَدٌ هُوَ التَّوْفِيق[3]. [ح ٢٠: ٣٣٣]

٨٢١ ـ الشَّيءُ المُعَزِّي لِلنَّاسِ عَن مَصَائِبِهِم: عِلْمُ العُلَمَاءِ[4] أَنَّها نَقْعَاءُ اضْطِرَارِية، وَتَأَسِّي العَامَّةِ بَعْضِها بِبَعْض. [ح ٢٠: ٣٣١]

٨٢٢ ـ الشَّيْبُ إِعْذَارُ المَوْتِ[5]. [ح ٢٠: ٣١٨]

٨٢٣ ـ شَيْطَانُ كُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسُه[6]. [ح ٢٠: ٢٩٢]

---

(١) الورع: التقوى. والجنة ـ بضم الجيم ـ: الوقاية.

(٢) الأملاك: الملوك، وقد صحت كلمة الإمام رضي الله عنه فقد كان من ذرية عبد الله بن العباس، الخلفاء العباسيون؛ وللإمام كرامات كثيرة، ونبوءات صادقة.

(٣) ما أصدق قول الإمام، فقد قيل: لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق.

(٤) النقعاء ـ بالقاف ـ الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء، شبه بها مصائب الدنيا، والمراد: علم العلماء بأن المصائب ضريبة على أبناء آدم في الدنيا يعزيهم عن وقوعها؛ لأن وقوعها أمر منتظر. أما العامة فيتسلى بعضهم ببعض، والشمردل بن شريك يقول:

ولولا الأسى ما عِشْتُ في الناس ساعةً ... ولكنْ إذا ما شئت جاوبني مثلي

(٥) أعذر: أبدى عذراً. ومن أعذر فقد أنذر!! والمراد: أن الشيب نذير الموت، وليس لصاحبه عذر في تقصيره.

(٦) لأنها تأمره بالسوء، وتزين له الفواحش، وتسوقه إلى المهالك!! وفي الأثر: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

حرف الصاد

٨٢٤ ـ الصَّابِرُ عَلَى مُخَالَطَةِ الأَشْرَار وصُحْبَتِهِم، كَرَاكِبِ البَحْرِ: إنْ سَلِمَ بِبَدَنِه مِنَ التَّلَفِ، لَمْ يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الحَذَرِ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٨٢٥ ـ صَاحِبُ السُّلْطَان كرَاكِبِ الأَسَد: يُغْبَط بمَوْقِعه، وهُوَ أَعْلَمُ بمَوْضِعه[٢]. [ر ٢: ٢١٣]

٨٢٦ ـ الصَّاحِبُ كالرُّقْعَةِ في الثَّوْبِ، فاتَّخِذْهُ مشَاكِلاً[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٩]

٨٢٧ ـ الصَّاحِبُ، مُنَاسِب[٤]. [ق: ١٤٥]

٨٢٨ ـ الصَّبْرُ جُنَّةٌ[٥] مِنَ الفَاقَة[٦]. [ق: ١٥]

٨٢٩ ـ الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ. [ق: ١٥]

٨٣٠ ـ الصَّبْرُ صَبْرَان: صَبْرٌ عَلَى ما تَكْرَهُ، وصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ. [ر ٢: ١٦١]

٨٣١ ـ الصَّبْرُ عَلَى مَشَقَّةِ العِبَادَةِ يَتَرَقَّى بِكَ إلى شَرَفِ الفَوْزِ الأَكْبَر. [ح ٢٠: ٢٧٨]

٨٣٢ ـ الصَّبْرُ في العَوَاقِب: شَافٍ، أَوْ مُرِيحٌ. [ح ٢٠: ٣٤١]

٨٣٣ ـ الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لا تَكْبُو، والقَنَاعَةُ سَيْفٌ لا يَنْبُو[٧]. [ح ٢٠: ٢٥٦]

---

(١) المراد أن صحبتهم عناء وشقاء: حساً ومعنى، ظاهراً وباطناً!!

(٢) يغبط مبني للمجهول: أي يغبطه الناس ويتمنون منزلته؛ لعزته، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر؛ لأنه لا يدري متى يثور السلطان عليه فيوقع به!!

(٣) المشاكل: المشابه والمماثل. والمعنى: أنه يجب على الصديق أن يتخير صديقه مماثلاً له في خلقه ومذهبه؛ لأنه إن كان على غير ذلك لفت الأنظار، وأثار التعجب، وأطلق الريبة، وأشاع قالة السوء، وكان كاصطحاب الغراب والطاووس.

(٤) المناسب ـ القريب والمشاكل؛ لأن الطيور على أشكالها تقع.

(٥) الجنة ـ بوزن حلة ـ: السترة ـ بضم السين وما استترت به من سلاح.

(٦) الفاقة: الفقر والحاجة. وإنما كان الصبر كذلك؛ لأن الله يحب الصابرين ويجزيهم على صبرهم، ولأن الصابر قوي العزيمة، شديد الاحتمال، حسن التأني، وسيعينه ذلك يوماً ما أن يصل إلى مرتزق شريف يدفع عنه الفاقة.

(٧) كبا: سقط. ونبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة.

٨٣٤ ـ الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الفَرَجِ. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٨٣٥ ـ صِحَّةُ الجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الحَسَدِ(١). [ر ٢: ٢٠٦]

٨٣٦ ـ صَدْرُ العَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّه(٢)، والبَشَاشَةُ حِبَالَةُ(٣) المَوَدَّة، والاحْتِمَالُ قَبْرُ العُيُوبِ(٤)، والمُسَالَمَة خِبَاءُ العُيُوب، ومَنْ رَضِيَ عَن نَفْسِه كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْه(٥). [ر ٢: ١٥٠]

٨٣٧ ـ الصِّدْقُ عِزٌّ، والكَذِبُ مَذَلَّةٌ، ومَنْ عُرِفَ بالصِّدْقِ جَازَ كَذِبُه، ومَنْ عُرِفَ بالكَذِبِ لَمْ يَجُزْ صِدْقُه(٦). [ح ٢٠: ٣٢٩]

٨٣٨ ـ الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ(٧)، وأَعْمَالُ العِبَادِ في عَاجِلِهِم، نَصْبُ أَعْيُنِهِم في آجِلِهِم. [ر ٢: ١٥٠]

٨٣٩ ـ الصُّدُودُ آيَةُ المَقْتِ(٨). [ق: ١٥]

٨٤٠ ـ صَدِيقُ البَخِيلِ مَنْ لَمْ يُجَرِّبْه(٩). [ح ٢٠: ٢٩٢]

٨٤١ ـ الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُه(١٠). [ق: ١٥]

---

(١) قال ابن أبي الحديد: معناه: إن القليل الحسد لا يزال معافى في بدنه، والكثير الحسد يمرضه ما يجده في نفسه من مضاضة المنافسة وما يتجرعه من الغيظ، ومزاج البدن يتبع أحوال النفس.
وقد تكون القلة بمعنى العدم: أي من عدم الحسد، وهو مذهب العرب في ذلك؛ كقولهم: كثير محاسنه، قليل معايبه: أي كله محاسن، وليس فيه معايب.

(٢) لا يفتح الصندوق فيطلع الغير على ما فيه.

(٣) الحبالة ـ بالكسر ـ: شبكة الصيد، وبشيش الوجه يصيد مودات القلوب.

(٤) والاحتمال: تحمل الأذى، ومن تحمل خفيت عيوبه كأنما دفنت في قبره.

(٥) لأن الراضي عن نفسه معجب بها لا يرى لها عيباً؛ ويرى الناس دونه في كل شيء، ومن كان كذلك كثر الناقمون عليه!!

(٦) وفي ذلك يقول الشاعر:

حَسْبُ الكذوب من البليّة ... بعض ما يُحكى عليه
ما إن سمعتَ بكِذْبةٍ ... من غيره.. نُسِبَتْ إليه

(٧) منجح: ذو نجح. والنصب ـ بفتح فسكون وكسبب: العلم المنصوب والغاية، وكقفل وبضمتين: ما جعل علماً. والمراد: أن أعمالهم يوم القيامة تكون بادية أمامهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

(٨) المقت: البغض.

(٩) المراد: أن البخيل متى عرف اجتنبه الناس، فإذا رأيت له صديقاً فاعلم أنه لم يختبره.

(١٠) الغيب: ما غاب عنك؛ والمراد: صدق المودة في كل حال، وفي مثل ذلك ما أنشده أبو حاتم:

تودّ عدوّي ثم تزعم أنني ... صديقُك إن الرأي عنك لعازبُ
وليس أخي مَن ودّني رأي عينه ... ولكنْ أخي مَن ودّني وهو غائب

٨٤٢ ـ الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ، والأَخُ نَسِيبُ الجِسْمِ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

٨٤٣ ـ صَدِيقُكَ مَنْ نَهاكَ[٢]، وعَدُوُّكَ مَنْ أَغْرَاكَ[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٨٤٤ ـ الصِّراطُ مَيْدَانٌ يَكْثُرُ فيهِ العِثارُ، فالسَّالِمُ ناجٍ، والعَاثِرُ هَالِكٌ. [ح ٢٠: ٣٧٧]

٨٤٥ ـ صِفَةُ المُؤْمنِ قُوَّةٌ في دِينِه، وجُرْأَةٌ في لِينِه، وإيمانٌ في يَقِينِه، وخَوْضٌ في فِقْهٍ، وبِرٌّ[٤] في اسْتِقَامَةٍ، وعَمَلٌ في عِلْمٍ، ونَشَاطٌ في هُدًى، وكَيْسٌ[٥] في رِفْقٍ. لا يَغلِبُهُ فَرْجُه[٦]، ولا يَفْضَحُه بَطْنُه[٧]، نَفْسُه مِنْهُ في عَنَاءٍ، والنَّاسُ مِنهُ في إعْفَاءٍ، لا يَغْتَابُ ولا يَتكَبَّرُ[٨]. [ق: ١٢٩]

٨٤٦ ـ الصَّلَاةُ قُرْبانُ كُلِّ تَقِيٍّ، والحَجُّ جِهادُ كلِّ ضَعِيفٍ، ولِكُلِّ شَيْءٍ زَكاةٌ، وزَكاةُ البَدَنِ الصِّيامُ، وجِهادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ[٩]. [ر ٢: ١٨٢]

٨٤٧ ـ صَلَاحُ كلِّ ذِي نِعْمَةٍ في خِلَافِ مَا يُفْسِدُها عَليه[١٠]. [ح ٢٠: ٣٠١]

٨٤٨ ـ صَوَابُ الرَّأْيِ بالدُّوَلِ: يُقْبِلُ بإقْبَالِها، ويَذْهَب بِذَهابِها[١١]. [ر ٢: ٢٣٠]

٨٤٩ ـ الصَّوْمُ عِبادَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَخالِقِه، لا يَطَّلِعُ عَلَيْها غَيْرُه، وكَذلِك لا يُجازِي عَنْها غَيْرُه. [ح ٢٠: ٢٩٦]

---

(١) النسيب: المناسب والقريب، وظاهر هنا تفضيل الصديق على الأخ؛ وذلك: أن القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحتاج إلى قرابة؛ فالأخ لا يكون أخاً ـ حقيقة ـ إلا إذا كان صديقاً.

(٢) الصديق الحق: مرآة أخيه، ومن حبه له وشفقته عليه، ينهاه عما يضره ويسيء إليه.

(٣) غري بالشيء ـ كرضي ـ وأغري به ـ بضم فسكون ـ: أولع. وأغراه به: أولعه. ومن عادة العدو، أن يغري عدوه بالشر، ويحببه فيه، ويسوقه إليه؛ ليقع فيه فيشفي نفسه، ويشمت به.

(٤) البر: الخير والاتساع في الإحسان.

(٥) الكيس: العقل، وضده الحمق.

(٦) فرجه: المراد شهوته.

(٧) أي لا يكون شرهاً جشعاً أكولاً.

(٨) إعفاء: عافية وراحة، لأنه لا يؤذيهم بقول ولا فعل.

(٩) التبعل: إطاعة الزوج، أو التزين له.

(١٠) أي في مخالفة كل ما يفسد عليه حياته، وقد علم بالتجارب والاستقراء، أن الصلاح ينبت النعم، ويزيدها ويباركها ويديمها؛ لأنه شكر من العبد لواهبها، كما أن الفساد يجتثها ويمحقها، ويستأصل أهلها، أو يعمهم بالخوف والقحط، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

(١١) إقبال الدولة: كناية عن سلامتها وعلوها؛ كأنها مقبلة على صاحبها تطلبه للأخذ بزمامها وإن لم يطلبها. وعلو الدولة يعطي العقل مكنة الفكر، ويفتح له باب الرشاد... وإدبارها يقع بالعقل في الحيرة والارتباك، فيذهب عنه صائب الرأي.

حرف الضاد

٨٥٠ ـ ضَرْبُ الوَالِدِ الوَلَدَ كالسَّمَادِ لِلزَّرْع(١).

٨٥١ ـ الضَّغَائِنُ(٢) تُورَثُ.. كما تُورثُ ٱلأَمْوَالُ. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٨٥٢ ـ ضَعْفُ الْعَقْلِ أَمَانٌ مِنَ الْغَمِّ(٣). [ح ٢٠: ٢٩٥]

٨٥٣ ـ الضَّعِيفُ المُحْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيّ، أَقْرَبُ إِلى السَّلامَةِ مِنَ القَوِيّ المُغْتَرّ بالعَدُوّ الضَّعِيف. [ح ٢٩: ٣٠٣]

---

(١) ليس المراد ضرب كل ولد، وإنما ضرب الأولاد الذين لا تزجرهم النصيحة، ولكل داء دواء.

والعبدُ يُضرب بالعصا والحرُّ تكفيه المقالة

(٢) الضغائن: جمع ضغينة، وهي الحقد: والسر في توارث الضغائن، أن الآباء ـ مع الأسف ـ يفضون إلى أولادهم ببغضهم لمن يبغضون، فتنتقل العدوى إليهم، وقديماً قال الشاعر:

وإن مُتْنا نُورِّثها البنينا

لذلك كان من الحزم ألا يحاول الآباء إشراك أولادهم في عداوتهم، وأن يبثوا فيهم روح المحبة والصفاء والعطف والتسامح، وينشئوهم على ذلك حتى يروا أن الناس جميعاً إخوة لهم.

(٣) وفي ذلك يقول المتنبي:

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمّ أخلاهم من الفِطنِ

ويقول:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشّقاوة ينعمْ

حرف الطاء

٨٥٤ ـ الطَّامِعُ: في وَثَاقِ الذُّلِّ[١]. [ز: ٣٠]

٨٥٥ ـ وسُئل عن القَدر فقال:

طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوه، وبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوه، وسِرُّ اللَّهِ فَلَا تَتكلَّفُوه[٢]. [ر ٢: ٢١٩]

٨٥٦ ـ الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ[٣]، [ر ٢: ١٩٢]

٨٥٧ ـ طَلَبْتُ الرَّاحةَ لِنَفسي.. فلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَرْوحَ مِنْ تَرْكِ مَا لا يَعْنِينِي، وتَوَحَّشْتُ في القَفْرِ البَلْقَع[٤].. فَلَم أَرَ وَحْشَةً أَشَدَّ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ، وشَهِدْتُ الزُّحُوف[٥].. ولقيتُ الأَقْرَانَ.. فَلَم أَرَ قِرْناً أَغْلَبَ مِنَ المَرْأَةِ[٦]، ونَظَرْتُ إلى كُلِّ مَا يُذِلُّ العَزِيزَ ويَكْسِرُه.. فَلَم أَرَ شَيْئاً أَذَلَّ لَهُ ولا أَكْسَرَ مِنَ الْفَاقَةِ. [ح ٢٠: ٢٩٣]

---

(١) الوثاق ـ كسحاب وكتاب ـ: ما يشد به، والمراد أن الطمع يفضي إلى الوقوع في المذلة، وقد قيل: أذل الحرص أعناق الرجال.

(٢) أي فليعمل كل عمله المفروض عليه، ولا يتكل في الأعمال على القدر، فكل ميسر لما خلق له. ومما يؤسف له: أن بعض المسلمين لا يفهمون ذلك، فيتكلون على القدر، وينسبون إليه كل ما يقع بهم؛ دفعاً للوم عنهم، وقديماً قال الشاعر:

إذا عُيِّروا قالوا: مقاديرُ قُدِّرتْ ... وما العارُ إلّا ما تجرُّ المقادِرُ

لا تُقَضْ وبالجنايةِ ترمي ... غيرَ جانٍ، فاطْرحْ زَرِيَّ المعاذرْ

(٣) لأنه يسوق صاحبه إلى العبودية، ويسلك به مسالك الذل والصغار، وقديماً قالوا: أذل الحرص أعناق الرجال.

(٤) البلقع والبلقعة: الأرض القفر.

(٥) زحف إليه: خف ومشى، والزحف: الجيش يمشي إلى العدو.

(٦) القرن ـ بكسر القاف ـ: كفؤك في الشجاعة. وقد عرف قديماً: أن المرأة تغلب الرجل بدهائها ومكرها ودموعها!! وجاء في الأثر: إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام.

وعرف حديثاً: أنها أقوى من الرجل حتى في احتمال الآلام، والصبر على المكاره، وفي الإقدام ـ أحياناً ـ على ارتكاب الجرائم وسفك الدماء!! فكلمة الجنس اللطيف أو الضعيف أسطورة.

٨٥٨ ـ وعن نَوْف البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين رضي الله عنه ذات ليلة وقد خرج من فراشه، فنظر في النجوم، فقال لي: يا نوف: أراقدٌ أنت أم رامق[١]؟ فقلت: بل رامق.. قال: يا نوف:
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ في الدُّنْيا، الرَّاغِبِينَ في الآخِرَة، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وتُرابَها فِراشاً، ومَاءَها طِيباً، والقُرْآنَ شِعاراً، والدُّعاءَ دِثَاراً[٢]، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيا قَرْضاً عَلَى مِنْهاجِ المَسِيح[٣]. [ر ٢: ١٧١، ١٧٢]

٨٥٩ ـ طوبَى لِمَنْ ذَكَرَ المَعادَ، وعَمِلَ لِلْحِسابِ، وقَنِعَ بالكَفَافِ[٤]، ورَضِيَ عَن اللّه[٥]. [ر ٢: ١٥٩]

٨٦٠ ـ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ في نَفْسِه، وطَابَ كَسْبُه، وصَلَحَتْ سَرِيرَتُه، وحَسُنَتْ خَلِيقَتُه[٦]، وأَنْفَقَ الفَضْلَ[٧] مِنْ مَالِهِ، وأَمْسَكَ الفَضْلَ مِن لِسَانِه، وعَزَلَ عَن النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّة، ولَمْ يُنْسَبْ إلى البِدْعَة[٨]. [ر ٢: ١٧٧]

٨٦١ ـ طُوبَى[٩] لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُه عَن عُيُوبِ النَّاس!.. طُوبَى لِمَنْ لا يَعْرِفُ النَّاسَ ولا يَعْرِفُه النَّاس!.. طُوبَى لِمَنْ كانَ حَيًّا كميِّت، ومَوْجُوداً كمعْدُوم، قَد كَفَى جَارَهُ خَيْرَه وشَرَّه، لا يَسْأَلُ عَن النَّاس، ولا يَسْأَلُ النَّاسُ عَنه. [ح ٢٠: ٢٩٦]

---

(١) أراد بالرامق: متنبه العين، في مقابلة الراقد بمعنى النائم، يقال: رمقه إذا لحظه لحظاً خفيفاً.
(٢) شعاراً، يقرأونه سراً للاعتبار بمواعظه، والتفكر في دقائقه، والدعاء دثاراً: يجهرون به؛ إظهاراً للذلة والخضوع لله.. وأصل الشعار: ما يلي البدن من الثياب، والدثار: ما علا منها.
(٣) قرضوا الدنيا: مزقوها كما يمزق الثوب بالمقراض على طريقة المسيح في الزهادة، وعدلوا عنها وتنكبوها.
(٤) الكفاف ـ كسحاب ـ: ما أغنى صاحبه وكفه عن الناس.
(٥) الرضا عن الله: شكر نعمه، والعمل بما يرضيه، وتلقي كل ما يناله العبد من مكاره بالتسليم والقبول، وهو لباب الإيمان!!
(٦) الخليقة: الخلق ـ بضم اللام ـ والطبيعة.
(٧) الفضل: الزيادة.
(٨) البدعة: ما استحدث بعد النبيّ ﷺ من الأهواء والأعمال، والمراد هنا: البدعة السيئة التي تنافي الدين، وإلا فهناك بدع حسان.
(٩) من معاني الطوبى: الحسنى والخير، وشجرة في الجنة. ولعل الإمام يعني بهذه النفثة الحارة اعتزال الناس عند حدوث الفتن وفساد الزمن، وقد لقي رضي الله عنه العناء والبلاء من الناس والزمان، فلم تصف له الخلافة يوماً واحداً، وصفت لغيره من الأدعياء الدهر الطويل، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فمات شهيداً بسيف أشقى الآخرين ابن ملجم عليه غضب الله ومقته!!

وليتها إذا فدت «عَمْراً» بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر

حرف الظاء

٨٦٢ ـ الظَّفَرُ بالحَزْمِ، والحَزْمُ بِأَصَالَةِ الرَّأْيِ، والرَّأْيُ بِتَخْصِينِ الأَسْرَار. [ر ٢: ١٦٠]

٨٦٣ ـ ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْم[١]. [ق: ١٦]

٨٦٤ ـ قيل له: أيُّ الأمور أعجل عقوبةً، وأسرع لصاحبها صَرْعةً؟ فقال:

ظُلْمُ مَنْ لا ناصِرَ لَهُ إلَّا اللّه، ومُجَازَاةُ النِّعمِ بالتَّقْصِير، واسْتِطالَةُ الغَنِيْ عَلَى الفَقِير. [ح ٢٠: ٢٨٨]

٨٦٥ ـ ظَنُّ العَاقِلِ كَهَانَة[٢]. [ز: ٢٠]

(١) لأنه نوع من العدوان الدنيء، ولا يقع مثله إلا من السفلة الأوغاد المجردين من الضمائر.
(٢) الكهانة: القضاء بالغيب، والمراد: أنه ألمعي يصادف الصواب كثيراً والشاعر يقول:
الألمعيُّ الذي يظنُّ بكَ الظنَّ كأنْ قدْ رأى وقدْ سَمِعا

حرف العين

٨٦٦ ـ عاتِبْ أَخاكَ بالإحْسَانِ إليْه، وارْدُدْ شَرَّه بالإنْعَامِ عَليْه. [ر ٢: ١٨٩]

٨٦٧ ـ العَادَاتُ قاهِرَاتٌ، فَمنِ اعْتَادَ شَيْئاً في سِرِّه وخَلْوَتِه، فَضَحَه في جَهْرِه وعَلَانِيَتِه. [ح ٢٠: ٢٩٧]

٨٦٨ ـ عادَاكَ مَنْ لَاحَاكَ[1]. [ح ٢٠: ٣٤١]

٨٦٩ ـ العَادَةُ طَبيعَةٌ ثَانِيَةٌ غَالِبَةٌ. [ح ٢٠: ٣٠٢]

٨٧٠ ـ عادَةُ النَّوْكَى الجُلُوسُ فَوْقَ القَدْرِ[2]، والمَجِيءُ في غَيْرِ الوَقْتِ. [ح ٢٠: ٢٨٧]

٨٧١ ـ عَادَيْتَ مَنْ مَارَيْتَ[3]. [ح ٢٠: ٢٧١]

٨٧٢ ـ عَارُ النِّسَاءِ بَاقٍ يَلْحَقُ الأَبْنَاءَ بَعْدَ الآبَاءِ[4]. [ح ٢٠: ٣٤١]

٨٧٣ ـ العَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاء، تِسْعَةٌ مِنها في الصَّمْتِ إلَّا مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالَى وَوَاحِدٌ في تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهاء[5]. [ق: ٢٤]

٨٧٤ ـ العافِيَةُ. . المُلْكُ الخَفِيُّ. [ح ٢٠: ٢٨٧]

٨٧٥ ـ عَاقِبَةُ الكَذِبِ الذَّمُّ. [ق: ١٥]

٨٧٦ ـ العَاقِلُ إذا تَكلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتبَعَها حِكْمَةً ومَثَلًا، والأَحْمَقُ إذا تَكلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتبَعَها حَلِفاً. [ح ٢٠: ٢٨٩]

---

(١) الملاحاة: المنازعة.

(٢) النوكى كسكرى: الحمقى من الناس. والجلوس فوق القدر مما نهي عنه، فقيل: اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر، لا حيث يؤخذ برجلك وتجر!!

(٣) المماراة، والمراء ككتاب: أفحش الجدل، وهو من أوكد أسباب العداوة، وفي الحديث: «**إذا غضب الله على قوم رزقهم الجدل وسلبهم العمل**».

(٤) وهذا هو السر في الحض على تحصين النساء، وشدة الغيرة عليهن، فهل يفهم ذلك اللواتي يطلبن أن تكون العصمة بأيديهن!!

(٥) السفهاء، جمع سفيه: الجاهل، والخفيف الحلم، أو: عادم الحلم.

٨٧٧ ـ العَاقِلُ بِخُشُونَةِ الْعَيْش مَعَ العُقَلَاء، آنَسُ مِنهُ بِلِينِ العَيْشِ مَعَ السُّفَهاء. [ح ٢٠: ٣٤٠]

٨٧٨ ـ العاقِلُ مَن اتَّهَمَ رَأْيَه، ولَم يَثِقْ بِما سَوَّلَتْهُ لَهُ نَفْسُه[1]. [ح ٢٠: ٢٧٣]

٨٧٩ ـ العَاقِلُ مَنْ وَعظَتْهُ التَّجارِبُ. [ق: ١٦]

٨٨٠ ـ العَاقِلُ يُنَافِسُ الصَّالِحينَ؛ لِيَلْحَقَ بِهِمْ، ويُحِبُّهمْ؛ لِيُشارِكَهُم بمَحَبَّتِه ـ وإنْ قَصَّرَ عَنْ مِثْلِ عَمَلِهِم ـ والجَاهِلُ يَذُمُّ الدُّنيا ولا يَسْخُو بإِخْرَاجِ أَقَلِّها، يَمْدَحُ الجُودَ؛ ويَبْخَلُ بالبَذْلِ، يَتَمَنَّى التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ، ولَا يُعَجِّلُهَا لِخَوْفِ حُلُولِ الأَجَلِ، يَرْجُو ثَوَابَ عَمَلٍ لَم يَعْمَلْ بِهِ، ويَفِرُّ مِنَ النَّاسِ لِيُطْلَبَ، ويُخْفِي شَخْصَهُ لِيَشْتَهِرَ، ويَنْهَى عَنْ مَدْحِهِ وهُوَ يُحِبُّ أَلَّا يُنْتَهَى مِن الثَّنَاءِ عَلَيه. [ح ٢٠: ٣٢٠]

٨٨١ ـ العَالِمُ[2] أَفْضَلُ مِنَ الصَّائِمِ القَائِمِ الْغَازِي في سَبِيلِ اللَّهِ. [ق: ٢٥]

٨٨٢ ـ العَالِمُ بِلَا عَمَلٍ كالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ. [ق: ٢٥]

٨٨٣ ـ العَالِمُ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنها شَيءٌ. [ق: ٢٥]

٨٨٤ ـ العَالِمُ مِصْبَاحُ اللَّهِ في الأَرْضِ، فَمنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً اقْتَبَسَ مِنهُ. [ح ٢٠: ٣٢٦]

٨٨٥ ـ العالِمُ مَنْ عَرَفَ أَنَّ مَا يُعْلَمُ في جَنْبِ مَا لا يُعْلَمُ قَلِيلٌ؛ فَعَدَّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ جَاهِلًا، فازْدادَ بِما عَرَفَ مِنْ ذَلِك في طَلَبِ العِلْمِ اجْتِهَاداً. والجَاهِلُ مَنْ عَدَّ نَفْسَهُ بِما جَهِلَ في مَعْرِفَةِ العِلْمِ عالِماً، وكانَ بِرَأْيِه مُكْتَفِياً[3]. [ق: ٢٥]

٨٨٦ ـ العالِمُ يَعْرِفُ الجَاهِلَ؛ لِأَنَّهُ كانَ جَاهِلًا، والجَاهِلُ لا يَعْرِفُ العالِمَ؛ لِأَنَّهُ لَم يَكُنْ عَالِماً. [ح ٢٠: ٣٣٢]

٨٨٧ ـ عَامِلُوا الأَحْرَارَ بالكَرَامَةِ المَحْضَةِ، والأَوْسَاطَ بالرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، والسَّفلَةَ بالْهَوَانِ[4]. [ح ٢٠: ٣١١]

٨٨٨ ـ العِبَادَةُ انْتِظَارُ الفَرَجِ[5]. [ق: ١٥]

---

(١) ومن هنا قولهم: اعص نفسك وهواك، ولك ما شئت بعدهما.

(٢) المراد: العالم العامل بعلمه.

(٣) وفي الأثر: «لا يزال المرء عالماً ما ظن أنه جاهل، فإن اعتقد أنه عالم فقد جهل».

(٤) جمعت هذه الحكمة القصيرة سياسة الناس جميعاً.

(٥) لأنه لا ينتظر الفرج إلا من آمن بالله، ووثق بأنه المتصرف في كل شيء، وبيده الملك والملكوت، واستشعر قول القائل:

عسى فرجٌ يأتي به الله إنّه ... له كلَّ يومٍ في خليقته أمرُ

٨٨٩ ـ عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ. [ح ٢٠: ٣٤٢]

٨٩٠ ـ الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الحُسَّادِ، عَنْ سَلَامَةِ الأَجْسَادِ[(١)]. [ر ٢: ٢٠٠]

٨٩١ ـ الْعَجَبُ لِمَنْ يَهْلِك والنَّجَاةُ مَعهُ؛ فَقِيلَ لَهُ: مَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قالَ: الاسْتِغْفَارُ. [ك ١: ٣٠٢]

٨٩٢ ـ عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِه أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِه[(٢)]. [ر ٢: ١٩٨]

٨٩٣ ـ العَجَبُ مِمَّنْ يَخافُ عُقُوبَةَ السُّلْطَان وهِيَ مُنْقَطِعَةٌ، ولا يَخافُ عُقُوبَةَ الدَّيَّانِ[(٣)] وهِيَ دائِمَةٌ [ح ٢٠: ٢٨٥]

٨٩٤ ـ عَجَباً لِلسُّلْطَانِ، كَيْفَ يُحْسِنُ.. وهُو إذا أَسَاءَ وَجدَ مَنْ يُزَكِّيه ويَمْدَحُه[(٤)]! [ح ٢٠: ٣٣٩]

٨٩٥ ـ عَجَباً لِمَنْ قِيلَ فيهِ الخَيْرُ ولَيْسَ فيهِ.. كَيْفَ يَفْرَحُ؟ وعَجَباً لِمَنْ قِيلَ فيهِ الشَّرُّ ولَيْسَ فيهِ.. كَيْفَ يَغْضَبُ؟. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٨٩٦ ـ عَجَباً لِمنْ يَخْرُجُ إلى الْبَسَاتِين لِلفُرْجَةِ عَلَى الْقُدْرَة..! وهَلَّا شَغَلَتْهُ رُؤْيَةُ الْقَادِرِ عَن رُؤْيَةِ الْقُدْرَة[(٥)]؟.. [ح ٢٠: ٣٤٢]

٨٩٧ ـ عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الفَقْرَ الَّذِي مِنهُ هَرَب، ويَفُوتُ الغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَب، فَيَعِيشُ في الدُّنْيا عَيْشَ الفُقَراء، ويُحاسَبُ في الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِياء.

---

(١) أي من العجب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلاً، ولا يحسدون الناس على سلامة أجسادهم مع أنها من أجل النعم.
وقد يكون المراد: جهلهم بأن الحسد يورث العلل والأمراض، وقل أن ترى حاسداً غير مريض، وقد عرف أخيراً بأنه من أشد أسباب القرحة المعدية! وأمراض الكبد والقلب!

(٢) العجب: حجاب بين العقل وعيوب النفس فإذا لم يدر بها سقط.. بل أوغل فيها، فيعود عليه بالنقص، فكأن العجب حاسد يحول بين العقل ونعمة الكمال، والعجب: الزهو والكبر وقد جاء في الأثر: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

(٣) الديان: المجازي وهو الله سبحانه وتعالى!!

(٤) المراد: أن الإحسان من السلاطين يعد من الندرة؛ لأنهم في غنى عن آثاره من المدح والثناء، فلا يحسن منهم إلا من كرمت طبيعته!! وحسنت خليقته، وقد كان ذلك في العصور الاستبدادية، حيث كان السلاطين في غنى عن رضا الرعية، أما الآن فالحكم للرعية، وما السلاطين إلا رموز.

(٥) المراد: أن الناس يستمتعون بآثار القدرة الإلهية الباهرة ولا يفكرون في الخالق الأعلى ـ جل وعلا ـ:

وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه الواحدُ

وعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كانَ بالأَمْسِ نُطْفَةً، ويَكُونُ غداً جِيفَةً.
وعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ في اللَّهِ، وهُو يَرَى خَلْقَ اللَّه.
وعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ المَوْتَ، وهُو يَرَى المَوْتَى.
وعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى، وهُو يَرَى النَّشْأَةَ الأُولَى.
وعَجِبْتُ لِعَامِرِ دَارَ الفَناءِ، وتَارِكِ دَارَ البَقاءِ. [ر ٢: ١٧٨]

٨٩٨ ـ عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ الاسْتِغْفَارُ(١). [ر ٢: ١٦٦]

٨٩٩ ـ العَجْزُ آفَةٌ(٢). [ق: ١٥]

٩٠٠ ـ العَجْزُ مَهانَةٌ. [ق: ١٥]

٩٠١ ـ العَجْزُ نائِمٌ، والحَزْمُ يَقْظَانُ. [ح ٢٠: ٣٤٢]

٩٠٢ ـ العَجَلَةُ زَلَلٌ(٣)، والإبْطَاءُ مَلَلٌ. [ق: ١٥]

٩٠٣ ـ عَدَاوَةُ الضُّعفَاءِ لِلأَقوِياء، والسُّفَهاءِ لِلْحُكَمَاء، والأَشْرَارِ لِلأَخْيَارِ. طَبْعٌ لا يُسْتَطاعُ تَغْيِيرُه(٤).

٩٠٤ ـ عَدَاوَةُ العَاقِلِين أَشَدُّ العَدَاوَاتِ وأَنْكَاها؛ فإِنَّها لا تَقَعُ إِلَّا بَعْدَ الإِعْذَار والإِنْذَار(٥)، وبَعْدَ أَن يَئِسَ صَلاحُ مَا بَيْنَهُما. [ح ٢٠: ٣٣٧]

٩٠٥ ـ العَدْلُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّجَاعَةِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَو اسْتَعْمَلُوا العَدْلَ ـ عُمُوماً ـ في جَمِيعِهِمْ، لاسْتَغْنَوْا عَنِ الشَّجَاعَةِ(٦). [ح ٢٠: ٣٣٣]

---

(١) لأن الاستغفار يمحو الخطايا ويحط الأوزار، والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].
ويقول عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

(٢) الآفة: العاهة، أو عرض مفسد لما أصابه، والعجز كذلك؛ لأنه يقعد بالإنسان عن العمل.

(٣) الزلل كسبب: الزلق في طين أو منطق، أو ما شاكل ذلك، وقد قالوا: العجلة من الشيطان!! وخير الأمور الوسط.

(٤) لأن كل ضد موكل بعداوة ضده.

(٥) الإعذار: إبداء العذر وإحداثه. والإنذار: الإعلام والتحذير والتخويف. أي العاقل لا يوقع بعدوه إلا بعد أن يعلنه بالعداوة ويحذره منها، وييأس من رجوع الود إلى مجراه، بخلاف الأحمق فإنه ينكل بعدوه في أول فرصة، وعلى حين غرة، فلا يؤمن شره أبداً!!

(٦) لأن الشجاعة تكون في الرأي أو الحرب، ولو تعامل الناس بالعدل وأنصف بعضهم بعضاً، لما احتاجوا إلى إبداء الشجاعة، وصدق من قال:

لو أنصف الناسُ استراح القاضي ... وبات كلٌّ عن أخيه راضي

٩٠٦ ـ سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] فقال:
العَدْلُ: الإنْصَافُ، والإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ[١]. [ع ٣: ١٩]

٩٠٧ ـ العَدْلُ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ، والجَوْرُ صُوَرٌ كَثِيرَةٌ؛ ولِهَذَا سَهُلَ ارْتِكابُ الجَوْرِ، وصَعُبَ تَحَرِّي العَدْلِ؛ وهُما يُشْبِهانِ الإصَابَةَ في الرِّمَايَةِ والخَطأَ فِيهَا؛ وإِنَّ الإِصَابَةَ تَحْتَاجُ إلى ارْتِياضٍ وتَعَهُّدٍ[٢]، وَالخَطأُ لا يَحْتَاجُ إلى شَيْءٍ مِن ذَلِك. [ح ٢٠: ٢٧٦]

٩٠٨ ـ سئل رضي الله عنه: أيُّما أفضلُ: العدل أو الجود؟ فقال:
العَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَوْضِعَها، والجُودُ يُخْرِجُها مِن جَبْهَتِها، والعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، والجُودُ عَارِضٌ خاصٌّ؛ فالعَدْلُ أَشْرَفُهُما وأَفْضَلُهُما. [ر ٢: ٢٥٣]

٩٠٩ ـ عَدَمُ الأَدَبِ سَبَبُ كُلِّ شَرٍّ. [ح ٢٠: ٢٥٨]

٩١٠ ـ عَذَابانِ لا يَأْبَهُ النَّاسُ لَهُما: السَّفَرُ البَعِيدُ، والبِنَاءُ الكَثِيرُ[٣]. [ح ٢٠: ٢٩٦]

٩١١ ـ عَذِّبْ حُسَّادَكَ بالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ[٤]. [ح ٢٠: ٣١٧]

٩١٢ ـ عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ العَزائِمِ، وحَلِّ العُقُودِ[٥]. [ر ٢: ٢٠٤]

٩١٣ ـ عِزُّ المُؤْمِنِ غِنَاهُ عَنِ النَّاسِ. [ق: ١٩]

٩١٤ ـ العُزْلَةُ تُوَفِّرُ العِرْضَ[٦]، وتَسْتُرُ الفَاقَةَ، وتَرْفَعُ ثِقَلَ المُكافأةِ[٧]. [ح ٢٠: ٢٩١]

---

(١) جمعت هذه الآية شريعتي العدل والفضل، وشريعة العدل: شريعة موسى عليه السلام لأنها مقصورة على القصاص ولا عفو فيها. وشريعة الفضل: شريعة عيسى عليه السلام وهي مقصورة على العفو ولا قصاص فيها.
أما شريعة محمد عليه الصلاة والسلام فهي شريعة العدل والفضل، لأنها تجمع بين القصاص والعفو. وهو العدل والإحسان.

(٢) الارتياض: التذليل.

(٣) لأنهما يستنفدان جهد الإنسان وتفكيره ويعرضانه للمخاطر.

(٤) لأنك تجمع لهم بذلك بين عذاب الحسد وعذاب الاستعباد والإذلال.

(٥) العقود جمع عقد: بمعنى النية تنعقد على فعل أمر، والعزائم: جمع عزيمة.. وفسخها: نقضها، ولولا أن هناك قدرةً سامية فوق إرادة البشر ـ وهي قدرة الله ـ لكان الإنسان كلما عزم على شيء أمضاه، لكنه قد يعزم والله يفسخ، ويعقد والله يحل، سبحانه، له الخلق والأمر!!

(٦) توفر العرض: تصونه عن الشتم.

(٧) المكافأة: المجازاة، أي مقابلة المعروف بمثله، والإثابة على الصنع. وقد اختلف الحكماء من القديم في العزلة؛ فبعضهم مدحها وبعضهم ذمها؛ والحق أنها تختلف باختلاف الناس والأزمان، والإمام يمدح العزلة.. حينما تكون خيراً لصاحبها، وكل إنسان أدرى بمصلحته.

٩١٥ ـ عَزِيمةُ الصَّبْرِ تُطْفِئُ نَارَ الْهَوَى(١)، وَنَفْيُ الْعُجْبِ يُؤْمَنُ بِهِ كَيْدُ الْحُسَّادِ(٢). [ح ٢٠: ٢٦٣]

٩١٦ ـ الْعِشْقُ جَهْلٌ عارِضٌ صَادَفَ قَلْباً فارِغاً(٣). [ح ٢٠: ٣٣٢]

٩١٧ ـ العِشْقُ مَرَضٌ، لَيْسَ فيهِ أَجْرٌ(٤) ولا عِوَضٌ(٥). [ح ٢٠: ٢٦٠]

٩١٨ ـ عَظِّمْ مَنْ يُكْرِمُكَ. [ق: ٦٦]

٩١٩ ـ العَفافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، والشُّكْرُ زِينَةُ الغِنَى. [ر ٢: ٢٣٠]

٩٢٠ ـ العِفَّةُ مَعَ الحِرْفَة، خَيْرٌ لَكَ مِنْ سُرُورٍ مَعَ فُجُور(٦). [ق: ١٧]

٩٢١ ـ الْعَفْوُ عَنِ المُقِرِّ(٧)، لا عَنِ المُصِرِّ(٨). [ح ٢٠: ٣٣٠]

٩٢٢ ـ العَفْوُ يُفْسِدُ مِنَ اللَّئِيم، بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُ مِنَ الكَرِيم(٩). [ح ٢٠: ٢٧٠]

٩٢٣ ـ الْعَقْلُ: الإِصَابَةُ بالظَّنِّ، ومَعْرِفَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بِما كَانَ. [ح ٢٠: ٣٣١]

٩٢٤ ـ الْعَقْلُ: حِفْظُ التَّجَارِب(١٠). [ق: ١٦]

٩٢٥ ـ العَقْلُ: غَرِيزَةٌ تُرَبِّيها التَّجَارِب(١١). [ح ٢٠: ٣٤١]

---

(١) المراد بالهوى هنا: الميل الباطل، وباعتزام الصبر يمكن التغلب عليه والتفلت من شره.

(٢) العجب، من معانيه: الباطل والكذب والاستخفاف والكبر والتيه والفخر وكلها ممقوتة مكروهة تفتح على صاحبها أبواباً واسعة من المكاره، فمن برئ منه رد سهام الحساد في نحورهم وأفسد عليهم مكايدهم.

(٣) نسبه داود الإنطاكي في تزيين الأسواق ص١٠ إلى أرسطو.

(٤) لعل الإمام يعني العشق الأثيم، وإلا فقد ورد في الآثار: «من عشق، فظفر، فعف، فمات... مات شهيداً».

(٥) لأن فيه تلف النفس، وأي عوض عن النفس؟!! ورحم الله العباس بن الأحنف حيث يقول:

أيها النادبُ قوماً هلكوا ... صارت الأرضُ عليهم طَبَقا

أندُبِ العشاقَ لا غيرَهمو ... إنما الهالكُ مَن قد عَشِقا

(٦) الحرفة ـ بضم الحاء وكسرها: الحرمان. والفجور، والمعنى: أن ضيق الرزق مع اجتناب الآثام، خير من السرور والراحة مع اكتساب الذنوب.

(٧) المقر: المعترف بذنبه، واعترافه بذنبه؛ يساوي توبته وندمه، وعدم رجوعه إلى ما كان منه... فهو حقيق بالصفح والغفران.

(٨) أصر على الشيء: أقام عليه واستمر، والمصر لا يستحق عفواً؛ لأنه راض عما فعل.

(٩) وفي هذا المعنى جاء قول المتنبي:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَه ... وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا

(١٠) لأن التجارب: لقاح العقل، بل العقل المكتسب مؤلف منها.

(١١) يشير الإمام هنا إلى العقل الغريزي، وهو العقل البدائي. والعقل المكتسب الذي تكونه المعارف والتجارب.

٩٢٦ ـ عَقْلُ الكَاتِبِ في قَلَمِه[١]. [ح ٢٠: ٣٢٨]

٩٢٧ ـ العَقْلُ لَمْ يَجْنِ عَلَى صَاحِبِه قَطُّ، والعِلْمُ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ يَجْنِي عَلَى صَاحِبِه[٢]. [ح ٢٠: ٣٢٣]

٩٢٨ ـ العَقْلُ مَلِكٌ. . والخِصَالُ رَعِيَّتُه، فإذا ضَعُفَ عَن القِيامِ عَلَيْها، وَصَلَ الخَلَلُ إلَيْها. [ح ٢٠: ٢٩٤]

٩٢٩ ـ العَقْلُ يَظْهَرُ بالمُعَامَلَةِ، وشِيَمُ الرِّجَالِ تُعْرَفُ بالوِلايَةِ[٣]. [ح ٢٠: ٢٩٧]

٩٣٠ ـ العِلْمُ أَفْضَلُ الكُنُوزِ وأَجْمَلُها، خَفِيفُ المَحْمَلِ، عَظِيمُ الجَدْوَى، في المَلاِ[٤] جَمَالٌ، وفي الوَحْدَةِ أُنْسٌ. [ح ٢٠: ٣٣٩]

٩٣١ ـ العِلْمُ سُلْطَانٌ، مَنْ وَجَدَهُ صَالَ بِهِ، ومَنْ لَمْ يَجِدْهُ صِيلَ عَلَيهِ[٥]. [ح ٢٠: ٣١٩]

٩٣٢ ـ العِلْمُ صِبْغُ النَّفْسِ، ولَيْسَ يَفُوقُ صِبْغُ الشَّيْءِ حَتَّى يَنْظُفَ مِن كُلِّ دَنَسٍ[٦]. [ح ٢٠: ٢٦٨]

٩٣٣ ـ العِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ ومَسْمُوعٌ، ولا يَنْفَعُ المَسْمُوعُ إذا لَمْ يَكُنِ المَطْبُوعُ[٧]. [ر ٢: ٢٣٥]

٩٣٤ ـ العِلْمُ مَقْرُونٌ بالعَمَلِ، فَمنْ عَلِمَ عَمِلَ، والعِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ؛ فإنْ أَجَابَهُ. . وإلَّا ارْتَحَلَ عَنْه[٨]. [ر ٢: ٢٣٦]

---

(١) لأن ما يخطه القلم يستمليه من عقل كاتبه، فآثار الأقلام معارض العقول.

(٢) بعد أن اجتمع الخليل بن أحمد وابن المقفع سئل كل منهما عن صاحبه، فقال الخليل: رأيت رجلًا علمه فوق عقله، وقال ابن المقفع: رأيت رجلًا عقله فوق علمه.
وقد صدق كلٌّ منهما؛ فعقل الخليل لم يجن عليه!! وعلم ابن المقفع أوقعه في الهلكة!!

(٣) الشيم: جمع شيمة، وهي الطبيعة والخلق، والمعنى: أن الرجال تتكشف أخلاقهم عند توليهم الولايات؛ لأنها تظهر معادن الناس.

(٤) الملأ: الجماعة.

(٥) المراد: أنه عزة لصاحبه وقوة وصيانة، وأن فاقده ذليل مستضعف مضيم.

(٦) الصبغ والصبغة ـ بكسر الصاد، كعنب وكتاب: ما يصبغ به، وصبغه: لونه. والدنس ـ كسبب ـ الوسخ. والمعنى: أن العلم لون النفس، ولا يكون لون الشيء صافياً ناصعاً نضراً إلا إذا خلا من الشوائب.

(٧) مطبوع العلم: ما رسخ في النفس وظهر أثره في أعمالها، ومسموعه: منقوله ومحفوظه، والأول هو الأساس وعليه المعوّل.

(٨) العلم يطلب العمل ويناديه فإن أجابه اصطحبا، وإلا فارقه العلم. والمراد: أن العلم لا يصلح ولا يبقى بغير عمل، والعمل بالعلم هو الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء من عباده.

٩٣٥ ـ العِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ. [ق: ١٦]

٩٣٦ ـ عَلَيْكُمْ بالأَدَب؛ فإنْ كُنْتُمْ مُلُوكاً بَرَّزْتُم[1]، وإنْ كُنْتُم وَسَطاً فُقْتُم، وإنْ أعْوَزَتْكُم المَعِيشَةُ عِشْتُم بأَدَبِكُم. [ح ٢٠: ٣٠٤]

٩٣٧ ـ عَلَيْكَ بِسُوءِ الظَّنِّ، فإنْ أَصَابَ فالحَزْمُ، وإلَّا.. فالسَّلَامَةُ[2]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٩٣٨ ـ كان يقول عند التعزية:

عَلَيكُمْ بالصَّبْرِ؛ فإنَّ بهِ يَأْخُذُ الحَازِمُ، وإليْهِ يَلْجَأُ الجَازِعُ. [ك ٢: ٣]

٩٣٩ ـ عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ أَصْحَابِ التَّجَارِب؛ فإنَّها تُقَوَّمُ عَلَيْهِم بأَغْلَى الغَلَاء، وتَأْخُذُها مِنهُم بأَرْخَصِ الرُّخْصِ. [ح ٢٠: ٣٣٥]

٩٤٠ ـ عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِه[3]. [ر ٢: ١٨٩]

٩٤١ ـ عَلَيْكُمْ بالنَّمَطِ الأَوْسَطِ[4]. [ت: ٣٠]

٩٤٢ ـ العُمرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ مَا يَحْسُنُ بِكَ عِلْمُه؛ فَتَعلَّمِ الأَهَمَّ فالأَهَمَّ. [ح ٢٠: ٢٦٢]

٩٤٣ ـ العُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فيهِ إلى ابْنِ آدمَ سِتُّونَ سَنَةً[5]. [ر ٢: ٢٢٨]

٩٤٤ ـ عَمَلُ الرَّجُلِ بِما يَعلَمُ أَنَّهُ خَطأٌ هَوًى[6]، والهَوَى آفَةُ العَفافِ، وتَرْكُ العَمَلِ بِما يَعلَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ تَهاوُنٌ، والتَّهاوُنُ آفَةُ الدِّين، وإقْدامُه عَلَى مَا لا يَدْرِي: أَصَوَابٌ هُو أَمْ خطَأٌ.. لَجاجٌ، واللَّجاجُ[7] آفَةُ العَقْل. [ح ٢٠: ٢٩٥]

---

(١) برّز بالتشديد: فاق أصحابه.

(٢) ورد في معناه: إذا كان الغدر في الناس موجوداً فالثقة بكل أحد عجز. وبديهي أن الإمام لا يريد أن نسيء ظننا بكل الناس وفي كل الأوقات، بل نلبس لكل حالة لبوسها.

(٣) أي عليكم بطاعة عاقل لا تكون له جهالة تعتذرون بها عند البراءة من عيب السقوط في مخاطر أعماله فيقبل عذركم في اتباعه. والجهالة هنا: السفه والخفة، والمعنى: الزموا طاعة الوالي العاقل الذي إذا خرجتم عليه فأوقع بكم، لا تجدون من يعذركم في الخلاف عليه.

(٤) النمط: النوع من الشيء، والطريقة، وجماعة أمرهم واحد. والنمط الأوسط هم الخيار؛ لأن بهم يلحق التالي، ويرجع إليهم المغالي، وخير الأمور الوسط.

(٥) إن كان يعتذر ابن آدم فيما قبل الستين بغلبة الهوى عليه، وتملك القوى الجسمانية عقله فلا عذر له بعد الستين إذا اتبع الهوى، ومال إلى الشهوة؛ لضعف القوى، وقرب الأجل. وقد قال الشاعر:

شيبٌ وعيبٌ لا يليق بمسلم ... إنّ الخطايا في المشيب فُجورُ

(٦) الهوى ميل النفس الباطل.

(٧) اللجاج ـ كسحاب ـ: التمادي في الخصومة.

٩٤٥ ـ عِندَ تناهِي الشِّدَّةِ . . تَكُونُ الفَرْجَةُ[١]، وعِندَ تَضايُقِ حَلَقِ[٢] البَلاءِ . . يَكُونُ الرَّخَاءُ . [ر ٢: ٢٣٣]

٩٤٦ ـ عَوِّد نَفْسَكَ السَّمَاحِ . [ق: ٦٩]

٩٤٧ ـ عَوِّد نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى جَلِيسِ السُّوءِ، فَلَيْسَ يَكادُ يُخْطِئُكَ[٣]. [ح ٢٠: ٢٨٥]

٩٤٨ ـ عِيادَة النَّوْكَى[٤] أَشَدُّ عَلَى المَرِيضِ مِن وَجَعِه . [ح ٢٠: ٢٩٧]

٩٤٩ ـ عَيْبُك مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ[٥]. [ر ٢: ١٦٠]

٩٥٠ ـ العَيْشُ في ثَلاثٍ: صَدِيقٌ لَا يَعُدُّ عَلَيْكَ في أَيَّامِ صَدَاقَتِك، مَا يَرْضَى بِهِ أَيَّامَ عَداوَتِك؛ وَزَوْجَةٌ تَسُرُّكَ إِذا دَخَلْتَ عَلَيْها، وتَحفَظُ غَيْبَكَ إِذا غِبْتَ عَنْها؛ وغُلَامٌ يَأْتِي عَلَى مَا في نَفْسِك؛ كَأَنَّهُ عَلِمَ مَا تُرِيدُ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٤]

---

(١) الفرجة ـ مثلثة الفاء ـ الخروج من الهم.

(٢) الحلق ـ كسبب ـ جمع حلقة بسكون اللام.

(٣) أي إن جلساء السوء كثيرون لا يمكن التخلص منهم؛ فلم يبق إلا الصبر على مجالستهم.

(٤) النوكى: الحمقى. وإنما كان ذلك؛ لأنهم يطيلون الجلوس عند المريض، ويكثرون الثرثرة، وقد يتكلمون بما يتشاءم به!!

(٥) الجد بالفتح: الحظ. أي ما دامت الدنيا مقبلة عليك، ومن خيرة ما رواه ابن أبي الحديد في الجد والسعادة قول الحكماء: «إن السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربًّا».

(٦) يريد الخادم الذكي الفطن.

حرف الغين

٩٥١ ـ غَايَة كلِّ مُتعمِّقٍ في عِلْمِنا أَنْ يجْهَلَ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٧]

٩٥٢ ـ غَايةُ كلِّ مُتعمِّقٍ في مَعرِفَةِ الخَالِقِ سُبْحانَه الاعْتِرَافُ بالقُصُورِ عَن إِدْرَاكِها. [ح ٢٠: ٢٩٢]

٩٥٣ ـ غَايةُ المُرُوءَةِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الإنْسَانُ مِن نَفْسِه، وذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ العِلَّةُ في ٱلْحيَاءِ كِبَرَ سِنِّه، وَلَا بَيَاضَ لِحْيَتِه، وإِنَّما عِلَّةُ الْحَياءِ مِنهُ عَقْلُه، فَيَنْبَغِي إِنْ كانَ هذَا ٱلجَوْهَرُ فِينَا أَن نَسْتَحْيِيَ مِنهُ، وَلا نُحْضِرَهُ قَبِيحاً[٢]. [ح ٢٠: ٣٣٨]

٩٥٤ ـ الغَدْرُ ذُلٌّ حاضِرٌ، والغِيبَةُ لُؤْمٌ باطِنٌ[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٣]

٩٥٥ ـ الغَرِيبُ كالغَرْسِ الَّذِي زَايَلَ شِرْبَه[٤]، وفَارَقَ أَرْضَه، فَهُو ذَاوٍ لا يَنْقِدُ، وذَابِلٌ لا يُثْمِر. [ح ٢٠: ٣٣٨]

٩٥٦ ـ غَضَبُ العَاقِلِ في فِعْلِه، وغَضَبُ الجَاهِلِ في قَوْلِه. [ح ٢٠: ٢٨٥]

٩٥٧ ـ الغَضَبُ يُثِيرُ كامِنَ الحِقْد، ومَنْ عَرَفَ ٱلأَيَّامَ لَمْ يُغْفِلِ الاسْتِعْدَادَ، ومَنْ أَمْسَكَ عَنِ الفُضُولِ، عَدَلَتْ رَأْيَهُ العُقُول[٥]. [ح ٢٠: ٢٩٩]

---

(١) التعمق في العلم الديني ومحاولة الوصول إلى أشياء بعيدة عن الأفهام، واستنباطات تعقد التشريع الحكيم، وتسلك بالناس متاهات مبهمة ـ ليس من مقاصد ملتنا السمحة السهلة البيضاء، ومن شدد شدد عليه، ونهاية المتعمق أن يضل السبيل، ويفقد الدليل!!

ويقول المتنبي:

أبلغُ ما يُطلب النجاحُ به الطَّبْـ ـعُ وعند التعمُّق الزَّلَلُ

(٢) ومن ذلك قولهم: ما كرهت أن تلام على فعله في العلانية، فلا تفعله إذا خلوت بنفسك.

(٣) لأن المغتاب ليست عنده الشجاعة أن يواجه الناس بالذم، وما أحسن قول المتنبي في الترفع عن الغيبة:

وأُكرم نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ وكلُّ اغتيابٍ جُهدُ مَنْ لا له جُهدُ

(٤) شربه: ماءه الذي يستقي منه.

(٥) الفضول: اشتغال الإنسان بما لا يعنيه. وعدلت رأيه...: حكمت له بالاستقامة وزكته.

٩٥٨ ـ غَلِّسْ بالفَجْرِ؛ تَلْقَ اللَّهَ تَعَالَى أَبْيَضَ الوَجْهِ[1]. [ق: ٦٩]

٩٥٩ ـ الغِنَى في الغُرْبَةِ وَطَنٌ، والفَقْرُ في الوَطَنِ غُرْبَةٌ. [ر ٢: ١٦١]

٩٦٠ ـ الغِنَى والفَقْرُ بَعْدَ العَرْضِ عَلَى اللَّهِ[2]. [ر ٢: ٢٥٦]

٩٦١ ـ الغِيبَةُ جُهْدُ العَاجِزِ[3]. [ر ٢: ٢٥٧]

٩٦٢ ـ الغِيبَةُ رَبِيعُ اللِّئَامِ[4]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

٩٦٣ ـ غَيْرَةُ المَرْأَةِ كُفْرٌ[5]، وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إيمان. [ر ٢: ١٧٧]

٩٦٤ ـ غَيْظُ البَخِيلِ عَلَى الجَوادِ أَعْجَبُ مِنْ بُخْلِهِ[6]. [ح ٢٠: ٣٤٠]

---

(١) الغلس ـ كسبب ـ: ظلمة آخر الليل. والفجر: المراد به صلاة الصبح. أي: بكر بصلاة الصبح ولا تؤخرها إلى انكشاف الظلام. والمراد ببياض الوجه: الخلو من التبعة، والنقاء من الإثم، والاتسام بسمة الكرامة والسعادة.

(٢) العرض على الله يوم القيامة، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية، والفقر بالشقاء الحقيقي.

(٣) الغيبة بالكسر: ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب، وهي سلاح العاجز ينتقم به من عدوه، وهي جهده ـ بفتح الجيم وضمها ـ: أي غاية ما يمكنه. قال المتنبي:

وكلُّ اغتيابٍ جُهدُ مَنْ لا له جُهدُ

(٤) وإنما كانت ربيعاً للئام، لأنهم يرتعون فيها ويتفكهون بها، ويجدون لها لذة فائقة في نظرهم.

(٥) أي تؤدي إلى الكفر، فإنها تحرم على الرجل ما أحل الله له من الزواج بغيرها مثلاً. ومن ذلك أنا نجد المرأة العصرية تطالب بأشياء غريبة لا يقرها قانون شرعي ولا بشري. أما غيرة الرجل فتحريم لما حرمه الله من مثل السفور الفاضح، والتبرج الماجن، والمخادنة المريبة. ويلاحظ أن كلام الإمام مجمل وهو يتعلق بالأعم الأغلب، وإلا فبعض الغيرة مستحسن من المرأة، وبعضها مستقبح من الرجل، وهي غيرة التملك والأثرة وسوء الظن، وهو مفتاح الطلاق، كما يقول العرب.

(٦) لأن البخيل لا يجود، ويأبى على الكريم أن يجود.

حرف الفاء

٩٦٥ ـ الفاحِشَةُ كاسْمِها[١]. [ق: ١٥]

٩٦٦ ـ فَاعِلُ ٱلْخَيْرِ خَيْرٌ مِنهُ، وفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنه. [ر ٢: ١٥٦]

٩٦٧ ـ الفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ؛ فانْتَهِزُوا فُرَصَ ٱلْخَيْرِ[٢]. [ق: ١٨]

٩٦٨ ـ الفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الفَوْتِ، بَطِيئَةُ العَوْدِ. [ح ٢٠: ٣٢٨]

٩٦٩ ـ فَرَضَ اللّٰهُ الإيمانَ تَطهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، والصَّلَاةَ تَنزِيهاً عَن الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، والصِّيَامَ ابْتِلَاءً لإِخْلَاصِ الخَلْقِ، والحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّين[٣]، والجِهادَ عِزًّا للإِسْلَام، والأَمْرَ بالمَعْرُوف مَصْلَحَةً لِلعَوَامِّ، والنَّهي عَن المنكَر رَدْعاً لِلسُّفهاء، وصِلَةَ الرَّحِم مَنْمَاةً للعَدَد[٤]، والقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّماء، وإقامَةَ الحُدُود إعْظَاماً لِلمَحَارِم، وتَرْكَ شُرْبِ الخَمْرِ تَحْصِيناً للعَقْل، ومُجَانَبَةَ السَّرِقة إيجَاباً لِلعِفَّة، وتَرْكَ الزِّنا تَحْصِيناً للنَّسَب، والشَّهادةَ اسْتِظهاراً عَلَى المُجَاحَدات[٥]، وتَرْكَ الكَذِب تَشْرِيعاً لِلصِّدق، والسَّلَامَ أماناً مِنَ المَخَاوِف، والأَماناتِ نِظاماً لِلأُمَّة[٦]، والطَّاعَةَ تَعظِيماً للإمامَة[٧]. [ر ٢: ٢٠٥]

---

(١) الفاحشة: الزنى، وما يشتدّ قبحه من الذنوب، وكل ما نهى الله تعالى عنه. وهي الكلمات التي يدل لفظها على معناها.

(٢) وفي معناه يقول القائل:

وانتهزِ الفُرصةَ إن الفرصة ... تصير ـ إن لم تنتهِزْها ـ غُصَّة

(٣) أي سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض؛ إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد، لغرض واحد ـ وفي نسخة: تقوية: «فإن تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الإسلام».

(٤) فإنه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم، كثر بهم عدد الأنصار.

(٥) أي إنما فرضت الشهادة في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده.

(٦) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال، أدى كل عامل ما يجب عليه، فتنتظم شؤون الأمة، أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت الأعمال، وكثر الإهمال، فاختل النظام.

(٧) الإمامة: أي الخلافة. والخليفة: السلطان الأعظم في العصور الخالية، والآن لكل أمة إسلامية حاكمها وراعيها.

٩٧٠ ـ الفَرْقُ بَينَ الاقْتِصَادِ والبُخْلِ: أَنَّ الاقْتِصَادَ تَمَسُّكُ الإنْسَانِ بما في يَدِه، خَوْفاً عَلَى حُرِّيَّتِه وَجاهِهِ مِنَ المَسْأَلَةِ؛ فَهُو يَضَعُ الشَّيْءَ مَوْضِعَه، ويَصْبِرُ عَمَّا لا تَدْعُو ضَرُورةٌ إليْه، ويَصِلُ صَغِيرَ بِرِّهِ بِعَظِيم بِشْره[1]، وَلَا يستكْثِرُ مِنَ المَوَدَّاتِ خَوْفاً مِن فَرْطِ الإجْحَافِ بهِ[2]. والبَخِيلُ لا يُكافِئُ عَلَى مَا يُسْدَى[3] إليْه، ويَمنَعُ أَيْضاً اليَسِيرَ. مَن استَحَقَّ الكَثِيرَ، ويَصْبِرُ بِصَغِيرِ مَا يَجْرِي عليهِ.. عَلَى كَثِيرٍ مِن الذِّلَّةِ. [ح ٢٠: ٢٨٣]

٩٧١ ـ الفَرْقُ بَينَ السَّخَاءِ والتَّبْذِيرِ: أَنَّ السَّخِيَّ يَسْمَحُ بما يَعْرِفُ مِقْدَارَه ومِقْدَارَ الرَّغبَةِ فِيهِ إليهِ، ويَضَعُه بحَيْثُ يَحْسُنُ وَضْعُه، وتَزْكُو عَارِفَتُه[4]؛ والمُبَذِّرُ يَسْمَحُ بما لا يُوَازِنُ رَغْبَةَ الرَّاغِبِ، وَلا حَقَّ القَاصِدِ، ولا مِقْدَارَ مَا أَوْلَى، ويَسْتَفِزُّه[5] لِذَلِك خَطْرَةٌ مِن خَطَرَاتِه، والتَّصَدِّي لإطْرَاءِ مُطْرٍ لَهُ بَيْنَهُمَا بَوْنٌ[6] بَعِيدٌ. [ح ٢٠: ٢٧٩]

٩٧٢ ـ الفَرْقُ بَينَ المُؤْمِنِ والكَافِرِ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَها وادَّعَى الإيمانَ كَذَّبَهُ فِعْلُه، وكانَ عَلَيْه شَاهِدٌ مِن نَفْسِه. [ح ٢٠: ٢٩٥]

٩٧٣ ـ الفِسْقُ نَجَاسَةٌ في الهِمَّةِ، وكَلَبٌ في الطَّبِيعةِ[7]. [ح ٢٠: ٢٥٦]

٩٧٤ ـ فُضِّلَ العَقْلُ عَلَى الهَوَى[8]؛ لِأَنَّ العَقْلَ يُمَلِّكُكَ الزَّمَان، والهَوَى يَسْتَعْبِدُكَ للزَّمَان. [ح ٢٠: ٢٧٩]

٩٧٥ ـ الفِطَامُ عَنِ الحُطَام شَدِيدٌ[9]. [ح ٢٠: ٢٩٣]

٩٧٦ ـ فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ[10]. [ر ٢: ١٦٢]

---

(١) البرّ: ضد العقوق. والبشر: السرور وطلاقة الوجه.

(٢) الإجحاف: الذهاب بالشيء. (٣) أسدى إليه: أحسن.

(٤) تزكو: تنمو وتكثر. والعارفة: المعروف.

(٥) استفزه: استخفه. (٦) البون: الفضل والمزية والمسافة بين الشيئين.

(٧) كلب كسبب: حرص ونهم وشدة. (٨) الهوى: الميل الباطل.

(٩) الحطام كغلام: متاع الدنيا.

(١٠) لأن الغربة الحقيقية، ليست في البعد عن الأوطان، ولكنها في فقد الأقران، وفي ذلك يقول أبو الفتح البستي:

وإني غريبٌ بين «بُستٍ» وأهلِها ... وإن كان فيها أُسرتي وبها أهلي

وما غربةُ الإنسان في شُقَّةِ النَّوى ... ولكنها ـ والله ـ في عدم الشكل

ويقول بعض العصريين:

ذهب الجيلُ كله غيرَ أفرا ... دٍ قليلٍ مرهونةٍ لأوانِ

=

٩٧٧ ـ الفَقْرُ المَوْتُ الأَكْبَرُ. [ر ٢: ١٩٠]

٩٧٨ ـ الفَقْرُ يُخْرِسُ الفَطِنَ عَن حُجَّتِه[١]. [ق: ٢٠]

٩٧٩ ـ الفَقِيهُ كلُّ الفَقِيه مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِن رَحْمَةِ اللَّهِ، ولَمْ يُؤيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّه[٢]، ولَم يؤمنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ[٣]. [ر ٢: ١٦٧]

٩٨٠ ـ الفِكْرُ مِرآةٌ صَافِيَةٌ، والاعْتِبارُ[٤] مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وكَفَى أَدَباً لِنَفْسِك تَجَنُّبُك مَا كَرِهْتَه لِغَيْرِك. [ر ٢: ٢٣٦]

٩٨١ ـ الفِكْرَةُ نُورٌ، والغَفْلَةُ ضَلاَلَةٌ. [ق: ١٦]

٩٨٢ ـ فَوْتُ الحَاجَةِ، أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِها إلى غَيْرِ أَهْلِها[٥]. [ر ٢: ١٦٢]

٩٨٣ ـ في الاعْتِبارِ، غِنًى عَن الاخْتِبار[٦]. [ح ٢٠: ٢٠٤]

٩٨٤ ـ في التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَف، والاعْتِبارُ يُفِيدُك الرَّشَادَ، وكَفَاكَ أَدباً لِنَفْسِك مَا كَرِهْتَه مِن غَيْرِك، وعَلَيْكَ لِأَخِيك مِثْلُ الَّذِي عَلَيهِ لك. [ح ٢٠: ٢٥٩]

٩٨٥ ـ في تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ، عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ[٧]. [ر ٢: ١٩٩]

= أنا من بعدهم أعيش غريباً ... مستكيناً فريسةَ الأحزانِ

(١) ما أحسن قول بعضهم في ذلك:

وكنتُ إذا خاصمتُ خصماً كببتهُ ... على الوَجه حتَّى خاصمتني الدَّراهمُ

فلما تنازعنا الخصومةَ غُلِّقَتْ ... عليَّ، وقالوا: قُمْ؛ فإنَّك ظالمُ

(٢) رَوح اللّه ـ بالفتح ـ: لطفه ورأفته.

(٣) مكر اللّه: أخذه للعبد بالعقاب من حيث لا يشعر، فالفقيه: هو الفاتح للقلوب بابي الخوف والرجاء.

(٤) الاعتبار: الاتعاظ بما يحصل للغير ويترتب على أعماله.

(٥) لأن طلبها إلى غير أهلها فوت لها، هذا إلى ما يلحق الطالب من الذلة والمهانة والخيبة، ويقول بعض العصريين:

لا تَطلُبَنَّ إلى لئيم حاجةً ... فتعودَ معه بصَفقة المغبونِ

وأشدُّ من وَقعِ الأسنَّة في الطُّلى ... طلبُ الرَّفيعِ لُبانةً من دُونِ

الطلى ـ بضم ففتح ـ: الأعناق، جمع طلية ـ بضم فسكون ففتح ـ.

(٦) الاعتبار: الاتعاظ. والاختبار: العلم بالشيء وتجربته. أي الاتعاظ بما يقع لغيرك، يغنيك عن تجربة الشيء بوقوعه لك وهو كما قيل: السعيد من وعظ بغيره.

(٧) أي في اضطراب الأمور، وتغير الشؤون، ووقوع الأحداث، يظهر كملة الرجال، وفي ذلك يقول بعض العصريين:

والنَّار للتِّبر تمحيصٌ وتصفيةٌ ... وفي مَهبِّ العوادي يثبتُ الرَّجُل

٩٨٦ ـ في خِلَافِ النُّفُوسِ: رُشْدٌ[١]. [ق: ١٨]

٩٨٧ ـ في سَعَةِ الأَخْلَاقِ، كنُوزُ الأَرْزَاقِ. [ق: ١٨]

٩٨٨ ـ في الصَّمْتِ . . السَّلَامةُ مِنَ النَّدَامةِ[٢]. [ق: ١٨]

٩٨٩ ـ في القُرآنِ نبأُ مَا قَبْلَكُم، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُم، وحُكْمُ مَا بَيْنَكُم[٣]. [ر ٢: ٢٢٥]

٩٩٠ ـ في القُنُوطِ[٤] التَّفْرِيطُ. [ق: ١٨]

٩٩١ ـ في كُلِّ جُرْعَةٍ شَرْقَة[٥]، ومَعَ كُلِّ أَكْلَةٍ غُصَّة[٦]. [ز: ٢٩]

٩٩٢ ـ في المَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ مَذْمُومةٍ: إمَّا أَنْ يُكْتَسَبَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، أَوْ يُمْنَعَ إِنْفَاقُهُ في حَقِّه، أَوْ يُشْتَغَلَ بإِصْلَاحِه عَن عِبادَةِ اللَّهِ تَعالَى[٧]. [ح ٢٠: ٢٢٤]

---

(١) الرشد: الاستقامة على طرق الحق مع تصلب فيه، وفي مخالفة النفوس رشد وهدى لأن النفوس أمّارة بالسوء ورحم الله البُوصيري إذ يقول:

وخالِفِ النَّفسَ والشيطانَ واعصِهِما ... وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ
ولا تُطِعْ مِنهُما خصماً ولا حَكَماً ... فأنت تَعرِفُ كيدَ الخَصمِ والحَكَمِ

(٢) وفي ذلك يقول الشاعر:

النطقُ زينٌ والسكوتُ سَلامةٌ ... فإذا نَطقتَ فلا تكنْ مِكثارا
ما إن نَدِمتُ على سُكوتي مرّةً ... ولقد نَدِمتُ على الكلام مِرارا

(٣) نبأ ما قبلنا: أي خبرهم في قصص القرآن، ونبأ ما بعدنا: الخبر عن مصير أمورهم، وهو يعلم من سنة الله فيمن قبلنا . . وحكم ما بيننا: في الأحكام التي نص عليها.

(٤) القنوط: اليأس، وإنما كان التفريط في القنوط؛ لأن القنوط يقتل الأمل، ويمنع من العمل.

(٥) الشرقة ـ بالفتح ـ في الأصل: الغصة بالريق.

(٦) الغصة بضم الغين ـ الشجا وما اعترض في الحلق فأشرق، وبعضهم لا يفرق بينهما، وقال بعض فقهاء اللغة: الغصة بالطعام، والشرقة بالشراب، والشجا بالعظم، والجرض ـ كسبب ـ بالريق.
والمعنى: أن لذائذ الدنيا وأنعمها لا تخلو من الألم والتنغيص.

(٧) في إمكان الرجل الصالح أن يحوله إلى ضد ذلك، فيكتسبه من أبواب الحلال، وينفقه في وجوه البر، ويجعل اشتغاله بصلاحه عبادة، حين ينوي أن يجعل من تنميته واستثماره قوة لوطنه، وسعادة لقومه!!

حرف القاف

٩٩٣ ـ قَارِبْ عَدُوَّك بَعْضَ المُقَارَبَة تَنَلْ حاجَتَك، وَلا تُفرِطْ في مقَارَبتِه؛ فَتُذِلَّ نَفْسَك وَناصِرَك، وتَأمَّلْ حالَ الخَشَبةِ المَنْصُوبةِ في الشَّمْسِ الَّتي إن أمَلْتَها زَادَ ظِلُّها، وَإنْ أفْرَطْتَ في الإمَالَةِ نَقَصَ الظِّلُّ. [ح ٢٠: ٣٤٢]

٩٩٤ ـ قَارِنْ أهْلَ الخَيْرِ تَكُنْ مِنهُم، وبَايِنْ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنهُم[١]. [ق: ٦٨]

٩٩٥ ـ قَبِيحٌ بِذِي العَقْلِ أن يَكُونَ بَهِيمَةً وقَد أمْكَنَهُ أن يَكُونَ إنْسَاناً، وأن يَكُونَ إنْسَاناً وقَد أمكَنَهُ أن يَكُونَ مَلَكاً، وأن يَرْضَى لِنَفْسِه بِقُنْيَةٍ[٢] مُعارَةٍ، وحَياةٍ مُسْتَرَدَّةٍ؛ ولَهُ أن يَتَّخِذَ قُنْيَةً مُخَلَّدَةً، وحَياةً مُؤَبَّدَةً. [ح ٢٠: ٣٠٦]

٩٩٦ ـ قَد أضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْن[٣]. [ر ٢: ١٩١]

٩٩٧ ـ قَد بُصِّرْتُم إن أبْصَرْتُم[٤]، وقَد هُدِيتُم إنِ اهْتَدَيْتُم، وأُسْمِعْتُم إن اسْتَمَعْتُم. [ر ٢: ١٨٩]

٩٩٨ ـ قَد خاطَرَ بِنَفْسِه، مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأيِه[٥]. [ق: ٢٠]

٩٩٩ ـ قَد يَحْسُنُ الامْتِنَانُ[٦] بالنِّعْمَةِ وذَلِك عِندَ كُفْرَانِها، ولَوْلَا أنَّ بَنِي إسْرائِيلَ

---

(١) باين: فارق واهجر. وتبن: تنفصل.

(٢) القنية ـ بضم القاف وكسرها وسكون النون ـ: ما اقتني واكتسب. يستقبح الإمام ممن رزق عقلًا، أن يرضى بالدون، ويترك النفيس، ويقبل على الأدنى، ويعرض عن الأعلى، وهو ـ مع ذلك ـ يملك القدرة على أن يجعل نفسه حيث يشاء.

(٣) أي لا عذر فيمن عمي عن الحق أو تعامى وقد فاض النور، وغاض الديجور، فما وراء ذلك إلا العناد المردي، والمكابرة الموبقة. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]!!

(٤) كشف الله لكم عن الخير والشر، وبيّن الرشد من الغي؛ فإن كانت لكم أبصار فأبصروا، وإن كانت لكم عقول فاهتدوا، وإن كان لكم أسماع فاستمعوا. أي: لا عذر لكم إن قصرتم؛ فقد خلق الله لكم الآلات، ومهد لكم السبل، وأرسل لكم الرسل، فقامت الحجة عليكم.

(٥) وذلك كقولهم: من استبد برأيه هلك.

(٦) الامتنان هنا: ذكر ما فعلته من المنن. وهو في الأصح قبيح، وقد قالوا: المن يُفسد الصنيعة، ولكن حسّنه في هذا المقام كفر اللئيم لما أسديت إليه.

كَفَرُوا النِّعمةَ لَمَا قالَ اللهُ لَهم: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٠٠٠ ـ قَد يُدْرِكُ بِشُكْرِ الشَّاكِرِ، مَا يَضِيعُ بِجُحُودِ الكَافِرِ[١]. [ق: ٢٠]

١٠٠١ ـ قَد يَكُونُ اليَأْسُ إدْراكاً، إذا كانَ الطَّمَعُ هَلاكاً[٢]. [ق: ٢٠]

١٠٠٢ ـ قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِه، وصِدْقُه عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِه، وشَجاعَتُه عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِه[٣]، وعِفَّتُه عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِه. [ر ٢: ١٦٠]

١٠٠٣ ـ قَدِّمِ العَدْلَ عَلَى البَطْشِ؛ تَظْفَرْ بالمَحَبَّةِ، وَلَا تَسْتَعْمِلِ العَقْلَ حيثُ يَنْجَعُ[٤] القَوْلُ. [ح ٢٠: ٢٧٨]

١٠٠٤ ـ قَدِيمُ الحُرْمَةِ[٥] وحَدِيثُ التَّوْبَةِ يَمْحَقَانِ[٦] ما بينَهُما مِن الإسَاءَةِ. [ح ٢٠: ٢٩٧]

١٠٠٥ ـ قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بالخَيْبَة، والحَياءُ بالحِرْمَانِ[٧]، والفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فانْتَهِزُوا فُرَصَ الخَيْرِ. [ر ٢: ١٥٢]

---

(١) أي أنّ شكر الشاكر للنعمة، يعوّض جحود من كفرها؛ وجميل قول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العُرف بين الله والناس

وقول بعض العصريين:

إذا ضاع عند الناس إحسانُ محسن ... فما ضاع عند الله إحسانُه سُدى

ومن المأثور: لا يزهدنك في المعروف، جحود من صنعته معه؛ فإنه يشكرك عليه، مَنْ لم تسده إليه!!

(٢) لأن في اليأس ـ إذ ذاك ـ نجاة من العطب، فكأنك أدركت كل ربح!!

وصدق البهاء زهير في قوله:

ورأسُ مالك ـ وهي الروحُ ـ قد سلمتْ ... لا تأسفنَّ لشيءٍ بعدها ذهبا

(٣) الأنفة والأنف ـ بفتح النون والفاء ـ: الاستنكاف.

(٤) ينجع: ينفع.

(٥) الحرمة ـ بضم فسكون، وبضمتين، وبضم ففتح ـ ما لا يحل انتهاكه، والذمة، والمهابة، والنصيب.

(٦) محقه: أبطله ومحاه.

والمعنى: أن المذنب إذا أحدث توبة، وكانت له ذمة قديمة عند صاحبه، كان له من ذلك شفيعان يغفران ذنبه!!

(٧) أي من تهيب أمراً خاب في إدراكه، ومن أفرط في الخجل حرم الوصول إلى بغيته. والإفراط في الحياء مذموم كطرح الحياء، والمحمود الوسط.

١٠٠٦ ـ قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلانِ: جاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ، وعَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ(١). [ح ٢٠: ٢٨٤]

١٠٠٧ ـ قَطَعَ العِلْمُ عُذْرَ المُتَعَلِّلِين(٢). [ر ٢: ٢١٩]

١٠٠٨ ـ قَطِيعَةُ الجَاهِلِ، تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ. [ق: ١٨]

١٠٠٩ ـ قَلَّ أن تَرَى أحداً تَكَبَّرَ عَلَى مَنْ دُونَهُ، إلّا وبِذَلِك المِقْدَار يَجُودُ بالذُّلِّ لِمَنْ فَوْقَهُ(٣). [ح ٢٠: ٣٣٦]

١٠١٠ ـ قَلَّ أَنْ يُنْطِقَ لِسَانُ ٱلدَّعْوَى إلّا ويُخْرِسُه كِعَامُ(٤) الامْتِحَانِ. [ح ٢٠: ٣٢١]

١٠١١ ـ قَلَّ مَا تَصْدُقُكَ الأُمْنِيَّةُ(٥). [ق: ٢٢]

١٠١٢ ـ قَلَّ مَا يُنْصِفُكَ اللِّسَانُ، في نَشْرِ قَبِيحٍ أَو إحْسَانٍ(٦). [ق: ٢٢]

١٠١٣ ـ قَلْبُ ٱلأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ(٧)، ولِسَانُ العَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ(٨). [ز: ٣٠]

---

(١) المتنسك: متكلف العبادة والتقوى. والمتهتك: المفتضح؛ لأن الأول قد تؤديه عبادته الجاهلة إلى الكفر. والثاني يقترف الآثام على علم فهو ضال مضل!!

كما يقول بعض العصريين:

قد زلَّ عن علمٍ وضلَّ على هُدًى ... لا راعياً عهداً ولا ميثاقا

يشكو الإمام كسر ظهره كسراً بيناً من هذين الرجلين؛ لأن ردعهما وردهما إلى الصواب صعب عسير؛ لاغترار الأول، وذهاب حياء الثاني!! فالمصيبة بهما على الدين وأهله عظيمة!!

(٢) المتعلل: المعتذر: أي لا يقبل عذر العالم عما يقع فيه من الآثام والخطايا؛ لأن علمه حجة عليه.

(٣) ما أصدق هذه الحكمة!! إنها مظهر لما يسمونه «عقدة النقص» بلغة العلم الحديث، وكم نرى رجالًا أطول على مرؤوسيهم من الجبال، وأذل لرؤسائهم ـ بل لنسائهم ـ من النعال!!

(٤) الكعام ككتاب: ما يشد به فم البعير لئلا يعض أو يأكل. وهو كقول القائل:

كلُّ من يدَّعي بما ليس فيه ... كذَّبته شواهدُ الامتحان

(٥) الأمنية ـ بتشديد الياء ـ: واحدة الأماني، وهو ما يتمناه الإنسان، وجمعها أمان وأماني بالتخفيف والتشديد، وهي في الغالب أوهام وأحلام، يفزع إليها المهموم، ترفيهاً عن قلبه المكظوم؛ كما يقول المتنبي:

تمنٍّ يلذُّ المُستهامُ بذكره ... وإن كان لا يُغني فتيلًا ولا يُجدي

* * *

أمانيُّ كالأحلام زَخرفها الكرى ... وقلَّ على الأيام أن يصدق الحُلمُ

ولذلك قالوا: «إن المُنى رأسُ أموالِ المفاليس».

(٦) يعني: أن اللسان ينزلق بالمبالغة في المدح والذم، وندر أن يقف عند حد الاعتدال.

(٧) لما كان قلب الأحمق وراء لسانه، لم يكن له وازع يصده عن الكلام بالخطأ والخطل والباطل؛ لأن قلبه لا يتحكم في لسانه.

(٨) لما كان لسان العاقل وراء قلبه، كان له من قلبه الواقف أمام لسانه ديدبان يقظ، يصده ويخزنه إلا أن ينطق بالحق والصدق والحكمة.

١٠١٤ ـ القَلْبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ[١]. [ك ٢: ٢٨٥].

١٠١٥ ـ القَلْبُ الفَارِغُ يَبْحَثُ عَنِ السُّوءِ، واليَدُ الفَارِغَةُ تُنَازِعُ[٢] إلى الإِثْمِ. [ح ٢٠: ٣٠٣]

١٠١٦ ـ القَلْبُ مُصْحَفُ البَصَرِ[٣]. [ر ٢: ٢٤٧]

١٠١٧ ـ قِلَّةُ الثِّقَةِ بِعِزِّ اللَّهِ ذِلَّةٌ[٤]. [ق: ١٨]

١٠١٨ ـ القِلَّةُ ذِلَّةٌ[٥]. [ق: ١٤]

١٠١٩ ـ قِلَّةُ العِيَالِ أَحدُ اليَسَارَيْنِ[٦]. [ر ٢: ١٨٣]

١٠٢٠ ـ قُلْتُم: إنَّ فُلَاناً أَفادَ مَالاً عَظِيماً، فَهَلْ أَفادَ أَيَّاماً يُنْفِقُه فِيها؟ [ح ٢٠: ٢٩٧]

١٠٢١ ـ قُلُوبُ الجُهَّال تَسْتَفِزُّها الأَطْماعُ[٧]، وتُرْتَهَن بالأَمانِيّ، وَتَتَعَلَّقُ بالخَدائِعِ، وكَثْرَةُ الصَّمْتِ: زِمامُ اللِّسَانِ، وحَسْمُ[٨] الفِتْنَةِ، وإماطَةُ الخَاطِرِ[٩]. [ح ٢٠: ٢٥٦]

---

(١) هذه الحكمة أصل من أصول التربية والتعليم فليتدبرها الآباء والمعلمون.

(٢) تنازع: تشتاق.

(٣) أي أن ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه وقال ابن أبي الحديد: يقول: كما أن الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه، كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه، ثم يعلم ما في وجهه من حب وبغض وغيرهما، كما يعلم برؤية الخط الذي في المصحف ما يدل الخط عليه.

ويقول المتنبي:

يخفي العداوة ـ وهي غير خفيّة ـ نظر العدوّ بما أسرّ.. يبوحُ

ويقول آخر:

والعينُ تعرف منْ عينيْ مُحدِّثها إنْ كان من حزبها أو من أعاديها

(٤) لأن الله هو المعز المذلّ، مالك الملك، العباد مربوبون له، والسموات مطويات بيمينه، فمن لم يؤمن بوقايته حان!! ومن لم يثق بعزته هان!!

ومن لم يُوقِّ اللَّهُ فهو مُمزَّقٌ ومن لم يُعِزَّ اللَّهُ فهو ذليلُ

(٥) ولذلك افتخر العرب بالكثرة، فقال شاعرهم:

قومي هم الأكثرون حصًى...

وقال آخر:

... وإنما العزةُ للكاثر

(٦) اليسار: السعة والغنى.

(٧) استفزه واستخفه: أخرجه عن دارة الحزم، وضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة.

(٨) الحسمُ: القطع، والفطنة: الذكاء وحدة الفهم.

(٩) إماطة الخاطر، الإماطة: الإبعاد والإزالة، والخاطر: ما يخطر بالبال.

١٠٢٢ ـ قُلُوبُ الرِّجالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَها أَقْبَلَتْ عَلَيْه(١). [ر ٢: ١٦٠]

١٠٢٣ ـ قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْه، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُول(٢). [ر ٢: ٢١٨]

١٠٢٤ ـ قَلِيلُ العِلْمِ إِذا وَقَرَ(٣) في القَلْبِ كالطَّلِّ يُصِيبُ الأَرْضَ المُطْمَئِنَّةَ فَتُعْشِبُ. [ح ٢٠: ٢٧٩]

١٠٢٥ ـ قَلِيلٌ يُتَرقَّى منهُ إِلى كَثِيرٍ، خَيْرٌ مِن كثيرٍ يُنْحَطُّ عَنهُ إِلى قَلِيلٍ. [ح ٢٥: ٣٤٤]

١٠٢٦ ـ القَنَاعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ(٤). [ر ٢: ٢٦١]

١٠٢٧ ـ القُنْيَةُ(٥) مَخْدُومةٌ، ومَنْ خَدَمَ غَيْرَ نَفْسِه فلَيْسَ بِحُرٍّ. [ح ٢٠: ٢٣٣]

١٠٢٨ ـ قُوتُ الأَجْسَامِ الغِذاءُ، وقوتُ العُقُولِ الحِكْمَةُ، فَمَتى فَقَدَ وَاحِدٌ مِنهما قُوتَهُ بَارَ(٦) واضْمَحَلَّ. [ح ٢٠: ٢٧٨]

١٠٢٩ ـ قِيمَةُ كلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُه(٧). [ر ٢: ١٦٥]

---

(١) تألف: استمال، وتألفها يكون بالبشر، والكلام اللين، والفعل الحسن، فإن الوحشي يأنس بعد الشراد والنفار.

(٢) اعمل قليلًا وداوم عليه؛ فهو أفضل من كثير تسأم منه فتتركه. ومثله: قليل دائم، خير من كثير منقطع.

(٣) وقر: ثبت واستقر. أي: لا يقاس العلم بالكثرة، وإنما العبرة بالانتفاع به، وقد كان إبليس أعلم العلماء، فأضله علمه وقاده إلى النار!! وفي هذا يقول بعض الشعراء:

لو كان للعلم من غير التُّقى شرفٌ ... لكان أشرفَ خلق اللهِ إبليسُ

ويقول بعض العصريين:

إبليسُ لم يعصمه واسعُ علمه ... من أن يحُوب ويعصيَ الخلّاقا
ويقوم في هول القيامة حاملًا ... وزر الأنام ويَقْدُم الفسّاقا

(٤) وقد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله ﷺ.

(٥) القنية ـ بضم القاف وكسرها ـ: ما يقتنيه الإنسان ويكسبه. أي إن الإنسان الذي يكتسب الأموال بجده وشرفه يخدمه الناس، لأن الأموال تجعل صاحبها وجيهاً، وذو الجاه مخدوم ـ كما يقول ابن خلدون ـ ومن حرم القنية (أي المال المقتنى) اضطر إلى خدمة غيره، ومن خدم غيره عن احتياج استعبد ولم يكن له اختيار، كما كان يجري في العصور البائدة.

(٦) بار: هلك.

(٧) هذه الكلمة لا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة.

حرف الكاف

١٠٣٠ ـ كأنَّ الحَاسِدَ إنَّما خُلِقَ لِيَغْتَاظَ[١]. [ح ٢٠: ٣٢٨]

١٠٣١ ـ وتبع جنازة فسمع رجلًا يضحك، فقال:

كأنَّ المَوْتَ فِيها عَلَى غَيْرِنا كُتِب، وكأنَّ الحَقَّ فِيها عَلَى غَيرِنا وَجَب، وكأنَّ الَّذِي نَرَى مِن الأَمْوَاتِ سَفْرٌ. . عَمَّا قَلِيلٍ إلَيْنَا رَاجِعُون، نُبَوِّئُهم أجْداثَهُم[٢]، ونأكُلُ تُراثَهُمْ، ثمَّ. . قَدْ نَسينا كلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، ورُمِينا بِكُلِّ جائِحَةٍ[٣]. [ر ٢: ١٧٦، ١٧٧]

١٠٣٢ ـ كأنَّكَ بالدُّنْيا لم تَكُنْ؛ وكأنَّكَ بالآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ[٤]. [ح ٢٠: ٣٠٩]

١٠٣٣ ـ حكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي اللّٰه عنهما أنه قال:

كانَ في الأَرْضِ أَمَانانِ مِن عَذابِ اللّٰهِ، وقَد رُفِعَ أَحَدُهُما، فَدُونَكُم الآخَرَ فتَمَسَّكُوا بِهِ، أَمَّا الأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُو رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وأَمَّا الأَمَانُ البَاقِي فالاسْتغفَارُ. قالَ اللّٰهُ تَعالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٥] [الأنفال: ٣٣]. [ر ٢: ١٦٦، ١٦٧]

١٠٣٤ ـ كانَ لي فِيما مَضَى أَخٌ في اللّٰهِ، وكانَ يُعْظِمُه في عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيا في عَيْنِه، وكانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِه فَلا يَشْتَهي مَا لا يَجِدُ، وَلا يُكْثِرُ إذا وَجَد، وكانَ أَكْثَرَ دَهْرِه صَامِتاً، فإنْ قالَ بَذَّ القَائِلِين، ونَقَعَ غَلِيلَ

---

(١) لأن الحسد لا ينتهي أبداً. . بخلاف العداوة!! ولأن الحاسد كلما رأى نعمة على إنسان اتقد غيظه، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

(٢) سفر: أي مسافرون، ونبوئهم: ننزلهم في أجداثهم، أي قبورهم، والتراث: الميراث.

(٣) الجائحة: الآفة تهلك الأصل والفرع.

(٤) يشير إلى مضي الدنيا، وسرعة زوالها، وقرب مجيء الآخرة وبقائها.

(٥) هذا من محاسن الاستخراج، ولطائف الاستنباط، وبدائع الفهم، وروائع الفقه، وفيض التجلي الإلهي، والعلم اللدني!!

السَّائِلِينَ[١]، وكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً، فإنْ جَاء الجِدُّ فهُو لَيثُ غابٍ، وصِلُّ وَادٍ[٢]، لا يُدْلِي بحُجَّة حتَّى يَأْتِي قاضِياً[٣]، وكانَ لا يَلُومُ أحداً عَلَى مَا يَجِدُ العُذْرَ في مِثْلِه، حتَّى يَسْمعَ اعْتِذارَه[٤]، وكانَ لا يَشْكو وَجَعاً إلَّا عِندَ بُرْئِه، وكانَ يَقُولُ مَا يَفعَلُ، وَلا يَقُولُ مَا لا يَفعَلُ، وكانَ إذا غُلِبَ عَلَى الكلَامِ لَم يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وكانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنهُ عَلَى أن يَتكلَّمَ، وكانَ إذا بَدَهَهُ أَمْرَانِ[٥] يَنْظُرُ أيُّهُما أقْرَبُ إلى الهَوَى فَخالَفَهُ. فَعلَيكُم بهَذِه الخَلائِقِ فالْزَمُوها، وتَنافَسُوا فِيها، فإن لَم تَسْتَطِيعُوها فاعْلَمُوا أنَّ أخْذَ القَلِيلِ، خَيْرٌ مِن تَرْكِ الكَثِيرِ. [ر ٢: ٢١٩، ٢٢٠]

١٠٣٥ ـ كَثْرَةُ الآرَاءِ مَفْسدَةٌ، كالقِدْرِ لا تَطِيبُ إذا كَثُرَ طبَّاخُوها[٦]. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٠٣٦ ـ كَثْرَةُ الجِدالِ، تُورِثُ الشَّكَّ[٧]. [ح ٢٠: ٢٧٢]

١٠٣٧ ـ كَثْرَةُ الخِلَافِ شِقَاقٌ. [ز: ٢٩]

١٠٣٨ ـ كَثْرَةُ الدَّيْنِ تَضْطَرُّ الصَّادِقَ إلى الكَذِبِ، والوَاعِدَ إلى الإخْلَافِ[٨]. [ح ٢٠: ٣٢٧]

---

(١) بذهم: أي كفهم عن القول وغلبهم ومنعهم بفوقه عليهم، ونقع الغليل: أزال العطش.

(٢) الصل: الحية، وصل واد: يقال للحامي حوزته.

(٣) أدلى بحجته: أحضرها.

(٤) أي كان لا يلوم في فعل يصح في مثله الاعتذار إلا بعد سماع العذر.

(٥) بدهه الأمر: فجأه وبغته، قال ابن أبي الحديد: اختلف الناس في المعني بهذا الكلام، ومن هو هذا الأخ المشار إليه؟ فقال قوم: هو رسول الله، واستبعده قوم، وقال قوم: هو أبو ذر الغفاري واستبعده قوم، وقال قوم: هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ـ وقال قوم: إنه ليس بإشارة إلى أخ معين ولكنه كلام خارج مخرج المثل، وعادة العرب جارية بمثل ذلك.
ونقول: لعل الإمام يعني نفسه: فهذه صورته موجزة لمن درسه، ولا يقال: إنه يمدح نفسه، فهو من باب ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

(٦) إنما كان الأمر كذلك؛ لأنه بكثرة الآراء تتشعب وجوه الأمر، ويكثر الاختلاف والتنازع، وتظهر العصبية، ويقع الفشل!! وليس ذلك من المشورة؛ لأنها مقصورة على العقلاء الراشدين المجربين.

(٧) لأن الجدل في الأعم الأغلب؛ تثيره المكابرة والعناد والعجب بالرأي، فيعمى وجه الصواب، ويخفى نور الحق، وتتولد الشكوك، ويذهب المجادلون كل مذهب!!

(٨) هذا بعض ما يسوق إليه الدين، ورحم الله القائل:

ألا قاتل الله الضرورة إنها ... تُكلِّف أعلى الخلق أدنى الخلائق

١٠٣٩ ـ بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الهَيْبَةُ، وبالنَّصَفَةِ يَكثُرُ المُوَاصِلُون[١]، وبالإفْضَالِ تَعْظُمُ الأَقْدَارُ، وبالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وباحْتِمالِ المُؤَنِ[٢] يَجِبُ السُّؤْدُدُ، وبالسِّيرَةِ العَادِلَةِ يُقْهَرُ المُناوِئُ[٣]، وبالحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكثُرُ الأَنْصَارُ عَليهِ. [ر ٢: ٢٠٠]

١٠٤٠ ـ كَثْرَةُ الطَّعامِ تُمِيتُ القَلْبَ، كما تُمِيتُ كَثْرَةُ المَاءِ الزَّرْعَ. [ح ٢٠: ٣٢٥]

١٠٤١ ـ كَثْرَةُ العِلَلِ[٤]، آيَةُ البُخْلِ. [ق: ١٥]

١٠٤٢ ـ كَثْرَةُ مَالِ الميِّتِ، تُسَلِّي وَرَثَتَهُ عَنْهُ. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٠٤٣ ـ كَثْرَةُ النُّصحِ تَهْجُم بكَ عَلَى كَثْرَةِ الظِّنَّةِ[٥]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١٠٤٤ ـ كَثْرَةُ الوِفاقِ، نِفَاقٌ[٦]. [ز: ٦٧]

١٠٤٥ ـ كَثِيرٌ مِنَ الحَاجاتِ تُقْضَى بَرَماً[٧]، لا كَرَماً. [ح ٢٠: ٣٣٩]

١٠٤٦ ـ كَدَرُ الجَمَاعَةِ، خَيرٌ مِن صَفْوِ الفُرْقَةِ[٨]. [ق: ١٧]

١٠٤٧ ـ الكَذَّابُ يُخِيفُ نَفْسَهُ وهُو آمِنٌ[٩]. [ح ٢٠: ٢٩٤]

١٠٤٨ ـ الكَذِبُ ذُلٌّ[١٠]. [ق: ١٥]

١٠٤٩ ـ الكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ[١١]. [ر ٢: ٢٠٤]

---

(١) النصفة بالتحريك: الإنصاف، ومتى أنصف الإنسان كثر مواصلوه، أي محبوه.

(٢) المؤن بضم ففتح: جمع مؤنة وهي ـ في الأصل ـ: القوت.. أي إن السؤدد والشرف باحتمال الأعباء عن الناس.

(٣) المناوئ: المخالف المعاند.

(٤) العلل: جمع علة ـ بكسر العين وتشديد اللام المفتوحة ـ وهو الحدث يشغل صاحبه عن وجهه، والمراد هنا: كثرة الاعتذار عن الإعطاء ونحوه، وفي ذلك يقول بشار:

ولـلـبـخـيـل عـلـى أمـوالـه عِـلَلٌ زُرْقُ الـعـيـونِ عـلـيـهـا أوجـهٌ سُـودُ

(٥) الظنة: التهمة.

(٦) لأنه لا بد من الاختلاف في الآراء، فكثرة الوفاق تدل غالباً على أن الموافق إمّعة، والإمعة: يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء، ويقول: أنا مع الناس، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك.

(٧) البرم كسبب: السأم والملل.

(٨) معناه: أن الاتحاد مع الكدر، خير من التفرق مع الصفاء؛ لأن عاقبة الجماعة خير على كل حال.

(٩) لأنه يخشى أن ينكشف كذبه فيقع في ورطة، فهو خائف وقلق أبداً!

(١٠) لأنه لا يكذب إلا من يشعر بالخوف والضعة، ومن يحب الملق والدهان.

(١١) إن الكريم ينعطف للإحسان بكرمه، أكثر مما ينعطف القريب لقرابته، وهي كلمة من أعلى الكلام.

١٠٥٠ ـ الكَرَمُ حُسْنُ الفِطْنَةِ، واللُّؤْمُ سُوءُ التَّغافُل[١]. [ح ٢٠: ٢٧٨]

١٠٥١ ـ الكَرِيمُ لا يَسْتَقْصِي في مُحاقَّةِ[٢] المُعْتَذِر، خَوْفاً أن يَجْزِيَ مَن لا يَجِدُ مَخْرَجاً مِنْ ذَنْبِه. [ح ٢٠: ٣٣٠]

١٠٥٢ ـ الكَرِيمُ لا يَلِينُ عَلَى قَسْرٍ، وَلا يَقْسُو عَلَى يُسْرٍ[٣]. [ح ٢٠: ٢٩١]

١٠٥٣ ـ الكَرِيمُ يَلِينُ إذا ٱسْتُعْطِفَ، واللَّئِيمُ يَقْسُو إذا لُوطِفَ. [ح ٢٠: ٢٩٦]

١٠٥٤ ـ كَفَى بالأَجَلِ حَارِساً[٤]. [ر ٢: ٢٢٣]

١٠٥٥ ـ كَفَى بالظَّفَرِ شَفِيعاً لِمُذْنِبٍ[٥]. [ز ١: ٢٨]

١٠٥٦ ـ كَفَى بالعِلْمِ شَرَفاً أَنَّه يَدَّعِيه مَنْ لا يُحْسِنُه، ويَفْرَحُ بهِ إذا نُسِبَ إليه. [ق: ٢٤]

١٠٥٧ ـ كَفَى بالقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ الخُلقِ نَعِيماً. [ر ٢: ٢٠١]

١٠٥٨ ـ كَفَى مَا مَضَى مُخْبِراً عَمَّا بَقِيَ، وكَفَى عِبَراً لِذَوِي ٱلأَلْبَابِ مَا جَرَّبُوا. [ح ٢٠: ٢٧٣]

١٠٥٩ ـ كَفَاكَ أَدَباً لنَفسِكَ ٱجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِك. [ر ٢: ٢٤٧]

١٠٦٠ ـ كَفَاكَ خِيَانَةً أن تَكونَ أميناً لِلخَوَنَةِ. [ح٢٠: ٣٢١]

١٠٦١ ـ كَفَاكَ مُوَبِّخاً عَلَى الكَذِبِ عِلْمُكَ بأَنَّكَ كاذِبٌ، وكَفاكَ ناهِياً عَنهُ خَوْفُكَ مِن تَكْذِيبِك حالَ إخْبارِكَ. [ح ٢٠: ٣٣٢]

---

(١) الفطنة: الفهم للشيء، والتغافل: تعمد الغفلة عن الشيء. ومن قولهم: السَّرو في التغافل: أي الشرف. وقالوا: العيش مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل.

(٢) المحاقة: المخاصمة في الحق، يريد أن الكريم لا يبالغ في مخاصمة المعتذر، خوفاً من عجزه عن الإفصاح بما يمحو عنه الذنب.

(٣) القسر: القهر. واليسر: السعة والغنى، أي لا يحمله القهر على اللين، ولا يحمله الغنى على القسوة.

(٤) لأن لكل إنسان أجلاً مسمى لا يتقدم عنه ولا يتأخر. فكان هذا الأجل يحرسه من الموت إلى الأمد المؤقت، وقد قال بعض العصريين:

هو العُمرُ خيرُ دُروعِ الفتى ... إذا خانه الزَّرَدُ السَّاترُ
وطولُ السَّلامةِ حصنٌ له ... وإن ضمَّه العَبلُمُ الزاجرُ

(٥) والشاعر يقول في ذلك:

والناسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلون له ... ما يَشتهي.. ولأُمِّ المخطئِ الهَبَلُ

١٠٦٢ ـ الكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعائِمَ: عَلَى التَّعمُّق، والتَّنازُع، والزَّيْغ، والشِّقاقِ[١]. . فمَنْ تَعمَّق لَم يُنِبْ إلى الحَقّ[٢]، ومَنْ كَثُرَ نِزاعُهُ بالجَهْلِ دَامَ عَماهُ عَنِ الحَقّ، ومَنْ زَاغَ سَاءَت عِندَهُ الحَسَنَةُ؛ وحَسُنَتْ عِندَهُ السيِّئةُ، وسَكِرَ سُكْرَ الضَّلالَةِ، ومَن شَاقَّ وَعُرَتْ عَليهِ طُرُقُه، وأَعْضَلَ عَليهِ أَمْرُه[٣]، وضَاقَ عَليهِ مَخْرَجُه.

والشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمارِي، والهَوْلِ، والتَّرَدُّدِ، والاسْتِسْلامِ[٤]؛ فَمَنْ جَعلَ المِراءَ دَيْدَناً لَم يُصْبِحْ لَيْلُه، ومَن هالَهُ مَا بَينَ يَدَيه، نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْه، ومَنْ تَرَدَّدَ في الرَّيْبِ، وَطِئَتْهُ سَنابِكُ الشَّياطِين[٥]، ومَنِ ٱسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ ٱلدُّنيا والآخِرَةِ. . هَلَكَ فِيهِمَا. [ر ٢: ١٥٥، ١٥٦]

١٠٦٣ ـ كُفْرُ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ، وصُحْبَةُ الجَاهِلِ شُؤْمٌ. [ق: ١٨]

١٠٦٤ ـ كُلْ مِنَ الطَّعامِ مَا تَشْتَهِي، والْبَسْ مِنَ الثِّيابِ مَا يَشْتَهِي النَّاسُ[٦]. [ح ٢٠: ٣١٢]

١٠٦٥ ـ كلُّ حِقْدٍ حَقدَتْهُ قُرَيْشٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَظْهَرَتْهُ فِيَّ، وسَتُظْهِرُه في وَلَدِي مِنْ بَعدِي، مَا لِي ولِقُرَيْشٍ؟!. . إنَّما وتَرْتُهم[٧] بأَمْرِ اللّهِ وأَمرِ رسُولِه؛ أَفَهذا جَزاءُ مَن أَطاعَ اللّهَ ورَسُولَه. . إن كانُوا مُسلِمِين!. . [ح ٢٠: ٣٢٨]

---

(١) التعمق: الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الأسرار، والزيغ: الحيدان عن مذاهب الحق، والميل مع الهوى الحيواني، والشقاق: العناد.

(٢) أي لم يرجع: أناب ينيب: رجع. . .

(٣) وعر الطريق ككرم ووعد وولع: خشن ولم يسهل السير فيه، وأعضل: اشتد وأعجزت صعوبته.

(٤) التماري: التجادل لإظهار قوة الجدل لا لإحقاق الحق، والهول، بفتح فسكون: مخافتك من الأمر لا تدري ما هجم عليك منه فتندهش، والتردد: إنقاض العزيمة وانفساخها، ثم عودها، ثم انفساخها، والاستسلام: إلقاء النفس في تيار الحادثات. . أي ما أتى عليها يأتي، والمراء بكسر الميم: الجدل، والديدن: العادة. وقوله: لم يصبح ليله: أي لم يخرج من ظلام الشك إلى نور اليقين.

(٥) الريب: الظن. . أي الذي يتردد في ظنه، ولا يعقد العزيمة في أمره، تطؤه سنابك الشياطين، والسنابك جمع سنبك بالضم: طرف الحافر. . أي تستنزله شياطين الهوى فتطرحه في الهلكة.

(٦) لأن الطعام شيء خاص بك، وأما الثياب فهي مسألة تتعلق بآداب اللياقة والسلوك، ونظام المجتمع، فالشذوذ فيها خروج عن قانون الجماعة، فيلقى صاحبها السخرية والمقت والهوان، وقد نظم الشاعر هذه الحكمة في قوله:

أما الطَّعامُ فخُذْ لنفسِك ما اشتهتْ ... واجعلْ ثِيابَك ما اشتهاهُ النَّاسُ

(٧) وترتهم: أحدثت عندهم وتراً، يشير أمير المؤمنين إلى عداوة قريش له بعد وفاة الرسول ﷺ =

١٠٦٦ ـ كلُّ خُلُقٍ مِن الأخلَاق، فإنَّه يكْسُدُ عِندَ قَومٍ مِن النَّاس، إلّا الأَمانةَ فإنَّها نافِعةٌ عِندَ أَصنَافِ النَّاس، يُفَضَّل بها مَن كانَتْ فيهِ؛ حتَّى إنَّ الآنِيةَ إذا لَم تُنَشِّفْ، وبَقِيَ مَا يُودَعُ فِيها عَلَى حَالِه لَم يَنقُصْ. . . كانَتْ أَكثَر ثَناءً مِن غَيرِها مِمَّا يُرَشِّحُ أَو يُنَشِّفُ[١]. [ح ٢٠: ٣٣٨]

١٠٦٧ ـ كلُّ شَيءٍ طَلَبْتَهُ في وَقْتِه، فَقَدْ فَاتَ وَقْتُه[٢]. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٠٦٨ ـ كلُّ شَيءٍ يَعْصِيكَ إذا أَغْضَبتَهُ إلّا الدُّنيا، فإنَّها تُطِيعُكَ إذا أَغْضَبتَها. [ح ٢٠: ٣٠٠]

١٠٦٩ ـ كلُّ مَا لا يَنْتَقِلُ بانْتِقالِكَ مِنْ مالِكَ؛ فهُو كَفِيلٌ بِكَ[٣]. [ح ٢٠: ٢٩١]

١٠٧٠ ـ كلُّ مَا يُؤكَلُ يُنْتِنُ، وكلُّ مَا يُوهَبُ يَأْرَجُ[٤]. [ح ٢٠: ٣٠٣]

١٠٧١ ـ كلُّ مُصْطَنِعٍ عارِفةً فإنَّما يَصنَعُ إلى نَفْسِه، فلَا تَلْتَمِسْ مِن غَيرِك شُكْرَ مَا أَتَيْتَهُ إلى نَفسِك، وتمْتَّعتَ بِهِ لذَّتَك، وَوَقَيْتَ بِهِ عِرْضَك[٥]. [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٠٧٢ ـ كُلٌّ مُعاجَلٌ يَسأَلُ الإنْظَار، وكلٌّ مُؤَجَّلٌ يَتَعلَّلُ بالتَّسْوِيف[٦]. [ر ٢: ٢١٩]

١٠٧٣ ـ كلُّ مَعْدُودٍ مُنقَضٍ، وكلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ. [ر ٢: ١٦٣]

= حتى نغصت عليه حياته ونكلت بفلائله، لأنه أوقع بها في الغزوات النبوية وقتل قرومها، ويكفي أن قريشاً كانت مع معاوية عليه.

(١) جعل الآنية التي لا ينقص ما يوضع فيها بالترشيح أو التنشيف من جنس الأمناء فتفضل على غيرها، كالرجل الأمين يؤدي ما اؤتمن عليه بلا نقص، وهو تمثيل بديع.

(٢) فيه الحث على الاستعداد للأمر قبل وقوعه، وأخذ الأهبة له قبل طروقه، وفي ذلك يجتمع الحزم والعزم.

(٣) الكفيل: الضامن، يريد: أن المال الثابت الذي لا يتحرك معك ولا تسافر به، غير عرضة للضياع كغيره، فكأنما ضمن لك الرزق.

(٤) الأرج: توهج ريح الطيب أرج الطيب كفرح: فاح، يوصي بالإعطاء والتصدق فإنه يورث الذكر الحسن، بخلاف ما تخص به نفسك فإنه قبيح الأثر.

(٥) العارفة: المعروف. والمعنى: أن صنع المعروف في نفسه سعادة ولذة، فحسب فاعله ما أدرك من ذلك. ورحم الله من قال:

لَيسَ يُعْطِيكَ لِلثَّناءِ ولِلمَدْ ... حِ ولكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ

(٦) كل بالتنوين في الموضعين مبتدأ خبره معاجل بفتح الجيم في الأول، ومؤجل بفتحها كذلك في الثاني: أي كل واحد من الناس يستعجله أجله ولكنه يطلب الإنظار: أي التأخير. وكل منهم قد أجل الله عمره وهو لا يعمل، تعللاً بتأخير الأجل والفسحة في مدته، وتمكنه من تدارك الفائت في المستقبل.

١٠٧٤ ـ كلُّ مُقْتَصَرٍ عَليهِ كافٍ[١]. [ر ٢: ٢٤٥]

١٠٧٥ ـ كلُّ النَّاسِ أُمِرُوا بأَنْ يَقُولُوا: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّه.. إِلَّا رَسُولَ اللَّه؛ فإِنَّه رُفِعَ قَدْرُه عَن ذَلِك، وقِيلَ لَه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. فأُمِرَ بالعِلْمِ لا بالقَوْلِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٠٧٦ ـ كلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بمَا جُعِلَ فيهِ إِلَّا وِعَاءَ العِلْمِ فإِنَّه يَتَّسِعُ[٣]. [ر ٢: ١٩٧]

١٠٧٧ ـ الكلامُ في وَثاقِكَ مَا لَم تَتَكلَّمْ بهِ، فإِذا تكلَّمْتَ بهِ صِرْتَ في وَثاقِه[٤]، فاخْزُنْ لِسَانَك كما تَخزُنُ[٥] ذهَبَكَ ووَرِقَكَ[٦].. فَرُبَّ كلِمَةٍ سَلَبتْ نِعْمَةً، وجَرَّتْ نِقْمَةً. [ر ٢: ٢٤٢]

١٠٧٨ ـ كُلَّما حَسُنَتْ نِعْمَةُ ٱلجَاهِلِ ٱزْدادَ قُبْحاً فِيها[٧]. [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٠٧٩ ـ كلُّ مَا حَمَلْتَ عَليهِ الحُرَّ احْتَمَلَه وَرآه زِيادةً في شَرَفِه، إِلَّا مَا حَطَّه جُزْءاً مِن حُرِّيَّتِه؛ فإِنَّهُ يَأْباهُ وَلا يُجِيبُ إِليهِ[٨]. [ح ٢٠: ٢٧٩]

---

(١) مقتصر بفتح الصاد: اسم مفعول، وإذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك. قال أبو فراس:

ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافياً ... وإذا قنعتَ فبعضُ شيءٍ كافِ

وقال آخر:

وما النَّفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أُطعِمتْ تاقتْ وإلا تسلَّتِ

وقال آخر:

ملك كسرى عنه تُغني كِسرةٌ ... وعن البحر اجتزاءٌ بالوشلْ

(٢) لأن العلم أشرف مرتبة من القول، إذ هو جزم ويقين! ولأن الوحدانية قد امتزجت من الرسول ﷺ بلحمه ودمه، فهو إمام الموحدين، وسيد المصدقين.

(٣) وعاء العلم العقل، وهو يتسع بكثرة العلم، وليس للعقل غاية، ولا للعلم نهاية ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

(٤) الوثاق كسحاب وكتاب: ما يشد به ويربط.. أي أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنك، فإذا تكلمت به صرت مملوكاً له؛ فإما نفعك أو ضرك.

(٥) خزن كنصر: حفظ ومنع الغير من الوصول إلى مخزونه.

(٦) الورق بكسر الراء: الدراهم المضروبة.

(٧) ومن قول الشاعر:

فيا قُبحَهم في الذي خُوِّلُوا ... ويا حُسنَهم في زَوالِ النِّعَمْ

وخولوا: أعطوا.

(٨) حطه: سلبه، أي يحتمل الحر كل ما حملته إلا ما يضيع جزءاً من حريته، فإنه لا يقبل العبودية بفطرته وإن كانت شيئاً يسيراً.

١٠٨٠ ـ كُلَّما كَثُرَ خُزَّانُ الأَسْرَارِ زادَتْ ضَياعاً[١]. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٠٨١ ـ الكَلِمَةُ إذا خَرَجَتْ مِنَ القَلْبِ وَقَعَتْ في القَلْبِ؛ وإذا خَرَجَتْ مِنَ اللِّسَانِ لَم تُجاوِزِ الآذَان. [ح ٢٠: ٢٨٧]

١٠٨٢ ـ وقال رضي الله عنه لما سمع قول الخوارج: لا حكم إلا بالله: كلِمَةُ حَقٍّ.. يُرَادُ بِها باطِلٌ[٢]. [ر ٢: ١٩٥]

١٠٨٣ ـ كَمْ مِن أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاتٍ[٣]. [ر ٢: ١٩١]

١٠٨٤ ـ كَمْ مِن دَنِف قَد نَجَا، وصَحِيحٍ قَد هَوَى[٤]. [ق: ٢٢]

١٠٨٥ ـ كَمْ مِن صَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِن صِيامِهِ إلَّا الظَّمأُ، وكَمْ مِن قَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِن قِيامِهِ إلَّا السَّهَرُ والعَناءُ.. حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْياسِ وإفْطَارُهُمْ[٥]! [ر ٢: ١٨٣]

١٠٨٦ ـ كَمْ مِن عاكِفٍ[٦] عَلَى ذَنْبِهِ، تَابَ في آخِرِ عُمْرِهِ. [ق: ٢٢]

١٠٨٧ ـ كَمْ مِنْ مُبَرِّدٍ لَهُ المَاءُ.. والحَمِيمُ يُغْلَى لَهُ[٧]. [ر ٢: ٣١٣]

١٠٨٨ ـ كَمْ مِن مُسْتَدْرَجٍ بالإحْسَانِ[٨] إليهِ، ومَغْرُورٍ بالسَّتْرِ عَليهِ، ومَفْتُون

---

(١) لأنه لا يكثر خزان الأسرار إلا بكثرة من يبوحون بها من أصحابها. والشاعر يقول:

إذا جاوز الإثنين سرٌّ فإنه ... بنثٍّ وإفشاءِ الحديثِ قمينُ

(٢) فإنهم قصدوا بها الاحتجاج على خروجهم من طاعة الخليفة. فظاهرها حق وباطنها باطل، لأن حكم الله لا ينفذ إلا على أيدي القوامين على دينه.

(٣) رب شخص أكل مرة فأفرط، فابتلي بالتخمة ومرض المعدة فامتنع عليه الأكل أياماً.
وفي معناه قول الحريري:

رُبَّ أكلةٍ هاضت الآكل، وحرَمَته مآكل

والهيضة: المرضة بعد المرضة.

(٤) الدنف ـ كفرح ـ المريض مرضاً ملازماً، وهوى بفتح الواو: سقط إلى أسفل، والمراد: مات، وفي مثله قول الشاعر:

فكمْ من صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علَّةٍ ... وكمْ من سقيم عاش دهراً إلى دهر

(٥) القيام: صلاة الليل. والأكياس: جمع كيس بتشديد الياء وهو العاقل، أي العقلاء العارفون يكون نومهم وفطرهم أفضل من صوم الحمقى وقيامهم؛ لأنهم أعرف بالدين منهم.

(٦) عكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً، وبابه جلس.

(٧) الحميم: الماء الحار. المعنى: كم مترف منعم يبرد له الماء، فيفجؤه الموت، فيشرب ماء حميماً يقطع أمعاءه في جهنم!!

(٨) استدرجه الله: تابع نعمته عليه وهو مقيم على عصيانه، إبلاغاً للحجة، وإقامة للمعذرة في أخذه.

بِحُسْنِ القَوْلِ فيهِ، ومَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلَاءِ[١]. [ر ٢: ١٧٥]

١٠٨٩ ـ كما تَرَكَ لَكُم المُلُوكُ الحِكْمَةَ والعِلْمَ، فاتْرُكُوا لَهُمُ الدُّنيا. [ح ٢٠: ٣٢٤]

١٠٩٠ ـ كما تُعْرَفُ أَوَانِي الفَخَّارِ بامْتِحَانِها بأَصْوَاتِها؛ فَيُعْلَمُ الصَّحِيحُ مِنها مِنَ المَكْسُورِ، كَذَلِكَ يُمْتَحَنُ الإِنْسَانُ بِمَنْطِقِهِ فيُعْرَفُ مَا عِندَهُ[٢]. [ح ٢٠: ٢٩٤]

١٠٩١ ـ وسئل: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم:

فقال: كما يَرْزُقُهُمْ عَلى كَثْرَتِهم.

فقيل: كَيْفَ يُحاسِبُهُم وَلا يَرَوْنَه؟

قال: كما يَرْزُقُهُم وَلا يَرَوْنَه. [ح ٢٠: ٢٩٣]

١٠٩٢ ـ الكَمَالُ في خَمْسٍ: أَلَّا يَعِيبَ الرَّجُلُ أحداً بِعَيْبٍ فيهِ مِثْلُه حتَّى يُصْلِحَ ذَلِكَ العَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ، فإنَّه لا يَفْرُغُ مِن إِصْلاحِ عَيْبٍ مِن عُيُوبِهِ حتَّى يَهْجُم عَلَى آخَرَ فتَشْغَلَه عُيُوبُه عَن عُيُوبِ النَّاس، وأَلَّا يُطْلِقَ لِسَانَه ويَدَهُ حتَّى يَعْلَمَ أَفِي طاعَةٍ ذَلِك أَمْ في مَعْصِيَةٍ؟ وأَلَّا يَلْتَمِسَ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَا يُعْطِيهِمْ مِن نَفْسِه مِثْلَه، وأن يَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ باسْتِشْعارِ مُدَارَاتِهِم وتَوْفِيَتِهِم حُقُوقَهُم، وأَنْ يُنْفِقَ الفَضْلَ مِن مَالِه، ويُمْسِكَ الفَضْلَ[٣] مِن قَوْلِه. [ح ٢٠: ٢٩٢]

١٠٩٣ ـ كُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ في الظَّاهِرِ حَالاً، أَقَلَّ مَا تَكُونُ في البَاطِنِ مَالاً[٤]. [ح ٢٠: ٣١٤]

١٠٩٤ ـ كُنْ سَمْحاً، وَلا تَكُنْ مُبَذِّراً، وكُنْ مُقَدِّراً، وَلا تَكُنْ مُقَتِّراً[٥]. [ر ٢: ١٥٦]

---

(١) الإملاء له: الإمهال.

(٢) وفي مثله يقول الشاعر:

وزن الكلامَ إذا نطقت فإنما يُبدي عيوبَ ذوي العيوبِ المنطقُ

(٣) الفضل: الزيادة.

(٤) أي أكثر التجمل في حالة الفاقة لستر حالك، ولاستدامة احترامك، ولئلا يشمت بك أعداؤك، وفي ذلك يقول الشاعر العصري:

يمشي بها يختالُ ذو صَيَدٍ مُتجمّلٌ لا يشتكي الضُرّا
فيظنُّه قارونَ جاهلُه ورصيدُه ما جاوز الصفرا

والضمير في «بها» للثياب النفيسة.

(٥) المقدر: المقتصد. كأنه يقدر كل شيء بقيمته، فينفق على قدره، والمقتر: المضيق في النفقة. وقد جمعت الآية الكريمة كل ما قيل في ذلك: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

١٠٩٥ ـ كُنْ في ٱلحَرْبِ بِحِيلَتِك أَوْثَقَ مِنْكَ بِشِدَّتِك، وبِحَذَرِك أَفْرَحَ مِنْكَ بِنَجْدَتِك؛ فإِنَّ الحَرْبَ حَرَبُ المُتَهوِّر[١]، وغَنِيمَةُ المُتَحَذِّر. [ح ٢٠: ٣١٢]

١٠٩٦ ـ كُنْ في الحِرْصِ عَلَى تفَقُّدِ عُيُوبِك كَعَدُوِّك. [ح ٢٠: ٣٠٥]

١٠٩٧ ـ كُنْ في الفِتْنَةِ كابْنِ اللَّبُون، لا ظَهْرٌ فَيُركَب، وَلا ضَرْعٌ فَيُحْلَب[٢]. [ر ٢: ١٤٩]

١٠٩٨ ـ كُنْ في النَّاسِ وَسَطاً، وٱمْشِ جانِباً. [ب ١: ٢٥٦]

١٠٩٩ ـ كُنْ لِلْعَدُوِّ المُكاتِمِ، أَشَدَّ حَذَراً مِنكَ لِلعَدُوِّ المبارز[٣]. [ح ٢٠: ٣١١]

١١٠٠ ـ كُنْ من الدُّنيا عَلَى قُلْعَةٍ[٤]. [ق: ١٨]

١١٠١ ـ كُنْ وَرِعاً تَكُن مِن أَعْبَدِ النَّاسِ، وٱرضَ بما قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِن أَغْنَى النَّاسِ، وأَحْسِنْ جِوَارَ مَن جاوَرَك تَكُنْ مُسْلِماً، وَلا تُكْثِرَنَّ الضَّحِكَ؛ فإِنَّ كَثْرَتَهُ تُمِيتُ القَلْب[٥]، وأَخْرِسْ لِسَانَك، وٱجْلِسْ في بَيْتِك، وٱبْكِ عَلَى خَطِيئَتِك. [ح ٢٠: ٢٥٩]

١١٠٢ ـ كُنَّا إذا ٱحْمَرَّ البَأْسُ ٱتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. . فَلَمْ يَكُنْ أَحدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلى العَدُوِّ مِنهُ[٦]. [ر ٢: ٢١١]

---

(١) الحرب كسبب: سلب المال، والرجل محروب وحريب. والمتهور: الذي يقع في الأمر مع قلة مبالاة والمعنى: أن الحرب تكسب بالحيلة والحذر والخداع لا بالشدة والشجاعة، والمتهور فيها يسلب الظفر، والمتحذر يفوز بالغنيمة. وجميل قول المتنبي:

وكل شجاعةٍ في المرءِ تُغني ... ولا مثلَ الشجاعةِ في الحَكيمِ

(٢) ابن اللبون، بفتح اللام وضم الباء: ابن الناقة إذا استكمل سنتين، لأنه ليس له ظهر قوي حتى يركب، ولا له ضرع حتى يحلب، يريد، تجنب الظالمين في الفتنة، واحرص على ألا ينتفعوا بك.

(٣) لأن الأول مخف للعداوة فلا يعرف كيده ولا تدرى نيته. والآخر مصرح مكاشف مفضوح السر فيمكن الاحتراس منه. وما أحسن قول أبي تمام في ذلك:

فسَلَّ لهم سيفاً من الكيد إنّما ... تُحَزُّ به الأعناقُ ما لم يجرَّدِ

يسرُّ الذي يسطو به وهو مُغْمَدٌ ... ويفضَحُ من يسطو به غيرَ مُغْمَدِ

(٤) القلعة كعمرة: العزل وما لا يدوم، والدنيا دار قلعة: أي انقلاع، وهو على قلعة: أي رحلة والمعنى: عش فيها كما يعيش الموقن بالرحلة عنها.

(٥) المراد بكثرة الضحك: الانغماس في المسرات والملاهي، والإغراق في المتع، والغفلة عن الآخرة، فيقسو القلب ولا تنفع فيه الموعظة!!

(٦) احمر البأس: كناية عن اشتداد الأمر. ومعنى ذلك: إنه إذا عظم الخوف واشتد عضاض الحرب=

١١٠٣ ـ كُنتُ أنَا والعَبَّاسُ وعُمَرُ نَتَذاكَرُ ٱلمَعْرُوفَ، فَقلْتُ أنَا: خَيرُ المَعْرُوفِ سَتْرُه. وقَالَ العبَّاسُ: خَيرُه تَصْغِيرُه. وقالَ عُمَرُ: خَيرُه تَعْجيلُه. فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ، فقَالَ: فِيمَ أَنْتُم؟ فَذكَرْنا لَهُ، فقَالَ: خَيرُه أَنْ يَكُونَ هذَا كلُّه فيهِ. [ح ٢٠: ٢٧٠]

١١٠٤ ـ وقيل له: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال:

كَيْفَ يَكُونُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ، ويَسْقَمُ بِصِحَّتِه، ويُؤْتَى مِن مَأْمَنِه[1]! [ر ٢: ١٧٥]

= فزع المسلمون إلى قتال رسول الله ﷺ بنفسه. فينزل الله عليهم النصر ببركته ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه.

(١) كلما طال عمر المرء ـ وهو البقاء ـ تقدم إلى الفناء، وكلما مدت عليه الصحة تقرب من الهرم. سقم ـ كفرح ـ: مرض، ويأتيه الموت من مأمنه، أي الجهة التي يأمن إتيانه منها، فإن أسبابه كامنة في نفس البدن.

حرف اللام

١١٠٥ ـ لأخِيكَ عَلَيْكَ ـ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ[١] ـ أَن تُشِيرَ عَلَيْهِ بالرَّأْيِ مَا أَطَاعَكَ، وتَبْذُلَ لَهُ النَّصْرَ إذا عَصَاكَ. [ح ٢٠: ٣٠٥]

١١٠٦ ـ لَأَنْ يَكُونَ ٱلحُرُّ عَبْداً لِعَبِيدِهِ، خَيْرٌ مِن أَن يَكُونَ عَبْداً لِشَهَواتِهِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٣٤]

١١٠٧ ـ لَأَنْسُبَنَّ ٱلإسْلَامَ نِسْبَةً لَم يَنْسُبْها أحدٌ قَبْلِي: الإسْلَامُ هُو التَّسْلِيمُ، والتَّسْلِيمُ هُوَ اليَقِينُ، واليَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلإقْرَارُ، وٱلإقْرَارُ هُوَ ٱلأَدَاءُ، وٱلأَدَاءُ هُوَ العَمَلُ[٣]. [ر ٢: ١٧٧]

١١٠٨ ـ لا ٱجْتِنَابَ لِمُحَرَّمٍ معَ حِرْصٍ[٤]. [ز: ٢٨]

١١٠٩ ـ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رَفِيقٍ في قَبْرِكَ، فاجْعَلْهُ حَسَنَ ٱلوَجْهِ، طَيِّبَ ٱلرِّيحِ، وهُو العَمَلُ الصَّالِحُ. [ح ٢٠: ٣٤٦]

١١١٠ ـ لا بِرَّ مَع الشُّحِّ[٥]. [ز: ٢٨]

١١١١ ـ لا تَأْلَفِ المَسْأَلَةَ، فيَأْلَفَكَ المَنْعُ[٦]. [ح ٢٠: ٣٢١]

---

(١) حزبه الأمر: نابه واشتد عليه، أو ضغطه، وأمر حازب وحزيب: شديد. وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

(٢) لأن عبودية الشهوات، أشد العبوديات، وهي تفسد على الإنسان دنياه وأخراه.

(٣) لقد صدق الإمام، فقد أتى بهذا التعريف الجامع المانع للإسلام، وقد بيّن أن الإيمان ينطوي فيه، وأن العمل الصالح جزء منه. فالمسلم: هو المسلم المصدق العامل.

(٤) لأن الحرص سائق إلى كل دنية، وقائد إلى كل شهوة.

(٥) البر بكسر الباء وتشديد الراء ـ: اسم جامع لكثير من الأمور الحسنة، كالصلة والخير والاتساع في الإحسان والصدق والطاعة. والشح ـ مثلث الشين ـ: البخل والحرص، ولا يمكن أن تجتمع صفتان من هذه الصفات في شحيح.

(٦) من يكثر سؤاله يكثر منعه، لأنه يهون على الناس، ويثقل عليهم، فلا يجيبونه إلى سؤله ولو كان شيئاً هيناً، ثم إن كثرة المسألة تذهب الحياء، وتورث الصفاقة وتجلب الذل وفي الحكم: «السؤال ذل ولو من أين الطريق؟»

١١١٢ ـ لا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هذِهِ الأُمَّةِ عَذابَ اللّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ(١) إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وَلا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هذِهِ الأُمَّةِ مِن رَوْحِ اللّهِ(٢)؛ لقَوْلِه تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. [ر ٢: ٢٤١]

١١١٣ ـ لا تَبْدَأْ بِدُعَاءٍ إِلى مُبَارَزَةٍ(٣)، فَإِن دُعِيتَ إِلَيْها فَأَجِبْ فَإِنَّ طالِبَها باغٍ.. والبَاغِي مَصْرُوعٌ. [ك ١: ٢٠٧]

١١١٤ ـ لَا تَبْلُغْ في سَلَامِكَ عَلَى الإِخْوَانِ حَدَّ النِّفاقِ(٤)، وَلَا تَقْصِرْهُم عَن دَرَجَةِ الاسْتِحْقَاقِ. [ح ٢٠: ٣١٥]

١١١٥ ـ لَا تُتْبِعِ ٱلذَّنْبَ العُقُوبَةَ، واجْعَلْ بينَهُمَا وقْتاً لِلاعْتِذَارِ. [ح ٢٠: ٣٢٨]

١١١٦ ـ لَا تَتَّكِلْ عَلَى المُنَى؛ فإنَّها بَضَائِعُ النَّوْكَى(٥). [ز: ٢٩]

١١١٧ ـ لَا تَتكلَّمْ بَينَ يَدَيْ أحدٍ مِن النَّاسِ دُونَ أَن تَسْمَعَ كلَامَهُ، وتَقِيسَ مَا في نَفْسِكَ مِن العِلْمِ إلى مَا في نَفْسِه، فَإِن وَجَدْتَ مَا في نَفْسِه أَكْثَر؛ فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لَكَ أَن تَرُومَ زِيادَةَ الشَّيءِ الَّذِي بِهِ يَفْضُلُ عَلَى مَا عِنْدَك. [ح ٢٠: ٢٦١]

١١١٨ ـ لَا تَتَّكِلُوا عَلَى البَخْتِ(٦)؛ فَرُبَّما لَم يَكُنْ، ورُبَّما كانَ وَزَالَ.. وَلَا عَلَى ٱلحَسَبِ(٧)؛ فَطَالَما كانَ بَلَاءً عَلَى أَهْلِه، يُقَالُ لِلنَّاقِص: هذَا ٱبْنُ فُلَانٍ الفَاضِلِ؛

---

(١) المكر في الأصل الخديعة، المراد هنا: لازم المكر، وهو استدراجهم وإنزال العذاب بهم من حيث لا يشعرون!

(٢) روح الله، بالفتح: رحمته.

(٣) المبارزة: الخروج إلى القرن ـ بكسر القاف ـ في الحرب.

(٤) لا تقصرهم: لا تمنعهم، يشير الإمام إلى أن بعض الناس إذا بالغت في الحفاوة به، امتلأ كبراً عليك، أو ظن أنك في حاجة إليه؛ فنفر منك. لأن النفوس ـ كما يقول ابن المقفع ـ طبعت على ضرائب لؤم!! وهذا لا ينافي أن من الناس من إذا تقربت إليه شبراً تقرب إليك ذراعاً.

(٥) النوك ـ بضم النون وفتحها ـ الحمق. والنوكى ـ كصرعى ـ ونوك ـ كروم ـ: الحمقى؛ جمع أنوك كأحمق. وإنما كانت المنى بضائع الحمقى؛ لأنها تصرف عن العمل الجاد غالباً، وكثيراً ما تكون من أحلام اليقظة المخدرة للعقل، والمفترة للعزيمة.

(٦) البخت: الحظ، وهو بخيت ومبخوت.

(٧) الحسب: له معانٍ كثيرة، والمراد هنا: ما تعده من مفاخر آبائك، أو الشرف الثابت في الآباء بدليل قوله.. هذا ابن فلان الفاضل.

فَيَتَضَاعَفُ غَمُّه وعَارُه؛ ولكِنْ عَليكمْ بالعِلْمِ والأَدَبِ؛ فإنَّ العَالِمَ يُكْرَمُ وإنْ لَم يَنْتَسِبْ، ويُكْرَمُ وإنْ كانَ فَقِيراً، ويُكْرَمُ وإنْ كانَ حَدَثاً[١]. [ح ٢٠: ٣٣٢]

١١١٩ ـ لَا تَتَولَّ أَهْلَ السُّخْطِ، وَلَا تُسْخِطْ أَهْلَ الرِّضا. [ق: ٧٢]

١١٢٠ ـ لَا تَثِقَنَّ كُلَّ الثِّقَةِ بأَخِيك؛ فإنَّ سُرْعَةَ ٱلاسْتِرْسَالِ، لَا تُقَالُ[٢]. [ح ٢٠: ٣١٤]

١١٢١ ـ لَا تُجَالِسُوا إلَّا مَنْ يُذَكِّرُكُمُ ٱللَّه رُؤْيَتُه، ويَزِيدُ في عَمَلِكُم مَنْطِقُه، ويُرَغِّبُكُمْ في ٱلآخِرَةِ عَمَلُه. [ح ٢٠: ٣٢٥]

١١٢٢ ـ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ المُغَالِبِ[٣]، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى القَدَرِ ٱتِّكَالَ المُسْتَسْلِمِ[٤]؛ فإنَّ ٱبْتِغاءَ الفَضْلِ مِنَ السُّنَّةِ، والإجْمَالَ في الطَّلَبِ مِن العِفَّةِ؛ ولَيْسَتِ العِفَّةُ بِرَافِعَةٍ رِزْقاً، وَلَا ٱلحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلاً. [ح ٢٠: ٣١٠]

١١٢٣ ـ لَا تَجِدُ لِلمَوْتُورِ ٱلمَحْقُودِ[٥] أماناً مِنْ أَذَاهُ أَوْثَقَ مِن البُعْدِ عَنْهُ، وٱلاحْتِرَاسِ مِنْهُ. [ح ٢٠: ٣١٨]

١١٢٤ ـ لَا تَجْعلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بأَهْلِكَ وَوَلَدِك؛ فإنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُك أَوْلِيَاءَ اللّهِ، فإنَّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِياءَهُ، وإن يَكُونُوا أَعْداءَ اللّهِ. فَمَا هَمُّكَ وشُغْلُكَ بأَعْداء اللّهِ!. [ر ٢: ٢٣٣]

١١٢٥ ـ لا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَك، وبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَك[٦]. [ر ٢: ٢٤٧]

---

(١) الحدث ـ كسبب ـ: الفتي ـ بتشديد الياء. يحض الإمام على نيل الحسب؛ بالعلم والأدب لا بالاتكال على الآباء، ورحم الله شوقي حيث يقول:

شرف العصاميين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بني الأشراف؟

(٢) الاسترسال: الانطلاق. ولا تقال: من إقالة العثرة: أي لا تستدرك ولا يقال منها، ولا ينقذ صاحبها. ومن أقوالهم: إذا كان الغدر في الناس طبعاً، فالثقة بكل أحد عجز.

(٣) أي إذا طلبت شيئاً فلا تبالغ في طلبه مبالغة من يريد أن يعلو على القدر.

(٤) ولا تعتمد على القدرة في تحقيق مآربك اعتماد من لا يريد أن يريد، بل ضم إلى ذلك الأخذ بالأسباب، فالله يقول: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: ١٥].

(٥) الوتر ـ بكسر الواو وفتحها ـ الثأر، أو الظلم فيه. والموتور: من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. والحقد: إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها. والمحقود: من صيرته حاقداً والذي تعرفه: أحقده لا حقده فهو محقد لا محقود.

(٦) الذرب: الحدة ـ والتسديد: التقويم والتثقيف.. أي لا تطل لسانك على من علمك النطق، ولا تظهر بلاغتك على من ثقفك وقوم عقلك، ومن ذلك قول الشاعر:

=

١١٢٦ ـ لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، ويَقِينَكُمْ شَكًّا[١]، إذا عَلِمْتُمْ فاعْمَلُوا، وإذا تَيَقَّنْتُمْ فأقْدِمُوا. [ر ٢: ٢١٧]

١١٢٧ ـ لا تَحْتَقِرَنَّ صَغِيراً يُمْكِنُ أن يَكْبُرَ، ولا قَلِيلاً يُمكِنُ أن يَكْثُرَ[٢]. [ح ٢٠: ٢٨٣]

١١٢٨ ـ لا تُحَدِّثْ بالعِلْمِ السُّفَهاءَ فَيُكَذِّبُوكَ، ولا الجُهَّالَ فَيَسْتَثْقِلُوكَ، ولَكِنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتَلَقَّاهُ مِن أهْلِهِ بقَبُولٍ وفَهْمٍ. . يَفْهَمُ عَنكَ مَا تَقُول، ويَكْتُم عَليكَ مَا تَسْمَع؛ فإنَّ لِعْلمِكَ عَليكَ حَقًّا، كما أنَّ عَليكَ في مَالِكَ حَقًّا: بَذْلَهُ لِمُسْتَحِقِّهِ، ومَنْعَهُ عَن غَيْرِ مُسْتَحِقِّهِ[٣]. [ح ٢٠: ٢٧٣]

١١٢٩ ـ لَا تُحضِرْ مَجْلِسَكَ مَنْ لَا يُشْبِهُكَ. [ق: ٧٣]

١١٣٠ ـ لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئاً مِن ٱلخَيْرِ ـ وإنْ صَغُر ـ؛ فإنَّكَ إذا رأيْتَهُ سَرَّكَ مَكانُه. ولَا تَحْقِرَنَّ شَيْئاً مِن الشَّرِّ ـ وإن صَغُر ـ؛ فإنَّكَ إذا رأيْتَهُ سَاءَكَ مَكانُه. [ح ٢٠: ٣٢١]

١١٣١ ـ لَا تَحْمَدَنَّ الصَّبِيَّ إذا كانَ سَخِيًّا؛ فإنَّهُ لَا يَعْرِفُ فَضِيلَةَ السَّخاء، وإنَّما يُعْطِي مَا في يَدِه ضَعْفاً. [ح ٢٠: ٣٣٠]

١١٣٢ ـ لَا تَحمِلُوا ذُنُوبَكُمْ وخَطاياكُمْ عَلَى ٱللهِ، وتَذَرُوا أَنْفُسَكُمْ والشَّيْطَانَ[٤]. [ح ٢٠: ٣١٥]

= وإن عناءً أن تُعَلِّم جاهلاً فيَحسِبَ جهلاً أنه منكَ أعلَمُ

وقول آخر:

وكم علَّمتُه نظمَ القوافي فلمَّا قال قافيةً هجاني

(١) من لم يظهر أثر علمه فكأنه جاهل، وعلمه لم يزد على الجهل، ومن لم يظهر أثر يقينه في عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد. . إذ لو صح اليقين ما مرض العزم. والشاعر يقول:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرأيِ أنْ تتردَّدَ

(٢) وقديماً قالوا:

لا تحتقِرْ شيئاً صغيراً مُحتقَرْ فربَّما أسالَتِ الدَّمَ الإبَرْ

وقالوا:

إنَّ الأمورَ دَقيقَها مما يَهيجُ له العَظيمْ

(٣) وفي الحديث الشريف: «واضع العلم في غير موضعه كمقلد القردة، والخنازير، الذهب والفضة».

(٤) تذر: تترك، وكثير من المذنبين الخطائين إذا ليموا في ذلك قالوا: هذا ما كتبه الله علينا، وينسون أن أنفسهم وشياطينهم أغوتهم وسولت لهم الشرور!!، والله تعالى يقول: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

١١٣٣ ـ لَا تَخْدُمَنَّ رئِيساً كُنْتَ تَعْرِفُه بالخُمول، وسَمَحَتْ بهِ الحالُ، ويَعْرِفُ مِنكَ أنَّكَ تَعْرِفُ قَدِيمَهُ؛ فإنَّهُ وإن سُرَّ بمكانِكَ مِن خِدْمَتِه، إلَّا أنَّه يَعْلَمُ العَيْنَ الَّتي تَراهُ بها، فَيَنقَبِضُ عَنكَ بِحَسَبِ ذَلِكَ[1]. [ح ٢٠: ٣٣٧]

١١٣٤ ـ وقال لابنه الحسن:

لا تُخَلِّفَنَّ وَراءَكَ شَيْئاً مِن الدُّنْيا؛ فإنَّكَ تُخَلِّفُه لِأَحَدِ رَجُلَيْن: إمَّا رَجُل عَمِلَ فيهِ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ، فَسَعِدَ بما شَقِيتَ بهِ، وإمَّا رجُل عَمِلَ فيهِ بمَعْصِيةِ اللَّهِ، فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِه.. ولَيْسَ أحدُ هذَيْنِ حَقِيقاً أن تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

ويروى هذا الكلام على وجه آخر.. وهو:

أمَّا بعْدُ؛ فإنَّ الَّذِي في يَدِكَ مِن الدُّنْيا قَد كانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَك، وهُو طائِرٌ إلى أهْلِ بَعْدَك، وإنَّما أنتَ جامِعٌ لِأحدِ رَجُلَيْن: رجُلٍ عَمِلَ فِيما جَمَعْتَه بطَاعَةِ اللَّهِ، فَسَعِدَ بمَا شَقِيتَ بهِ، أو رجُلٍ عَمِلَ فيهِ بمعْصِيَةِ اللَّهِ: فَشَقِيتَ بما جَمَعْتَ لَهُ، ولَيْسَ أحدُ هذَيْنِ أَهْلاً أن تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِك، ولَا أن تحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِك.. فارْجُ لِمَنْ مَضَى رحْمَةَ اللَّهِ، ولِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ[2]. [ر ٢: ٢٤٨]

١١٣٥ ـ لا تَخُنْ مَن ٱئْتَمَنَك.. وإن خَانَك. [ق: ٧٢]

١١٣٦ ـ لا تُدْخِلنَّ في مَشُورَتِكَ بَخِيلًا فَيُقَصِّرَ بِفعلِكَ، ولا جَبَاناً فَيُخَوِّفَكَ مَا لا تَخَافُ، ولا حَرِيصاً فَيَعِدَكَ مَا لا يُرْجَى، فإنَّ ٱلجُبْنَ وٱلبُخْلَ وٱلحِرْصَ طَبِيعَةٌ وَاحِدَةٌ؛ يَجْمَعُها سُوءُ الظَّنِّ باللَّهِ تَعالَى. [ح ٢٠: ٣١٢]

١١٣٧ ـ لا تَدَعْ أن تَنْصَحَ أهْلَكَ، فإنَّك عَنهُم مَسْؤُول. [ق: ٧٢]

١١٣٨ ـ لا تَدْعُ اللَّهَ أن يُغْنِيَكَ عَنِ النَّاسِ: فإنَّ حاجاتِ النَّاسِ بَعْضَهُم إلى بَعْضٍ مُتَّصِلةٌ كاتِّصَالِ الأَعْضاء.. فَمتَى يَسْتَغْنِي المَرْءُ عَن يَدِه أو رِجْلِه.. ولكِن ٱدْعُ اللَّهَ أن يُغْنِيكَ عَن شِرَارِهم[3]. [ح ٢٠: ٣٢٢]

---

(١) ومن أقوالهم: من عرفك صغيراً لم يوقرك كبيراً.

(٢) هذا الكلام على تفلسته ـ لا يؤخذ على ظاهره، لأننا مأمورون ألا نذر أولادنا فقراء. وإنما يريد الإمام ألا نكد ونشقى في جمع المال لغاية واحدة هي إسعاد أولادنا، دون أن ننفق منه شيئاً يعود علينا بالأجر والثواب، فنكون خزنة لغيرنا يتمتعون به ونحاسب نحن عليه.

(٣) وقديماً قال الشاعر:

النـاسُ لـلنـاسِ مِـنْ بَـدْوٍ وحـاضـرَةٍ ... بعضٌ لبعضٍ ـ وإنْ لم يشعُروا ـ خَدَمُ

١١٣٩ ـ لا تُذِعْ سِرَّ مَنْ أَذَاعَ سِرَّكَ. [ق: ٧٢]

١١٤٠ ـ لا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ. [ق: ٧٢]

١١٤١ ـ لا تَرَى الجَاهِلَ إلَّا مُفْرِطاً أَو مُفَرِّطاً[١]. [ر ٢: ١٦٢]

١١٤٢ ـ لا تَرْجُوَنَّ إلَّا رَبَّكَ، ولا تَخافَنَّ إلَّا ذَنبَكَ. [ت: ٣٠]

١١٤٣ ـ لا تَرْضَيَنَّ قَوْلَ أَحدٍ حتَّى تَرْضَى فِعْلَه، ولا تَرْضَ فِعْلَه حتَّى تَرْضَى عَقْلَه، ولا تَرْضَ عقْلَه حتَّى تَرْضى حياءَهُ؛ فإنَّ الإنْسَانَ مَطبُوعٌ عَلى كَرَمٍ وَلُؤْمٍ؛ فإنْ قَوِيَ الحَياءُ عِندَهُ قَوِيَ الكرَمُ، وإن ضَعُفَ الحَياءُ قَوِيَ اللُّؤْمُ. [ح ٢٠: ٣١٠]

١١٤٤ ـ لا تَرْغَبْ في اقْتِناءِ الأموَالِ[٢]، وكيفَ تَرغَبُ فِيما يُنالُ بالبَخْتِ لا بالاسْتِحْقاقِ، ويَأمُرُ البُخْلُ والشَّرَهُ بِحفْظِه، والجُودُ والزُّهدُ بإخْرَاجِه؟.. [ح ٢٠: ٣٣٣]

١١٤٥ ـ لا تَزْهدَنَّ في مَعْرُوفٍ؛ فإنَّ الدَّهرَ ذُو صُروفٍ[٣]؛ كمْ مِن رَاغِبٍ أَصْبَحَ مَرغُوباً إليهِ، ومَتْبُوعٍ أَمْسَى تابِعاً! [ح ٢٠: ٣١٤]

١١٤٦ ـ لا تَسْأَلِ الحَوائِجَ غيْرَ أَهْلِها، ولا تَسْأَلْها في غَيْرِ حِينِها، ولا تَسأَلْ مَا لَسْتَ لَهُ مُسْتحِقًّا؛ فتَكُونَ لِلحِرْمانِ مُسْتَوْجِباً. [ح ٢٠: ٣٢١]

١١٤٧ ـ لا تَسأَلْ عمَّا لا يكُونُ؛ فَفِي الَّذِي قَد كانَ لَكَ شُغْلٌ[٤]. [ر ٢: ٢٣٦]

١١٤٨ ـ لا تَسأَلْ غيْرَ اللهِ؛ فإنَّه إن أَعْطاكَ أَغْنَاكَ. [ح ٢٠: ٣٠٩]

١١٤٩ ـ لا تَسُبَّنَّ إبْلِيسَ في العَلانِيَةِ، وأَنْتَ صَدِيقُه في السِّرِّ! [ح ٢٠: ٣٢٩]

١١٥٠ ـ لا تَسْتَبْدِلَنْ بأخٍ لَكَ قَدِيم أخاً مُستَفاداً.. مَا اسْتَقامَ لَكَ؛ فإنَّكَ إن فَعلْتَ فقَدْ غَيَّرْتَ، وإنْ غَيَّرْتَ تَغَيَّرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْك. [ح ٢٠: ٣٢٤]

---

(١) أفرط في الأمر: جاوز فيه الحد المرسوم. وفرّط الشيء وفي الشيء: ضيعه وقدّم العجز فيه وقصر. والمعنى: أن الجاهل يخطئه الحزم والسداد فلا يسلك سواء السبيل.

(٢) ينهى الإمام عن الرغبة في اقتناء الأموال لذاتها، لا لتنفق في حقها ووجوهها، أو لتنفق في غير مرضاة الله، وغير ما ينفع الناس، كما هو ديدن الكثير.

(٣) صروف الدهر: جمع صرف ـ كصبر ـ وهو حدثانه ونوائبه.
ومن قولهم:
لا تُهِينَ الفقيرَ علّك أنْ تركعَ يوماً والدهرُ قد رفعَهْ

(٤) لا تتمن من الأمور بعيدها فكفاك من قريبها ما يشغلك.

١١٥١ ـ لا تَستَبْطِئِ القِيامَةَ فتَسْكُنَ إلى طُولِ المدَّةِ الآتِيَةِ عَليكَ بَعدَ المَوتِ؛ فإنَّكَ لا تُفرِّقُ بَعدَ عَودِك بَينَ ألفِ سنةٍ وبَينَ سَاعةٍ وَاحِدَةٍ، ثمَّ قرأ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ . . .﴾ [يونس: ٤٥] [ح٢٠: ٣٤٦].

١١٥٢ ـ لا تَستَحْيِ مِن إعْطَاءِ القَليلِ؛ فإنَّ الحِرْمانَ أقَلُّ مِنهُ[١]. [ر ٢: ١٦٢]

١١٥٣ ـ لا تَستَصْغِرَنَّ أمرَ عَدُوِّك إذا حَارَبْتَه؛ فإنَّك إن ظَفِرْتَ بهِ لَمْ تُحْمَدْ، وإن ظَفِرَ بِك لَم تُعذَرْ؛ والضَّعِيفُ المُحتَرِسُ مِن العَدُوِّ القَوِيّ، أقْرَبُ إلى السَّلامَةِ مِن القَوِيِّ المُغْتَرِّ بالضَّعِيفِ. [ح ٢٠: ٣٠٩]

١١٥٤ ـ لا تَستَعِنْ في حَاجَتِك بِمَنْ هُو للمَطْلُوبِ إلَيْهِ أنصَحُ مِنهُ لَك[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٥]

١١٥٥ ـ لا تُسَرَّنَّ بِكَثْرَةِ الإخْوَانِ مَا لَمْ يَكُونُوا أخْياراً؛ فإنَّ الإخْوَانَ بمَنْزِلَةِ النَّارِ الَّتِي قَليلُها مَتَاعٌ، وكَثِيرُها بَوَارٌ[٣]. [ح ٢٠: ٣٢١]

١١٥٦ ـ لا تُشَاتِمَنَّ أحداً، ولا تَرُدَّنَّ سَائِلاً؛ إنَّمَا هُو كَرِيمٌ تَسُدُّ خَلَّتَه[٤]، أو لَئِيمٌ تَشْتَرِي عِرْضَكَ مِنْهُ. [ح ٢٠: ٣٠٠]

١١٥٧ ـ لا تُشَاقِقْ مُؤْمِناً؛ فَتُلْحَى. . كما يُلْحَى القَضِيبُ مِن لِحَائِه[٥]. [ق: ٧٣]

١١٥٨ ـ لا تَشْتَغِلْ بالرِّزْقِ المَضْمونِ، عَنِ العَمَلِ المَفْرُوضِ[٦]. [ح ٢٠: ٣١٣]

١١٥٩ ـ لا تَشِنْ وجْهَ العَفْوِ بالتَّقْرِيعِ[٧]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١١٦٠ ـ لا تَصْحَبِ الجَاهِلَ؛ فإنَّ فِيهِ خِصَالاً. . فاعْرِفُوهُ بِها:

يغْضَبُ مِن غَيْرِ غَضَبٍ، وَيتكلَّمُ في غَيْرِ نَفْعٍ، ويُعْطِي في غَيرِ

---

(١) وفي مثله قال بشار:

خُذِ القَليلَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُه ... فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ
إذا تكرَّهتَ أن تُعطِي القليلَ ولم ... تَقْدِرْ على سَعةٍ لم يَظْهرِ الجودُ

(٢) إذا كان لك حاجة عند إنسان، فلا تستعن في قضائها برجل يخلص لذلك الإنسان أكثر من إخلاصه لك.

(٣) المتاع: المنفعة، وما تمتعت به. والبوار: الهلاك. وأباره الله: أهلكه.

(٤) الخلة ـ بفتح الخاء ـ الحاجة والفقر.

(٥) القضيب: الغصن. ويلحى: يقشر. واللحاء، كعقاب ـ: القشر.

(٦) المراد: ألا يستغرقنا ـ أو يصرفنا ـ طلب الرزق عن طاعة الله والعمل الصالح.

(٧) شانه: ضد زانه، أي قبحه. والتقريع: التعنيف. أي ما دمت قد عفوت فنزهه عن التوبيخ، حتى يكون عفواً خالصاً من كل شائبة.

مَوْضِعِ الإِعْطاءِ، ولا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِن عَدُوِّه، ويُفْشِي سِرَّهُ إلى كُلِّ أحدٍ. [ح ٢٠: ٢٧٧]

١١٦١ ـ لا تَصْحَبِ الشِّرِّيرَ؛ فإنَّ طَبْعَكَ يَسْرِقُ مِن طَبعِهِ وأَنْتَ لا تَعلَمُ[١]. [ح ٢٠: ٢٧٢]

١١٦٢ ـ لا تُصَاحِبْ في السَّفَرِ غَنِيًّا؛ فإنَّكَ إن سَاوَيْتَهُ في الإنْفَاقِ أَضَرَّ بِك، وإن تَفضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَذَلَّكَ[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٦]

١١٦٣ ـ لا تَصْحَبِ المَائِقَ[٣] فإنَّهُ يزَيِّنُ لَك فِعلَهُ، ويَوَدُّ أن تَكُونَ مِثْلَهُ. [ر ٢: ٢٢١]

١١٦٤ ـ لا تَصْحَبْ مَنْ تَحتَاجُ إلى أَن تَكْتُمَهُ مَا يَعْرِفُ اللهُ مِنْكَ[٤]. [ح ٢٠: ٣٠٩]

١١٦٥ ـ لا تَصْحَبُوا الأَشْرَارَ؛ فإنَّهم يمُنُّونَ عَلَيْكم بالسَّلَامَةِ مِنْهُم[٥]. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١١٦٦ ـ لا تَصْرِمْ أَخاكَ عَلَى ارْتِيَاب[٦]، ولا تَقْطَعه دُونَ اسْتِعْتَاب[٧]. [ح ٢٠: ٢٧١]

١١٦٧ ـ لا تَضَعْ سِرَّكَ عِنْدَ مَنْ لا سِرَّ لَهُ عِندَك[٨]. [ح ٢٠: ٣٣٩]

١١٦٨ ـ لا تُضَيِّعِ الفَرائِضَ وتَتَّكِل عَلَى النَّوافِلِ. [ق: ٧٢]

١١٦٩ ـ لا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ؛ اتِّكالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وبَينَهُ؛ فإنَّهُ لَيْسَ بأخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه. [ق: ٧٣]

---

(١) وصدق من قال:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردَى مع الردِي

(٢) كم رأينا أناساً حطمتهم المظاهر الخادعة وحب التقليد ومجاراة المترفين في حمق وسفه.

(٣) المائق: الأحمق.

(٤) أي لا تصحب من تحتاج أن تخفي عنه ما لا يعلمه من عيوبك إلا الله تعالى؛ فإن مثله غير مؤتمن على أسرارك، وبواطن أحوالك.

(٥) المن ـ بفتح الميم وتشديد النون ـ: الإنعام، وذكر ما يفعله الإنسان من المعروف، والأول ممدوح، والثاني مذموم، ومنه قولهم: المنة تفسد الصنيعة. والمعنى هنا صالح للاثنين معاً؛ فيجوز: أن ينعموا عليكم بالسلامة من شرورهم. ومثل هذا الإنعام غير مضمون دائماً، فصاحبهم منهم على خطر. ويجوز: أن يتحدثوا: بأن من فضلهم عليكم أن كفوا أذاهم عنكم.

(٦) لا تصرم: لا تقطع. والارتياب: الشك.

(٧) استعتبه: طلب منه أن يرضيه، تقول: استعتبه فأعتبه أي استرضاه فأرضاه. ومنه: لك العتبى، ـ بضم العين ـ أي الرضا. والمعنى: لا تهجر صديقك لمجرد التهمة غير متيقن تقصيره. ولا تقطعه إن فعل ذنباً دون أن تطلب منه أن يرضيك، فإن لم يفعل فأنت في حل من البعد عنه.

(٨) لأن من ليس له عندك سر، لا يبالي أن يبوح بسرك عنده؛ لعدم الخوف أن تقابله بمثله.

١١٧٠ ـ لا تَطْلُبِ ٱلحَيَاةَ لِتأْكُلَ، بَل ٱطلُبِ ٱلأَكْلَ لِتَحْيَا[١]. [ح ٢٠: ٣٣٣]

١١٧١ ـ لا تَطْلُبْ سُرْعَةَ العَمَلِ وٱطْلُبْ تَجْوِيدَهُ؛ فإنَّ النَّاسَ لا يَسْأَلُون: في كَمْ فَرغَ مِن العَمَل؟ إنَّما يَسْأَلُون عَن جَوْدَةِ صَنْعَتِه. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١١٧٢ ـ لا تَطْلُبَنَّ إلى أحدٍ حاجَةً لَيْلًا؛ فإنَّ ٱلحياءَ في العَيْنَيْنِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٢٠]

١١٧٣ ـ لا تَطْلُبَنَّ مُجَازَاةَ أَخِيك، وإنْ حَثَا[٣] التُّرابَ بِفِيكَ. [ق: ٧٣]

١١٧٤ ـ لا تَطْلُبَنَّ مِن نَفْسِكَ العامَ، مَا وَعدَتْكَ عاماً أَوَّلَ[٤]. [ح ٢٠: ٣١٧]

١١٧٥ ـ لا تَطْلُبُوا الحَاجَةَ إلى ثَلَاثٍ: إلى الكَذوبِ؛ فإنَّهُ يُقَرِّبُها وإن كانَتْ بَعِيدَةً، ولا إلى أَحْمَقَ؛ فإنَّه يُرِيدُ أَن يَنفَعَكَ، فيَضُرُّكَ؛ ولا إلى رَجُلٍ لَهُ إلى صَاحِبِ الحَاجَةِ حاجَةٌ؛ فإنَّهُ يَجْعَلُ حاجَتَكَ وِقايَةً لِحَاجَتِه. [ح ٢٠: ٢٨٥]

١١٧٦ ـ لا تَطْمَعْ في كُلِّ مَا تَسْمَعُ. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١١٧٧ ـ لا تَظْلِمْ. كما لا تُحِبُّ أن تُظْلَمَ. [ق: ٧٢]

١١٧٨ ـ لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِن أحدٍ سُوءاً، وأَنْتَ تَظُنُّ لَهَا في الخَيرِ مُحْتَمَلًا[٥]. [ر ٢: ٢٣٥]

١١٧٩ ـ لا تُعادُوا الدُّوَلَ المُقْبِلَة، وتُشْرِبُوا قُلُوبَكُم بُغْضَها؛ فَتُدْبِرُوا بإقْبَالِها[٦]. [ح ٢٠: ٣٣٨]

١١٨٠ ـ لا تُعامِلِ العَامَّةَ فِيما أُنْعِمَ بِهِ عَليكَ مِنَ العِلْمِ، كما تُعامِلُ الخَاصَّةَ؛ وٱعْلَمْ

---

(١) لأن الأولى من صفات البهائم، والثانية من صفات الإنسانية العليا.

(٢) هذه مسألة نفسية معروفة، والرجل الحيي يستعين على مداراة حيائه واتقاء نظرات الناس عادة بلبس المنظار الأسود، أو بمخاطبتهم ليلًا.

(٣) حثا التراب: رماه.

(٤) لأن رغبة النفس في الشيء وكلفها به، وطلبها له، يكون قد ذهب أو فتر؛ ولأن الفرصة قل أن تعود مرّة ثانية؛ ولأن طبيعة الإنسان تتغير من عام إلى عام.

(٥) أي متى استطعت أن تحمل الكلمة على محمل الخير، فلا تذهب بها إلى الشر، وإن كان ظاهرها يدل على ذلك، وهذا كقول العلماء: إذا كانت الكلمة تحتمل تسعة وتسعين وجهاً من الكفر، ووجهاً واحداً من الإيمان حملت على الإيمان. وكل ذلك من باب حسن الظنّ بالناس.

(٦) الإقبال: ضد الإدبار، أي السعادة واليمن. وأشرب قلبه حب كذا أو بغضه: خالطه. ينهى الإمام عن معاداة الدول المحفوفة بالحظ والسعد، وإشراب القلوب كراهتها، فإن الأقدار تخدمها ولا يجني أعداؤها غير نحس الجد وشؤم الطائر.

أنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ رِجالاً أَوْدَعَهُم أسراراً خَفِيَّةً، ومنَعَهُم عَن إشَاعَتِها[١]؛ واذْكُرْ قَوْلَ العَبْدِ الصَّالِحِ لِموسَى، وَقَدْ قَالَ لَهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٦٨]. [ح ٢٠: ٣٤٥]

١١٨١ ـ لا تَعِدَنَّ عِدةً لا تَثِقُ مِن نَفْسِكَ بِإنْجَازِها، ولا يَغُرَّنَّكَ المُرْتَقَى السهْلُ إذا كانَ المُنْحَدَرُ وَعْراً، واعْلَمْ أَنَّ لِلأعْمَالِ جَزَاءً؛ فاتَّقِ العَوَاقِب؛ وأَنَّ لِلأُمُورِ بَغَتَاتٍ[٢]؛ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. [ح ٢٠: ٣١٠]

١١٨٢ ـ لَا تَعُدَّنَّ مِن إخْوَانِك مَنْ آخَاكَ في أيَّامِ مَقْدَرَتِك لِلمَقْدُرَةِ[٣]، واعْلَمْ أنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنكَ في أحْوَالٍ ثَلاثٍ: يَكُونُ صَدِيقاً يَوْمَ حاجَتِهِ إليْكَ، ومُعْرِضاً يَومَ غِناهُ عَنكَ، وعَدُوًّا يَومَ حاجَتِك إليهِ. [ح ٢٠: ٣٢١]

١١٨٣ ـ لا تَعْمَلْ بالخَدِيعَةِ؛ فإنَّها خُلُقٌ لَئِيمٌ. [ق: ٧٢]

١١٨٤ ـ لا تُعَوِّدْ نَفْسَكَ الضَّحِكَ؛ فإنَّهُ يَذْهَبُ بالْبَهاءِ، ويُجَرِّئُ الخُصُومَ عَلَى الاعْتِدَاءِ. [ق: ٧٣]

١١٨٥ ـ لَا تَفْرَحْ بِسَقْطَةِ غَيْرِك؛ فإنَّكَ لَا تَدْرِي مَا تَتَصَرَّفُ الأيَّامُ بِكَ[٤]. [ح ٢١: ٢٧٩]

١١٨٦ ـ لَا تَقْبَلِ الرِّيَاسَةَ عَلَى أَهْلِ مَدِينَتِك؛ فإنَّهُم لَا يَسْتَقِيمُون لَك إلَّا بِمَا تَخرُجُ بِهِ مِن شَرْطِ الرَّئِيسِ الفَاضِلِ[٥]. [ح ٢٠: ٢٨٢]

١١٨٧ ـ لَا تَقبَلَنَّ في اسْتِعْمَالِ عُمَّالِكَ وأُمَرَائِك شَفَاعةً، إلَّا شَفَاعَةَ الكِفَايَةِ والأَمانَةِ[٦]. [ح ٢٠: ٢٧٦]

---

(١) هذه إشراقة صوفية، لمحت من شمسها، ونفحة لدنية سرت من روضها، وسرّ علوي باح به ضمير العلم المخزون المكنون.

(٢) البغتات: جمع بغتة ـ بفتح فسكون ـ: الفجأة.

(٣) المقدرة مثلثة الدال: القدرة.

(٤) ومنه الأثر: لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك.

(٥) من عادة الناس أن يدلوا على من نشأ من بينهم ويكلفوه ما لا يطيق، وقل أن يصافوه أو يخضعوا له، ومن هنا قالوا: لا كرامة لنبيّ في وطنه!!
وقال الشاعر:

والعُودُ في أرضه نَوْعٌ من الحطَبِ

(٦) وهذا كما تقول بلغة العصر: وضع الرجل الصالح في المكان الصالح. ولا شيء أسرع في هدم=

١١٨٨ ـ لَا تَقْسِرُوا[١] أَوْلَادَكُم عَلَى آدابِكُم؛ فإنَّهُم مَخْلُوقُون لِزَمانٍ غَيرِ زَمانِكُم. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١١٨٩ ـ لا تَقْضِ وأَنْتَ غَضْبَانُ. [ق: ٧٣]

١١٩٠ ـ لا تَقْطَعْ أَخَاكَ إِلَّا بَعْدَ عَجْزِ الحِيلَةِ عَن ٱسْتِصْلاحِه، ولَا تُتْبِعهُ بَعدَ القَطِيعَةِ وَقِيعَةً فيهِ؛ فَتَسُدَّ طَرِيقَهُ عَن الرُّجُوعِ إِلَيْكَ، ولعَلَّ التَّجارِبَ أن تَرُدَّهُ عَليكَ، وتُصْلِحَهُ لَكَ. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١١٩١ ـ وهنَّأ بحضرته رجلٌ رجلًا بغلامٍ وُلِدَ له، فقال: لِيَهْنِئْكَ الفارس[٢]، فقال رضي الله عنه: لَا تَقُلْ ذٰلِك، ولكنْ قلْ: شَكَرْتَ الوَاهِبَ، وبُورِكَ لَكَ في المَوْهُوب، وبَلَغَ أَشُدَّهُ، ورُزِقْتَ بِرَّهُ. [ر ٢: ٢٣٣]

١١٩٢ ـ لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمْ، بَلْ... لَا تَقُلْ كلَّ مَا تَعْلَمُ؛ فإنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى جَوارِحِكَ فَرائِضَ يُحْتَجُّ بها عَليكَ يَومَ القِيامةِ[٣]. [ر ٢: ٢٤٢]

١١٩٣ ـ لَا تَكادُ الظُّنُونُ تَزْدَحِمُ عَلَى أَمْرٍ مَسْتُورٍ إِلَّا كَشَفَتْهُ[٤]. [ح ٢٠: ٣٤٥]

١١٩٤ ـ لَا تُكْثِرِ العِتَابَ؛ فإِنَّهُ يُورِثُ الضَّغِينَةَ، ويحَرِّكُ البِغْضَةَ. [ق: ٧٢]

١١٩٥ ـ لَا تُكْثِرِ العَتْبَ في غَيْرِ ذَنْبٍ[٥]. [ق: ٧٢]

١١٩٦ ـ لَا تَكْفُرَنَّ ذَا نِعْمَةٍ[٦]؛ فإنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ مِن أَلْأَمِ الكُفْرِ. [ق: ٧٣]

١١٩٧ ـ لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ.. وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا. [ق: ٧٢]

= الدول وقتل الشعوب من استعمال غير الأكفاء والأمناء، فإنهم يعملون لأنفسهم لا لأممهم، وقد جاء في الأثر: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة».

(١) قسره على الأمر واقتسره: أكرهه عليه وقهره، وبابه ضرب.

(٢) قال ابن أبي الحديد: هذه كلمة كانت من شعار الجاهلية، فنهي عنها كما نهي عن تحية الجاهلية: «أبيت اللعن»، وجعل عوضها: «السلام عليكم».

(٣) قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

(٤) المعنى: أنه قل أن يخفى سر من الأسرار على الناس مهما بولغ في كتمانه، وهذه من الأعاجيب التي دعت بعض العلماء إلى القول بأن الجن موكلة بنقل الأخبار.

(٥) لأن كثرة العتب ـ حتى في الذنوب ـ طريق الجفوة.

(٦) أي لا تجحد فضل ذي نعمة عليك.

١١٩٨ ـ لَا تَكُنْ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ(١)، وغُثَاءِ السَّيْلِ(٢). [ق: ٧٢]

١١٩٩ ـ لَا تَكُنْ مِمَّنْ تَغْلِبُه نَفْسُه عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلَا يَغْلِبُها عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ(٣). [ح ٢٠: ٣١٢]

١٢٠٠ ـ قال لرجل سأله أن يعظه:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ العَمَلِ، ويُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ(٤)، يَقُولُ في الدُّنْيا بِقَوْلِ الزَّاهِدِين، ويَعْمَلُ فِيها بِعَمَلِ الرَّاغِبِين، إنْ أُعْطِيَ مِنها لَمْ يَشْبَعْ، وإِنْ مُنِـعَ مِنها لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجزُ عَن شُكْرِ مَا أُوتِي، ويَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيما بَقِي، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، ويَأْمُرُ بما لَا يَأْتِي. يُحِبُّ الصَّالِحِين وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُم، ويُبْغِضُ المُذْنِبِين وهُو أَحَدُهُم. يَكْرَهُ المَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، ويُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الموْتَ لَهُ(٥)، إن سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً(٦)، وإن صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إذا عُوفِيَ، وَيقْنَطُ إذا ٱبْتُلِيَ؛ إن أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعا مُضْطَرًّا، وإن نَالَهُ رَجاءٌ أَعْرَضَ مُغْترًّا؛ تَغْلِبُه نَفْسُه عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلَا يَغْلِبُها عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ(٧)، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بأَدْنَى مِن ذَنْبِه، ويَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِن عَمَلِه؛ إن ٱسْتَغْنَى بَطِرَ وفُتِنَ، وإِن ٱفْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ(٨)،

---

(١) حاطب الليل، يشبه به المكثار؛ لأن حاطب الليل، ربما احتطب واحتمل فيما يحتطبه حية، وهو لا يشعر بها لمكان الظلمة، فيكون فيها حتفه. كذلك المكثار، ربما عثر لسانه ـ في إكثاره ـ بما يجني على رأسه. وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز:

فَرَشْنا لكُمْ مِنَّا جَنَاحَيْ مودَّةٍ ... وأنْتُمْ ـ زماناً ـ تُضمِرُون الدَّواهيا
أظنُّكُم مِنْ حاطِب اللَّيل. جَمَّعتْ ... حَبائِلُه عقارِباً.. وأفاعِيا

(٢) الغثاء ـ بالضم والمد ـ: ما يحمله السيل من القماش والفضلات.

(٣) لا تكن ممن تكرهه نفسه على العمل بالظن، ويعجز أن يكرهها على العمل باليقين؛ وفرق بينهما.

(٤) يرجي ـ بالتشديد: أي يؤمل التوبة اعتماداً على الأمل، وفي رواية: «يرجىء»، مضارع أرجأ، إذا أخر.

(٥) الذي يكره الموت لأجله هو الذنوب، وأقام عليها: داوم على إتيانها.

(٦) إن أصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة، فإذا عادت له الصحة غرّه الأمن وغرق في اللهو.

(٧) هو على يقين من أن السعادة في الزهادة، والشرف في الفضيلة، ثم لا يقهر نفسه على اكتسابها، وإذا ظن ـ بل توهم ـ لذة حاضرة، أو منفعة عاجلة، دفعته نفسه إليها وإن هلك.

(٨) بطر كفرح: اغتر بالنعمة، والقنوط: اليأس، والوهن: الضعف.

يُقَصِّرُ إذا عَمِلَ ويُبَالِغُ إذا سَأَلَ، إن عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ المَعْصِيَةَ[١]، وسَوَّفَ التَّوْبة، وإن عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَن شَرَائِطِ المِلَّة[٢]. يَصِفُ العِبْرَةَ ولا يَعْتَبِر[٣]، ويُبَالِغُ في المَوْعِظَةِ ولا يَتَّعظ، فَهُو بالقَوْلِ مُدِلٌّ[٤]، ومِن العَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيما يَفْنَى، ويُسَامِحُ فِيما يَبْقَى، يَرَى الغُنْمَ مَغْرَماً[٥]، والغُرْمَ مَغْنَماً. يَخْشَى المَوْتَ، ولَا يُبَادِرُ الفَوْت[٦]. يَسْتَعْظِمُ مِن مَعْصِيَةِ غَيْرِه مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِن نَفْسِه، ويَسْتَكْثِرُ مِن طاعَتِه مَا يَحقِرُ مِن طاعَةِ غَيرِه، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طاعِنٌ، ولِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ. اللَّهْوُ مَعَ ٱلأَغْنِيَاءِ، أَحَبُّ إِلَيهِ مِنَ ٱلذِّكْرِ مَعَ الفُقَراءِ. يَحكُمُ عَلَى غَيرِهِ لِنَفْسِهِ، ولَا يَحكُمُ عَلَيْها لِغَيْرِهِ، ويُرْشِدُ غَيرَه، ويُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُو يُطَاعُ ويَعْصِي، ويَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي، ويَخْشَى ٱلخَلْقَ في غَيرِ رَبِّهِ، ولَا يَخْشَى رَبَّهُ في خَلْقِه[٧].

«ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة، وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكر». [ر ٢: ١٨٧، ١٨٨]

١٢٠١ ـ لَا تَكُونَنَّ المُحَدِّثَ مَنْ لَا يَسْمَعُ مِنْهُ[٨]، والدَّاخِلَ في سِرِّ ٱثْنَين لَم يُدخِلَاهُ فيهِ، ولَا ٱلآتِيَ وَلِيمَةً لَم يُدْعَ إِلَيْها، ولا ٱلجَالِسَ في مَجْلِسٍ لَا يَسْتَحِقُّه، ولَا طَالِبَ الفَضْلِ[٩] مِن أَيْدِي ٱللِّئَام، ولَا المُتَحَمِّقَ في الدَّالَّةِ[١٠]، ولَا المُتَعَرِّضَ لِلخَيرِ مِن عِنْدِ العَدُوّ. [ح ٢٠: ٣١٤]

١٢٠٢ ـ لَا تَكُونَنَّ عَلَى ٱلإساءَةِ أَقْوَى مِنكَ عَلَى ٱلإحْسَانِ، وَلَا عَلَى البُخْلِ أَقْوَى

---

(١) أسلف: قدم، وسوف: أخر.
(٢) شرائط الملة: الثبات والصبر واستعانة الله على الخلاص عند عروّ المحن، أي طروق البلايا. وانفرج عنها، أي انخلع وبعد.
(٣) العبرة بالكسر: تنبيه النفس لما يصيب غيرها، فتحترس من إتيان أسبابه.
(٤) أدل على أقرانه: استعلى عليهم.
(٥) الغنم، بالضم: الغنيمة، والمغرم: الغرامة، والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء، والشهوات خسارة الأعمار.
(٦) الفوت: فوات الفرصة وانقضاؤها، وبادره: عاجله قبل أن يذهب.
(٧) أي يخشى الخلق فيعمل لغير الله خوفاً منه، ولكنه لا يخاف الله، فيضر عباده ولا ينفع خلقه.
(٨) أي لا تحدث من ينصرف عن حديثك.
(٩) الفضل: الإحسان.
(١٠) المرتكب السفه والجهل في الإدلال حتى يمقته أهله وأصحابه. والمتنبي يقول:
وكـــــم هــــجـــــــــــــــــــــــِ مُـــــــرَلِّدِه دلال

مِنْكَ عَلَى البَذْلِ، وَلَا عَلَى التَّقْصِير أَقْوَى مِنكَ عَلَى الفَضْلِ. [ق: ٧٣]

١٢٠٣ ـ لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَعْجَزُ عَن شُكْرِ مَا أُوتِي، ويَبْتَغِي الزِّيادَةَ فِيما بَقِيَ. [ق: ٧٣]

١٢٠٤ ـ لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا يَنْتَفِعُ مِن العِظَةِ إِلَّا بما لَزِمَه.. فَالَمَهُ؛ فإنَّ العاقِلَ يتَّعِظُ بالأَدَبِ(١)، والبَهائِمَ لا تَتَّعِظُ إِلَّا بالضَّرْبِ. [ق: ٧٣]

١٢٠٥ ـ لَا تُلَاجُ الغَضْبَانَ؛ فإنَّكَ تُقْلِقُه باللَّجاجِ(٢)، ولَا تَرُدُّهُ إِلى الصَّوَابِ. [ع ٢٠: ٢٧٩]

١٢٠٦ ـ لَا تَلْتَبِسْ بالسُّلْطَانِ في وَقْتِ ٱضْطِرابِ ٱلأُمُورِ عَلَيْهِ؛ فإنَّ البحْرَ لا يَكادُ يَسْلَمُ صاحِبُه في حَالِ سُكُونِه، فَكَيْفَ يَسْلَمُ مَعَ ٱخْتِلَافِ رِيَاحِه، وٱضْطِرَابِ أَمْواجِهِ!. [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٢٠٧ ـ لَا تُمَارِ(٣) سَفِيهاً، ولَا فَقِيهاً؛ أَمَّا الفَقِيهُ فَتُحْرَمُ خَيْرَهُ، وأَمَّا السَّفِيهُ فَيَحْزُنُكَ شَرُّه. [ق: ٧٤]

١٢٠٨ ـ لَا تمَاكِسْ في البَيْعِ والشِّراءِ(٤)؛ فَمَا يَضِيعُ مِن عِرْضِكَ، أَكْثَرُ مِمَّا تَنَالُ مِن عَرَضِكَ(٥). [ح ٢٠: ٣٠٦]

١٢٠٩ ـ لَا تُنَازِعْ جاهِلًا، ولَا تُشَايِعْ مَائِقاً(٦)، ولا تُعادِ مُسَلَّطاً(٧). [ح ٢٠: ٢٥٩]

١٢١٠ ـ لَا تُنْزِلْ حَوَائِجَكَ بِجَيِّدِ اللِّسَانِ، ولَا بِمُتَسَرِّعٍ إِلى الضَّمَانِ(٨). [ح ٢٠: ٢٣٢]

---

(١) المراد بالأدب: استماع الموعظة والانتفاع بها.

(٢) التلاج والملاجة ـ بالتشديد ـ: التمادي في الخصومة. وتقلقه: تحركه.

(٣) المماراة: الجدال.

(٤) المماكسة في البيع: المشاحة والمشاحنة وكثرة المساومة، وهي ليست من أخلاق المؤمن: لأن المؤمن هين لين، سهل في بيعه وشرائه، كما أنها ليست من أخلاق الأشراف؛ لأنها دناءة وحطة.

(٥) عرض الدنيا: ما كان من مال.. قل أو كثر.

(٦) المشايعة: المتابعة والمناصرة. والمائق: الأحمق.

(٧) المسلط ـ بتشديد اللام المفتوحة: القاهر القادر الغالب. والشاعر يقول:

أرأيتَ عُصفوراً يزاحِمُ باشقاً   إلا لِطَيْشَتِهِ وقلَّةِ عقلِه!

والباشق: من الطيور الجوارح كالبازي.

(٨) لا تطلب حاجتك ممن يحلو لفظه، ويبادر إلى ضمان الأشياء والتكفل بها؛ لأنه في الغالب لا يفي بعهد، ولا يصدق في وعد، ولكنه كما قال الشاعر:

يعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةً   ويروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ

١٢١١ ـ لَا تَنْظُرْ إلى مَنْ قَالَ، وٱنْظُرْ إلى مَا قَالَ. [ب: ٢٥]

١٢١٢ ـ لَا تَنْكِحُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ؛ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، ولَا لِأَمْوَالِهِنَّ؛ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَن تُطْغِيَهُنَّ، وٱنْكِحُوهُنَّ عَلَى ٱلدِّينِ؛ ولَأَمَةٌ سَوْدَاءُ خَرْمَاءُ[١] ذاتُ دِينٍ، أَفْضَلُ. [ح ٢٠: ٢٣٦]

١٢١٣ ـ لَا تَهْضِمَنَّ مَحَاسِنَك بالفَخْرِ والتَّكبُّرِ[٢]. [ح ٢٠: ٢٨٥]

١٢١٤ ـ لَا تُهِنْ مَنْ يُكْرِمُك. [ق: ٧٣]

١٢١٥ ـ لَا تُوَاخِ شَاعِراً، فإِنَّهُ يَمْدَحُك بثَمَنٍ، ويَهْجُوكَ مَجَّاناً[٣]. [ح ٢٠: ٣٢٢]

١٢١٦ ـ لَا توَاخِ الفَاجِرَ؛ فإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَك فِعْلَه، ويحِبُّ لَوْ أَنَّك مِثْلُه، ويُزَيِّنُ لَك أَسْوَأَ خِصَالِه، ومَدْخَلُهُ عَليكَ ومَخْرَجُهُ مِن عِندكَ شَيْنٌ وَعارٌ. وَلَا ٱلأَحْمَقَ؛ فإِنَّهُ يَجتَهِدُ بنَفْسِهِ لَك ولَا يَنْفَعُك؛ ورُبَّما أَرادَ أَن يَنْفَعَك، فيَضُرُّك؛ فَسُكُوتُه خَيرٌ مِن لُطْفِه، وبُعدُه خَيرٌ مِن قُرْبِه، ومَوتُه خَيرٌ مِن حَياتِه؛ وَلا الكَذَّابَ فإنَّه لَا ينفَعُك مَعهُ عيشٌ، ينقُلُ حَدِيثَك، وينقُلُ ٱلحَدِيثَ إِليكَ، حتَّى إِنَّهُ لَيُحَدِّثُ بالصِّدْقِ فَلا يُصَدَّقُ. [ع ٣: ٧٩]

١٢١٧ ـ لَا تُؤَاخِذِ النَّاس بالإِحَنِ؛ فلَيْسَ أَخُو الدِّينِ ذَا إِحَنٍ[٤]. [ق: ٧٣]

١٢١٨ ـ لَا تُؤَخِّرْ إِنالَةَ ٱلمُحْتَاجِ إلى غَدٍ؛ فإِنَّك لَا تَعْرِفُ مَا يَعْرِضُ فِي غَدٍ[٥]. [ح ٢٠: ٣٣٢]

---

(١) الخرماء: المشقوقة طرف الأنف، أو وترة الأنف. والوترة ـ كبلحة ـ: ما بين المنخرين، أو هي المثقوبة الأذن.

(٢) الهضم: الظلم؛ والمعنى أن الفخر والتكبر يذهبان ببهاء المحاسن، وينقصان من قيمتها.

(٣) هذا القول الحكيم يعطينا صورة للشعراء في العصور المتقدمة، حينما كانوا يرتزقون من المدح والهجاء. . ، أما الشعراء في عصرنا فهم يعيشون لفنهم السامي الذي عبر عنه الشاعر العصري بقوله:

لا أجحد الواهب النعمى، فنحت يدي ... كنز إليه أخو قارون يفتقرُ

من قال شعراً ولم تبطره ثروته ... فإنه لأيادي الله محتقر

ومراد الشاعر: أن الله أعطى الشعراء ثروة تحمل ـ لعظم قدرها ـ على الترفع والكبرياء؛ فإذا لم يشعروا بقيمتها فكأنهم جاحدون أيادي الله عليهم.

ولا يخفى ما في هذا من المبالغة اللطيفة.

(٤) الإحن: جمع إحنة، وهي الحقد والغضب.

(٥) وفي مثل ذلك جاء قولهم: خير البر عاجله.

١٢١٩ ـ لَا تَيْأَسَنَّ مِن الذَّنْبِ . . وبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوح[١]. [ق: ٧٢]

١٢٢٠ ـ لَا ثَنَاءَ مَعَ كِبْرٍ. [ز: ٢٨]

١٢٢١ ـ لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ[٢]، كما أَنَّهُ لَا خَيرَ في القَوْلِ بالجَهْلِ. [ر ٢: ٢٦٠]

١٢٢٢ ـ لَا دَاءَ أَعْيَا مِنَ الجَهْلِ. [ز: ٢٩]

١٢٢٣ ـ لَا دِينَ لِمَنْ لا نِيَّةَ لَهُ[٣]، وَلا مَالَ لِمَنْ لَا تَدْبِيرَ لَهُ[٤]، وَلَا عَيْشَ لِمَنْ لَا رِفْقَ لَهُ[٥]. [ح ٢٠: ٣١٧]

١٢٢٤ ـ لَا زِيَارَةَ مَعَ زَعارَّةٍ[٦]. [س: ٣٤٥]

١٢٢٥ ـ لَا سُؤْدُدَ مَعَ انْتِقام[٧]. [ز: ٢٨]

١٢٢٦ ـ لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلَام، ولا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، ولَا مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِن الْوَرَعِ، ولَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِن التَّوْبَةِ، ولا كَنْزَ أَغْنَى مِن القَنَاعَةِ، ومَن اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الكَفَافِ فَقَد انْتَظَمَ الرَّاحَة[٨]، وتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعة[٩]، والرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ[١٠]، وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ، والحِرْصُ والكِبْرُ والحَسَدُ: دَوَاعٍ إِلى التَّقَحُّمِ في الذُّنُوبِ[١١]، والشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئ العُيُوب. [ر ٢: ٢٣٨]

---

(١) والله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا . . .﴾ [الزمر: ٥٣].

(٢) الحكم ـ بضم فسكون ـ: الحكمة من العلم، والحكيم: العالم، وصاحب الحكمة، والمتقن للأمور.

(٣) لأن النية: نظام العمل وسره وجوهره، وعليها مدار الثواب والعقاب و«نية المرء خير من عمله».

(٤) المال بلا تدبير: سفه وضيعة له؛ والشاعر يقول:

قليلُ المال تُصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد

(٥) لا حياة هنيئة لمن حرم الرفق، لأن الأخرق مشؤوم، بغيض إلى الناس، كثير العثرات، لا يستقيم له عمل، ولا يتم له أمر.

(٦) الزعارة ـ بتشديد الراء وقد تخفف ـ: شراسة الخلق، ولا فعل له، ورجل زعرور ـ كعصفور: سيئ الخلق، والمراد: لا تطيب صداقة سيئ الخلق، ولا تستحب زيارته.

(٧) السؤدد: السيادة، ولا تتم السيادة بغير الحلم. قال الشاعر:

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى

والحلم يجافي خلق الانتقام.

(٨) من قولك: انتظمه بالرمح: أي أنفذه فيه، كأنه ظفر بالراحة. والبلغة: ما يتبلغ به من العيش.

(٩) تبوأ: نزل، والخفض: السعة. والدعة بالتحريك: كالخفض. . والإضافة على حد: كرى النوم.

(١٠) الرغبة: الطمع. والنصب، بالتحريك: أشد التعب.

(١١) التقحم: إدخال النفس في الشيء من غير روية.

١٢٢٧ ـ لا شَرَفَ مَع سُوءِ أَدَبٍ. [ز: ٢٨]

١٢٢٨ ـ لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ. [ز: ٢٩]

١٢٢٩ ـ لا صِحَّةَ مَعَ نَهَمٍ(١). [ز: ٢٨]

١٢٣٠ ـ لا صَوَابَ معَ تَرْكِ المَشُورَةِ(٢). [ز: ٢٨]

١٢٣١ ـ لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ. [ر ٢: ١٩٠]

١٢٣٢ ـ لا ظَفَرَ معَ البَغْيِ(٣). [ز: ٢٨]

١٢٣٣ ـ لا غِنَى كالعَقْلِ، ولا فَقْرَ كالجَهْلِ، ولا مِيرَاثَ كالأَدَبِ، ولا ظَهِيرَ(٤) كالمُشَاوَرَة. [ر ٢: ١٦١]

١٢٣٤ ـ لا قُرْبَةَ بالنَّوافِلِ، إذا أَضَرَّتْ بالفَرَائِضِ(٥). [ر ٢: ٢٥٨]

١٢٣٥ ـ لا كَثِيرَ معَ إِسْرَافٍ(٦)، ولا قَلِيلَ معَ ٱحْتِرافٍ(٧)، ولا ذَنْبَ مَعَ ٱعْتِرافٍ(٨). [ح ٢٠: ٣٠٣]

١٢٣٦ ـ لا كَرَمَ أَعَزُّ مِن التُّقَى. [ز: ٢٩]

١٢٣٧ ـ لا لِبَاسَ أجمَلُ مِنَ السَّلَامَةِ(٩). [س: ٣٤٥]

١٢٣٨ ـ لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ العَقْلِ(١٠)، ولَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِن العُجْب، ولا عَقْلَ

---

(١) النهم ـ كسبب ـ: إفراط الشهوة في الطعام؛ وبابه طرب. وهو أدوأ الداء. وأوكد أسباب الموت. وفي المأثور: جوعوا تصحوا.

(٢) لأن ترك المشورة: استبداد بالرأي الواحد، ومعه يكون الزلل، وصدق بشار في قوله:

ولا تجعلِ الشُّورَى عليك غَضاضةً فإنَّ الخوافي قوَّةٌ للقوادمِ

(٣) جرت سنة الله في خلقه ألا ينصر باغياً، وقد ينصره ابتداء استدراجاً له ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، واعتبر هذا بعاقبة نابليون وهتلر وموسوليني وغيرهم، والشاعر يقول:

والبغيُ مرتع مبتغيه وخيم

(٤) الظهير: المعين.

(٥) كمن يحيي الليل بالذكر ثم ينام فيصلي الصبح بعد طلوع الشمس!! وكمن يصوم التطوع فيضعف عن صيام رمضان!! وكمن يتصدق على الأباعد ولا يبقي لأبويه وذوي أرحامه شيئاً!!

(٦) الإسراف يبتلع الكثير، ولذلك كره الشارع الإسراف في الماء ولو كان المتوضئ على البحر.

(٧) الاحتراف: الاكتساب، وحرف لعياله من باب ضرب: كسب لهم، وهي كقولهم: صنعة في اليد أمان من الفقر.

(٨) لأن الاعتراف بالذنب، عنوان التوبة منه، ودليل الندم عليه، والإقلاع عنه.

(٩) لأن السلامة وقاية للإنسان من كل سوء، والمخاوف بها أمان، فكل ثوب يتمزق ما عداها.

(١٠) أعود: أنفع.

كالتَّدبير، ولا كَرَمَ كالتَّقْوَى، ولا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، ولا مِيراث كالأَدَبِ، ولا قَائِدَ كالتَّوْفِيق، ولا تِجَارَةَ كالعَمَلِ الصَّالح، ولا رِبحَ كالثَّواب، ولا وَرَعَ كالوُقُوفِ عِندَ الشُّبْهَة[١]، ولا زُهْدَ كالزُّهْدِ في الحَرام، ولا عِلْمَ كالتَّفَكُّر، ولا عِبَادةَ كأداءِ الفَرائِض، ولا إيمانَ كالحَياءِ والصَّبْر، ولا حَسَبَ كالتَّواضُع، ولا شَرَفَ كالعِلْم، ولا مُظاهَرَة[٢] أَوْثَقُ مِن المُشاوَرَة. [ر ٢: ١٧٤]

١٢٣٩ ـ لا مَحَبَّةَ معَ مِرَاءٍ[٣]. [ز: ٢٨]

١٢٤٠ ـ وأُوتي بجانٍ ومعهُ غوغاءُ.. فقال:

لا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِندَ كُلِّ سَوْأَةٍ[٤]. [ر ٢: ١٩٦]

١٢٤١ ـ لا مَرَضَ أَضْنَى مِنْ قِلَّةِ العَقْلِ. [ز: ٢٩]

١٢٤٢ ـ لا مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ[٥]. [ز: ٢٩]

١٢٤٣ ـ لا مَعْقِلَ أَحْرَزُ مِنَ الوَرَعِ[٦]. [ز: ٢٩]

١٢٤٤ ـ لَا نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ[٧]، ولَا يَمِينَ في قَطِيعَةٍ[٨]. [ح ٢٠: ٢٦٢]

---

(١) الشبهة ـ كغرفة ـ: الالتباس، أي إذا التبس عليه الأمر فلم يدر أحلال هو أم حرام؟ لم يقدم على فعله خوفاً من التبعة، شأن المتورعين.

(٢) المظاهرة: المعاونة.

(٣) المراء ـ بكسر الميم ـ: الجدل، ولا شيء أذهب بالمحبة منه كما دلت التجارب.

(٤) الجاني: فاعل الذنب. والغوغاء والغاغة: الكثير المختلط من الناس. والسوأة: الفاحشة. وقد جرت عادة الغوغاء أن يحتشدوا عند وقوع الشر لانجذابهم إليه، ولأنه يسرهم أن تشيع الفاحشة في أهل الستر، كما تسرهم الشماتة بالناس!!

(٥) لأن المروءة لباب الشرف، والكذوب لا يكذب إلا لمهانة يحسها من نفسه.

(٦) المعقل. كمنزل: الملجأ. والحرز كقرد: الموضع الحصين، وإنما كان الورع أحصن ملجأ؛ لأنه يحجز صاحبه عن الوقوع في الفواحش والآثام.

(٧) كمن تنذر إذا شفيت مثلاً أن تقيم حفلة «زار».

(٨) كمن يحلف ألا يتصدق على إنسان، أو ألا يزور بعض أصدقائه، ولما حلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يقطع المؤونة عن ابن خالته «مسطح» لخوضه في حديث الإفك، نزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ [النور: ٢٢] الآية، فكفر «الصديق» عن يمينه، ورجع إلى إحسانه إليه.

١٢٤٥ ـ لَا نِعْمَةَ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِن طُولِ العُمُرِ، وَصِحَّةِ الجَسَدِ[١]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١٢٤٦ ـ لَا والَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاء، تَكْشِرُ عَن يَوْمٍ أَغَرَّ؛ مَا كَانَ كَذا وكَذا[٢]. [ر ٢: ٢١٧، ٢١٨]

١٢٤٧ ـ لَا وَفَاءَ لِمَلُولٍ[٣]. [ز: ٢٩]

١٢٤٨ ـ وقال رضي الله عنه ـ وقد قال له طلحة والزبير: نُبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر ـ:

لا. ولكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي القُوَّةِ والاسْتِعانَة، وعَوْنَانِ عَلَى العَجْزِ والأَوْدِ[٤]. [ر ٢: ١٩٦]

١٢٤٩ ـ لا يَتْرُكُ النَّاسُ مِن أَمْرِ دِينِهِم لاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُم[٥] إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ. [ر ٢: ١٧٢]

١٢٥٠ ـ لَا يَحْمِلَنَّكَ الحَنَقُ عَلَى اقْتِرافِ الإِثْمِ؛ فَتَشْفِيَ غَيْظَك، وتُسْقِمَ دِينَكَ[٦]. [ح ٢٠: ٣٢٨]

---

(١) طول العمر مع صحة الجسد: أجلّ ما يتمناه إنسان، ولا سيما إذا اقترنا بالعمل الصالح، وفي الحديث الشريف: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**» ولم ينس الإمام العمل الصالح، ولكنه كان يتكلم عن النعمة من حيث هي، بصرف النظر عن صاحبها وما يدين به.

(٢) غبر الليلة بضم الغين وسكون الباء: بقيتها ـ والدهماء: السوداء ـ وكشر عن أسنانه كضرب: أبداها في الضحك ونحوه. والأغر أبيض الوجه.. يحلف بالله الذي أمسى بتقديره في بقية ليلة سوداء تتكشف عن فجر ساطع الضياء.. ووجه التشبيه ظاهر.
وجمال القسم: أنه يريك بديع صنع الله ويحضرك عظمته! كقولهم: لا والذي زين الجباه بالغرر، والعيون بالحور...

(٣) الملول والملولة والمالولة: الكثير السأم، ولا وفاء له في العادة؛ لأنه لا يدوم على حال، ولا يصبر على خلق، والوفاء يقتضي الثبات.

(٤) الأود، بفتح فسكون: بلوغ الأمر من الإنسان جهوده، لشدته وصعوبة احتماله وإنما لم يرض الإمام أن يشركاه في الخلافة؛ لأن هذا خلاف حكم الشرع بمبايعة خليفة واحد، ولأن الشركة في مثل ذلك مثار خلاف وشقاق، ولأنه هو المسؤول وحده أمام الله وأمام الرعية.

(٥) مما هو مسلم به: أن من أضاع دينه ليحرز دنياه. خسرهما معاً!! وأن من قدم دينه على دنياه، سلم له دينه وأتته الدنيا صاغرة!! وما أحسن قول الشاعر:

عَجِبْتُ لِمُبتاعِ الضَّلالة بالهدى ... ولِلْمُشْتري دنياهُ بالدِّين أعجبُ
وأعجبُ من هذين مَنْ باعَ دينَه ... بدُنيا سواهُ، فهو من ذَيْن أخيبُ

(٦) الحنَقُ كسبب: الغيظ أو شدته. ومثال ذلك أن يفجر الزوج فترتكب زوجته الخطيئة لتنتقم منه، ولا تدري أنها خسرت بذلك كل شيء!!

١٢٥١ ـ لا يخطِئُ المُخلِصُ في الدُّعاءِ، إحدَى ثَلَاث: ذَنْبٌ يُغفر، أَوْ خيرٌ يُعَجَّل، أَوْ شرٌّ يُؤَجَّل. [ح ٢٠: ٢٧٦]

١٢٥٢ ـ لَا يُرَدُّ بأسُ العَدُوّ والقَوِيّ وغضبهُ بِمِثْلِ الخُضُوعِ[١] والذُّل، كَسَلَامةِ الحَشِيشِ مِنَ الرِّيحِ العَاصِفِ، بانْثِنائِهِ مَعَها كيْفَمَا مَالَتْ. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٢٥٣ ـ لا يَرْضَى عَنْكَ الحَاسِدُ حتَّى يَمُوتَ أحَدُكُما[٢]. [ح ٢٠: ٢٨١]

١٢٥٤ ـ لَا يَزالُ المَرْءُ مُسْتَمِرًّا مَا لَمْ يَعْثُر، فَإذا عَثَرَ مَرَّةً لَجَّ بهِ العِثَارُ، ولَوْ كَانَ في جَدَدٍ[٣]. [ح ٢٠: ٢٨٨]

١٢٥٥ ـ لا يُزهِدَنَّكَ في المَعرُوفِ كفرُ مَنْ كَفرَهُ[٤]، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيهِ مَنْ لا يَسْتَمتِعُ مِنهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِن شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الكافِر[٥]. [ر ٢: ١٩٦]

١٢٥٦ ـ لَا يَسْتَقِيمُ قَضاءُ الحَوَائِجِ إلَّا بِثَلَاثٍ: باسْتِصْغَارِها لِتَعْظُمَ[٦]، وباسْتِكْتَامِها لِتَظْهَرَ، وبِتَعْجِيلِها لِتَهْنُؤَ. [ر ٢: ١٧٠]

١٢٥٧ ـ لَا يَسُودُ الرَّجُلُ حَتَّى لَا يُبَالِي في أَيِّ ثَوْبَيْهِ ظَهَرَ[٧]. [ح ٢٠: ٢٩٩]

١٢٥٨ ـ لا يَصْبِرُ عَلَى الحَرْبِ وَيصْدُقُ في اللِّقَاءِ إلَّا ثَلَاثَةٌ: مُسْتَبْصِرٌ في دِين[٨]،

---

(١) المراد بالخضوع والذل هنا: المداراة والملاينة والملاطفة حتى تحين الفرصة للتغلب على خصمك، وهذا من السياسة العليا والحكيمة، ومنه قولهم: إذا لم تستطع قطع يد عدوك فقبلها. ومثل هذا لا يكون على إطلاقه، فالبس لكل حال لبوسها.

(٢) لأن الحاسد لا يُرضى إلا بزوال نعمة المحسود، وموت المحسود هو النعمة الكبرى لدى الحاسد.

(٣) الاستمرار: الجواز والذهاب والمضي على طريقة واحدة. والجدد كسبب: الأرض الغليظة المستوية. أي أن العثرة تتبعها العثرة، والسقوط يعقبه السقوط، والخيبة تغري بالخيبة!! نسأل الله العافية.

(٤) أي: لا يصرفك عن بذل المعروف جحود من بذلته له.

(٥) الكافر: الجاحد.

(٦) استصغارها في الطلب؛ لتعظم بالقضاء، وكتمانها عند محاولتها؛ لتظهر بعد قضائها، فلا تعلم إلا مقتضية، وفي الأثر: «استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان»، وتعجيلها؛ للتمكن من التمتع بها، فتكون هنيئة، ولو عظمت عند الطلب، أو ظهرت قبل القضاء خيف الحرمان منها، ولو أخرت خيف النقصان.

(٧) لا يكون الرجل سيداً حتى لا يبالي أن يلبس الغالي أو الرخيص، لأن إكرام الناس له لقيمته لا لبزّته، وكان الخلفاء الأول يلبسون المرقعات وهم فيها أهيب من الأكاسرة والقياصرة.

(٨) المستبصر: المستبين: أي الذي يقاتل عن بصيرة وهدى وإخلاص واقتناع.

أو غَيْرانُ عَلَى حُرْمةٍ[(١)]، أَوْ مُمْتَعِضٌ[(٢)] مِنْ ذُلٍّ. [ح ٢٠: ٢٨٨]

١٢٥٩ ـ لا يَصْدُقُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يكُونَ بما في يَدِ اللّهِ أَوْثَقَ مِنهُ بما في يَدِه[(٣)]. [ر ٢: ٢٢٤]

١٢٦٠ ـ لا يَصْلُحُ اللَّئيمُ لِأحدٍ، ولا يَسْتَقِيمُ إلّا مِن فَرَقٍ[(٤)] أو حَاجَةٍ؛ فإِذَا اسْتَغْنَى أَو ذَهَبَ خَوْفُه، عادَ إليهِ جَوْهَرُه. [ح ٢٠: ٣٠٣]

١٢٦١ ـ لا يُعَابُ المَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّه[(٥)]، إِنَّمَا يُعابُ مَن أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ. [ر ٢: ١٩٠]

١٢٦٢ ـ لا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَر، وإنْ طَالَ بهِ الزَّمَانُ[(٦)]. [ر ٢: ١٨٩]

١٢٦٣ ـ لا يَعْدِمَنْك مِن شَفِيقٍ سُوءُ ظَنٍّ[(٧)]. [ق: ٧٥]

١٢٦٤ ـ لا يَعْرِفُ الفَضْلَ لِأَهْلِ الفَضْلِ إلّا أُولُو الفَضْلِ[(٨)]. [ح ٢٠: ٢٧٧]

١٢٦٥ ـ لا يَغْلِبَنَّ عَليكَ سُوءُ الظَّنِّ؛ فإنَّهُ لا يَدَعُ بَيْنَكَ وبَيْنَ خَلِيلِكَ صُلْحاً. [ق: ٧٢]

١٢٦٦ ـ لا يُفْسِدَنَّكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ قَدْ أَصْلَحَك اليَقِينُ لَهُ[(٩)]. [ح ٢٠: ٣٤٥]

١٢٦٧ ـ لا يَقِلُّ عَمَلٌ معَ التَّقْوَى.. وكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟. [ر ٢: ١٦٨]

١٢٦٨ ـ لا يُقْنِطَنَّك أن أَبْطَأَتْ عَليكَ الإجابةُ؛ فإنَّ العَطِيَّةَ[(١٠)] عَلَى قَدْرِ المَسْأَلَةِ. [ق: ٧٥]

---

(١) الحرمة ـ بضم الحاء، وبضم الحاء والراء وبضم الحاء وفتح الراء والميم: ما لا يحل انتهاكه، والذمة.

(٢) الامتعاض: أن يغضب الإنسان ويشق عليه الأمر. والمعنى: إن الإنسان لا يستقتل إلا في سبيل غرض يؤمن به كل الإيمان.

(٣) أي حتى تكون ثقته بما عند الله من ثواب وفضل أشد من ثقته بما في يده من مال وعروض وعقار.

(٤) الفرق بفتح الراء: الخوف والفزع.

(٥) المتسامح في حقه لا يعاب، وإنما يعاب سالب حق غيره.

(٦) وفي مثله يقول الشاعر:

أَخلِقْ بذِي الصَّبرِ أن يحظَى بحاجَتِه ... ومُدمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا

(٧) منه المثل: «إن الشفيق بسوء ظن مولع» يضرب للمعني بشأن صاحبه؛ لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث.

(٨) ومنه قول الشاعر:

إنَّمَا يعرفُ ذا الفضلِ ... مِنَ النَّاسِ ذَوُوه

(٩) أي إذا تيقنت ود صديقك، فلا تصغ للوساوس والشكوك فيه.

(١٠) في رواية: الإجابة.

١٢٦٩ ـ لا يَقُولَنَّ أحدُكُم: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الفِتْنَة؛ لِأَنَّه لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَة، ولكِنْ مَن ٱسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِن مُضِلَّاتِ الفِتَن؛ فإنَّ اللَّهَ سبْحَانَهُ يَقُول: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]. ومَعْنَى ذَلِك: أَنَّه يَخْتَبِرُهم بالأَمْوالِ والأَوْلادِ؛ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِه، والرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ[١]، وإِن كانَ سُبحَانَه أَعْلَمَ بِهِمْ مِن أَنْفسِهم، ولكِنْ.. لِتَظْهَرَ الأَفعالُ الَّتِي بِها يُسْتَحَقُّ الثَّوابُ والعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعضَهُم يُحِبُّ الذُّكُور، وَيكْرَهُ الإِناثَ.. وَبعضَهُم يُحِبُّ تَثْمِيرَ المَال[٢]، ويَكْرَهُ انْثِلَامَ الحَالِ.

«وهٰذَا مِن غَرِيبِ مَا سُمِعَ مِنْهُ في التَّفْسِير». [ر ٢: ١٦٨]

١٢٧٠ ـ لا يَقُومُ عِزُّ الغَضَبِ بِذِلَّةِ الاعْتِذَار[٣]. [ح ٢٠: ٣٣٩]

١٢٧١ ـ لا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبحَانَه إِلَّا مَن لا يُصَانِعُ، وَلا يُضَارِعُ، ولا يَتَّبِعُ المَطامِعَ[٤]. [ر ٣: ١٩]

١٢٧٢ ـ لا يَكادُ يَصِحُّ رُؤْيا الكَذَّاب؛ لأَنَّه يُخبِرُ في اليَقَظةِ بما لَمْ يَكُن، فأَخْرِ بِهِ أَن يَرَى في المَنامِ مَا لا يَكُون[٥]. [ح ٢٠: ٣٤٥]

١٢٧٣ ـ لا يَكْبُرْ عَليكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَك؛ فإِنَّهُ إِنَّما يَسْعَى في مَضَرَّتِه ونَفْعِكَ. [ق: ٧٥]

١٢٧٤ ـ لا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى النَّاسِ بِكَ[٦]. [ق: ٧٣]

١٢٧٥ ـ لا يكنْ فَقْرُكَ كُفراً، وغِنَاكَ طُغْياناً[٧]. [ح ٢٠: ٢٩٦]

---

(١) القسم ـ بفتح فسكون ـ: النصيب.

(٢) تثمير المال: إنماؤه بالربح ـ وانثلام الحال: نقصه.

(٣) قد يرى الإنسان أن في ثورة غضبه اعتزازاً بكرامته، ولكن اعتذاره عن غضبه هذا ـ فيما بعد ـ فيه مذلة للنفس.

(٤) لا يصانع: أي لا يداري في الحق، والمضارعة: المشابهة، والمعنى: أنه لا يشتبه عمله بالمبطلين، واتباع المطامع: الميل معها وإن ضاع الحق.
قال ابن أبي الحديد: ـ يضارع: يتعرض لطلب الحاجة، ويجوز أن يكون من الضراعة وهي الخضوع: أي يخضع لزيد ليخضع له زيد، ويجوز أن يكون من المضارعة بمعنى المشابهة.

(٥) أي أن حبه للكذب وكلفه به في اليقظة يندس إلى سريرته في النوم فيسوقه إلى الكذب في أحلامه.

(٦) إذا شقي أهل الإنسان به ـ وهم أقرب الناس إليه ـ، فكيف حاله مع الناس، وحال الناس معه؟؟.

(٧) لا يحملك الفقر أن تتسخط على قضاء الله وقدره، وتجحد سائر نعمه عليك!! ولا يحملك الغنى على البطر والجبرية والبغي، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

١٢٧٦ ـ لا يكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ في ثَلَاث: في نَكْبَته، وغَيْبَتِه، وَوَفاتِه[١]. [ر ١: ١٨١]

١٢٧٧ ـ لا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِك.. مِنكَ عَلَى صِلَتِه[٢]. [ق: ٧٤]

١٢٧٨ ـ لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أن يَدعَ الحَزْمَ لِظَفَرٍ نَالَهُ عَاجِزٌ، وَلا يُسَامِحَ نَفْسَهُ فِي التَّفْرِيطِ لِنَكْبَةٍ دخَلَتْ عَلَى حَازِمٍ[٣]. [ح ٢٠: ٢٨٧]

١٢٧٩ ـ لا يَنْبَغِي لِلعاقِلِ أَن يكُونَ إِلَّا في إِحْدَى مَنْزِلَتَيْن: إمَّا في الغَايةِ القُصْوَى مِن مَطَالِبِ الدُّنيا، وإمَّا في الغايةِ القُصْوَى مِن التَّرْكِ لَهَا[٤]. [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٢٨٠ ـ لا يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَن يَثِقَ بخَصلَتَيْن: العَافِيةِ والغِنَى.. بَيْنَا تَراهُ مُعافًى إِذْ سَقِمَ، وَبَيْنَا تَراهُ غَنِيًّا إِذِ ٱفْتَقَرَ. [ر ٢: ٢٥١]

١٢٨١ ـ لا يَنْتَصِفُ ثَلَاثةٌ مِن ثَلَاثةٍ: بَرٌّ مِن فَاجِرٍ، وعَاقِلٌ من جَاهِلٍ، وكَرِيمٌ مِن لَئِيم. [ح ٢٠: ٢٧٦]

١٢٨٢ ـ لا يَهُونَنَّ عَليكَ مَن قَبُحَ مَنْظَرُه، ورَثَّ لِبَاسُه؛ فإنَّ اللّٰهَ تَعَالَى يَنْظُرُ إلى القُلُوبِ، ويُجازِي بالأَعْمَالِ[٥]. [ح ٢٠: ٣٢٦]

١٢٨٣ ـ لا يؤْمِنَنَّك مِن شَرِّ جاهِلٍ قَرابةٌ ولا جِوارٌ، فإِنَّ أَخْوَفَ مَا تَكُونُ لحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبَ مَا تَكُونُ إِلَيْها. [ح ٢٠: ٣٠٥]

١٢٨٤ ـ لَبَعْضُ إمْسَاكِكَ عَنْ أَخِيكَ معَ لُطْفٍ، خَيرٌ لَكَ مِن بَذْلٍ معَ حَيْفٍ[٦]. [ق: ١٨]

---

(١) أي لا يضيع شيئاً من حقوقه في الأحوال الثلاثة.

(٢) أي: كن أكثر حرصاً من أخيك على استبقاء مودته، وإن حاول هو هجرانك، وبذا تجذبه إليك.

(٣) أي لا يصح أن يحمله فوز العاجز، وخيبة الحازم، على التفريط وترك الاستعداد وإهمال الحيطة؛ لأن ما حدث يعدُّ من الفلتات وشواذ القواعد، ولا تزال الأمور تجري على سننها الطبيعية.

(٤) أي إما أن يكون من الرؤساء أو الزهاد، وقد وقع قريباً من هذا قول أبي فراس الحمداني:

وإنَّا أناسٌ لا توسُّطَ بيننا ... لنا الصَّدْرُ دون العالمين أو القبْرُ

(٥) وفي معنى ذلك الحديث الشريف: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

(٦) الإمساك: البخل. والحيف: الظلم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

١٢٨٥ ـ لَتَعْطِفَنَّ الدُّنيا عَلينا بَعدَ شِمَاسِها عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِها[١]. . وتَلا عَقِبَ ذلك: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]. [ر ٢: ١٩٧]

١٢٨٦ ـ لِتَكُنْ دَارُك أَوَّلَ مَا يُبْتَاعُ، وآخِرَ ما يُبَاعُ[٢]. [ح ٢٠: ٣١٢]

١٢٨٧ ـ لِتَكُنْ مَسْألَتُك فِيما يَعْنِيك[٣] مِمَّا يَبقَى عَليكَ جَمَالُه، وَلا يَبْقَى عَليكَ وَبالُه[٤]، لا مَا يَبقَى لَكَ وَلا تَبْقَى لَهُ؛ فإنَّهُ يُوشِكُ أَن تَرَى عاقِبَةَ أمرِكَ: مُحْسِناً، أو مُسِيئاً، أَو يَعْفُوَ العَفُوُّ الكَرِيمُ. [ق: ٧٢]

١٢٨٨ ـ اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ[٥]. [ر ٢: ١٩٢]

١٢٨٩ ـ اللِّسَانُ سَبُعٌ، إن خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ[٦]. [ر ٢: ١٦١]

١٢٩٠ ـ لِسَانُ العَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِه، وقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِه[٧]. [ر ٢: ١٥٩]

١٢٩١ ـ لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ مَا عَوَّدْتَهُ[٨]. [ز: ٢٩]

١٢٩٢ ـ اللَّطافَةُ في الحَاجَةِ، أَجْدَى مِنَ الوَسِيلَةِ[٩]. [ح ٢٠: ٣٠٢]

---

(١) الشماس بالكسر: امتناع ظهر الفرس من الركوب، والضروس بفتح فضمّ: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها. أي أن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها، وتلين بعد خشونتها، كما تنعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالبين، وقد تحققت كلمة الإمام فقامت عدة دول علوية أهمها الخلافة الفاطمية التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى الفرات، ومن حلب إلى المحيط الهندي، وذهبت دول أعدائهم ومن قاموا بها كأن لم تكن!!

(٢) يبتاع: يشترى أي أن الدار أول ما يجب شراؤه، ولا تباع إلا عند الضرورة الملحة؛ لأنها مأوى الإنسان، وكهف أسرته، ومحلّ ستره.

(٣) يعنيك: يهمك وتريده.

(٤) الوبال: الشدة والثقل.

(٥) اللجاجة: شدة الخصام تعصباً لا للحق، وهي تسلّ الرأي: أي تذهب به وتنتزعه لأن الغرض منها الانتصار بأية صورة.

(٦) عقره: جرحه. والمثل العامي يقول: «لسانك حصانك.. إن صنته صانك..».

(٧) هذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به: أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه، وفلتات كلامه مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه. وقد روي عنه رضي الله عنه هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله: «قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه». ومعناهما واحد.

(٨) يقتضيك: يكلفك.

(٩) أي اللطف والرقة واللين في طلب الحاجة، أنفع من الوسيلة إليها كالشفيع مثلاً.

١٢٩٣ ـ لِلظَّالِمِ مِن الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَاماتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوقَهُ بالمَعْصِيَةِ[١]، ومَنْ دُونَهُ بالغَلَبَةِ[٢]، ويُظَاهِرُ[٣] القَوْمَ الظَّلَمَة. [ر ٢: ٢٣٣]

١٢٩٤ ـ لِلظَّالِمِ البَادِي ـ غَداً ـ بِكَفِّه عَضَّةٌ[٤]. [ر ٢: ١٩٢]

١٢٩٥ ـ لِقَاءُ أَهْلِ الخَيْرِ عِمَارَةُ القُلُوبِ[٥]. [ح ٢٠: ٣١٥]

١٢٩٦ ـ لَقَدْ سَبَقَ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ أَقْوامٌ مَا كانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً ولا صِيَاماً، ولا حَجًّا ولا اعْتِمَاراً؛ ولكِنْ عَقَلُوا عَنِ اللهِ أَمْرَه[٦]، فَحسُنَتْ طَاعَتُهُم، وَصَحَّ وَرَعُهُم، وكَمُلَ يَقِينُهُم؛ فَفَاقُوا غَيْرَهُم بالحُظْوَةِ ورَفِيعِ المَنْزِلَةِ. [ح ٢٠: ٢٧٠]

١٢٩٧ ـ وقال رضي الله عنه لبعض مخاطبيه ـ وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها[٧] ـ:

لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وهَدَرْتَ سَقْباً[٨]. [ر: ٢٤٥]

١٢٩٨ ـ لَقَدْ عَلِقَ بِنِيَاطِ هٰذا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مِنْهُ[٩] . . وذٰلِك: القَلْبُ، ولَهُ مَوادُّ مِن الحِكْمَةِ، وأَضْدادٌ مِن خِلافِها: فإِن سَنَحَ لَهُ الرَّجاءُ[١٠] أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وإِن هاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الحِرْصُ، وإِن مَلَكَهُ اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وإِن عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الغَيْظُ، وإِن أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ[١١]، وإِن نالَهُ

---

(١) معصيته أوامر من فوقه ونواهيه، أو خروجه عليه ورفضه لسلطانه وذلك ظلم؛ لأنه عدوان على الحق.

(٢) الغلبة: القهر.

(٣) يظاهر: أي يعاون، والظلمة: جمع ظالم.

(٤) يعض الظالم على يديه ندماً يوم القيامة.

(٥) أي يجعل القلوب عامرة بالإيمان والتقى والصلاح، لأنهم يذكرون الناس بكل ما ينفع في العاجلة والآجلة.

(٦) عقلوا عن الله أمره: أي عرفوا جوهر الدين، وفهموا سر التشريع، فعبدوا الله عبادة العالم الخبير، لا عبادة الجاهل المتنطع.

(٧) كلمة عظيمة منه في صغره، قاصر عن قول مثلها.

(٨) الشكير ههنا: أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويستحصف، والسقب: الصغير من الإبل ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل كأنه قال: لقد طرت وأنت فرخ لم تنهض.

(٩) النياط ككتاب: عرق معلق به القلب. والبضعة بالفتح والكسر: القطعة.

(١٠) سنح له: بدا وظهر.

(١١) التحفظ: هو التوقي والتحرز من المضرات.

الخَوْفُ شَغَلَهُ الحَذَرُ، وإن اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الغِرَّةُ[١]، وإن أفادَ مالاً[٢] أطْغاهُ الغِنَى، وإن أصابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الجَزَعُ، وإن عَضَّتْهُ الفاقَةُ شَغَلَهُ البَلاءُ، وإن جَهَدَهُ الجُوعُ قَعدَ بِهِ الضَّعْفُ، وإن أفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ البِطْنَةُ[٣]، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وكُلُّ إفراطٍ لَهُ مُفْسِدٌ. [ر ٢: ١٧٢، ١٧٣]

١٢٩٩ ـ وقال لعبد الله بن العباس (وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه[٤]):
لَكَ أن تُشِيرَ عَلَيَّ وأرَى.. فإن عَصَيْتُكَ فأطِعْنِي[٥]. [ر ٢: ٢٢٦]

١٣٠٠ ـ لِلكَرِيمِ رِباطانِ[٦]: أحَدُهُما الرِّعَايَةُ لِصَدِيقِهِ وَذَوِي الحُرْمَةِ بِهِ، والآخَرُ بِهِ، والآخَرُ الوَفَاءُ لِمَنْ ألْزَمَهُ الفَضْلُ[٧] مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيهِ. [ح ٢٠: ٢٨٢]

١٣٠١ ـ لِكُلِّ أمْرٍ عاقِبَةٌ. [ق: ١٤]

١٣٠٢ ـ لِكُلِّ امْرِئٍ عاقِبَةٌ: حُلْوَةٌ.. أوْ مُرَّةٌ[٨]. [ر ٢: ١٨٩]

١٣٠٣ ـ لِكُلِّ امْرِئٍ في مَالِهِ شَرِيكانِ: الوَارِثُ، والحَوَادِثُ. [ر ٢: ٢٣٠]

١٣٠٤ ـ لِكُلِّ حَياةٍ أجَلٌ. [ق: ١٤]

١٣٠٥ ـ لِكُلِّ دارٍ بَابٌ، وبَابُ دَارِ الآخِرَةِ المَوْتُ[٩]. [ح ٢٠: ٣٤٥]

١٣٠٦ ـ لِكُلِّ زَمَنٍ قُوتٌ، وأنْتَ قوتُ المَوْتِ. [ق: ١٤]

---

(١) الغرة بالكسر: الغفلة، واستلبته: أي سلبته وذهبت به عن رشده.

(٢) أفاد المال: استفاده.

(٣) كظته: أي كربته وآلمته، والبطنة بالكسر: امتلاء البطن حتى يضيق النفس، والتخمة.

(٤) وذلك عندما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة، ولابن الزبير بولاية الكوفة، ولمعاوية بإقراره في ولاية الشام حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانيها فقال أمير المؤمنين: لا أفسد ديني بدنيا غيري ولك أن تشير... إلخ.

(٥) أي من حقك أن تشير علي، ولي أن آخذ برأيك أو أرفض، فإن خالفتك وجبت عليك طاعتي! لأني أعرف ما لا تعرف، ولي الرأي الأعلى.

(٦) الرباط ككتاب في الأصل: ملازمة ثغر العدو، وهي هنا: الملازمة مطلقاً.

(٧) الفضل: ضد النقص، والفضيلة: ضد النقيصة، وهي الدرجة الرفيعة في الفضل. والفضل: فاعل و«ما» مفعول به.

(٨) في رواية: لكل أمر عاقبة (أي بدل امرئ: أمر).

(٩) ومنه قول ابن عباس:

الموتُ بابٌ وكلُّ الناس داخلهُ يا ليتَ شعريَ بعدَ البابِ ما الدَّارُ؟
الدارُ جنةُ عَدْنٍ إن عَمِلتَ بما يُرضي الإلهَ، وإنْ خالفتَ فالنَّارُ

١٣٠٧ ـ لِكُلِّ ساقِطَةٍ لَاقِطَةٌ[١]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١٣٠٨ ـ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ، وثَمَرَةُ المَعْرُوفِ تَعْجِيلُ السَّراحِ[٢]. [ح ٢٠: ٢٦٣]

١٣٠٩ ـ لِكُلِّ شَيءٍ قُوتٌ، وأَنْتُم قُوتُ الهَوامِّ[٣]؛ ومَنْ مَشَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ فإِنَّ مَصِيرَهُ إلى بَطْنِها. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٣١٠ ـ لِكُلِّ مُقْبِلٍ إدْبارٌ، ومَا أَدْبَرَ كأَنْ لَمْ يكُنْ. [ر ٢: ١٨٩]

١٣١١ ـ لِكُلِّ نِعْمَةٍ مِفْتاحٌ ومِغْلَاقٌ: فَمِفْتَاحُها الصَّبْرُ، ومِغْلَاقُها الكَسَلُ. [ح ٢٠: ٣٢٢]

١٣١٢ ـ لِلّهِ امْرُؤٌ عَمِلَ صَالِحاً، وقَدَّمَ خَالِصاً، واكْتَسَبَ مَذْخُوراً، واجْتَنَبَ مَحْذُوراً، وبَنى غَرَضاً، وأَحْرَزَ عِوَضاً؛ كابَرَ هَوَاه[٤]، وكَذَّبَ مُناه، وجَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِه، والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفاتِه. [ق: ٣٣]

١٣١٣ ـ لِلّهِ تَعالَى كُلَّ لَحظةٍ ثَلاثَةُ عَساكِرَ: فَعَسْكَرٌ يَنْزِلُ مِن الأَصْلَابِ إلى الأَرْحَامِ، وعَسْكَرٌ يَنْزِلُ مِن الأَرْحَامِ إلى الأَرْضِ، وعَسْكَرٌ يَرْتَحِلُ مِن الدُّنْيا إلى الآخِرَةِ. [ح ٢٠: ٣١٨]

١٣١٤ ـ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَاماتٌ يُعْرَفُونَ بِها: تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وطَعَامُهُمْ نُهْمَةٌ، وغَنِيمَتُهُمْ غُلُول[٥]، لَا يَعْرِفُونَ المَسَاجِدَ إِلَّا هَجْراً[٦]، ولا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْراً[٧]، مُسْتَكْبِرُونَ لا يَأْلَفُونَ ولا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بالليْلِ، صُخُبٌ بالنَّهارِ[٨]. [ح ٢٠: ٢٦٦]

١٣١٥ ـ لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعاتٍ: فَسَاعةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّه، وسَاعةٌ يَرِمُّ مَعاشَه[٩]،

---

(١) أي لكل كلمة سقطت من فم الناطق نفس تسمعها، فتلقطها فتذيعها؛ يضرب في حفظ اللسان.

(٢) أي تعجيل سراح طالب المعروف، وهو قضاء حاجته، وورد في الأثر: «خير البر عاجله».

(٣) الهوام مشددة: جمع هامة ـ بالتشديد أيضاً. قال شمر: الهوام: الحيات وكل ذي سم يقتل، وأما ما لا يقتل ويسم فهو السوام مشددة الميم؛ مثل الزنبور والعقرب وأشباههما ومنها القنافذ والفأر واليرابيع والخنافس، وربما تقع الهوام على ما لا يقتل كالحشرات.

(٤) كابره: نازعه الكبر، والهوى: الميل المنحرف.

(٥) الغلول: الخيانة في الغنيمة.

(٦) الهجر: وقت زوال الشمس في الظهيرة، والمراد أنهم يذهبون للمساجد هرباً من الحر.

(٧) دبراً: أي في آخر وقتها.

(٨) صخب ـ بضم الصاد والخاء ـ جمع صخوب، وهو شديد الصوت. وخشب بالليل: ينامون كأنهم خشب مطرحة لا يفكرون في عبادة الله.

(٩) يرم بكسر الراء وفتحها: أي يصلح، والمرمة بالفتح: الإصلاح.

وسَاعةٌ يُخلِّي بَينَ نَفْسِهِ وبَينَ لَذَّتِها ـ فِيما يَحِلُّ ويَجْمُل ـ ولَيْسَ لِلعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً[١] إلَّا في ثَلَاثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ خُطْوَةٍ في مَعَادٍ[٢]، أَوْ لَذَّةٍ في غَيْرِ مَحْرَمٍ[٣]. [ر ٢: ٢٤٤]

١٣١٦ ـ لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ[٤]. [ر ٢: ١٩٥]

١٣١٧ ـ لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ[٥]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٣١٨ ـ لَم يَهْلِكْ مَنِ اقْتَصَدَ، ولَم يَفْتَقِرْ مَنْ زَهِدَ[٦]. [ق: ٢٠]

١٣١٩ ـ لمَّا عَرَفَ أَهْلُ النَّقْصِ حَالَهُمْ عِندَ أَهْلِ الكَمَالِ، اسْتَعانُوا بالكِبْرِ؛ لِيُعَظِّمَ صَغِيراً، ويَرْفَعَ حَقِيراً.. ولَيْسَ بِفاعِلٍ[٧]. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٣٢٠ ـ لِنْ لِمَنْ خَالَطَكَ؛ فإنَّهُ يُوشِكُ أن يَلِينَ لَكَ. [ق: ٦٧]

١٣٢١ ـ لِنْ.. واحْلُم.. تَنْبُلْ[٨]، ولا تَكُنْ مُعْجِباً[٩] فتُمْقَتَ وتُمْتَهَنَ. [ح ٢٠: ٢٦١]

١٣٢٢ ـ لَنَا حَقٌّ.. فإن أُعْطِينَاه.. وإلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ، وإن طَالَ السُّرَى[١٠]. [ر ٢: ١٥٢]

١٣٢٣ ـ لِلنَّكَباتِ غَايَاتٌ تَنْتَهِي إلَيْها، ودَوَاؤُها الصَّبْرُ عَلَيْها، وتَرْكُ الحِيلَةِ في إزَالَتِها، فإنَّ الحِيلَةَ في إزَالَتِها قَبْلَ انْقِضَاءِ مُدَّتِها سَبَبٌ لِزِيادَتِها[١١]. [ح ٢٠: ٢٨١]

---

(١) شخص من بلد إلى بلد: ذهب وسار في ارتفاع.

(٢) المعاد: أي القيامة. (٣) المحرم: ما حرم الله تعالى.

(٤) إذا أحدث فيك ضياع المال بصيرة وحذراً، فما اكتسبته خير مما ضاع.

(٥) من لم يمت يعتبر موجوداً وإن طال غيابه وبعد مكانه.

(٦) لأنه يعيش بزهده في غنى عما بأيدي الناس.

(٧) ليس بفاعل: أي الكبر ـ لأنه يعجز عن أن يجعل الصغير عظيماً، والحقير رفيعاً، بل يزيدهما صغراً وحقارة، ورحم الله المتنبي حيث يقول:

وإني رأيتُ الضُّرَّ أحسنَ منظراً ... وأهونَ من مرأى صغيرٍ به كِبرُ

(٨) النبل: الفضل والنجابة والشرف. (٩) متكبراً مزهوًا بنفسك.

(١٠) في الكلام محذوف يفهم من المقام والأسلوب.. وتقديره: أخذناه.. (وهذا من لطيف الكلام وفصيحه.. ومعناه: أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالخادم والأسير ومن يجري مجراهما). وقد يكون المعنى: إن لم نعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه، وإن طالت الشقة، وركوب مؤخرات الإبل مما يشق احتماله والصبر عليه.

(١١) المفهوم: أن المراد بالنكبات هنا، ليست المصائب العادية، ولكنها إقبال الدول وإدبار بعضها، ومثل ذلك من الحوادث الجسام.

١٣٢٤ ـ لَهَبُ الشَّوْقِ أَخَفُّ مَحْمَلاً مِن مُقَاساةِ المَلاَلَةِ[١]. [ح ٢٠: ٢٦٣]

١٣٢٥ ـ وقال رضي اللّه عنه وقد توفي سهل بن حُنَيْف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين، وكان أحب الناس إليه:

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهافَتَ[٢]!!. [ر ٢: ١٧٤]

١٣٢٦ ـ لَوْ تَكاشَفْتُم لَمَا تَدافَنْتُم[٣]. [ح ٢٠: ٢٩٠]

١٣٢٧ ـ لَوْ تَمَيَّزَتِ الأشْيَاءُ: كانَ الكَذِبُ مَعَ الجُبْنِ، والصِّدْقُ مَعَ الشَّجاعَةِ، والرَّاحةُ مَعَ اليَأْسِ، والتَّعَبُ مَعَ الطَّمَعِ، والحِرْمانُ مَعَ الحِرْصِ، والذُّلُّ مَعَ الدَّيْنِ[٤]. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٣٢٨ ـ لَوْ رَأَى العَبْدُ الأَجَلَ ومَصِيرَهُ، لَأَبْغَضَ الأملَ وغُرُورَهُ. [ر ٢: ٢٣٠]

١٣٢٩ ـ لَوْ رَأَيْتَ مَا في مِيزَانِك، لَخَتَمْتَ عَلَى لِسانِك[٥]. [ح ٢٠: ٣١٦]

١٣٣٠ ـ لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ المُؤْمِنِ بِسَيْفِي هذا، عَلَى أن يُبغِضَنِي.. ما أَبْغَضَنِي[٦]، أَوْ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيا بِجُمَّاتِها[٧] عَلَى المُنافِقِ، عَلَى أن يُحِبَّنِي.. ما أَحَبَّنِي، وذٰلِكَ أنَّه قضِيَ فانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ أنه قَالَ: يا عَلِيُّ: لا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، ولا يُحِبُّكَ مُنافِقٌ. [ر ٢: ١٦٠]

١٣٣١ ـ لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتْ قَدَمايَ مِن هٰذِهِ المَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْياء[٨]. [ر ٢: ٢١٦]

---

(١) أي أن احتمال شدة شوقك إلى من يفارقك أو تفارقه، أهون من بقائه بجوارك مع الضجر والسآمة.

(٢) تهافت: تساقط بعد تصدعه. معنى ذلك: أن المحنة تغلظ عليه، فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار، المصطفين الأخيار.

(٣) أي لو صارح الناس بعضهم بعضاً بما يضمرون، ما مشى واحد منهم يشيع جنازة أخيه، أو يقف على قبره!! ولكن بالمداراة استطاعوا أن يتعاملوا.. وفي النفوس ما فيها.

(٤) الأخلاق كالناس في التحاب والتباغض، فكل خلق له خلق يألفه ويقع عليه.

(٥) أي لمنعته عن الكلام؛ لأن كل ما يتكلمه الإنسان محاسب عليه، وقد كان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقبض على لسانه ويقول: لقد أوردتني الموارد!!

(٦) الخيشوم: أصل الأنف.

(٧) الجمات جمع جمة بضم الجيم: وهي من الماء معظمه. أي لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها.. والسر في كراهة المنافقين للإمام: أنهم كانوا يكرهون الرسول ـ صلوات الله عليه ـ ولكنهم يكتمون ذلك جبناً، فنفسوا عن كراهتهم للرسول بكراهة ابن عمه وصهره وأبي ريحانتيه ويعسوب الإسلام.

(٨) المداحض: المزالق. يريد بها الفتن التي ثارت عليه، ويقول: إنه لو ثبتت قدماه في الأمر=

١٣٣٢ ـ لَوْ كَانَ أَحَدٌ مُكْتَفِياً مَن العِلْمِ لاكْتَفَى نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى؛ وَقَدْ سَمِعْتُمْ قَوْلَه: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[(١)]؟ [الكهف: ٦٦]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

١٣٣٣ ـ لَوْ كانَ الصَّبْرُ رَجُلًا لَكانَ رَجُلًا صَالِحاً. [ق: ٣٢]

١٣٣٤ ـ لَوْ كُسِرَتْ لِيَ الوِسَادَةُ[(٢)] لَقَضَيْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِم، وبَيْنَ أَهْلِ الإنجيلِ بإنْجِيلِهِم، وبَينَ أَهْلِ الفُرْقَانِ بفُرْقَانِهِم؛ حتَّى تُزْهِرَ[(٣)] تِلكَ القَضَايا إلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وتَقُولَ: يا رَبِّ؛ إنَّ عَلِيًّا قَضَى بَينَ خَلْقِكَ بِقَضَائِك. [ح ٢٠: ٢٨٣]

١٣٣٥ ـ لَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ ما ٱزْدَدْتُ يَقِيناً[(٤)]. [ز: ٢٨]

١٣٣٦ ـ لَوْلَا ثَلَاثٌ لَمْ يُسْلَلْ سَيْفٌ: سِلكٌ أَدَقُّ مِن سِلْكٍ، وَوَجْه أَصْبَحُ مِن وَجْهٍ، ولُقْمَةٌ أَسْوَغُ مَن لُقْمَةٍ[(٥)]. [ح ٢٠: ٢٩٤]

١٣٣٧ ـ لَوْلَا ضَعْفُ اليَقِينِ ما كانَ لَنا أن نَشْكُو مِحْنَةً يَسِيرَةً نَرْجُو في العَاجِلِ سُرْعَةَ زَوَالِها، وفِي الآجِلِ عَظِيمَ ثَوابِها، بَينَ أَضْعافِ نِعَمٍ لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ عَلَى إحْصَائِها ما وَفَوْا بها؛ فَضْلًا عَن القِيامِ بِشُكْرِها. [ح ٢٠: ٢٥٥]

١٣٣٨ ـ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِه، لَكانَ يَجِبُ أَلَا يُعْصَى؛ شُكْراً لِنِعَمِهِ[(٦)]. [ر ٢: ٢٢٠]

= وتفرغ، لغير أشياء من عادات الناس وأفكارهم التي تبعد عن الشرع الصحيح، وحملهم على الطريق السوي، ولكن الفتن شغلت وقته، وملكت عليه نفسه، وملأت قلبه بالهموم والغموم، حتى أراحه الله من دنيا لئيمة ليس لمثله مكان فيها، فاختار له ما عنده، وما عند الله خير وأبقى!!

(١) يقوله موسى للخضر عليه السلام وفيه أن المفضول قد يكون أعلم من الفاضل.

(٢) كسر الوسادة: ثناها واتكأ عليها؛ كناية عن الفراغ والخلو من العمل، والتفرغ للقضاء. والإمام هنا لا يفخر ولا يباهي، وإنما يتحدث بنعمة الله الذي جعله «باب مدينة العلم» وفيه يقول ابن عباس: والله لقد أعطي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركم في العشر العاشر.

(٣) تزهر: تضيء وتتلألأ.

(٤) أي لو رفع عنه الحجاب، ما زاد ذلك في إيمانه؛ لأن إيمانه قد تنامى وكمل.

(٥) السلك: جمع سلكة ـ بالكسر، وهي الخيط. وأصبح: أجمل: من الصباحة ـ بفتح الصاد ـ وهي الجمال. وأسوغ: أسهل مدخلًا في الحلق: من ساغ الشراب ـ فعل لازم ـ وساغه وأساغه غيره ـ فعل متعد ـ والرباعي أجود. والمعنى: أن سبب الحروب: منافسة الناس بعضهم لبعض في متع الحياة، وتزاحمهم على نعيمها.

(٦) التوعد: الوعيد. أي لو لم يوعد على معصيته بالعقاب، لكان حقاً ألا يعصى شكراً لأنعمه علينا، ولكنه ـ سبحانه ـ يرزقنا، ونتقوّى على معصيته برزقه!!

١٣٣٩ ـ لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ فَاتَهُ العِلْمُ؟! بَلْ أَيَّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ العِلْمَ[١]؟! [ح ٢٠: ٢٨٩]

١٣٤٠ ـ لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِن بَلَدٍ. خَيْرُ البِلَادِ مَا حَمَلَكَ[٢]. [ر ٢: ٢٥٤]

١٣٤١ ـ لَيْسَ الدِّينُ بالرَّأْيِ . . إِنَّما هُوَ اتِّبَاعٌ[٣]. [ق: ٣٢]

١٣٤٢ ـ لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَن تَسُوءَهُ[٤]. [ق: ٣١]

١٣٤٣ ـ لَيْسَ الحِلْمُ مَا كانَ حَالَ الرِّضَا، بَلِ الحِلْمُ مَا كانَ حَالَ الغَضَبِ[٥]. [ح ٢٠: ٣٠١]

١٣٤٤ ـ لَيْسَ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِن عَقْلٍ زَانَهُ عِلْمٌ، ومِن عِلْمٍ زانَهُ حِلْمٌ، ومِن حِلْمٍ زانَهُ صِدْقٌ، ومِن صِدْقٍ زانَهُ رِفْقٌ، ومِن رِفْقٍ زانَهُ تَقْوَى.

إِنَّ مَلَاكَ العَقْلِ ومَكارِمِ الأَخْلَاقِ: صَوْنُ العِرْضِ، والجَزَاءُ بالفَرْضِ[٦]، والأَخْذُ بالفَضْلِ[٧]، والوَفَاءُ بالعَهْدِ، والإنجازُ للوَعْدِ، ومَن حَاوَلَ أَمْراً بالمَعْصِيَةِ كانَ أَقْرَبَ إِلَى مَا يَخَافُ، وأَبْعَدَ مِمَّا يَرْجُو. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١٣٤٥ ـ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لِظَهْرِ إِبْلِيسَ مِن قَوْلِ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰه» كَلِمَةِ التَّقْوَى[٨]. [ح ٢٠: ٣١٦]

١٣٤٦ ـ لَيْسَ الصَّوْمُ الإِمْسَاكَ عَنِ المأْكَلِ والمَشْرَبِ، الصَّوْمُ الإِمْسَاكُ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ[٩]. [ح ٢٠: ٢٩٩]

---

(١) المراد: أن من فاته العلم لم يدرك شيئاً!! وحتى من أدرك العلم فاته شيء كثير! لأن العلم بحر لا ساحل له، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٢) يقول: كل البلاد تصلح سكناً وإنما أفضلها ما حملك: أي كنت فيه على راحة فكأنك محمول عليه، وفي هذا المعنى يقول المتنبي:

وما بلدُ الإنسان غيرُ الموافقِ ولا أهلُه الأدنَوْنَ غيرُ الأصادقِ

(٣) وهذا لا ينافي فكرة «الاجتهاد» في نطاق تعاليمه وقيوده ودواعيه.

(٤) والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾؟ [الرحمن: ٦٠].

(٥) أي لا يظهر الحلم إلا في حال الغضب؛ لأنه محكُ الحلم، كما لا تظهر الشجاعة إلا في الحرب، وغير ذلك محض ادعاء وافتراء.

(٦) الفرض: ما فرضته على نفسك فوهبته، أو جدت به لغير ثواب.

(٧) الأخذ بالفضل: أي أخذ العفو وعدم الاستقصاء، والرضاء بما يخف على الناس.

(٨) ورد: أن أكثر كلامه رضي الله عنه كان «لا إله إلا الله».

(٩) وما أحسن قول بعض الأندلسيين:

إذا لم يكنْ في السَّمعِ مني تصاوُنٌ وفي مقلَتي غضٌ، وفي مِقْولي صَمتُ

فحظِّي إذنْ مِنْ صومي الجوعُ والظَّما وإنْ قلتُ: إني صمتُ يوماً . . فما صُمتُ

١٣٤٧ ـ لَيْسَ في البَرْقِ الخَاطِفِ مُسْتَمْتَعٌ[١] لِمَنْ يَخُوضُ في الظُّلْمَةِ[٢]. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٣٤٨ ـ لَيْسَ فِي الحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ شَيْءٌ أَشْرَفَ مِن العَيْنِ، فَلَا تُعْطُوها سُؤْلَها[٣]، فَيَشْغَلَكُم عَن ذِكْرِ اللَّهِ. [ح ٢٠: ٢٦٢]

١٣٤٩ ـ لَيْسَ كُلُّ ذِي عَيْنٍ يُبْصِرُ، ولا كُلُّ ذِي أُذُنٍ يَسْمَعُ، فتَصَدَّقُوا عَلَى أُولِي العُقُولِ الزَّامِنَةِ[٤]، والأَلْبَابِ الحائِرَةِ؛ بالعُلُومِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ صَدَقَاتِكُم، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١٣٥٠ ـ لَيْسَ كُلُّ طالِبٍ يُصِيبُ، ولا كُلُّ غائِبٍ يَؤُوب[٥]. [ق: ٣١]

١٣٥١ ـ لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ[٦] تُصَابُ. [ق: ٣٢]

١٣٥٢ ـ لَيْسَ كُلُّ مَكْتُومٍ يَسُوغُ إِظْهارُه لَك، ولا كُلُّ مَعْلُومٍ يَجُوزُ أَن تُعْلِمَهُ غَيْرَك. [ح ٢٠: ٣٣٦]

١٣٥٣ ـ لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَاب. [ق: ٣٢]

١٣٥٤ ـ لَيْسَ كُلُّ مَن طَلَبَ وَجَدَ، ولا كلُّ مَنْ تَوَقَّى نَجا[٧]. [ق: ٣٢]

١٣٥٥ ـ لَيْسَ معَ الاخْتِلَافِ ائْتِلَافٌ. [ق: ٣١]

١٣٥٦ ـ لَيْسَ مَعَ الفُجُورِ[٨] نَمَاءٌ، ولا معَ العَدْلِ ظُلْم، ولا معَ القَتْلِ عَدْل، ولا معَ القَطِيعَةِ غِنًى[٩]. [ق: ٣٢]

---

(١) مستمتع: موضع متعة.

(٢) يعني أن النور القليل لا يجدي في الظلمات المتكاثفة.

(٣) السؤل كقفل وبدون همز: ما يسأله الإنسان. والمعنى: لا تمكن العين من كل ما تطمح إليه فتلهيك عن ذكر الله، وفي الحكمة: من كثرت لحظاته، دامت حسراته!! والنظرة الأولى لك، والثانية عليك. والله سبحانه يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ...﴾ [النور: ٣٠].

(٤) الزمانة: العاهة والآفة في الحيوانات، ورجل زمن كحذر: أي مبتلى بيّن الزمانة.

(٥) يؤوب: يرجع.

(٦) العورة هنا: الخلل في الثغر وغيره.

(٧) توقى: احترس.

(٨) الفجور: الفسوق. والنماء: الزيادة والربح.

(٩) القطيعة: ضد الصلة.

١٣٥٧ ـ لَيسَ مِن حُسْنِ التَّوَكُّلِ أن يُقَالَ العَاثِرُ عَثْرَةً، ثُمَّ يَرْكَبَها ثانِيَةً(١). [ح ٢٠: ٢٨٧]

١٣٥٨ ـ لَيسَ مِنَ الخَيْرِ أَن يَكْثُرَ مَالُك وَوَلَدُك، ولكِنَّ الخَيْرَ أَن يَكْثُرَ عِلْمُك، وأَن يَعْظُمَ حِلْمُك، وأن تُباهِيَ النَّاسَ بِعبادةِ رَبِّك، فإنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِن أَسأْتَ اَسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ، ولاَ خَيرَ في الدُّنيا إلّا لِرَجُلَيْن: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُو يَتَدارَكُ ذَلِك بِتَوْبَة، ورَجُلٌ يُسارِعُ في الخَيرَاتِ، ولاَ يَقِلُّ عَمَلٌ معَ تَقْوَى، فكَيْفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ؟ [ق: ١٤٠، ١٤١]

١٣٥٩ ـ لَيْسَ مِنَ العَدْلِ القَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بالظَّنِّ(٢). [ر ٢: ١٩٩]

١٣٦٠ ـ لَيسَ المُوْسِرُ مَنْ كانَ يَسَارُه باقِياً عِنْدَهُ زَماناً يَسِيراً، وكانَ يُمْكِنُ أن يَغْتَصِبَهُ غَيرُه مِنهُ، ولَا يَبْقَى بَعْدَ مَوْتِه لَهُ؛ لكِنِ اليَسَارُ ـ عَلَى الحَقِيقَةِ ـ هُوَ البَاقِي دَائِماً عِنْدَ مَالِكِه، ولَا يُمْكِنُ أن يُؤْخَذ مِنهُ، ويَبْقَى لَهُ بَعْدَ مَوْتِه. . وذَلِكَ هُوَ الحِكْمَةُ(٣). [ح ٢٠: ٢٦٢]

١٣٦١ ـ لَيسَ يَزْنِي فَرْجُك إن غَضَضْتَ طَرْفَك(٤). [ح ٢٠: ٣٢٤]

١٣٦٢ ـ لَيسَ يَضْبِطُ العَددَ الكَثِيرَ مَنْ لا يَضْبِطُ نَفْسَهُ الوَاحِدَةَ(٥). [ح ٢٠: ٣٣١]

١٣٦٣ ـ لَيسَ يَضُرُّكَ أن تَرَى صَدِيقَكَ عِندَ عَدُوِّكَ؛ فإنَّه إن لَم يَنْفَعْك لَم يَضُرَّكَ. [ح ٢٠: ٣٣٦]

١٣٦٤ ـ لَيسَ يَفْهَمُ كَلامَك مَن كانَ كلامُه لَك. . أَحَبُّ إلَيْهِ مِنَ الاسْتِمَاعِ مِنْكَ، ولَا يَعْلَمُ نَصِيحَتَك مَن غَلَبَ هَوَاهُ عَلَى رَأْيِك، ولَا يُسْلِمُ لَك مَن اَعْتَقَدَ أنَّهُ أتَمُّ مَعْرِفَةً بِمَا أَشَرتَ عَليهِ بهِ ـ مِنْكَ. [ح ٢٠: ٣٣٧]

---

(١) أقاله من عثرته: أقامه وأنهضه. وهو كما جاء في الأثر: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

(٢) الواثق بظنه واهم، فلا بدّ لمريد العدل من طلب اليقين بموجب الحكم.

(٣) المراد: أن المال عارية مستردة، وهو عرضة للضياع، ولا يبقى بعد موت صاحبه، ولكن الغنى الحقيقي ما يصحبك بعد موتك ويخلد خلود الأبد وهو الحكمة: قولاً نافعاً، وعملاً صالحاً.

(٤) لأن العين بريد القلب. والنظرة سهم مسموم من سهام الشيطان، وما أحسن قول من قال:

كلُّ الحوادثِ مَبْداها مِن النَّظرِ ... ومُعْظَمُ النارِ من مُسْتَصغَرِ الشَّررِ
كَمْ نظرةٍ فتكتْ في قلبِ صاحبِها ... فَتْكَ السهامِ بلا قَوسٍ ولا وَترِ
والمرءُ ما دامَ ذَا عينٍ يُقلِّبُها ... في أعيُنِ الغيدِ موقوفٌ على الخطرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَه ما ضرَّ مُهجتَه ... لا مَرحباً بسرورٍ جاءَ بالضَّررِ

(٥) ما أجمل هذه الحكمة نبراساً للرائد في جماعة، والرئيس في عمل، والراعي في رعية!

١٣٦٥ ـ لَيْسَ يَكْمُلُ فَضِيلَةُ الرَّجُلِ، حتّى يَكُونَ صَدِيقاً لِمُتَعادِيَيْنِ[١]. [ح ٢٠: ٣٣١]

١٣٦٦ ـ لَيْسَ يَنْبَغِي أَن يقَعَ التَّصْدِيقُ إِلّا بِمَا يَصِحُّ، ولَا العَمَلُ إِلّا بِمَا يَحِلُّ، ولَا الابْتِداءُ إِلّا بمَا تَحْسُنُ فيهِ العَاقِبَةُ. [ح ٢٠: ٣٣٤]

١٣٦٧ ـ لَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعاقِلِ أَن يَطْلُبَ طاعَةَ غيْرِه، وطَاعَةُ نَفْسِه عَلَيْهِ مُمْتَنِعَةٌ. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٣٦٨ ـ لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كالمُعَايَنَةِ معَ الإِبْصَارِ[٢] فَقَدْ تكْذِبُ العُيُونُ أَهْلَها، ولا يَغُشُّ العَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ. [ر ٢: ٢١٨]

١٣٦٩ ـ لِيَكُنْ أَصْدِقَاؤُكَ كَثِيراً. . واجْعَلْ سِرَّكَ مِنْهُمْ إِلَى وَاحِدٍ[٣]. [ح ٢٠: ٣٢٤]

---

(١) لأن ذلك يدل على سعة صدره، وطهارة نفسه، ورحابة أفقه، وقدرته على التوفيق بين المتضادين، وتساميه فوق المؤثرات الشخصية، والأغراض الذاتية؛ وربما استطاع بلباقته وكياسته التوفيق بينهما.

(٢) الروية: بفتح فكسر فتشديد: إعمال العقل في طلب الصواب، وهي أهدى إليه من المعاينة بالبصر، فإن البصر قد يكذب صاحبه فيريه العظيم البعيد صغيراً، وقد يريه المستقيم معوجاً كما في الماء، أما العقل فلا يغش من طلب نصيحته. وفي نسخة ليست الرؤية (بضم فهمز) مع الإبصار: أي أن الرؤية الصحيحة ليست هي رؤية البصر، وليس العلم قاصراً على شهود المحسوس؛ فإن البصر قد يغش، وإنما البصر بصر العقل فهو الذي لا يكذب ناصحه.
قال ابن أبي الحديد: قول الإمام من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أي ليس العمى عمى العين، بل إنه عمى القلب.

(٣) وقديماً قيل: السر إن جاوز الاثنين ضاع.

حرف الميم

١٣٧٠ ـ مَا أُبالِي باليَسِيرِ رُمِيتُ أَمْ بالعَسِيرِ؟ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي العُسْرِ الرِّضَا، وفِي اليُسْرِ الشُّكْرُ. [ق: ٢٣]

١٣٧١ ـ مَا ٱحْتَنَكَ(١) أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَحَبَّ الخَلْوَةَ والعُزْلَةَ(٢). [ح ٢٠: ٢٩١]

١٣٧٢ ـ مَا أَحْسَنَ تَواضُعَ الأَغْنِياءِ لِلْفُقَرَاءِ؛ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّه، وأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الفُقَراءِ عَلَى الأَغْنِياءِ؛ اتِّكالاً عَلَى اللَّهِ(٣). [ر ٢: ٢٤٦]

١٣٧٣ ـ ما أَحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ؛ إِلَّا أَنَّ فيهِ العَجْزَ، ومَا أَقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ؛ إِلَّا أَنَّ فيهِ الحَزْمَ. [ح ٢٠: ٢٩٤]

١٣٧٤ ـ ما اخْتَلَفَتْ دَعْوَتانِ إِلَّا كانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً(٤). [ر ٢: ١٩٢]

١٣٧٥ ـ ما أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الجَهْلِ أن يَتَعَلَّمُوا حتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ أَن يُعَلِّمُوا(٥). [ر ٢: ٢٦٢]

---

(١) احتنك من الحنكة كشعلة، وهي إحكام التجربة.

(٢) الخلوة والعزلة واجبة في اضطراب الأمور وحدوث الفتن، وهي تحلو عادة للحكماء والمتصوفة والعلماء؛ للقراءة والتأمل؛ وتحصيناً لأنفسهم عن الأذى والشر، وضناً بوقتهم أن يصرف فيما لا يفيد.

(٣) لأن تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله، فإنه بذلك قد أمات طمعاً، ومحا خوفاً، وصابر في يأس شديد.. ولا شيء من هذا في تواضع الغني. وما أحسن قول القاضي الجرجاني في تعزز الفقير:

وبيني وبينَ المال بابان حرّما ... عليّ الغنى: نفسي الأبيّةُ، والدهرُ
إذا قُدّموا بالوفر قُدّمتُ دُونَهم ... بنفسٍ فقيرٍ كلُّ أخلاقه وَفْرُ

(٤) المراد: الدعاوى الباطلة التي تتعلق بالأمور السياسية والطائفية لأن الحقّ لا يتعدد فيها، وقد جاء في الآثار أن هذه الأمة تفترق سبعين فرقة، وأنه يظهر فيها ثلاثون أو سبعون دجالاً، وناهيك بالخوارج قديماً وحديثاً!!

(٥) كما أوجب الله على الجاهل أن يتعلم أوجب على العالم أن يعلم، لأن هذا زكاة العلم، وقد جاء الوعيد الشديد في القرآن والسنة للذين يكتمون العلم!!

١٣٧٦ ـ ما أَخْسَرَ صَفْقَةَ المُلُوكِ، إلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، باعُوا الآخِرَةِ بِنَوْمَةٍ[١].
[ح ٢٠: ٣٤٦]

١٣٧٧ ـ ما اَسْتَغْنَى أحدٌ باللهِ، إلّا اَفْتَقَرَ النَّاس إِلَيْهِ. [ح ٢٠: ٣٣٠]

١٣٧٨ ـ ما اسْتَقْصَى كَرِيمٌ قَطُّ[٢]. قَالَ تَعَالَى فِي وَصفِ نَبِيِّهِ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]. [ح ٢٠: ٢٦٤]

١٣٧٩ ـ ما اسْتَوْدَعَ اللَّهُ اَمْرأً عَقْلاً.. إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً ما[٣]. [ر ٢: ٢٤٦]

١٣٨٠ ـ ما أَصَابَ أحدٌ ذَنْباً لَيْلاً.. إلَّا أَصْبَحَ وعَلَيهِ مَذَلَّتُه[٤]. [ح ٢٠: ٣١٥]

١٣٨١ ـ ما أَصْعَبَ اكْتِسَابَ الفَضَائِلِ.. وأَيْسَرَ إِتْلَافَها[٥]! [ح ٢٠: ٢٥٩]

١٣٨٢ ـ ما أَصْعَبَ عَلَى مَنِ اسْتَعْبَدَتْهُ الشَّهَوَاتُ أَنْ يَكُونَ فَاضِلاً[٦]. [ح ٢٠: ٢٥٨]

١٣٨٣ ـ وقال في وصف الدنيا:

ما أَصِفُ مِن دَارٍ أَوَّلُها عَناءٌ، وآخِرُها فَناءٌ؟.. في حَلَالِهَا حِسَابٌ، وفي حَرَامِها عِقابٌ، مَن صَحَّ فِيها أَمِن، ومَن مَرِضَ فِيها نَدِم، ومَنِ اَسْتَغْنَى

---

(١) المراد بالصفقة هنا: البيعة، وأصلها: صفق له بالبيع ـ من باب ضرب ـ وصفق يده بالبيعة وعلى يده، صفقاً وصفقة: ضرب يده على يده؛ وذلك عند وجوب البيع. وإنما كان الأمر كذلك؛ لأن الملوك ـ إلا من عصم الله كما يقول الإمام ـ يقضون أوقاتهم في اللهو واللعب، وتشغلهم أمور دنياهم عن آخرتهم، فيذهبون طيباتهم في حياتهم الدنيا.

(٢) الاستقصاء والتقصي: المبالغة في الشيء إلى الغاية، ومن عادة الكرام، ترك التشدد، واللين والسماحة والتجاوز. والشاعر يقول:

ولا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصِدْ كــلا طــرَفــي كــلِّ الأمــورِ ذمــيــمُ

(٣) أي أن الله لا يهب العقل إلا حيث يريد النجاة لصاحبه، فمتى أعطى شخصاً عقلاً خلصه به من شقاء الدارين.

(٤) من الأمور النفسية: أن الذنوب والخطايا تنضح على أصحابها وتفوح روائحها الكريهة فلا تخفى على أحد، وتلبس أهلها المسكنة والمهانة، وتنفر الناس منهم حتى قال بعض الصالحين: إني لأرى أثر المعصية في حرون دابتي، وقد نظر عثمان رضي الله عنه إلى بعض أصحابه وقال: يأتي أحدكم وعلى وجهه أثر المعصية. فقال الرجل: أكهانة يا أمير المؤمنين!! فقال: لا، ولكنها فراسة المؤمن!! وقد كان الرجل نظر إلى امرأة في الطريق.

(٥) لأن اكتساب الفضائل بناء يحتاج إلى اقتداء وممارسة وتعود ورياضة، ومصابرة ومراقبة، وإتلافها هدم، والهدم أيسر من البناء.

(٦) لأن الفضيلة أن تسمو على سلطان الشهوة، وذلك أمر صعب عسير على من أذلته شهوته، ولهذا يقولون: ما أشد فطام الكبير.!!

فِيها فُتِن، ومَن افْتَقَر فِيها حَزِن(١). [ك ١: ١٥٢]

١٣٨٤ ـ ما أَضْمَرَ أحدٌ شَيْئاً إلّا ظَهَرَ مِن فَلَتَاتِ لِسَانِه، وصَفَحَاتِ وَجْهِه(٢). [ق: ٢٣]

١٣٨٥ ـ ما أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَى مَن لَم يَكُنِ الحَقُّ نَعْلَيْ دَلِيلِه، وما أَوْحَشَها عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ أَنِيسَهُ! ومَنِ اعْتَزَّ بِغَيرِ عِزِّ اللَّهِ ذَلَّ، ومَن تَكَثَّرَ بِغَيرِ اللَّهِ قَلَّ. [ح ٢٠: ٣٤٧]

١٣٨٦ ـ ما أَعَالَ مَنِ اقْتَصَدَ(٣). [ر ٢: ١٨٣]

١٣٨٧ ـ ما أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِندَ الحَاجَةِ، والجَفَاءَ عِندَ الغِنَى. [ق: ٢٢]

١٣٨٨ ـ ما أَقْبَحَ القَطِيعَةَ بَعْدَ الصِّلَة، والجَفاءَ بَعدَ الإخاءِ، والعَدَاوَةَ بَعدَ المَوَدَّةِ، والخِيانَةَ لِمَنِ ائْتَمَنك، والغَدْرَ لِمنِ اسْتَسْلَمَ إِلَيْك. [ق: ٢٢]

١٣٨٩ ـ ما أَقْبَحَ بالصَّبِيحِ الوَجْه أَن يَكُونَ جاهِلاً(٤): كَدَارٍ حَسَنَةِ البِنَاء، وسَاكِنُها شَرٌّ، وكَجَنَّةٍ يَعْمُرُها بُومٌ، أَوْ صِرْمَةٍ(٥) يَحْرُسُها ذِئْبٌ. [ح ٢٠: ٣٠٦]

١٣٩٠ ـ ما أَقْبَح بِكَ أَن يُنَادَى غَداً: يا أَهْلَ خَطِيئَةِ كَذَا؛ فَتَقُومَ مَعَهُمْ، ثُمَّ يُنادَى ثانِياً: يا أَهْلَ خَطِيئَةِ كَذَا؛ فَتَقُومَ مَعَهُمْ. . . ما أَرَاكَ يا مِسْكِينُ إِلّا تَقُومُ معَ أَهْلِ كُلِّ خَطِيئَةٍ. [ح ٢٠: ٣١٥]

١٣٩١ ـ ما أَكْثَرَ العِبَرَ، وأَقَلَّ الاعْتِبارَ(٦). [ر ٢: ٢٢٢]

١٣٩٢ ـ ما انْتَقَمَ الإنسانُ مِن عَدُوِّه بأَعْظَمَ مِن أَنْ يَزْدادَ مِن الفَضَائِلِ. [ح ٢٠: ٣٣٣]

١٣٩٣ ـ ما أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً، فَشَكَرَها بقَلْبِه إِلّا اسْتَوْجَبَ المَزِيدَ مِنها، قَبْلَ أَنْ يَظْهَر شُكْرُها عَلَى لِسَانِه. [ق: ٣٣]

---

(١) المراد بالدنيا هنا: الدنيا المذمومة التي تتلف الدين وتنسي الآخرة، وإلا فقد مدح الإمام الدنيا في غير موضع من كلامه.

(٢) لأن الألسنة ترجمان النفوس، والوجوه مراياها.

(٣) العيلة ـ بفتح فسكون ـ والعالة: الفاقة؛ يقال: عال يعيل عيلة وعيولاً: ـ بضم العين ـ إذا افتقر فهو عائل ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٢] وأعال الرجل أيضاً: افتقر، وصار ذا عيال، وكثرت عياله. ورواية ابن أبي الحديد: عالٍ.

(٤) الصبيح الوجه: الجميل.

(٥) الصرمة بكسر الصاد ـ: القطعة من الإبل وقد اختلفوا في عددها ما بين عشرة إلى خمسين.

(٦) أي العظات كثيرة، ولكن الاتعاظ قليل؛ لقسوة القلوب وعمى البصائر!!

١٣٩٤ ـ ما أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ اليَوْمِ[١]. [ر ٢: ٢٥٤]

١٣٩٥ ـ ما أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بعْدَه حتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ[٢]. [ر ٢: ٢٢٢]

١٣٩٦ ـ ما أَوْضَحَ الحَقَّ لِذِي عَيْنَيْنِ[٣]. [ق: ٢٣]

١٣٩٧ ـ وقال رضي الله عنه: لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنباري فخرج بنفسه ماشياً. . حتى أتى النخيلة[٤] فأدركه الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم. . فقال رضي الله عنه:

ما تَكْفُون أنفُسَكُم. . فَكَيْفَ تكْفونِي غَيْرَكُم. إن كانَتِ الرَّعَايا قَبْلِي لتَشْكُو حَيْفَ رُعاتِها. . وإِنَّنِي لأشْكو حَيْفَ رَعِيَّتِي. . كأَنَّنِي المَقُودُ وهُمُ القَادَةُ، أَوْ المَوْزُوعُ وَهُم الوَزَعَةُ[٥]. [ر ٢: ٢١٢]

١٣٩٨ ـ ما الحِيلَةُ فِيما أَعْنَى[٦] إلَّا الكَفُّ عَنْهُ، ولا الرَّأْيُ فِيما لا يُنَالُ إلَّا اليَأْسُ مِنْهُ[٧]. [ح ٢٠: ٢٩٤]

١٣٩٩ ـ ما خَابَ مَنِ ٱسْتَخَارَ[٨]. [ح ٢٠: ٣٠٧]

١٤٠٠ ـ ما خَافَ امْرُؤٌ عَدَلَ في حُكْمِه، وأَطْعَمَ مِن قُوتِه، وَذَخَرَ مِن دُنْيَاهُ لِآخِرَتِه. [ح ٢٠: ٢٥٥]

١٤٠١ ـ ما خَيرٌ. . بخَيرٍ بَعْدَهُ النَّار؟ وما شَرٌّ. . بِشَرٍّ بَعدهُ الجَنَّة[٩]؟ وكلُّ نَعِيمٍ

---

(١) قد يجمع العازم عزمه على أمر فإذا نام وقام وجد الانحلال في عزيمته، أو يغلبه النوم على إمضاء عزيمته.

(٢) أي لا ينبغي للإنسان أن يحزن إذا فعل ذنباً، وأعطي مهلة من الأجل بعده فصلى ركعتين؛ لأن ذلك تحقيق للتوبة، والله يقبل التوبة عن عباده، وهو الغفور الرحيم.

(٣) الحق أبيض أبلج وهو لا يخفى على من له نظر، ولكن تحجبه الأهواء الدّنسة، والأغراض الباطلة.

(٤) النخيلة بضم ففتح: موضع بالعراق اقتتل فيه الإمام مع الخوارج بعد صفين.

(٥) المقود اسم مفعول والقادة جمع قائد، والوزعة محركة: جمع وازع بمعنى الحاكم، والموزوع: المحكوم.

(٦) أعناه الأمر: أنصبه وأتعبه.

(٧) فإن اليأس إحدى الراحتين.

(٨) استخار: طلب الخيرة ـ بكسر الخاء ـ وهي الاسم من خار الله له في الأمر: اختار. ويقال: استخر الله يخر لك.

(٩) ما استفهامية إنكارية: أي لا خير ـ فيما يسميه أهل الشهوة خيراً ـ من الكسب بغير الحق والتغلب بغير شرح؛ حيث إن وراء ذلك النار، ولا شر ـ فيما يدعوه الجهلة شراً ـ من الفقر أو=

دُونَ الجَنَّةِ فَهُو مَحْقُورٌ، وكلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عافِيَةٌ. [ر ٢: ٢٤٣]

١٤٠٢ ـ ما خَيرُ خَيرٍ لَا يُنَالُ إلَّا بِشَرّ؟ ويُسْرٍ لَا يُنَالُ إلَّا بِعُسْرٍ؟ [ق: ٢٢]

١٤٠٣ ـ ما رَدَّ أَحَدٌ أَحَداً عَن حَاجَةٍ إِلَّا وتَبَيَّنَ العِزُّ في قَفَاهُ، والذُّلُّ في وَجْهِهِ[١]. [ح ٢٠: ٢٩٠]

١٤٠٤ ـ ما زِلْتُ مَظْلُوماً مُنْذُ قَبضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ حتَّى يوْمِ النَّاسِ هٰذا؛ ولَقَدْ كُنْتُ أُظْلَمُ قَبْلَ ظُهُورِ الإسْلَامِ، وَلَقَدْ كانَ أخِي عَقِيلٌ. يُذْنِبُ أخِي جَعْفَرُ.. فيَضْرِبُني[٢]. [ح ٢٠: ٢٨٣]

١٤٠٥ ـ ما زَنَى غَيُورٌ قَطُّ[٣]. [ر ٢: ٢٢٣]

١٤٠٦ ـ ما السَّيْفُ الصَّارِمُ في كَفِّ الشُّجَاعِ بِأَعَزَّ لَهُ مِن الصِّدْقِ. [ح ٢٠: ٢٩٦]

١٤٠٧ ـ ما شَكَكْتُ في الحَقِّ مذ أُرِيتُهُ. [ر ٢: ١٩٢]

١٤٠٨ ـ ما شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِن لِسَانٍ[٤]. [ح ٢٠: ٢٦٣]

١٤٠٩ ـ ما شَيءٌ أَهْوَنَ مِن وَرَعٍ؛ إذا رَابَكَ أَمْرٌ فدَعْهُ[٥]. [ح ٢٠: ٢٨٨]

= الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة؛ فوراء ذلك الجنة ـ والمحقور: الحقير المحقر.

(١) تبين: فعل لازم ومتعد، وهو هنا لازم؛ بمعنى: بان وظهر: أي المردود عن حاجته يظهر الذل في وجهه لخيبته، ولكن يظهر العز في قفاه؛ كناية عن أن الله سيعوضه عما فاته من هذا المسؤول البخيل.

(٢) بعض الأخيار يهضمون في دنياهم فلا يصيبون منها خيراً، ويسوء حظهم فيها فلا يجنون منها غير النكد، والإمام أوضح مثال لذلك، وحسبه ما ادخره الله له ولأمثاله من الجزاء الأوفى في الآخرة، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

(٣) لأن الغيور كما يغار على عرضه؛ يغار على أعراض الناس فيصونها.

والشاعر العصري يقول:

الطَّاهرُ العَفُّ الإزار ـ كعرضه ـ   تحت الصِّيانة مِنهُ.. عِرضُ الجارِ

(٤) ومن هنا قالوا: سلامة الإنسان في حفظ اللسان!؟

وقال الشاعر:

إحفَظ لسانك أيُّها الإنسانُ   لا يَلدَغنَّك إنَّهُ ثعبانُ

وقال آخر:

فعَثرتُهُ من فيهِ تَرمي برأسِهِ   وعثرته بالرِّجلِ تَبرا على مَهلِ

(٥) الريب ـ كغيب ـ: الشك، والريبة ـ بكسر الراء: التهمة والشك. وإذا رابك: إذا رأيت منه ما يثير الشك والكراهية، وفي الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وتركنا ما يريب يهدينا طريق الورع والاستقامة.

١٤١٠ ـ ما ضَرَبَ اللَّهُ العِبَادَ بِسَوْطٍ أَوْجَعَ مِنَ الفَقْرِ(١). [ح ٢٠: ٣٠١]

١٤١١ ـ ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ.. والغَالِبُ بالشَّرِّ مَغْلُوب(٢). [ر ٢: ٢٢٨]

١٤١٢ ـ ما عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ(٣). [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٤١٣ ـ وقال لغالب بن صعصعة ـ أبي الفرزدق ـ في كلام دار بينهما:

ما فَعَلَتْ إِبِلُكَ الكَثِيرَةُ؟

قال: زعزعتها الحقوق يا أمير المؤمنين.

فقال رضي الله عنه:

ذَٰلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا(٤). [ر ٢: ٢٥٥]

١٤١٤ ـ ما قَالَ النَّاسُ لِشَيءٍ: طُوبَى لَهُ.. إِلَّا وقَد خَبَّأَ لَهُ الدَّهْرُ يَومَ سُوءٍ(٥). [ر ٢: ٢١٩]

١٤١٥ ـ ما كانَ اللَّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبدٍ بابَ الشُّكْرِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بابَ الزِّيادَةِ؛ وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بابَ الدُّعاءِ.. ويُغْلِقَ عنهُ بابَ الإجابَةِ، ولَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بابَ التَّوْبَةِ.. ويُغلِقَ عَنهُ بابَ المَغْفِرَةِ(٦). [ر ٢: ٢٥٣]

---

(١) الفقر: جند الله الأكبر يذلّ به من يشاء من عباده وكاد الفقر أن يكون كفراً ـ كما جاء في الآثار ـ.

(٢) إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم واقتراف معصية؛ فإنك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية، فألقت بك إلى النار؛ فأنت الخاسر في صورة الظافر!! على هذا قوله: الغالب بالشر مغلوب.

(٣) التقريع: التعنيف: أي يجب أن ينزه العفو عن التوبيخ، حتى يكون صافياً من الشوائب؛ لأن التوبيخ يساوي عدم العفو!!

(٤) زعزع المال: فرقه وبدده.. أي فرقت إبلي حقوق الزكاة والصدقات، وذلك أحمد سبلها، جمع سبيل: أي أفضل طرقها؛ لأن المال يفنى، والثواب والذكر الحسن باقيان.

يقول الشاعر العصري:

زَعزَعت مالَه ـ على واسع الشر وة ـ جدواه، والمعالي مغارمْ

(٥) الطوبى: الطيب ـ بكسر الطاء، وجمع الطيبة ـ بتشديد الياء ـ وتأنيث الأطيب والحسنى، والخير، والخيرة ـ بكسر الخاء، وشجرة في الجنة، وطوبى لك وطوباك: لغتان، أو طوباك: لحن.

والمعنى: ما استحسن الناس شيئاً واستطابوه إلا كانت له خاتمة سيئة: أي إنّ الرفعة في الدنيا يعقبها الخفض، والنعيم يتلوه البؤس.

(٦) المعنى: أن الله سبحانه متفضل على عباده، رحيم بهم، ناظر إليهم لا يمسك رحمته عنهم، ولا يضن بأنعمه عليهم. وهو تعالى يقول: ﴿... لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. ويقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ويقول جلّ شأنه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

١٤١٦ ـ ما كَذَبْتُ، ولَا ضَلَلْتُ. . ولَا ضُلَّ بِي[١]. [ر ٢: ١٩٢]

١٤١٧ ـ ما كُلُّ ما تَخْشَى يَكُون. [ق: ٢٢]

١٤١٨ ـ ما كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ[٢]. [ر ٢: ١٥١]

١٤١٩ ـ ما كُنتَ كاتِمَهُ عَدُوَّك مِن سِرٍّ. . فَلَا تُطْلِعَنَّ عَليهِ صَدِيقَك[٣]، واْعْرِفْ قَدْرَك. . يَسْتَعْلِ أَمْرُك، وكَفَى ما مَضَى مُخْبِراً عَمَّا بَقِي. . ! [ح ٢٠: ٢٦٠]

١٤٢٠ ـ ما لابْنِ آدَمَ والفَخْرَ! وإِنَّما أَوَّلُه نُطْفَةٌ، وآخِرُهُ جِيفَةٌ[٤]، ولَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، ولَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ. [ك ٢: ١٤]

١٤٢١ ـ وقيل له: بأي شيء غلبت الأقران؟ فقال:

ما لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أعانَنِي عَلَى نَفْسِه. يُومِئُ بِذَلِك إِلى تَمَكُّنِ هَيْبَتِه في القُلُوبِ[٥]. [ر ٢: ٢٢٦]

١٤٢٢ ـ وقال (وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله):

مالِكٌ. . وما مَالِك[٦]؟ لَوْ كانَ جَبَلًا لَكانَ فِنْداً[٧]، لَا يَرْتَقِيه الحَافِرُ، ولَا يُوفِي عَليهِ الطَّائِرُ[٨]. [ر ٢: ٢٥٤]

---

(١) يتحدث الإمام بنعمة ربه عليه: بأنه لم يكذب، ولم يضل بذاته، ولا حمله إنسان على الضلال.

(٢) المفتون: الضال والآثم والمكابر، والمراد هنا: الضال. أي لا يتوجه العتاب واللوم على كل داخل في فتنة؛ فقد يدخل فيها من لا محيص له عنها؛ لأمر اضطره. فلا لوم عليه.

(٣) لأن صديق اليوم قد ينقلب عدواً في المستقبل، فيعرف مقاتلك ومواطن أسرارك وتذكر دائماً قول الشاعر:

احـــذر عـــدوك مـــرة ... واحـــذر صـديـقـك ألـف مـرة

(٤) وفي مثل ذلك يقول الشاعر:

عَجِبتُ من مُعجَبٍ بصُورته ... وكان بالأمس نُطفةً مَذِرَهْ

وفي غد بعد حُسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذره

وهو ـ على تيهه ونخوته ـ ... ما بين ثوبيه يحمل العذره

(٥) كان الإمام يخرج لعدوه وهو يعتقد أنه سيغلبه، وعدوه يعتقد أنه مغلوب له، فكأن الإمام وخصمه على هذا الخصم وويل لمن خذلته نفسه!!

وقريب من هذا قول عنترة العبسيّ ـ وقد قيل له بم كنت تنتصر على عدوك؟ ـ فأجاب: كنت أعتمد الرجل الجبان، فأضربه ضربة يطير لها عقل الشجاع.

(٦) مالك هو: الأشتر النخعي التابعي الشاعر.

(٧) الفند بكسر الفاء: الجبل العظيم المنفرد من الجبال، والجملتان بعده كناية عن رفعته وامتناع همته.

(٨) أوفى عليه: وصل إليه.

١٤٢٣ ـ مَا لِي أَرَى النَّاسَ إذا قُرِّبَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ لَيْلًا تَكَلَّفُوا إنارَةَ المَصَابِيحِ؛ لِيُبْصِرُوا ما يُدْخِلُونَ بُطُونَهُم، ولا يَهْتَمُّونَ بِغِذاءِ النُّفُوسِ.. بأَنْ يُنِيرُوا مَصَابِيحَ أَلْبَابِهِم بالعِلْمِ؛ لِيَسْلَمُوا مِن لَواحِقِ الجَهالَةِ والذُّنوبِ في اعْتِقَادَاتِهِم وأَعْمالِهِم؟؟.. [ح ٢٠: ٢٦١]

١٤٢٤ ـ ما مَاتَ مَنْ أَحْيَا عِلْماً، ولَا ٱفْتَقَرَ مَنْ مَلَكَ فَهْماً. [ح ٢٠: ٢٦٨]

١٤٢٥ ـ ما المُبْتَلَى الَّذِي قَد اشْتَدَّ بِهِ البَلَاءُ بأَحْوَجَ إلى الدُّعاءِ مِنَ المُعَافَى الَّذِي يَأْمَنُ البَلَاء(١). [ح ٢: ٢٢٣]

١٤٢٦ ـ ما مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً.. إلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِه مَجَّةً(٢). [ر ٢: ١٥٥]

١٤٢٧ ـ ما مِنْ عَبْدٍ إلَّا ومَعَهُ مَلَكٌ يَقِيهِ ما لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، فإذا جَاءَ القَدَرُ خَلَّاهُ وإِيَّاه. [ح ٢٠: ٢٧٠]

١٤٢٨ ـ مَا مِن يَوْمٍ إلَّا يَتَصَفَّحُ مَلَكُ المَوْتِ فِيهِ وُجُوهَ الخَلَائِقِ، فَمَنْ رَآهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ أَوْ لَهْوٍ، أَوْ رَآهُ ضَاحِكاً فَرِحاً، قَالَ لَهُ: يا مِسْكِينُ.. ما أَغْفَلَكَ عَمَّا يُرادُ بِكَ! اِعْمَلْ ما شِئْتَ، فإنَّ لِي فِيكَ غَمْزَةً أَقْطَعُ بها وَتِينَكَ(٣). [ح ٢٠: ٣٤٦]

١٤٢٩ ـ ما نَجا مَنْ نَجا بِفِيهِ(٤). [س: ٣٤٥]

١٤٣٠ ـ ما هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ(٥). [ك: ٢٨]

١٤٣١ ـ ما وَضَعَ أَحَدٌ يَدَهُ في طَعَامِ أَحَدٍ إلَّا ذَلَّ لَهُ(٦). [ح ٢٠: ٢٩١]

---

(١) لأن المعافى من البلاء عرضة للبلاء، وصدق الشاعر:

وكم مِنْ صَحيحٍ ماتَ من غير علّةٍ ... وكمْ من سقيم عاشَ دهراً إلى دَهْرِ

(٢) المزح كمدح، والمزاحة والمزاح ـ بضم الميم ـ: المداعبة والمضاحكة بالقول والفعل. والمج: الرمي. والمراد بالمزح هنا: المزح الخارج عن حد الأدب، والبعيد عن الصدق، والخادش للإحساس، وقديماً قالوا: لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك، وأما المزح المعتدل اللطيف الذي يروح عن النفس ويدخل عليها السرور فلا بأس به.

(٣) الغمزة: الشدة، وجمعها غمزات، والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه «الأورطي». وما قاله الإمام يمكن أن يكون حقيقة؛ فإنه لا مانع منه، ويصح أن يكون تمثيلًا لقرب الموت، وتحقق مجيئه وغفلة الناس عنه.

(٤) أي إن النجاة من التبعات لا تكون بالكلام المزوق، ولكن بالعمل الصالح المثمر.

(٥) لأن معرفة الإنسان قدره، تجعله لا يتجاوز طوره، ولا يتعدى مرتبته، فلا يلحقه ضرر.

(٦) يريد الإمام: في غير المتساوين من الناس وغير الأصدقاء، والمثل العامي يقول: أطعم الفم تستح العين.

١٤٣٢ ـ ما يَسُرُّنِي أَنّي كُفِيتُ أَمْرَ الدُّنيا كُلَّه، لِأَني أَكْرَهُ عادَةَ العَجْزِ[١]. [ح ٢٠: ٣٣٥]

١٤٣٣ ـ وقال ـ وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار[٢]، فترجَّلوا له، واشتدوا[٣] بين يديه: ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا: خُلُقٌ منّا نعظِّم به أمراءنا ـ فقال:

واللّهِ ما ينْتَفِعُ بِهٰذا أُمَراؤُكم، وإنَّكُم لتَشُقُّون عَلَى أَنْفُسِكُم[٤] في دُنْياكُم، وتَشْقَوْن بهِ في آخِرَتِكُم، وما أَخْسَرَ المَشَقَّةَ وَراءَها العِقَابُ، وأَرْبَحَ الدَّعةَ[٥] وَرَاءَها الأَمانُ مِنَ النَّارِ. [ر ٢: ١٥٧]

١٤٣٤ ـ مرَّ بدَارٍ بالكوفة في مُرادٍ تُبنى فوقعَتْ منها شَظِيَّةٌ[٦] على صَلعته فأدمَتْها، فقال:

ما يَوْمِي مِن مُرادٍ بواحِدٍ[٧]: اللّٰهُمَّ لا تَرْفَعْها[٨]، قالُوا: فواللّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا تِلكَ الدَّارَ بَيْنَ الدُّورِ كالشَّاةِ الجَمَّاءِ[٩] بَيْنَ الغَنَمِ ذَوَاتِ القُرُون. [ح ٢٠: ٢٨٣]

١٤٣٥ ـ ماءُ وَجْهِكَ جامِدٌ يُقْطِرُه السُّؤال، فانْظُرْ عِندَ مَنْ تُقْطِرُه[١٠]. [ر ٢: ٢٣٢]

١٤٣٦ ـ المَاضِي قَبْلَكَ هُوَ البَاقِي بَعْدَك، والتَّهْنِئَةُ بآجِلِ الثَّوابِ، أَوْلَى مِن التَّعْزِيةِ بِعاجِلِ المُصَاب. [ح ٢٠: ٣٣٠]

١٤٣٧ ـ المَالُ مادَّةُ الشَّهَواتِ[١١]. [ر ٢: ١٦١]

---

(١) عظة رائعة تساق إلى العجزة والمتواكلين والقاعدين والنوام والعاطلين بالوراثة.

(٢) الدهاقنة والدهاقين: جمع دهقان ـ بكسر الدال وضمها ـ زعيم الفلاحين في العجم، ورئيس الإقليم «معرب»، والأنبار من بلاد العراق، وترجلوا: أي نزلوا عن خيولهم مشاة.

(٣) اشتدوا: أسرعوا.

(٤) تشقون: بضم الشين وتشديد القاف من المشقة. وتشقون الثانية ـ بسكون الشين ـ من الشقاوة.

(٥) الدعة محركة: الراحة.

(٦) الشظية: الفلقة من العصا.

(٧) مراد: قبيلة عربية منها أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام!!

(٨) لا ترفعها: لا تطل بنيانها.

(٩) شاة جمّاء: لا قرون لها. وقد استجاب اللّه دعاء الإمام كرامة له، ولم يدع الإمام عليها إلا لمعرفته بأنها دار سوء لم تبن على التقوى!!

(١٠) المراد: ماء الوجه عزيز يجب صونه، فلا ترق منه قطرة إلا عند كريم حيي يكرم الناس ويحفظهم من الابتذال، ويقول بعض العصريين في هذا المعنى:

وابْخَلْ بماءِ الوجهِ لا تسمحْ به ... فالسَّيفُ لولا الماءُ كالسِّكِّين

(١١) لأن المال يغري الإنسان بالجري وراء الشهوات والآثام؛ إلا من عصم اللّه.

١٤٣٨ ـ وكان رضي الله عنه يقول:

مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إذا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الانْتِقَامِ، فيُقَالَ لِي: لَوْ صَبَرْتَ. أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيهِ، فيُقَالَ لِي: لَوْ عَفَوْتَ[(١)]. [ر ٢: ١٩٤]

١٤٣٩ ـ المُتَعَبِّدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهٍ كَحِمَارِ الرَّحَى، يَدُورُ ولَا يَبْرَحُ[(٢)]. [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٤٤٠ ـ المتَواضِعُ كالوَهْدَةِ[(٣)] يجتَمِعُ فِيها قَطْرُها وقَطْرُ غَيرِها[(٤)]، والمُتَكَبِّرُ كالرَّبْوَةِ[(٥)] لا يَقِرُّ عَلَيْها قَطْرُها ولَا قَطْرُ غَيرِها. [ح ٢٠: ٢٨٨]

١٤٤١ ـ مَثَلُ الإنْسَانِ الحَصِيفِ[(٦)] مَثَلُ الجِسْمِ الصُّلْبِ الكَثِيفِ، يَسْخُنُ بَطِيئاً، وتَبْرُدُ تِلكَ السُّخُونَةُ بأَطْوَلَ مِن ذَلِكَ الزَّمان. [ح ٢٠: ٢٧٥]

١٤٤٢ ـ مَثَلُ الدُّنيا كمَثَلِ الحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّها؛ والسُّمُّ النَّاقِعُ[(٧)] في جَوْفِها، يَهْوِي إلَيْها الغِرُّ[(٨)] الجاهِلُ، ويَحْذَرُها ذُو اللُّبِّ العَاقِلُ. [ر ٢: ١٧٦]

١٤٤٣ ـ مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ[(٩)]: رِيحُها طَيِّبٌ، وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرآن كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُها طَيِّبٌ، وطَعْمُها مُرٌّ. ومَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الحَنظَلَةِ: طَعْمُها مُرٌّ. ولَا رِيحَ لَها. [ح ٢٠: ٢٧٩]

---

(١) أي لا يحصل التشفي على أي حال لمن كان مثله: أما في حال العجز فالصبر أشفى، وأما عند القدرة فالعفو أجمل؛ فالكريم يموت بغيظه كما يقولون.

(٢) العبادة على غير فقه لا تنتج فائدة، ولا توصل إلى غاية، بل لعلها تردي صاحبها!! ومن هنا صح هذا التمثيل العبقري.

(٣) الوهدة ـ كوردة ـ: المكان المطمئن، والجمع: وهد ـ كورد ـ ووهاد.

(٤) القطر: المطر.

(٥) الربوة ـ مثلثة الراء ـ والرباوة، بفتح الراء، والرابية: المكان المرتفع، والمعنى: أن المتواضع يحبه أهله وغيرهم، والمتكبر ينفر منه أهله وغيرهم.

(٦) الحصيف: المتمكن من نفسه، المستحكم عقله. والمراد: أن الحصيف قوي النفس، مستحكم العقل، صبور على الشدائد، لا تؤثر فيه الأحداث ولا يستكين لها.

(٧) السم الناقع: البالغ الثابت.

(٨) الغر بكسر الغين، والغرير ـ كسمير ـ: غير المجرب.

(٩) الأترجة والأترج والترنجة والترنج، وفي القاموس: أنه يجلو اللون والكلف، وقشره في الثياب يمنع السوس، وحكى الجلال في التوشيح: أن الجن لا تدخل بيتاً فيه أترجة ومن هنا تظهر حكمة تشبيه قارئ القرآن بالأترج كما في الأحاديث.

١٤٤٤ ـ مُجاوَزَتُكَ ما يَكْفِيكَ.. فَقْرٌ لَا مُنْتَهى لَهُ[١]. [ح ٢٠: ٢٨٨]

١٤٤٥ ـ مُحِبُّ الدَّراهِم مَعْذُورٌ وإنْ أَدْنَتْهُ مِنَ الدُّنْيا؛ لِأَنَّها صَانَتْهُ عَنْ أَبْناءِ الدُّنْيا[٢]. [ح ٢٠: ٢٩٢]

١٤٤٦ ـ المَحْرُومُ مَنْ طَالَ نَصَبُه[٣]، وكانَ لِغَيْرِه مَكْسَبُه. [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٤٤٧ ـ مُخُّ الإِيمَان التَّقْوَى والوَرَع، وهُمَا مِن أَفْعَالِ القُلُوبِ، وأَحْسَنُ أَفْعَالِ الجَوَارِح أَلّا تَزَالَ مَالِئاً فَاكَ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَه. [ح ٢٠: ٣٤٧]

١٤٤٨ ـ مُرْ بالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِن أَهْلِه، وأَنْكِرِ المُنْكَرَ بِلِسَانِك ويَدِك، وبَايِنْ[٤] مَن فَعَلَهُ بجَهْدِك[٥]. [ق: ٧١]

١٤٤٩ ـ المَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّه. [ق: ١٦]

١٤٥٠ ـ المَرْءُ عَدُوٌّ ما جَهِلَ. [ز: ٢٩]

١٤٥١ ـ المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحتَ لِسَانِه[٦]. [ر ٢: ١٨٦]

١٤٥٢ ـ المَرْأَةُ تَكْتُمُ الحُبَّ أَرْبَعِينَ سَنةً، ولا تَكْتُمُ البُغْضَ ساعَةً وَاحِدَةً. [ح ٢٠: ٢٩١]

١٤٥٣ ـ المِرْآة الَّتي يَنْظُرُ فِيها الإنْسَانُ إِلى أَخْلاقِه هِيَ النَّاسُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَحَاسِنَهُ مِن أَوْلِيائِه مِنْهُم، ومَسَاوِيَهُ مِن أَعْدائِه فيهمْ[٧]. [ح ٢٠: ٢٧١]

١٤٥٤ ـ مَرارَةُ الدُّنْيا حَلاوَةُ الآخِرَة، وحَلاوَةُ الدُّنْيا مَرارَةُ الآخِرَة[٨]. [ر ٢: ٢٠٥]

١٤٥٥ ـ مَرْتَبَةُ الرَّجُلِ بِحُسْنِ عَقْلِه. [ق: ١٩]

---

(١) لأن ذلك إسراف؛ والإسراف غايته الفقر.

(٢) بشرط أن يكسبها من طريق شريف حلال.

(٣) النصب: التعب. والمراد هنا: تصوير من يجمع المال ويضن به على نفسه وأهله ووطنه.. فيكون مصير مكسبه في النهاية لغيره من حارس أو وارث.

(٤) باين: فارق واهجر. أي اجتهد ما استطعت في البعد عن فاعل المنكر.

(٥) الجهد ـ بالفتح ويضم ـ: الطاقة.

(٦) إنما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه، فكأنه قد خبئ تحت لسانه، فإذا تحرك اللسان انكشف.

(٧) ومن ذلك قول الشاعر:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ كما أنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المَساويا

(٨) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات، ومرارتها بالعفاف عنها، وفي الأول مرارة العذاب في الآخرة، وفي الثاني حلاوة الثواب فيها.

١٤٥٦ ـ مُرُوا الأَحْداثَ بالمِرَاءِ والجِدَالِ[١]، والكُهُولَ بالفِكْرِ، والشُّيُوخَ بالصَّمْتِ. [ح ٢٠: ٢٨٥]

١٤٥٧ ـ المُرُوءَةُ بِلَا مَالٍ كالأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ ولَم يَفْتَرِس، وكالسَّيْفِ الَّذِي يُخَافُ وهُوَ مُغْمَدٌ، والمَالُ بِلَا مُرُوءَةٍ كالكَلْبِ الَّذِي يُجْتَنَبُ عَقْراً ولَمْ يَعْقِرْ[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٤٥٨ ـ المَرِيضُ يُعَادُ، والصَّحِيحُ يُزَارُ[٣]. [ح ٢٠: ٢٩٧]

١٤٥٩ ـ المُزَاحُ بَدْءُ العَدَاوَةِ[٤]. [س: ٣٤٦]

١٤٦٠ ـ المُزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ[٥]. [ق: ١٥]

١٤٦١ ـ المَسْؤُولُ حُرٌّ مَا لَمْ يَعِدْ[٦]. [ز: ٢٩]

١٤٦٢ ـ المُسْتَرْشِدُ مُوَقًّى[٧]، والمُحْتَرِسُ مُلَقًّى. [ح ٢٠: ٢٩٣]

١٤٦٣ ـ مِسْكِينُ ابْنُ آدَمَ: مَكْتُومُ الأَجَلِ، مَكْنُونُ العِلَلِ، مَحْفُوظُ العَمَلِ، تُؤْلِمُه البَقَّةُ، وتَقْتُلُه الشَّرْقَةُ، وتُنْتِنُهُ العَرْقَةُ[٨]. [ر٢: ٢٤٩]

---

(١) الأحداث: جمع حدث ـ كسبب ـ: الصغير. والمراء: الجدل. والمعنى: دربوهم على المناقشة والمنازعة في الكلام بالتي هي أحسن، حتى يفصحوا وتتفتق ألسنتهم.

(٢) العقر كعقل: الجرح: أي صاحب المروءة تملأ هيبته الصدور مع أنه مأمون الضرر، وصاحب المال المجرّد من صفات الشرف والكرم، ينفر منه الناس خشية عضه وإن لم يعض!!

(٣) هذا فقه لغوي فرق به الإمام بين العيادة والزيارة للمريض والصحيح. ويحمل لفظ العيادة معنى: التخفيف عن المريض، بقلة المكث عنده، والتفاؤل له، وعدم إبرامه بكثرة الكلام والجلبة. إلخ.

(٤) المزاح والمزاحة، بضم الميم: الدعابة. والمزاح، بالكسر، مصدر مازحه، وهما يتمازحان. وإنما كان كذلك لأنه يؤدي إلى الخصومة غالباً، وبخاصة إذا كان سفهاً وبذاءة، ووقع بين الحمقى والجهال. وكثيراً ما نقرأ في الصحف حوادث قتل بشعة جرها المزاح السخيف!!

(٥) الضغائن: جمع ضغينة، وهي الحقد.

(٦) لأن وعد الحر دين عليه، والشاعر يقول:

إذا قلتَ في شيءٍ «نعَمْ» فأتِمَّهُ ... فإنَّ «نعَمْ» دَيْنٌ على الحُرِّ واجبُ

(٧) طالب الهداية والاستقامة، مصون من الخطر والضرر، والمتحفظ من الأذى والشر، يعطى الحفظ والأمن والرعاية.

(٨) مكتوم الأجل: لا يدري متى تنتهي مدته. مكنون العلل: لا يعلم من أين تأتيه إذا عضته بقة تألم.. وقد يموت بجرعة ماء إذا شرق بها. وتنتن ريحه إذا عرق عرقة. فهو ضعيف مخلوق من ضعف.

١٤٦٤ ـ وسئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب، فقال: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ(١). [ر ٢: ٢٢١]

١٤٦٥ ـ المَشْورَةُ: راحَةٌ لَكَ، وتَعَبٌ عَلَى غَيْرِكَ(٢). [ح ٢٠: ٣٥٤]

١٤٦٦ ـ المُصْطَنِعُ إلى اللَّئِيمِ كَمَنْ طَوَّقَ الخِنْزِيرَ تِبْراً(٣)، وقَرَّطَ الكَلْبَ دُرّاً(٤)، وأَلْبَسَ الحِمَارَ وَشْياً(٥)، وأَلْقَمَ الأَفْعَى شَهْداً. [ح ٢٠: ٣٣٥]

١٤٦٧ ـ المُعْتَذِرُ مُنْتَصِرٌ(٦)، والمُعَاتِبُ مُغَاضِبٌ(٧). [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٤٦٨ ـ المُعْتَذِرُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، يُوْجِبُ عَلَى نَفْسِه الذَّنْبَ. [ح ٢٠: ٢٧١]

١٤٦٩ ـ المَعْرُوفُ أَفْضَلُ الكُنُوزِ، وأَحْصَنُ الحُصُونِ(٨). [ق: ١٨]

١٤٧٠ ـ المَعْرُوفُ غُلٌّ(٩) لا يَفُكُّهُ إِلَّا شُكْرٌ أَوْ مُكَافَأَةٌ. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٤٧١ ـ المَعْرُوفُ كَنْزٌ، فانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُودِعُه. [ح ٢٠: ٢٨٦]

١٤٧٢ ـ مَعْصِيَةُ العَالِمِ إِذا خَفِيَتْ لَم تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَها، وإِذا ظَهَرَتْ ضَرَّتْ صَاحِبَها والعَامَّةَ(١٠). [ح ٢٠: ٣٢٢]

---

(١) قال ابن أبي الحديد: هكذا تقول العرب بينهما مسيرة يوم بالنهار، ولا تقول مسير؛ لأن المسير المصدر، والمسيرة الاسم، وهذا الجواب تسميه الحكماء جواباً إقناعياً؛ لأن السائل أراد أن يذكر له كمية المسافة مفصلة ـ نحو أن يقول: بينهما ألف فرسخ أو أكثر، أو أقل ـ فعدل عن ذلك وأجابه بغيره.. وهو جواب صحيح.

(٢) لأنها ترسم لك الطريق الأرشد، وتدفع عنك الحيرة والقلق والتردد وهي تعب للمستشار لأنه يعمل فكره في استخراج الصواب لك، وهو مسؤول عن خطئه إن أخطأ.

(٣) المصطنع إلى اللئيم: فاعل المعروف معه.

(٤) قرطه بالتشديد: ألبسه القرط، وهو ما يعلق في أسفل الأذن، وشنفه: ألبسه الشنف كسقف: وهو ما علق في أعلاها.

(٥) الوشي: الثوب المنقوش. والمعنى: أنه أساء الصنع ولم يجن فائدة، وما أحسن قول زهير:

ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه ... يَعُدْ حَمْدُه ذمّاً عليه ويَنْدَم

(٦) لأنه يسل الضغينة ممن اعتذر له فيعود إليه مسالماً بعد أن كان حرباً عليه.

(٧) لأن العتاب في عامة الأحوال يكدر المحبة ويخدش الثقة، ورحم الله من قال:

وهَبْه ارعوَى بعد العتاب ألم تكنْ ... مَوَدّتُه طبعاً فصارت تكلُّفا

(٨) لأن صاحبه محبوب، ومعان وموثوق به، ومشكور مأجور من الله والناس. ومن قولهم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

(٩) الغل: الطوق من حديد في الرقبة. والمعنى: أن فعل الجميل عند الأحرار لا يصح أن ينسى ولا أن يذهب سدى، ولا بدّ من مقابلته إما بجزاء حسي أو معنوي، وإن كان فاعله لا ينتظر ذلك.

(١٠) لأن العالم قدوة للناس.

١٤٧٣ ـ المَغْبُونُ مَن غُبِنَ نَصِيبهُ مِن اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(١). [ق: ٢٠]

١٤٧٤ ـ مُقَارَبَةُ النَّاسِ في أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ(٢). [ر ٢: ٢٤٥]

١٤٧٥ ـ المُقِلُّ(٣) غَرِيبٌ في بَلْدَتِه. [ق: ١٦]

١٤٧٦ ـ مَكارِمُ ٱلأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ: السَّخَاءُ، والحَيَاءُ، والصِّدْقُ، وأَدَاءُ الأَمَانَةِ، والتَّوَاضُعُ، والغَيْرَةُ، والشَّجَاعَةُ، والحِلْمُ، والصَّبْرُ، والشُّكْرُ. [ح ٢٠: ٢٧٥]

١٤٧٧ ـ المُلْكُ بالدِّينِ يَبْقَى، والدِّينُ بالمُلْكِ يَقْوَى(٤). [ح ٢٠: ٣٢٨]

١٤٧٨ ـ المَلِكُ(٥) كالنَّهْرِ العَظِيمِ، تَسْتَمِدُّ مِنْهُ الجَدَاوِلُ؛ فإِنْ كانَ عَذْباً عَذُبَتْ، وإِنْ كانَ مِلْحاً مَلَحَتْ. [ح ٢٠: ٢٧٩]

١٤٧٩ ـ المُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ، والعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى المُلُوكِ. [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٤٨٠ ـ المُمْتَحَنُ كالمُخْتَنِقِ؛ كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱضْطِرَاباً. ٱزْدَادَ ٱخْتِنَاقاً(٦). [ح ٢٠: ٢٩١]

١٤٨١ ـ مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ(٧). [ر ٢: ١٩٣]

١٤٨٢ ـ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِه شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِه(٨). [ق: ٢٧]

١٤٨٣ ـ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُه، لَم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه(٩). [ر ٢: ١٥٣]

---

(١) المغبون: المخدوع والمنقوص والضعيف الرأي، والغبن الحقيقي هو الحرمان من ثواب الله تعالى ورضائه.

(٢) الغوائل: جمع غائلة، وهي الشر والداهية. ومقاربة الناس في أخلاقهم والتعاطف معهم تكسب مودتهم وتدفع مضارهم.

(٣) المقل: الفقير المعدم.

(٤) المراد بالملك: الدولة، ودولة بلا دين: تسودها الفوضى والإباحية، وتنهار الروابط بين رعاياها، ويعيشون بلا وازع من ضمائر حية، وأخلاق قويمة. والدين كذلك لا يقوى بغير دولة، لأنها هي التي تنفذ أحكامه، وترعى حقوقه، وتبسط سلطانه.

(٥) المراد به الحاكم ومن يلي أمور الرعيّة.

(٦) الممتحن: المصاب بالبلية، وهو في حاجة إلى الصبر والثبات حتى يستطيع التغلب عليها، فإن اضطرب لها انتشر عليه الأمر وارتبك، وسدت دونه مسالك الخلاص.

(٧) من ظهر بمقاومة الحق هلك، وإبداء الصفحة: إظهار الوجه. وقد يكون المعنى: من أعرض عن الحق.. والصفحة تظهر عند الإعراض بالجانب..

(٨) وفي هذا يقول الشاعر:

عليكَ نفسكَ فتِّشْ عن مَعايبِها وخلِّ عنْ عَثراتِ النَّاسِ للنَّاسِ

(٩) أي: إن العمل الصالح هو الذي يدفعك إلى معالي الأمور، ويرفعك إلى ذرا الشرف والعظمة، أما النسب فهو سبب واهٍ ضعيف لا يجدي على صاحبه، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

١٤٨٤ ـ مَنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ ضَلَّ، ومَنْ جَادَ سَادَ، وخُمُودُ الذِّكْرِ أَجْمَلُ مِنْ ذَمِيمِ الفِكْرِ. [ح ٢٠: ٢٦٣]

١٤٨٥ ـ مَنْ أَتَتْ عَليهِ الأَرْبَعُونَ مِنَ السِّنِينِ قِيلَ لَهُ: خُذْ حِذْرَكَ مِنْ حُلُولِ المَقْدُورِ؛ فإنَّكَ غَيْرُ مَعْذُورٍ؛ ولَيْسَ أَبْنَاءُ الأَرْبَعِينَ بأَحَقَّ بالحَذَرِ مِنْ أَبْنَاءِ العِشْرِينَ؛ فإِنَّ طَالِبَهُما وَاحِدٌ، ولَيْسَ عَنِ الطَّلَبِ بِرَاقِدٍ؛ وَهُوَ المَوْتُ، فاعْمَلْ لِمَا أَمامَكَ مِنَ ٱلهَوْلِ، وَدَعْ عَنْكَ زُخْرُفَ القَوْلِ(١). [ح ٢: ٢٦٨]

١٤٨٦ ـ مَنِ ٱتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ، فَقَدِ ٱرْتَطَمَ في الرِّبَاءِ(٢). [ر ٢: ٢٥٥]

١٤٨٧ ـ مَن أَتَى غَنِياً فَتَوَاضَعَ لِغِنَاهُ.. ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِه(٣). [ر ٢: ٢٠١]

١٤٨٨ ـ مَنْ أَثْرَى كَرُمَ عَلَى أَهْلِهِ، ومَنْ أَمْلَقَ هَانَ عَلَى وَلَدِهِ. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٤٨٩ ـ وسئل رضي الله عنه مَن العالِمُ؟ فقال:

مَن ٱجْتَنَبَ ٱلمَحَارِمَ. قِيلَ: فَمَنِ العَاقِلُ؟ قالَ: مَن رَفَضَ البَاطِلَ. قِيلَ: فَمنِ السَّيِّدُ؟ قالَ: مَنْ فَعالُه(٤) جَيِّد. قِيلَ: فمن السَّعيدُ؟ قال: مَنْ خَشِيَ الوَعِيدَ(٥). قِيلَ: فَمنِ الكَرِيمِ؟ قالَ: مَنْ نَفَعَ العَدِيمَ(٦). قِيلَ: فَمنِ الشَّرِيفِ؟ قالَ: مَنْ أَنْصَفَ الضَّعِيفَ. قِيلَ: فَمنِ الغُمْر(٧)؟ قالَ: مَنْ وَثِقَ بالعُمْر. قِيلَ: فَمنِ الهَالِكُ؟ قالَ: مَنْ دُفِعَ إلى مَالِك(٨). [ق: ١٠٠، ١٠١]

= ٱللَّهِ أَتْقَنكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ورسوله ﷺ يقول: «خير الناس أنفعهم للناس» «ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى».

(١) أي: إن الإنسان هدف قريب للموت في مختلف العمر، فالواجب على الإنسان أن يعمل في أي سن كان، ولا يغتر بأنه شاب فإن الشباب قد يختضر، وليس من الموت وزر!!

(٢) ارتطم: وقع في الورطة فلم يمكنه الخلاص، والتاجر إذا لم يكن على علم بالفقه لا يأمن الوقوع فيما لا يحل! لأنَّ فقهه يذكره بالله، ويرغبه في الحلال، ويهديه إلى الصواب، ويقنعه بالقليل من الربح، ويعصمه من الطمع والتدليس والغش.

(٣) لأن استعظام المال ضعف في اليقين بالله، والخضوع لصاحب الجاه والمال أداء عمل لغير الله.. فلم يبق إلا الإقرار باللسان، فهل يجدي نفعاً؟

(٤) الفعال ـ بفتح الفاء ـ: اسم الفعل الحسن، والكرم.

(٥) الوعيد: التهديد.

(٦) العديم: الفقير.

(٧) الغمر ـ كعمر ـ: الجاهل غير المجرب.

(٨) مالك: رئيس خزنة النار، كناية عن دخوله جهنم، وهو غاية الشقاء.

١٤٩٠ ـ مَنْ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، أَتَاهُ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(١). [ح ٢٠: ٣١١]

١٤٩١ ـ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصْرِمَ(٢) أَخَاهُ فَلْيُقْرِضْهُ، ثُمَّ لِيَتَقَاضَهُ(٣). [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٤٩٢ ـ مَنْ أَحَبَّكَ لِشَيْءٍ مَلَّكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٤٩٣ ـ مَنِ احْتَاجَ إِلَيْكَ ثَقُلَ عَلَيْكَ، وَمَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الخَيْرُ أَصْلَحَهُ الشَّرُّ. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٤٩٤ ـ مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الغَضَبِ لِلّهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ البَاطِلِ(٤). [ر ٢: ١٩١]

١٤٩٥ ـ مَنْ أَحَسَّ بِضَعْفِ حِيلَتِهِ عَنِ الاكتِسَابِ بَخِلَ(٥). [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٤٩٦ ـ مَنْ أَحْسَنَ السُّؤَالَ عَلِمَ، وَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ سَلِمَ. [ق: ٢٧]

١٤٩٧ ـ مَن أَخْطَأَهُ سَهْمُ المَنِيَّةِ قَيَّدَهُ الهَرَمُ(٦). [ح ٢٠: ٢٧٣]

١٤٩٨ ـ مَن أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا لَهُ عِنْدَ اللّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا لِلّهِ عِنْدَهُ(٧). [ح ٢٠: ٢٧٠]

١٤٩٩ ـ مَن أَرَادَ البَقَاءَ ـ ولا بَقَاءَ ـ فَلْيُبَاكِرِ الغَدَاءَ(٨)، ولْيُقِلَّ غِشْيَانَ النِّسَاءِ(٩)،

---

(١) أجمل في الطلب: اتأد، واعتدل فلم يفرط. ومن العادة في مثل هذا، أن يكون تقياً رضياً شديد الثقة بالله، متزناً في عقله وخلقه؛ فيوفقه الله ويسدده، ويدر له أخلاف الرزق من حيث لا يعلم ولا يتوقع، قال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(٢) يصرمه: يقطع مودته.

(٣) يتقاضاه: يطلب منه ما اقترض.

(٤) أحد بفتح الهمزة والحاء وتشديد الدال: أي شحذ، والسنان: نصل الرمح.. أي: من اشتد غضبه لله اقتدر على قهر أهل الباطل وإن كانوا أشداء.

(٥) هذه حكمة نفيسة تجد مصداقها في الشيوخ، إنهم يجنحون إلى البخل ليأمنوا الحاجة في خريف العمر؛ لإحساسهم بأنهم ضعفوا عن الاكتساب.

(٦) المعنى: أن الإنسان لا يسلم في دنياه من الضرر والنكد، فإن تراخى عمره أمرضته الشيخوخة، وأعجزته عن المشي، وفي الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داء» وقال الشاعر:

وسألت ربي بالسلامة جاهداً ... ليصحني فإذا السلامة داءُ

(٧) أي إن منزلتك عند الله بقدر أدائك لحقوقه، وطاعتك له، والتزامك شريعته، والسير على ما يرضيه.

(٨) أثبت الأطباء أن طعام الغداء «الفطور» عماد القوة، ودعامة العمل، وأمان من الضعف والتهافت.

(٩) من المسلم به أن كثرة غشيان النساء مفتاح لأمراض كثيرة، ومن قول الإمام مالك: هو بهاء وجهك ومخ ساقك ونور عينيك، فإن شئت أقلل منه أو أكثر.

وقال بعض العلماء: ما رأيت إنساناً منهوماً بالنساء إلا عرفت ذلك في وجهه.

ولْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ. قِيلَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين: ومَا الرِّداء[١]؟ قَالَ: قِلَّةُ الدَّيْن. [ق: ١٢٦]

١٥٠٠ ـ مَنِ ازْدَادَ عِلْماً، فَلْيَحْذَرْ مِن تَوْكِيدِ الحُجَّةِ عَلَيْه[٢]. [ح ٢٠: ٣٢٠]

١٥٠١ ـ منِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِه هَلَك، ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَها فِي عُقُولِها. [ر ٢: ١٩٠]

١٥٠٢ ـ مَنِ اسْتَحْيَا مِن النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِن نَفْسِه، فَلَيْسَ لِنَفْسِه عِنْدَ نَفْسِه قَدْرٌ[٣]. [ح ٢٠: ٢٦٥]

١٥٠٣ ـ مَنِ اسْتَرْشَدَ غَيْرَ العَقْلِ أَخْطَأَ مِنْهاجَ الرَّأْي[٤]، ومَن أَخْطَأَتْهُ وُجُوهُ المَطَالِب[٥] خَذَلَتْهُ الحِيَلُ، ومَن أَخَلَّ بالصَّبْرِ أَخَلَّ بهِ حُسْنُ العَاقِبَة[٦]، فإنَّ الصَّبْرَ قُوَّةٌ مِن قُوَى العَقْلِ؛ وبِقَدْرِ مَوَادِّ العَقْلِ وقُوَّتِهَا يَقْوَى الصَّبْرُ. [ح ٢٠: ٢٦٠]

١٥٠٤ ـ مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَف مَوَاقِعَ الخَطَأ[٧]. [ر ٢: ١٩١]

١٥٠٥ ـ مَنْ أَسْرَعَ إلى النَّاسِ بمَا يَكْرَهُون، قَالُوا فيهِ بمَا لَا يَعْلَمُون. [ر ٢: ١٥٧]

١٥٠٦ ـ مَنِ اشْتَاقَ خَدَم، ومَن خَدَمَ اتَّصَل، ومَن اتَّصَلَ وَصَل، ومَن وَصَلَ عَرَف[٨]. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٥٠٧ ـ مَنِ اشْتَغَلَ بتَفَقُّدِ اللَّفْظَةِ، وطَلَبِ السَّجْعَةِ نسِيَ الحُجَّةَ[٩]. [ح ٢٠: ٣١٧]

---

(١) يريد بالرداء: الظهر؛ لأن الرداء يقع عليه: أي فليخفف ظهره ولا يثقله بالدَّين.

(٢) المراد: أن العالم مسؤول عند الله عن علمه، وهو غير معذور في العمل السيئ، فليحذر من قيام الحجة عليه بعلمه، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

(٣) لأن الرجل الحيي المهذب يستحيي من نفسه أولاً، فلا يفعل في السر ما لا يرضاه في العلانية، والمراد أن الفعل القبيح يجب أن يترك لقبحه، لا رياء ولا سمعة.

(٤) من استهدى بغير العقل ضل طريق الصواب.

(٥) المطالب: المقاصد والحاجات، والمعنى: من لم تكن له أهداف واضحة محددة لم تنفعه الحيل.

(٦) لأن الصبر يكون معه التمهل والرفق والسكينة وأخذ الأمور بالحسنى؛ وفي هذا ضمان لحسن العاقبة.

(٧) من عرض وجوه الآراء وقلبها أمام عينيه، انكشفت له مواقع الخطأ فاحترس منها.

(٨) يذكر الإمام محاطّ الطريق التي يسلكها العارفون بالله!!

(٩) أي من طلب تزيين الكلام، وشغف بالتحبير والتنميق، وفتن بالمحسنات اللفظية، أخطأته البراهين، وتسلح بالباطل، وقنع بالقشور عن اللباب. وهذا الكلام من صميم البلاغة.

١٥٠٨ ـ مَن أَصْبَحَ عَلَى الدُّنيا حَزِيناً . . فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضاءِ اللّهِ سَاخِطاً . [ر ٢: ٢٠٠]

١٥٠٩ ـ مَنْ أَصْبَحَ والآخِرَةُ هَمُّه[1]، ٱسْتَغْنَى بِغَيْرِ مَالٍ، وٱسْتَأْنَسَ بغَيْرِ أَهْلٍ، وعَزَّ بغَيْرِ عَشِيرَة . [ق: ٢٧]

١٥١٠ ـ مَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبةً نَزَلَتْ بهِ . . فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّه . [ر ٢: ٢٠٠]

١٥١١ ـ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَهُ وبَيْنَ اللّهِ، أَصْلَحَ اللّهُ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ[2]، ومَنْ أَصْلَح أَمْرَ آخِرَتِه، أَصْلَحَ اللّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْياه، ومَن كانَ لَهُ مِن نَفْسِه واعِظٌ، كانَ عَلَيْهِ مِنَ اللّهِ حَافِظٌ . [ر ٢: ١٦٧]

١٥١٢ ـ مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللّهُ عَلانِيَتَهُ[3]، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِه كَفاهُ اللّهُ أَمْرَ دُنْياه، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيما بَيْنَهُ وبَينَ اللّهِ، كَفَاهُ اللّهُ ما بَيْنَهُ وبَينَ النَّاسِ . [ر ٢: ٢٥٠]

١٥١٣ ـ مَنْ أَطَاعَ التَّوانِيَ ضَيَّعَ الحُقُوق، ومَنْ أَطاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيق . [ر ٢: ٢٠٣]

١٥١٤ ـ مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ، أَسَاءَ العَمَلَ[4] . [ر ٢: ١٥٧]

١٥١٥ ـ مَنْ أَطْلَقَ طَرْفَه، كَثُرَ أَسَفُه[5] . [ق: ٢٧]

١٥١٦ ـ مَنْ أَظْهَر شُكْرَكَ فِيما لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ، فاحْذَرْ أَن يَكْفُرَكَ فِيما أَسْدَيْتَ إِلَيْهِ[6] . [ح ٢٠: ٣٠٥]

١٥١٧ ـ مَنْ أُعْجِبَ برأْيِهِ ضلَّ، ومَنِ ٱسْتَغْنَى بِعلْمِه زَلَّ، ومَن تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ . [ق: ٢٧]

---

(١) أي: «من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن» فإن الله يغنيه من فضله عن كل شيء.

(٢) لأن الإنسان إذا أصلح ما بينه وبين ربه، أشرقت سريرته، وصفا قلبه، وصلحت أعماله، وأحبه الله وألقى عليه رداء المحبة والقبول وصدق من قال:

وإذا أحبَّ اللهُ يوماً عبدَه ... ألقى عليه محبةً للناس

(٣) ما من إنسان تصلح سريرته إلا صلحت علانيته؛ لأن حسن الباطن ينضح على الظاهر، وفي الحديث: «من أصلح جوّانيه، أصلح الله برّانيه».

(٤) طول الأمل: الثقة بحصول الأماني بدون عمل لها، أو استطالة العمر والتسويف بأعمال الخير.

(٥) الطرف كظرف: العين. لأن إطلاق العنان للنظر يوقع فيما يستوجب الندم.

(٦) لأن مثل هذا يكون عادة من أصحاب الملق والنفاق والمصانعة والوصولية، وأحرى بمن هذا خلقه أن يجحد المعروف وينكر الجميل!!

١٥١٨ ـ مَنْ أَعْذَرَ كَمَنْ أَنْجَحَ[١]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٥١٩ ـ مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً. لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإجابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ القَبُول، وَمَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ المَغْفِرَة. وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيادَة. وتَصْدِيقُ ذٰلِكَ كِتابُ اللّٰهِ، قالَ اللّٰهُ في الدُّعاءِ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقالَ في الاسْتِغْفارِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقالَ في التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢] [النساء: ١٧]. [ر ٢: ١٨٢، ١٨٣]

١٥٢٠ ـ مَنْ أَفادَهُ الدَّهْرُ أَفادَ مِنْهُ[٣]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٥٢١ ـ مَنِ ٱقْتَحَمَ ٱللُّجَجَ غَرِقَ[٤]. [ر ٢: ٢٣٢]

١٥٢٢ ـ مَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الكَفافِ[٥] فَقَدْ تَعَجَّلَ الرَّحْمَةَ، وتَبوَّأَ خَفْضَ الدَّعةِ[٦]. [ق: ٢٨]

١٥٢٣ ـ مَنِ ٱقْتَصَر عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ. [ق: ٢٨]

١٥٢٤ ـ مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[٧]. [ق: ٢٧]

---

(١) الإعذار: إبداء العذر ومنه قيل: من أنذر فقد أعذر. والمنجح: من صار ذا نجح والمعنى: أن الذي ظهر عذره، قرين من بلغ النجاح؛ لأنه لم يقصر فيما أراد فلا يستحق ملامة ولا عتاباً!!

(٢) المراد بالدعاء المجاب ما كان مقروناً باستعداد: بأن يصحبه العمل لنيل المطلوب. والتوبة والاستغفار: ما كانا ندماً على الذنب يمنع من العود إليه. والشكر: تصريف النعم في وجوهها المشروعة.

(٣) أفاد: أي استفاد. أي إن الدهر كما يعطي يأخذ، فليس هناك إعطاء إلا قابله سلب وحرمان، وهكذا شأن الزمن.

(٤) يقول المتنبي:

ولا تُوغِلَنَّ إذا ما سَبَحْتَ ... فإنَّ السَّلامةَ في السَّاحلِ

(٥) البلغة: كيكرة: ما يتبلغ به من العيش.

(٦) تبوأ: سكن. وخفض الدعة: نعيم السكون والاستقرار.

(٧) أهجر: نطق بالهجر ـ كقفل ـ وهو الهذيان. والشاعر يقول:

النطقُ زينٌ والسكوتُ سلامَةٌ ... فإذا نطقْتَ فلا تكُنْ مِكثارا

ما إنْ ندِمتُ على سُكوتي مرّةً ... ولقد ندمتُ على الكلامِ مِرارا

١٥٢٥ ـ مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الضَّغائِنِ[١]، اكْتَسَبَ العَدَاوَة. [ح ٢٠: ٣١١]

١٥٢٦ ـ مَنْ أَكْثَرَ الفِكْرَةَ في العَواقِبِ لَمْ يَشْجُعْ[٢]. [ك ١: ٢٧]

١٥٢٧ ـ مَنْ أَكْثَرَ المَشُورَةَ لَمْ يَعْدَمْ عِنْدَ الصَّوابِ مادِحاً، وعِنْدَ الخَطأِ عاذِراً[٣]. [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٥٢٨ ـ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيا باليَسِير. [ر ٢: ٢٣٢]

١٥٢٩ ـ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ. [ق: ٢٧]

١٥٣٠ ـ مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ، ومَنْ تعَظَّمَ عَلَيْه أَهَانَهُ، ومَنْ تَرَغَّمَ عَلَيْهِ أَرْغَمَهُ[٤]، ومَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَسْلَمَهُ[٥]. [ق: ٢٨]

١٥٣١ ـ مَنْ أَمْضَى يَوْمَهُ في غَيْرِ حَقٍّ قَضاهُ، أَوْ فَرْضٍ أَدَّاهُ، أَوْ مَجْدٍ بنَاهُ، أَوْ حَمْدٍ حَصَّلَهُ، أَوْ خَيْرٍ أَسَّسَهُ، أَوْ عِلمٍ اقْتَبَسَهُ.. فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ. [ح ٢٠: ٣٣٤]

١٥٣٢ ـ مَنْ أَمَّلَ أحداً هَابَهُ، ومَن جَهِلَ شَيْئاً عَابَهُ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٥٣٣ ـ مَن انْتَجَعَكَ مُؤَمِّلاً، فَقَدْ أَسْلَفَكَ حُسْنَ الظَّنِّ[٧]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٥٣٤ ـ مَن أَوْمَأَ إِلَى مُتَفاوِتٍ خَذَلَتْهُ الحِيَلُ[٨]. [ر ٢: ٢٤٥]

١٥٣٥ ـ مَن أَيْقَظَ فِتْنَةً، فهُوَ آكِلُها[٩]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٥٣٦ ـ مَن أَيْقَنَ بالخَلَفِ[١٠]، جادَ بالعطِيَّةِ. [ر ٢: ١٨٢]

---

(١) الضغائن: جمع ضغينة، وهي الحقد.

(٢) الإكثار من التفكير في العواقب، يصور لصاحبه ما ينتظره من المخاوف والأهوال، فيقعد عن الإقدام، وفي ذلك يقول الشاعر.

إذا هـمّ ألـقى بـين عـينيـه عـزمـه ... ونـكّـب عـن ذِكْـرِ الـعـواقـب جـانـبـا

(٣) ومن هذا قول الشاعر:

وأكثِرْ مِن الشُّورَى؛ فإنّك إن تُصِبْ ... تجِدْ مادحاً، أو تُخطِئِ الرّأيَ تُعذَرِ

(٤) ترغم عليه: غضب عليه.

(٥) ألقى به في المهالك.

(٦) لأن الناس أعداء ما جهلوا.

(٧) الانتجاع في الأصل: طلب الكلأ في موضعه، والمراد هنا: طلب الشيء مطلقاً. والإسلاف: الإقراض.

(٨) أومأ: أشار، والمراد طلب وأراد، والمتفاوت: المتباعد. أي من طلب تحصيل المتباعدات، وضم بعضها إلى بعض، خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه.

(٩) المراد: أنه يجني ثمارها ويصطلي بنارها!!

(١٠) الخلف ـ كسبب: العوض. والله سبحانه يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

١٥٣٧ ـ مَنْ بَالَغَ في الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيها ظُلِمَ، ولا يَسْتَطِيعُ أن يتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ[١]. [ر ٢: ٢٢٢]

١٥٣٨ ـ مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ[٢]. [ح ٢٠: ٣٢٤]

١٥٣٩ ـ مَنْ تَجَرَّأَ لَكَ، تَجَرَّأَ عَلَيْكَ[٣]. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٥٤٠ ـ مَنْ تَحَرَّى الصِّدْقَ خَفَّتْ عَلَيْه المُؤَن[٤]. [ق: ٢٨]

١٥٤١ ـ مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفرِ اسْتَعَدَّ. [ر ٢: ٢٦٨]

١٥٤٢ ـ مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَارَ[٥]. [ق: ٢٧]

١٥٤٣ ـ مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لا أَدْرِي، أُصِيبَتْ مَقَاتِله[٦]. [ر ٢: ١٦٦]

١٥٤٤ ـ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ عُدَّ مِنْهُمْ. [ق: ٢٨]

١٥٤٥ ـ مَنْ تعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ. [ق: ٢٧]

١٥٤٦ ـ مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَر. [ق: ٢٧]

١٥٤٧ ـ مَنْ تَفَكَّر في ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى تَزَنْدَق[٧]. [ق ٢٧]

١٥٤٨ ـ مَنْ تَكَلَّفَ ما لا يَعْنِيهِ، فَاتَهُ ما يَعْنِيهِ[٨]. [ح ٢٠: ٣٤٤]

١٥٤٩ ـ مَنْ تَلَذَّذَ بمَعصيَةِ اللَّهِ أَوْرَثَهُ ذُلاًّ. [ق: ٢٧]

---

(١) المبالغة في الخصومة يوقع في الحرمة، والتقصير فيها يؤدي إلى الظلم، فالمرء بين شيئين بغيضين، فمن الخير للإنسان أن يتركها حتى لا يتورط فيما لا يحبه الله.

(٢) والمتنبي يقول:

آلةُ العيشِ صحَّةٌ وشبَابٌ ... فإذَا ولَّيَا عن المرءِ وَلَّى
وإذا الشَّيخُ قَال: أُفٍّ.. فما مَلَّ ... حياةً.. وإنَّما الضعفَ مَلَّا

(٣) أي من تجرأ من أجلك على الناس، لم تأمنه أن يتجرأ عليك، وصدق المتنبي في قوله:

ومَنْ يَجعلِ الضِّرغامَ بازاً لصَيدِه ... تَصيَّدهُ الضِّرغامُ فيما تَصيَّدا

(٤) التحري: طلب ما هو أحرى بالاستعمال. والمؤن: المراد بها أثقال الحياة وأعباؤها.

(٥) القصد: الطريق الوسط ـ جار: ظلم وانحرف.

(٦) مواضع قتله؛ لأن من قال ما لا يعلم عرف بالجهل، ومن عرفه الناس بالجهل مقتوه، فحرم خيره كله.. فهلك ومن المأثور: لا أدري: نصف العلم.

(٧) تزندق: صار زنديقاً، ومن معانيه: الكافر بالربوبية وبالآخرة. وقد ورد في الأثر: «تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في ذاته فتهلكوا».

(٨) عناه الشيء: أهمه، والمراد: من تكلف غير المطلوب، فاته المطلوب. وفي الحديث الشريف: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أي ما لا يهمه.

١٥٥٠ ـ مَنْ تَهَاوَنَ بالدِّينِ ارْتَطَم[١]. [ق: ٢٧]

١٥٥١ ـ مَنْ تَوَرَّطَ في الأُمُورِ غَيْرَ ناظِرٍ في العَواقِبِ.. فَقَدْ تَعَرَّضَ لِفادِحاتِ النَّوَائِب[٢]. [ق: ٢٨]

١٥٥٢ ـ مَنْ جَادَ بِمَالِه فَقَدْ جَادَ بنَفْسِه، فإنْ لَمْ يكُنْ جَادَ بِها بعَيْنِها، فَقَدْ جَادَ بِقِوَامِها[٣]. [ح ٢٠: ٣٣٠]

١٥٥٣ ـ مَن جَرَى في عِنَانِ أَمَلِه، عَثَرَ بأَجَلِه[٤]. [ر ٢: ١٥٢]

١٥٥٤ ـ مَنْ جَفَا طَغَى[٥]. [ق: ٢٧]

١٥٥٥ ـ مَنْ جَلَسَ في ظِلِّ المَلَقِ، لَمْ يَسْتَقِرَّ بِهِ مَوْضِعُه؛ لِكَثْرَةِ تَنَقُّلِه وتَصَرُّفِه مع الطِّباعِ، وعرَفَهُ النَّاسُ بالخَدِيعَةِ. [ح ٢٠: ٣٣٩]

١٥٥٦ ـ مَنْ جَمَعَ سِتَّ خِصَالٍ لَمْ يَدَعْ للجَنَّةِ مَطْلَباً، ولا عَنِ النَّارِ مَهْرَباً:

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فأَطَاعهُ، وعَرَفَ الشَّيْطانَ فَعَصَاهُ، وعَرَفَ الحَقَّ فاتَّبعَهُ، وعَرَفَ البَاطِلَ فاتَّقاهُ، وعَرَفَ الدُّنيا فرَفَضَها، وعَرَفَ الآخِرَةَ فطَلَبها. [ح ٢٠: ٢٦٤]

١٥٥٧ ـ مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عَنْها خَسِرَ، ومَنْ خَافَ أَمِنَ، ومَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، ومَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ. [ر ٢: ١٩٧]

١٥٥٨ ـ مَنْ حَذَّرَكَ، كَمَنْ بَشَّرَكَ[٦]. [ر ٢: ١٦١]

١٥٥٩ ـ مَن حسَدَكَ لَمْ يَشْكُرْكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ[٧]. [ح ٢٠: ٣٣٤]

١٥٦٠ ـ مَنْ حَسُنَتْ عَلانِيَتُه فنَحْنُ لِسَرِيرَتِه أَرْجَى. [ق: ٢٨]

١٥٦١ ـ مَن حَصَّنَ شَهْوَتَهُ صَانَ قَدْرَهُ. [ق: ٢٧]

---

(١) لم يستطع الخروج من ورطته.

(٢) الفادحات: المثقلات. والنوائب: مصائب الدهر.

(٣) قوام الشيء ـ بكسر القاف ـ نظامه وعماده وملاكه. والمال يعدل النفس؛ لأنه عصب حياتها، وسبب نعيمها، وسر قوتها، وفي الحديث الشريف: «من قتل دون ماله فهو شهيد» لأنه يساوي النفس.

(٤) العنان ـ ككتاب ـ سير اللجام تمسك به الدابة. أي من كان جريه إلى سعادته بعنان الأمل، يمني نفسه بلوغ مطالبه بلا عمل، فيسقط في أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئاً مما يريد.

(٥) جفا: لم يصل الناس ولم يبرّهم. والمراد: من تعود أن يجفو الناس استبدّ به العقوق والطغيان.

(٦) لأن التحذير يمنع من الوقوع في المكروه، فيكون كأنه تبشير بالنجاة.

(٧) لأن الحاسد لا يقنع إلا بزوال نعمة المحسود، أو انتقالها عنه إليه.

١٥٦٢ ـ مَنْ حَفَرَ بِئْراً وَقَعَ فِيها[١]. [ق: ٢٨]

١٥٦٣ ـ مَنْ حَمَلَ مَا لَا يُطِيقُ عَجَزَ. [ق: ٢٧]

١٥٦٤ ـ وقيل له رضي الله عنه:

لو سُدَّ على رَجُلٍ بابُ بيتِه وتُرِكَ فيه.. مِن أين كانَ يأتيه رزْقُه؟ فقال رضي الله عنه:

مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُه[٢]. [ر ٢: ٢٣٤]

١٥٦٥ ـ مَنْ خَافَ إِسَاءَتَك، ٱعْتَقَدَ[٣] مَسَاءَتَك، وَمَنْ رَهِبَ صَوْلَتَك[٤]، نَاصَبَ دَوْلَتَك[٥]. [ح ٢٠: ٣٤٤]

١٥٦٦ ـ مَنْ خَافَ اللَّهَ.. خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ[٦]. [ح ٢٠: ٢٩٦]

١٥٦٧ ـ مَنْ خَالَطَ العُلَمَاءَ وُقِّرَ، ومَنْ خَالَطَ الأَنْذَالَ حُقِّرَ. [ق: ٢٨]

١٥٦٨ ـ مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ ٱتُّهِمَ. [ر ٢: ٢٣٢]

١٥٦٩ ـ مَنْ رَأَى أَنَّهُ مُسِيءٌ فَهُوَ مُحْسِنٌ، وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ مُحْسِنٌ فَهُوَ مُسِيءٌ[٧]. [ح ٢٠: ٣١٧]

١٥٧٠ ـ مَنْ رُجِيَ الرِّزْقُ لَدَيْه، صُرِفَتْ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ إِلَيْه[٨]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٥٧١ ـ مَن رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى ما فَاتَه. [ر ٢: ٢٣٢]

---

(١) وفي الأثر: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

(٢) لا يفهم من قول الإمام أنه يدعو إلى ترك العمل، وإنما يريد أن يقول: إن الله تكفل برزق كل إنسان ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

(٣) اعتقده: أضمره بقلبه.

(٤) الصولة: الاستطالة والوثوب.

(٥) ناصبه الشر: أظهره له. والمراد: من خاف أن تسيء إليه أضمر إساءته لك في نفسه، ومن خاف أن تسطو به تآمر على دولتك.

(٦) هذا شيء لا يمتري فيه مؤمن؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

(٧) لأن من اعتقد أنه مسيء، حمله ذلك على الإحسان، ومن اعتقد الإحسان من نفسه عمي عن إساءته فأمعن فيها وأصر عليها، وذلك كقولهم: من اعتقد أنه ثقيل فقد صار خفيفاً.

(٨) وفي ذلك يقول الشاعر:

يَسقط الطيرُ حيثُ يُنْتَشَرُ الحبُ وتُغشَى منازلُ الكُرماء

١٥٧٢ ـ مَن رَضِيَ بقَسْمِ[١] اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى ما في يَدِ غَيْرِه. [ق: ٢٧]

١٥٧٣ ـ مَن رَضِيَ بمَا قُسِمَ لَهُ، اَسْتَرَاحَ قَلْبُه وبَدَنُه[٢]. [ح ٢٠: ٢٦٢]

١٥٧٤ ـ مَن رَضِيَ زَلَّةَ نَفْسِه رَضِيَ زَلَّةَ غَيْرِهِ. [ق: ٢٧]

١٥٧٥ ـ مَن رَضِيَ عَنْ نَفْسِه كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْه. [ق: ٧٧]

١٥٧٦ ـ مَن رَكِبَ العَجَلَة[٣]، لَمْ يَأْمَنِ الكَبْوَة[٤]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٥٧٧ ـ مَن زَادَ أَدَبُه عَلَى عَقْلِه، كانَ كالرَّاعِي الضَّعِيف معَ الغَنَمِ الكَثيرِ[٥]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١٥٧٨ ـ مَن زَادَ عَقْلُه نَقَصَ حَظُّه، وما جَعَلَ اللّهُ لِأَحدٍ عَقْلاً وَافِراً إِلّا اَحْتَسَبَ به عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٥٧٩ ـ مَنْ زَنَى. . زُنِيَ بِهِ[٧]. [ق: ٢٧]

١٥٨٠ ـ مَن سَاسَ رَعِيَّةً حَرُمَ عَلَيْهِ السُّكْرُ عَقْلاً؛ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ أَن يَحْتَاجَ الحَارِسُ إلى مَنْ يَحْرُسهُ[٨]. [ح ٢٠: ٣٣٨]

١٥٨١ ـ مَن سَاسَ نَفْسَهُ بالصَّبْرِ عَلَى جَهْلِ النَّاسِ، صَلَحَ أَنْ يَكُونَ سَائِساً[٩]. [ح ٢٠: ٣١٨]

---

(١) القسم كحبل: ما قسم الله للإنسان.

(٢) لأن التسخط على قسمة الأرزاق، والطمع فيما لا ينال، يحملان الإنسان على أن يكد جسمه فيعطب، وعلى أن يشغل قلبه فيتعب.

(٣) العجلة: التسرع في الأمور. (٤) الكبوة: العثار.

(٥) لا يحمد الحكماء أن يزيد الأدب على العقل؛ لأنه يوقع في الصعاب والمشاق. وقد مثل الإمام لذلك بالراعي الضعيف مع الغنم الكثير؛ فإن ذلك يشقيه ويتعبه ويورثه الحمق.

(٦) ومن قولهم في ذلك: ذكاء المرء محسوب عليه، ويقول المتنبي:

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي ... بأصعبَ مِن أن أجمعَ الجَدَّ والفَهما

ويقول حافظ:

والنـاس: هـذا حـظُّـه مـالٌ، وذا ... عِـلـمٌ، وذاكَ مـكـارِمُ الأخـلاقِ

(٧) وفي الأثر: كما تدين تدان.

(٨) يجب على الرعاة ألا يشربوا المسكرات، لأنهم حراس لرعاياهم بعقولهم، والمسكرات تغتال العقول. ومن ذهب عقله احتاج إلى من يحرسه من الوقوع في الزلات، فكيف يحرس غيره؟ ومن قول الحسن بن وهب في هذا ـ وقد قيل له ـ: لم لا تشرب الخمر؟ لا أشرب ما يشرب عقلي!!

(٩) المراد بجهل الناس: سفاهتهم وحمقهم، ونظرهم القصير إلى الأشياء، وتكليفهم رؤساءهم ما لا يطيقون!! ولهذا قيل: ما أشد سياسة العامة!!

١٥٨٢ ـ مَن سَامَحَ نَفْسَهُ فِيما يُحِبُّ، أَتْعَبَها فِيما لا يُحِبُّ[1]. [ح ٢٠: ٣٧٣]

١٥٨٣ ـ مَن سَرَّهُ الغِنَى بِلَا سُلْطَانٍ، والكَثْرَةُ بِلَا عَشِيرٍ[2]، فَلْيَخْرُجْ مِن ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلى عِزِّ طَاعَتِهِ؛ فإِنَّهُ وَاجِدٌ ذٰلِكَ كُلَّهُ. [ح ٢٠: ٣١٨]

١٥٨٤ ـ مَن سَرَّهُ الغِنَى بِلَا مَالٍ فلْيَتَّقِ اللَّه، ومَنْ سَرَّهُ أَن يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُن بِمَا في يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَن يكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. [ك ١: ٢٠٨]

١٥٨٥ ـ مَن سَرَقَ مِن الأَرْضِ شِبْراً كلَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيامَةِ نَقْلَهُ. [ق: ٢٨]

١٥٨٦ ـ مَن سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ قُتِلَ بِهِ. [ر ٢: ٢٣٢]

١٥٨٧ ـ مَنْ سَمِعَ بِفاحِشَةٍ فَأَبْدَاها، كانَ كمَنْ أَتَاها[3]. [ح ٢٠: ٢٧٣]

١٥٨٨ ـ مَنْ شَبِعَ[4] عُوقِبَ في الحَالِ ثَلاثَ عُقُوبَاتٍ: يُلْقَى الغِطَاءُ عَلَى قَلْبِهِ، والنُّعاسُ عَلَى عَيْنَيْهِ، والكَسَلُ عَلَى بَدَنِهِ. [ح ٢٠: ٣٢٠]

١٥٨٩ ـ مِن شَرَفِ هٰذِهِ الكَلِمَة، وهِيَ «الحَمْدُ لِلَّهِ» أَنَّ اللَّه تَعَالَى جَعَلَها فاتِحَة كِتَابِهِ، وَجعلَهَا خَاتِمةَ دعوَى أَهْلِ جَنَّتِهِ، فَقَال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]. [ح ٢٠: ٣٤٧]

١٥٩٠ ـ مَن شَكَا الحاجَةَ إِلى مُؤمِنٍ فكأَنَّهُ شَكاهَا إِلى اللَّهِ، ومَنْ شَكَاهَا إِلى كافِرٍ فكأَنَّما شَكا اللَّهَ. [ر ٢: ٢٥١]

١٥٩١ ـ مَن صارَعَ الحَقَّ صَرَعَهُ. [ر ٢: ٢٤٦]

١٥٩٢ ـ مَن صَبَرَ صَبْرَ الأَحْرَار.. وإِلَّا.. سَلَا سُلُوَّ الأَغْمَار[5].

---

(١) نفس الإنسان طلعة تواقة إلى نيل كل شيء، وأمارة بالسوء؛ فإن أعطاها بغيتها فيما تشتهيه، لم تقف عند حد فكلفته ما يكرهه ويشق عليه، ورحم الله البوصيري حيث يقول:

والنفسُ كالطِّفل إن تُهمله شبَّ على ... حُبِّ الرِّضاعِ وإن تَفطِمْه ينفطِمِ

(٢) العشير: المعاشر والصديق.

(٣) لأن الله يكره أن تشيع الفاحشة في عباده ويحب الستر لهم والآثار في ذلك كثيرة.

(٤) كثرة الأكل وملء البطن منه مما يكرهه الدين، حتى قالت السيدة عائشة: إن الشبع من الطعام، أول بدعة في الإسلام، وجاء في الآثار: أبغض الحلال إلى الله: الطلاق وكثرة الأكل. وكان الرسول ﷺ إذا تغدى لم يتعش، وإذا تعشى لم يتغدَّ.

(٥) الأغمار: جمع غمر مثلث الأول وهو الجاهل الذي لم يجرب الأمور، ومن فاته شرف الجلد والصبر فلا بدّ يوماً أن يسلو بطول المدة فالصبر أولى وفي ذلك يقول المتنبي:

وللواجدِ المكروبِ من زفراتِهِ ... سُكونُ عَزاءٍ أو سُكونُ لُغوبِ

وفي خبر آخر أنه رضي الله عنه قال للأشعث بن قيس مُعَزّياً:
إن صَبَرْتَ صَبْرَ الأكارِم، وإلّا.. سَلَوْتَ سُلُوَّ البَهائِم.

١٥٩٣ ـ مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ بالصِّدْقِ والنَّصِيحَةِ، كانَ أَكْثَرَ عَدُوًّا مِمَّنْ صَحِبَهُ بالغِشِّ والخِيَانَةِ(١). [ح ٢٠: ٢٧٥]

١٥٩٤ ـ مَن صَحِبَ السُّلْطَانَ وَجَبَ أَن يكُونَ مَعَهُ كَراكِبِ البَحْرِ، إن سَلِمَ بِجِسْمِه مِنَ الغَرَقِ، لَمْ يَسْلَمْ بقَلْبِه مِنَ الفَرَقِ(٢). [ح ٢٠: ٢٧٥]

١٥٩٥ ـ مَن ضَاقَ خُلُقُه مَلَّهُ أَهْلُهُ(٣). [ق: ٢٧]

١٥٩٦ ـ مَن ضَنَّ بِعِرْضِهِ، فَلْيَدَعِ المِرَاءَ(٤). [ر ٢: ٢٣٥]

١٥٩٧ ـ مَن ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ، أُتِيحَ لَهُ الأَبْعَدُ(٥). [ر ٢: ١٥١]

١٥٩٨ ـ مَن طَالَ صَمْتُه اجْتَلَبَ مِنَ الهَيْبَةِ ما يَنْفَعُه، ومِن الوَحْشَةِ ما يَضُرُّه(٦). [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٥٩٩ ـ مَن طَالَ عُمْرُه، رَأَى في أَعْدَائِه ما يَسُرُّه(٧). [ح ٢٠: ٣٤١]

١٦٠٠ ـ مَنْ طَالَ لِسانُه وَحَسُنَ بَيَانُه، فَلْيَتْرُكِ التَّحَدُّثَ بغَرائِبِ ما سَمِعَ؛ فإنَّ الحَسَدَ لِحُسْنِ ما يَظْهَرُ مِنْهُ يَحْمِلُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى تَكْذِيبِه، ومَنْ عَرَفَ أَسْرَارَ الأُمُورِ الإلٰهيَّةِ فلْيَتْرُكِ الخَوْضَ فِيها؛ وإلّا حَمَلَتْهُمُ المُنَافَسَةُ عَلَى تَكْفِيرِه(٨). [ح ٢٠: ٣٣٦]

١٦٠١ ـ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ(٩). [ر ٢: ٢٤٣]

---

(١) لأن صحبته للسلطان بالإخلاص تجعله قريباً منه، فيحسده الناس على ذلك، ويجتهدون على إفساد ما بينهما.

(٢) الفرق: الخوف؛ كان ذلك في العهود الاستبدادية التي كان فيها السلطان كل شيء، أما في عصرنا الدستوري فقد أصبح الرعاة نازلين على حكم الرعية.

(٣) لأن ضيّق الصدر لا يتسع لآمال الناس وآلامهم لذلك يمجونه وينصرفون عنه.

(٤) ضن: بخل، والمراد: الجدال في غير حق، وفي تركه صون للعرض عن الطعن.

(٥) أتيح له: قدر له، وكم من شخص أضاعه أقاربه، فقدر الله له من الأباعد من يحفظه ويساعده.

(٦) الصموت يهابه الناس، ولكنهم يجفلون منه ويخافونه؛ ظنًا منهم أنه يضمر ما يكرهون.

(٧) لأن طول عمره سيريه أعداءه وقد مرضوا ثم ماتوا!!

(٨) ما أصدق ما قال الإمام، فإن أهل البيان والفصاحة يكثر حسادهم في كل عصر ومصر. وأئمة الصوفية الذين باحوا بالأسرار الإلهية، رموا بالكفر والزندقة، وقتل وصلب كثير منهم!!

(٩) أي أن الذي يطلب، ويعمل لما يطلبه، ويداوم على ذلك.. لا بدّ أن يناله أو ينال بعضاً منه. والله لا يضيع أجر العاملين.

١٦٠٢ ـ مَنْ طَلَبَ عِزّاً بظُلْمٍ وباطِلٍ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلّاً بإنْصافٍ وحَقٍّ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٦٠٣ ـ مَنْ طَلَبَ عَظِيماً خاطَر بعَظَمَتِه. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٦٠٤ ـ مَنْ طَلَبَ عِلْمَ النُّجُوم تَكَهَّنَ[٢]. [ق: ٢٧]

١٦٠٥ ـ مَنْ طَلَبَ الكِيمياءَ افْتَقَرَ[٣]. [ق: ٢٧]

١٦٠٦ ـ مَنْ طَلَبَ ما لَا يَعْنِيه فَاتَهُ ما يَعْنِيه. [ز: ٢٩]

١٦٠٧ ـ مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً، فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[٤]. [ر ٢: ٢٠٤].

١٦٠٨ ـ مَنْ عابَ سَفِلَةً فَقَدْ رَفعَهُ، ومَنْ عابَ كَرِيماً فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ[٥]. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١٦٠٩ ـ مَنْ عاتَبَ وَوَبَّخَ، فَقَدِ اسْتَوْفَى حَقَّهُ[٦]. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١٦١٠ ـ مَنْ عَجز عَنْ مَعْرِفَةِ نَفْسِه، فَهُوَ عَن مَعْرِفَةِ خَالِقِه أَعْجَزُ. [ح ٢٠: ٢٩١]

١٦١١ ـ مَنْ عَدِمَ فَضِيلَةَ الصِّدْقِ في مَنْطِقِه، فَقَد فجِعَ بأَكْرَمِ أَخْلَاقِه[٧]. [ح ٢٠: ٣٣٦]

١٦١٢ ـ مَنْ عَذُبَ لِسَانُه كَثُرَ إخْوَانُه[٨]. [ز: ٢٨]

١٦١٣ ـ مَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ لَمْ يُغْفِلِ الاسْتِعْدَادَ. [ق: ٢٨]

١٦١٤ ـ مَنْ عَرَفَ الحَقَّ، لَمْ يَعْتَدَّ بالخَلْقِ[٩]. [س: ٣٤٥]

---

(١) جرت سنة الله في خليقته: أن من يعتز بغير الوسائل التي ترضيه تعالى، يذوق الذل والهوان بحكم شريعة العدل الإلهي التي لا تتخلف أحكامها.

(٢) تكهن: صار كاهناً يقضي بالغيب. وهو حرام. وفي الأثر: «**كذب المنجمون ولو صدقوا**».

(٣) الكيمياء: اسم صنعة معروفة يبتغي بها المرء الثراء من غير وجهه المشروع.

(٤) بأن تعمل الخير الذي ظنه بك.

(٥) سفلة الناس ـ كسدرة، وبفتح السين وكسر الفاء: أسافلهم وغوغاؤهم. وعيب السافل تنويه بشأنه، وعيب الكريم يحط من قدر عائبه، وقديماً قال الشاعر:

لا تضَعْ من عظيمِ قدرٍ وإن كنتَ ... مُشاراً إليه بالتعظيم
فالشريفُ الكريمُ ينقصُ قدراً ... بالتعدّي على الشريفِ الكريم
ولعُ الخمرِ بالعقولِ رمى الخمرَ ... بتنجيسها، وبالتحريم

(٦) أي ليس من حقه بعد ذلك، أن ينتظر إنصافاً، فقد انتصف لنفسه.

(٧) الصدق أصل لكثير من الفضائل الإنسانية، فالفجيعة فيه فجيعة للإنسان في أكرم مواريثه!!

(٨) وفي القرآن الكريم ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وفي الحديث الشريف: «**ليكن وجهك بسطاً** ـ بكسر فسكون أي: طلقاً ـ **وكلمتك لينة تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء**».

(٩) الحق: هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو هو ضد الباطل. والرجل المؤمن بالله حق الإيمان، أو المؤمن بالحق، لا يبالي في سبيل ذلك برضاء المخلوقين أو غضبهم.

١٦١٥ ـ مَن عَرَفَ الدُّنيا، لَمْ يَحْزَنْ لِلْبَلْوَى[١]. [ح ٢٠: ٢٧١]

١٦١٦ ـ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ[٢]. [ح ٢٠: ٢٩٢]

١٦١٧ ـ مَنْ عُرِفَ بالحِكْمَةِ لاحظَتْهُ العُيُونُ بالوَقارِ. [ق: ٢٨]

١٦١٨ ـ مَنْ عَزَفَتْ نَفْسُه عَن دَنِيءِ المَطامِعِ كَمُلَتْ مَحَاسِنُه، ومَن كَمُلَتْ مَحاسِنُه حُمِد، والمحمُودُ مَحْبُوبٌ. ولَنْ يحِبَّ العِبادُ عَبْداً إلَّا بَعْدَ حُبِّ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ إيَّاهُ، فَتَكُونُ المحَبَّةُ دَرَجَةً إلى نَيْلِ صَلَاحِ مَعاشِه، مَعَ وُفُور مَعادِه[٣]، ومَن اجْتَمَعَتْ لَهُ الخَصْلَتَانِ كَمُلَتْ سَعَادَتُه، والشَّقِيُّ الكامِلُ الشَّقاءِ مَنْ كانَ بِخلَافِ ذَلِك. [ق: ١٤٠]

١٦١٩ ـ مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرِ المَوْتَ؛ فإنَّها تَهُونُ عَلَيْهِ، ومَنْ ضَاقَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَذْكُرِ القَبْرَ؛ فإنَّهُ يَتَّسِعُ. [ح ٢٠: ٣٣٦]

١٦٢٠ ـ مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ المَصَائِبِ ابْتَلاهُ اللّهُ بِكِبارِها[٤]. [ر ٢: ٢٥٥]

١٦٢١ ـ مَنْ عَلِمَ أنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِه.. قَلَّ كلَامُهُ؛ إلَّا فِيما يَعْنِيه[٥]. [ر ٢: ٢٢٣]

١٦٢٢ ـ مَنْ عَلِمَ أنَّهُ يُفارِقُ الأحْبَابَ، ويَسْكُنُ التُّرَابَ، ويُوَاجِهُ الحِسَابَ، ويَسْتَغْنِي عَمَّا تَرَك، ويَفْتَقِرُ إلى ما قَدَّمَ.. كانَ حَرِيًا بِقِصَرِ الأمَلِ، وطُولِ العَمَلِ. [ح ٢٠: ٢٦٨]

١٦٢٣ ـ مَنْ عَلِمَ مِن أَخِيهِ مُرُوءَةً جَمِيلَةً فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ الأقاوِيلَ. [ق: ٢٨]

١٦٢٤ ـ مَنْ عَمِلَ بالعَدْلِ فِيمَنْ دُونَهُ، رُزِقَ العَدْلَ مِمَّنْ فوقَهُ[٦]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٦٢٥ ـ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ أبِيهِ، كُفِيَ نِصْفَ التَّعَبِ[٧]. [ح ٢٠: ٣٣٥]

---

(١) لأن الدنيا طبعت على الكدر والنكد، فما يحدث فيها من البلاء ليس غريباً عنها، ثم إن مصائبها غير دائمة، فهي ذات غِيَر وصروف.

(٢) ولن يعرف المرء ربه إلا إذا عصى الشيطان وأطاع الرحمن.

(٣) المعاد: المراد به يوم القيامة.

(٤) من تفاقم به الجزع عند المصائب الخفيفة ولم يستسلم لقضاء ربه. عاقبه الله بما هو أعظم منها، تأديباً له وزجراً!!

(٥) والله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم . . .﴾ [النور: ٢٤].

(٦) أي من عدل فيمن هو أقل منه، عدل فيه من هو أكبر منه جزاء وفاقاً، وهو مشاهد وملموس.

(٧) والسر في هذا أن الأعمال والصناعات تورث كما حققته التجارب والبحوث الحديثة. وفوق ذلك، فإن المتعاملين مع الأب، يتعاملون مع الابن وفي ذلك كسب عظيم.

١٦٢٦ ـ مَنْ غَرَسَ النَّخلَ أَكَلَ الرُّطَبَ، ومَنْ غرسَ الصَّفْصَافَ والعُلَّيْقَ عَدِمَ ثَمَرَتَهُ، وذَهَبَتْ ضَيَاعاً خِدْمَتُهُ[١]. [ح ٢٠: ٣٠٧]

١٦٢٧ ـ مَنْ غَلَبَ لِسَانُهُ أَمَّرَهُ قَوْمُه[٢]. [ق: ٢٨]

١٦٢٨ ـ مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُه كانَ كَمَنْ غَصَّ بالمَاءِ؛ فإنَّهُ لَوْ غَصَّ بِغَيْرِهِ لأساغَ المَاءُ غُصَّتَهُ[٣]. [ح ٢٠: ٣٠٨]

١٦٢٩ ـ مَنْ فَعَلَ ما شَاءَ، لَقِيَ ما سَاءَ[٤]. [ح ٢٠: ٣٤٤].

١٦٣٠ ـ مَنْ قَبِلَ عَطَاءَكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الكَرَمِ، وَلَوْلَا مَنْ يَقْبَلُ الجُودَ، لَمْ يَكُنْ مَنْ يَجُودُ. [ح ٢٠: ٣٤٣].

١٦٣١ ـ مَنْ قَبِلَ مَعْرُوفَكَ، فَقَدْ بَاعَكَ مُرُوءَتَهُ[٥]. [ح ٢٠: ٣٤٣].

١٦٣٢ ـ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّن كَانَ يَتَّخِذُ آياتِ اللَّه هُزُواً[٦]، [ر ٢: ٢٠١].

١٦٣٣ ـ مَنْ قَصَّرَ في العَمَلِ ٱبْتُلِيَ بالهَمِّ[٧]. وَلَا حَاجَةَ للَّهِ فيمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ في مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ. [ر ٢: ١٧٨].

---

(١) هذا تمثيل حسي لمن يصنع الخير والشر، ولمن يعمل ما ينفع وما لا ينفع.

(٢) أمروه: جعلوه أميراً عليهم؛ لأنه ملك زمام نفسه فمن حقه على قومه أن يملكوه زمامهم.

(٣) بطانة الإنسان: خاصته، وإذا فسدت خاصته فبمن يثق؟ وإلى من يطمئن؟ والشاعر يقول:

إلى الماءِ يسْعَى مَن يَغَصُّ بِزادِه ... فقُل أينَ يسعَى مَن يغَصُّ بماء؟

ويقول آخر:

لو بغيرِ الماءِ حلْقِي شَرِقٌ ... كنت كالغصَّان بالماء اعتصاري

الاعتصار: أن تشرب الماء قليلاً قليلاً؛ لتزول غصتك بالطعام.

(٤) أي من فعل كل ما أراد دون تمييز بين الخير والشر، لقي كل ما يكره من الآفات والمصائب.

(٥) المروءة: الإنسانية، أي قد جعل نفسه عبداً لك!! والمراد: أن فضله عليك ليس بدون فضلك عليه، وفي ذلك يقول بعض العصريين:

سأشكرُ للحُرِّ الكريم صنيعةً ... وأشكو إليه أنه استعبد الحُرّا

(٦) لأنه ـ لا شك ـ لم يعمل بما أتى به القرآن؛ ولذا لم تنفعه قراءته.

(٧) الهم: الحسرة على فوات ثمرات عمله، ومن لم يجعل لله نصيباً في ماله بالبذل في سبيله، ولا نصيباً في روحه باحتمال التعب في إعزاز دينه ـ فلن يكون له رجاء في فضل الله، ولن يكون في الحقيقة عبد الله، بل عبد نفسه والشيطان.

١٦٣٤ ـ مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ(١). [ر ٢: ١٩٠]

١٦٣٥ ـ مَنْ قَلَّبَ الأَحْوَالَ عَرَفَ جَوَاهِرَ الرِّجَالِ. [ق: ٢٨]

١٦٣٦ ـ مَنْ كَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ(٢). [ر ٢: ٢٣٣]

١٦٣٧ ـ مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ رِزْقِ اللّهِ سُبْحَانَهُ فَلْيُصْلِحْهُ؛ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ إِذا أَحْتَاجَ الْمَرْءُ فيهِ إِلى النَّاسِ، كانَ أَوَّلَ ما يَبْذُلُهُ لَهُمْ دِينُهُ(٣). [ح ٢٠: ٣١٢]

١٦٣٨ ـ مَنْ كانَ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلُ والنَّهَارُ فإنَّهُ يُسَارُ بِهِ.. وإنْ كانَ لَا يَسِيرُ. [ق: ٢٨]

١٦٣٩ ـ مَنْ كانَ هِمَّتُهُ ما يَدْخُلُ جَوْفَهُ، كانَتْ قِيمَتُهُ ما يَخْرُجُ مِنْهُ(٤). [ح ٢٠: ٣١٩]

١٦٤٠ ـ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيا هَمَّهُ، كَثُرَ فِي القِيَامَةِ غَمُّهُ(٥). [ح ٢٠: ٣١١]

١٦٤١ ـ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الخِيَرَةُ بِيَدِهِ(٦). [ر ٢: ١٩٠]

١٦٤٢ ـ مَن كَثُرَ حِقْدُهُ قَلَّ عِتابُهُ(٧). [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٦٤٣ ـ مَنْ كَثُرَ كَلَامُه كَثُرَ خطَؤه، ومَنْ كَثُرَ خطَؤه قَلَّ حيَاؤه، ومَن قَلَّ حيَاؤه قَلَّ وَرَعُه، ومَن قَلَّ وَرَعُه مَاتَ قَلْبُه، ومَن مَاتَ قَلْبُه دَخَلَ النَّارَ. [ر ٢: ٢٣٣]

---

(١) لأن قضاءك حق من لا يقضي حقك: خضوع له، واعتراف بأنه أعظم منك، وليست العبادة إلا ذلك. والشاعر يقول في بعض من ينتسب إلى العترة النبوية ولا يعمل مثلهم:

لـه حـقٌ ولـيـس عـليـهِ حـقٌ ومهما قالَ فالحسَنُ الجميلُ
وقد كان «الرَّسولُ» يرَى حقوقاً عـليـهِ لـغـيـرِه وهـو الـرسـولُ

(٢) كابدها: قاساها بلا إعداد أسبابها؛ فكأنه يجاذبها وتطارده.

(٣) يحث الإمام أصحابه على إصلاح الرزق والمحافظة عليه والاقتصاد في الإنفاق منه، واستثماره وتنميته، لأن الاحتياج إلى الناس، يحمل صاحبه على أن يبذل لهم دينه أول ما يبذل، وإذا كان هذا في عصر الإمام فكيف بالعصر الذي نعيش فيه؟!!

(٤) أي من كان كل همه الطعام والشراب، كانت قيمته ما يؤول إليه الطعام والشراب، وهي كناية من ألطف الكنايات وأبلغها.

(٥) لأنه أذهب كل طيباته في الحياة الدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب، وذلك هو الخسران المبين.

(٦) المراد: من نوى شيئاً في نفسه كان بالخيار أن يفعله أو يتركه، ولكن إذا أعلنه فربما أكرهته البواعث على فعله وقد يكون الضرر في ذلك، أو أجبرته العوائق على العدول عنه، وقد يكون في ذلك إزراء بكرامته، وخفض لمنزلته!!.

(٧) لأن العتاب لا يفيد في إنسان يضطرم بغضاً للناس، لا لشيء سوى فساد سريرته، وظلام باطنه.

١٦٤٤ ـ مَنْ كَثُرَ مُزَاحُه لَمْ يَسْلَمْ مِن ٱسْتِخْفَافٍ بِهِ، أَوْ حِقْدٍ عَلَيْهِ[١]. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٦٤٥ ـ مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقِمَ بَدَنُه، ومَنْ سَاءَ خُلُقُه عَذَّبَ نَفْسَهُ، ومَنْ لَاحَى الرِّجَالَ[٢] سَقَطَتْ مُرُوءَتُه، وذَهَبَتْ كَرَامَتُه، وأَفضَلُ إِيمَانِ العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كانَ. [ح ٢٠: ٢٥٩]

١٦٤٦ ـ مَنْ كَذَبَ ذَهَبَ بِمَاءِ وَجْهِهِ[٣]، ومَن سَاءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ[٤]، ونَقْلُ الصُّخُورِ[٥] مِن مَوَاضِعِها أَهْوَنُ مِن تَفْهِيمِ مَن لَا يَفْهَمُ. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١٦٤٧ ـ مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هَانَ عَلَيْهِ مَالُه[٦]. [ح ٢٠: ٣٢٧]

١٦٤٨ ـ مَن كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ[٧]. [ر ٢: ٢٥٥]

١٦٤٩ ـ مَنْ كَسَاهُ الحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ. [ر ٢: ٢٠٠]

١٦٥٠ ـ مَن كَسِلَ، لَمْ يُؤَدِّ حَقًّا. [ح ٢٠: ٢٧٢]

١٦٥١ ـ مَنْ لَانَ عُودُهُ، كَثُفَتْ أَغْصانُهُ[٨]. [ر ٢: ١٩٩]

---

(١) وفي مثل ذلك جاء قولهم: لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك.

(٢) لاحاه ملاحاة: نازعه. وتلاحوا: تنازعوا. وفي المثل: من لاحاك فقد عاداك.

(٣) الكذوب: يريق ماء وجهه شيئاً فشيئاً، حتى ينضب حياؤه جملة ويصير صفيقاً لا يبالي بذم ولا مدح، ورحم الله من قال:

حياءَكَ فاحفَظْه عليكَ فإنما ... يدُلُّ على أصلِ الكريم حياؤه

(٤) لأنه يعيش بين الناس بغيضاً إليهم ثقيلًا عليهم لا يألف ولا يؤلف كأنه في سجن مظلم!

(٥) لأن نقل الصخور يقع عبؤه على الجسد، وتفهيم البغي يقع عبؤه على الروح، والمتنبي يقول:

ومن البَليّةِ عَذْلُ من لا يَرْعوِي ... عَنْ جهلِهِ وخطابُ مَن لا يفهمُ

(٦) وفي مثله يقول الشاعر:

أصونُ عِرضِي بِمالي لا أدنّسُهُ ... لا باركَ اللهُ بعدَ العرضِ في المالِ

(٧) لأن كرام النفوس يتسامون بها عما يقدح في شرفهم، ويخدش عرضهم، ويحط منزلتهم، ولو كان مما تميل إليه الطباع، وفي ذلك يقول المتنبي:

وغيرُ فُؤادي للغَواني رَمِيَّةٌ ... وغيرُ بَناني للزِّجاجِ رِكابُ

تركنا لأطرافِ القنا كلَّ شهوةٍ ... فليس لنا إلا بهنَّ لِعابُ

الزجاج: بكسر الزاي المشددة جمع زج بضم الزاي: الحديدة في أسفل الرمح.

ويقول آخر:

إذا أنتَ لم تعْصِ الهوَى قادَكَ الهوَى ... إلى كلِّ ما فيه عليكَ مقالُ

(٨) يريد من لين العود: طراوة الجثمان الإنساني ونضارته بحياة الفضل، وماء الهمة، وكثافة الأغصان: كثرة الآثار التي تصدر عنه كأنها فروعه. أو يريد بها: كثرة الأصحاب، والتفاف الأعوان.

١٦٥٢ ـ مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ، وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ. [ك ١: ٦٤]

١٦٥٣ ـ مَنْ لَمْ تَسْتَقِمْ لَهُ نَفْسُه، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ. [ح ٢٠: ٣١٠]

١٦٥٤ ـ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ أُهْبَةَ الصَّلَاةِ قَبْلَ وَقْتِهَا فَمَا وَقَّرَهَا[١]. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١٦٥٥ ـ مَنْ لَمْ يَثِقْ، لَمْ يُوثَقْ بِهِ[٢]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٦٥٦ ـ مَنْ لَمْ يَحْمَدْ صَاحِبَهُ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ، لَمْ يَحْمَدْهُ عَلَى حُسْنِ الصَّنِيعَةِ[٣]. [ح ٢٠: ٣١١]

١٦٥٧ ـ مَنْ لَمْ يَحْمَدْكَ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ، لَمْ يَشْكُرْكَ عَلَى جَمِيلِ العَطِيَّةِ. [ح ٢٠: ٣٣٥]

١٦٥٨ ـ مَنْ لَمْ يَرْجُ إِلَّا ما يَسْتَوْجِبُهُ، أَدْرَكَ حَاجَتَهُ[٤]. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٦٥٩ ـ مَنْ لَمْ يُصْلِحْ خَلَائِقَهُ، لَمْ يَنْفَعِ النَّاسَ تَأْدِيبُهُ[٥]. [ح ٢٠: ٢٦٣]

١٦٦٠ ـ مَنْ لَمْ يَقْهَرْ حَسَدَهُ، كَانَ جَسَدُهُ قَبْراً لِنَفْسِهِ[٦]. [ح ٢٠: ٢٥٨]

١٦٦١ ـ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ، لَمْ يَكْمُلْ عَقْلُهُ. [ق: ٢٨]

١٦٦٢ ـ مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ، أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ. [ر ٢: ١٩٣]

١٦٦٣ ـ مَنْ لَمْ يَنْشَطْ لِحَدِيثِكَ، فَارْفَعْ عَنْهُ مَؤُونَةَ الاسْتِمَاعِ مِنْكَ[٧]. [ح ٢٠: ٣١٤]

---

(١) المتقون يستعدون للصلاة قبل حلول وقتها؛ لأن قلوبهم متعلقة بها وفي الحديث: «سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله . . .» منهم «ورجل معلق قلبه بالمساجد».

(٢) الرجل الكثير التظنن، الذي تسيطر عليه الريب والشكوك، يعامله الناس بمثل ما يعاملهم به، ولم يظلموه في ذلك.

(٣) لأن حسن النية عماد الصداقة، فمن لم يعرف قيمتها لا يعرف قدر المعروف؛ لأنها أجل من المعروف.

(٤) ما يستوجبه: ما يستحقه. وإنما يدرك حاجته، لأنه لم يطلب غير حقه، ومن طلب فوق حقه عوقب بالحرمان.

(٥) لأن الناس لا يسمعون ولا يقتدون إلا بمن اعتقدوا فيه الكمال، والشاعر يقول:

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتُّقى ... طَبيبٌ يُداوي الناسَ وهو مريضُ!

(٦) لا شيء أقتل للحاسد من الحسد، لهذا يقول بعضهم: ما رأيت خلقاً أنصف من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود، والشاعر يقول:

إصْبِرْ على كيدِ الحسو ... دِ فإنَّ صبرَكَ قاتِلُهْ

كالنَّارِ تأكلُ بعضَها ... إنْ لم تَجِدْ ما تأكُلُهْ

(٧) من قولهم: نشاط المحدث من نشاط السامع، فمن الكرامة للمحدث أن يمسك عن التحدث إلى من لم يصغ إليه.

١٦٦٤ ـ مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنيا. الْتَاطَ[١] قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلاثٍ: هَمٌّ لا يُغِبُّه[٢]، وحِرْصٌ لا يَتْرُكُه، وأَمَلٌ لا يُدْرِكُه. [ر ٢: ٢٠٠]

١٦٦٥ ـ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ الْجَمِيلِ وهُوَ رَاضٍ عَنْكَ، ذَمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ القَبِيحِ وهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ[٣]. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٦٦٦ ـ مَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بهِ. [ق: ٢٨]

١٦٦٧ ـ مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ[٤]. [ر ٢: ١٩٠]

١٦٦٨ ـ مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ[٥]. [ر ٢: ١٩٩]

١٦٦٩ ـ مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إماماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، ولْيَكُنْ تأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ، قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِه، ومُعَلِّمُ نَفْسِه ومُؤَدِّبُها أَحَقُّ بالإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ[٦]. [ر ٢: ١٦٣]

١٦٧٠ ـ مَنْ نَظَرَ اعْتَبَرَ[٧]. [س: ٣٤٦]

١٦٧١ ـ مَنْ نَظَرَ في عَيْبِ نَفْسِه، اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِه. [ر ٢: ٢٣٣]

١٦٧٢ ـ مَنْ نَظَرَ في عُيُوبِ النَّاسِ. فأَنْكَرَها، ثُمَّ رَضِيهَا لِنَفْسِهِ فذلِكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِه[٨]. [ر ٢: ٢٣٣]

١٦٧٣ ـ مَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ، انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِه[٩]. [ق: ٢٨]

---

(١) التاط: لصق.

(٢) الإغباب: الزيارة مرة بعد مرة، والمراد: همٌّ ملازم لا يفارقه.

(٣) لأن مثل هذا منافق ليس له ضمير ولا ذمة، فهو يمدح ويذم بحسب ما يروقه.

(٤) استبد، قال ابن أبي الحديد: المعنى: أن الأغلب في كل ملك أن يستأثر على الرعية بالمال والعز والجاه ونحو هذا.. قولهم: من غلب سلب، ومن عزّ.. بز، ونحوه قول أبي الطيب:

والظُّلمُ من شِيَمِ النفوسِ، فإنْ تجد ... ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

(٥) نال: أي أعطى، يقال: نلته (على وزن قلته): أعطيته، وهذا مثل قولهم: من جاد ساد. فإن الاستطالة اعتلاء بالفضل.

(٦) وفي مثله يقول الشاعر:

يا أيُّها الرَّجلُ المعلِّمُ غيرَه ... هلّا لنفسك كان ذا التَّعليمُ

تصفُ الدواءَ لذي السَّقام وذي الضَّنى ... كيما يَصِحُّ به وأنتَ سقيمُ

ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غَيِّها ... فإذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ

(٧) النظر ـ كسبب ـ: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه. والاعتبار: الاتعاظ.

(٨) لأنه قد أقام الحجة لغيره على نفسه، ورضي برجوع عيبه على ذاته.

(٩) وقد ورد: كما تدين تدان.

١٦٧٤ ـ مَنْ وَضَعَ نَفْسه مَواضِعَ التُّهمَةِ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ[١]. [ر ٢: ١٨٩]

١٦٧٥ ـ مَنْ وَطِئَتْهُ الأَعْيُن، وَطِئَتْهُ الأَرْجُل[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٩]

١٦٧٦ ـ مَنْ يَثِقْ بِكَ، أَوْ يَرْجُو صِلَتَك. . إذا قَطَعْتَ صِلَةَ قَرَابَتِك؟ [ق: ٢٨]

١٦٧٧ ـ جاء الأشعث[٣] إليه وهو على المنبر، فجعل يتخطّى رقابَ النّاس حتى قرُب منه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، غلبتْنا هذه الحمراءُ على قُربك ـ يعني العجم ـ فركض المنبرَ برجله[٤] حتى قال صَعْصَعةُ بنُ صُوحان: ما لنا وللأشعث؟! ليقولَنَّ أميرُ المؤمنين رضي الله عنه اليومَ في العربِ قولًا لا يزالُ يُذكرُ؛ فقال رضي الله عنه:

مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هٰؤُلاءِ الضَّياطِرَة[٥]؟ يَتَمَرَّغُ أَحدُهُم عَلَى فِرَاشِه تَمَرُّغَ الحِمَارِ، ويُهَجِّرُ قَوْمٌ للذِّكْرِ[٦]؛ أَفتَأْمُرُونَنِي أَنْ أَطْرُدَهُم؟ ما كُنْتُ لأَطْرُدَهُم فأَكُونَ مِن الجَاهِلِين. . !. . أما والَّذِي فَلَقَ الحَبَّة، وبَرَأَ النَّسَمَة، لَيَضرِبُنَّكُم عَلَى الدِّينِ عَوْداً، كما ضَرَبْتُمُوهُم عَلَيْهِ بَدْءاً. [ح ٢٠: ٢٨٤]

١٦٧٨ ـ مَنْ يُعْطِ باليَدِ القَصِيرَة، يُعْطَ باليَدِ الطَّوِيلَة[٧]. [ر ٢: ٢٠١، ٢٠٢]

١٦٧٩ ـ مِنْ أَدَاءِ الأَمَانَةِ المُكافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ؛ لأَنَّها كالوَدِيعَةِ عِنْدَك[٨]. [ح ٢٠: ٢٧٥]

---

(١) وفي الحديث الشريف: «رحم الله امرأ ذب الغيبة عن نفسه».

(٢) أي من جرؤت الأعين أن تتفتح فيه، جرؤت الأرجل أن تدوسه؛ لأن المهيب عادة تغضي الأعين حين تنظر إليه، وما أحسن قول الفرزدق في الإمام زين العابدين:

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مَهابَته ... فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسِمُ

(٣) الأشعث: هو الأشعث بن قيس الكندي من خواص رجال الإمام.

(٤) ركض المنبر برجله؛ غضباً من قول الأشعث.

(٥) الضياطرة والضياطر، والضيطارون: جمع ضيطر وضيطار والضوطر: الضخم اللئيم.

(٦) التهجير: التبكير إلى الصلوات؛ وهو المضي في أوائل أوقاتها، وفي الحديث: «المهجر إلى الجمعة كالمهدي بدنة».

(٧) اليد القصيرة: كناية عن نعمة العبد، والطويلة كناية عن نعمة الرب. ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيراً فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً، وفرق رضي الله عنه بين نعمة العبد ونعمة الرب، فجعل تلك قصيرة، وهذه طويلة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع.

(٨) ومتى ثبت أن الصنيعة كالوديعة، والوديعة واجبة الرد، فكذلك كان واجباً أن تؤدي مكافأة الصنيعة، وإلا كنت جاحداً لها. ومن قول المتنبي:

لكنْ رأيتُ قبيحاً أن يُجادَ لنا ... وأنَّنا بقضاءِ الحقِّ بُخالُ

١٦٨٠ ـ مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الكَرِيمِ غَفْلَتُه عَمَّا يَعْلَمُ(١). [ر ٢: ١٩٩]

١٦٨١ ـ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ البِرِّ: الجُودُ في العُسْرِ، والصِّدْقُ في الغَضَبِ، والعَفْوُ عِنْدَ القُدْرَةِ(٢). [ح ٢٠: ٣٠٤]

١٦٨٢ ـ مِنَ التَّوْفِيقِ الوُقُوفُ عِنْدَ الحَيْرَةِ(٣). [ق: ١٩]

١٦٨٣ ـ مِنَ الحَزْمِ العَزْمُ(٤). [ق: ١٨]

١٦٨٤ ـ مِنْ حقِّ العَالمِ عَلَى المُتَعَلِّم: أَلَّا يُكْثِرَ عَلَيهِ السُّؤال، ولا يُعَنِّتَهُ في الجَوَاب(٥)، ولا يُلِحَّ عَليهِ إِذا كَسِل، ولا يُفْشِيَ لَهُ سِرًّا، ولا يَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحداً، وأَلَّا تَطْلُبَ عَثْرَتَه، فإِذا زَلَّ تأَنَّيْتَ أَوْبَتَه(٦)، وقَبِلْتَ مَعْذِرَتَه، وأَن تُعَظِّمَهُ وتُوَقِّرَهُ ما حَفِظَ أَمْرَ اللهِ وعَظَّمَهُ؛ وأَلَّا تَجلِسَ أَمَامَهُ، وإِنْ كانَتْ لَهُ حاجَةٌ سبَقْتَ غَيْرَكَ إِلى خِدْمَتِه فِيها، ولا تَضْجَرَنَّ مِنْ صُحْبَتِه؛ فإِنَّما هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنها مَنْفَعةٌ. وخُصَّهُ بالتَّحِيَّة، واحْفَظْ شَاهِدَهُ وَغائِبَهُ؛ ولْيَكُنْ ذَلِكَ كُلُّهُ لِلَّهِ عزَّ وجلَّ، فإِنَّ العَالِمَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّائِمِ القَائِمِ المُجَاهِد في سَبِيلِ اللهِ، وَإِذا ماتَ العَالِمُ ثُلِمَ في الإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ(٧) لا يَسُدُّها إِلَّا خَلَفٌ مِنْهُ. وطَالِبُ العِلْمِ تُشَيِّعُهُ المَلَائِكَةُ حتَّى يَرْجِعَ. [ح ٢٠: ٢٦٩]

١٦٨٥ ـ مِنَ الحِكْمَةِ جَعْلُ المَالِ في أَيْدِي الجُهَّالِ، فإِنَّهُ لَوْ خُصَّ بهِ العُقَلَاءُ لَماتَ الجُهَّالُ جُوعاً، ولكِنَّهُ جُعِلَ في أَيْدِي الجُهَّالِ، ثُمَّ اسْتَنْزَلَهُم عَنْهُ العُقَلَاءُ بِلُطْفِهِم وَفِطْنَتِهِم(٨). [ح ٢٠: ٢٨٩، ٢٩٠]

---

(١) أي عدم التفاته لعيوب الناس وإشاعتها مع علمه بها، وذلك من أخلاق السادة الأشراف، وصدق الشاعر في قوله:

لَيس الغَبيُّ بسيِّدٍ في قومِهِ ... لكنْ سيِّدُ قومِهِ المُتغابي

(٢) لأن ذلك دليل على كرم النفس، وشرف معدنها، وصفاء جوهرها، وسلامة فطرتها.

(٣) أي من دلالة التوفيق والصواب، التثبت عند الأمور الملتبسة، وترك الخوض في المشتبهات.

(٤) الحزم: ضبط الرجل أمره، وأخذه بالثقة؛ والعزم: إرادة الفعل والقطع عليه، وقد نظم الشاعر ذلك فقال:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عَزيمةٍ ... فإنَّ فسادَ الرَّأيِ أن تتَردَّدا

(٥) الإعنات: تكليف المشقة.

(٦) الأوبة: الرجوع.

(٧) الثلمة بضم الثاء وسكون اللام ـ: الخلل في الحائط، وفرجة المكسور والمهدوم.

(٨) يريد الإمام: أن من التدبير الإلهي وجود المال في أيدي الجهلاء، لأنهم لو أعطوا على قدر=

١٦٨٦ ـ مِنَ الخُرْقِ المُعاجَلَةُ قَبْلَ الإمْكانِ، والأناةُ(١) بَعْدَ الفُرْصَة. [ر ٢: ٢٣٦]

١٦٨٧ ـ مِنْ خَيْرِ حَظِّ امْرِئٍ قَرِينٌ صَالِحٌ(٢). [ق: ١٩]

١٦٨٨ ـ مِنَ الخَيْطِ الضَّعِيفِ يُفْتَلُ الحَبْلُ الحَصِيفُ(٣)، ومِنْ مَقْدَحَةٍ(٤) صَغِيرَةٍ تَحْتَرِقُ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ، ومِنْ لَبِنَةٍ إلى لَبِنَةٍ تُبْنَى قَرْيَةٌ حَصِينَةٌ. [ح ٢٠: ٢٩٢]

١٦٨٩ ـ مِنْ سَبَبِ الحِرْمَانِ التَّوَانِي(٥). [ق: ١٩]

١٦٩٠ ـ مِنْ سَعَادَةِ الحَدَثِ ألَّا تَتِمَّ لَهُ فَضِيلَةٌ في رَذِيلَةٍ(٦). [ح ٢٠: ٣٣١]

١٦٩١ ـ مِنْ شَرِّ ما صَحِبَ المَرْءُ الحَسَدُ. [ق: ١٩]

= عقولهم لهلكوا. لعدم إحسانهم التصرف في الحياة، وأبو تمام يقول:

ولو كانت الأرْزَاقُ تجْري على الحِجا ... هَلكْنَ إذاً من جهلِهنَّ البهائمُ

ويقول آخر:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعْيت مذاهبُه ... وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهامَ حائِرةً ... وصيَّر العالمَ النّحريرَ زِنْديقا

(١) الخرق بالضم: الحمق وضد الرفق، والأناة: التأني، والفرصة: ما يمكنك من مطلوبك ـ ومن الحكمة ألا تتعجل حتى تتمكن، وإذا تمكنت فلا تمهل.

(٢) لأن القرين الصالح من الكنوز المفقودة، فالحصول عليه من النعم الجسام.

والشاعر يقول:

عَن المرءِ لا تسأل.. وسلْ عن قرينه ... فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

(٣) الحصيف: المحكم الفتل.

(٤) المقدحة: ما يقدح بها النار.

والمعنى: أن الأشياء الصغيرة تتكون منها الأشياء الكبيرة، فلا يصح الاستهانة بها، وهذا كقولهم: الذود إلى الذود: إبل، والذود كطود: ما بين الثنتين إلى التسع. والدرهم إلى الدرهم مال. والقطرة إلى القطرة سيل. ومعظم النار من مستصغر الشرر.

(٥) التواني: الفتور وعدم الجد في العمل، وليس وراءه إلا الخيبة والإخفاق، وفي ذلك يقول بعض العصريين:

أنتم بَنُو زَمنٍ يحدُو بكم عَجِلاً ... فسايِرُوه؛ فإنَّ السَّابق العَجِلُ

نالَ المعاليَ مَن ساروا بسيرَته ... وصاحبُ الرَّيْث سُدّت دُونه السُّبلُ

ويقول:

مشى الهُوَيْنَى ـ فلم يَظفَرْ بحاجته ـ ... مُقصِّرٌ يَبتغِي مجداً بلا سببِ

(٦) المراد: أن تكون أعماله وسيلة وغاية وسبباً، ونتيجتها كلها خير؛ فلا يقتل مثلاً؛ ليتصف بالشجاعة، ولا يبذر؛ لينعت بالكرم وهكذا؛ لأن الفاسد لا يثمر إلا فاسداً، وإنك لا تجني العنب من الشوك.

١٦٩٢ ـ مِنْ صِفَةِ العَاقِلِ أَلَّا يَتَحَدَّثَ بِمَا يُسْتَطاعُ تَكْذِيبُه فيهِ(١). [ح ٢٠: ٢٨٩]

١٦٩٣ ـ مِنَ العِصْمَةِ تَعَذُّرُ المَعاصِي(٢). [ر ٢: ٣٢١]

١٦٩٤ ـ مِنْ عَلَامَاتِ المَأْمُونِ عَلَى دِينِ اللَّهِ بَعْدَ الإِقْرَارِ والعَمَلِ: الحَزْمُ في أَمْرِه، والصِّدْقُ في قَوْلِه، والعَدْلُ في حُكْمِه، والشَّفَقَةُ عَلَى رَعِيَّتِه، لا تُخْرِجُه القُدْرَةُ إِلى خُرْقٍ(٣)، ولا اللِّينُ إِلى ضَعْفٍ، ولا تَمْنَعُه العِزَّةُ مِنْ كَرَمِ عَفْوٍ، ولا يَدْعُوه العَفْوُ إِلى إِضَاعةِ حَقٍّ، ولا يُدْخِلُه الإِعْطاءُ في سَرَفٍ، ولا يَتَخَطَّى بهِ القَصْدُ(٤) إِلى بخلٍ، ولا تأْخُذُه نِعَمُ اللَّهِ بِبَطَرٍ(٥). [ح ٢٠: ٢٥٥، ٢٥٦]

١٦٩٥ ـ مِنَ الفَسَادِ، إِضَاعَةُ الزَّادِ(٦). [ق: ١٩]

١٦٩٦ ـ مِنْكَ مَنْ أَعْتَبَكَ(٧). [ق: ١٦]

---

(١) أي لا يتحدث بأشياء غريبة فوق متناول عقول من يحدثهم ـ وإن كانت صحيحة ـ فيتصدى له من يكذبه فينهزم أمامه، والشافعي يقول: لو ناقشني جاهل لغلبني!!
ولأمر ما قال المعري:

ولما رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً … تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنّيَ جاهلُ
فوا عَجباً. كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ … ووا أسفاً. كم يُظهر النّقصَ فاضلُ

(٢) هو من قبيل قولهم: إن من العصمة ألا تجد، ورُوِيَ حديثاً.
قال ابن أبي الحديد: قد وردت هذه الكلمة على صيغ مختلفة: (من العصمة ألا تقدر) وأيضاً: (من العصمة ألا تجد) وليس المراد بالعصمة ههنا العصمة التي يذكرها المتكلمون؛ لأن العصمة عند المتكلمين من شرطها القدرة. والمراد: أن من حفظ الله للعبد، ألا يمكنه من الوقوع في المعصية لسبب من الأسباب، كالخوف من الفضيحة، أو لكبر السن، أو لضعف القدرة، وهو شبيه بقولهم: قد يثاب المرء رغماً عن أنفه.

(٣) الخرق: ضد الرفق، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور.

(٤) القصد: أمر بين الإفراط والتفريط.

(٥) البطر ـ كسبب ـ من معانيه: المرح، وقلة احتمال النعمة، والطغيان بالنعمة، وكراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهة، والتكبر عن قبول الحق.

(٦) الزاد في الأصل: طعام المسافر، والمراد به هنا: الأعمال الصالحة التي يتزود بها الإنسان في سفره الطويل إلى آخرته!! ومن قول الإمام: آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!!
ويقول الحطيئة:

وتقوى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخراً … وعندَ اللهِ للأتقى مَزيدُ

(٧) أعتبه سره بعدما ساءه. والاسم منه العتبى كعقبى. وتقول: استعتبه فأعتبه: أي استرضاه فأرضاه، والمراد أن من أعتبك فقد استبقى مودتك وأراد أن يظل جزءاً من حياتك ونفسك.

١٦٩٧ ـ مِنَ الكَرَمِ، لِينُ الشِّيَمِ، مِنَ الكَرَمِ صِلَةُ الرَّحِمِ، مِنَ الكَرَمِ مَنْعُ الحُرَمِ[١]. [ق: ١٨]

١٦٩٨ ـ مِنْ كَرَمِ المَرْءِ: بُكاؤه عَلَى ما مَضَى مِنْ زَمَانِه، وحَنِينُه إلى أَوْطَانِه، وحِفْظُه قَدِيمَ إخْوَانِه[٢]. [ح ٢٠: ٢٧٤]

١٦٩٩ ـ مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ العِظَامِ، إغاثَةُ المَلْهُوف[٣]، والتَّنْفِيسُ[٤] عَنِ المَكْرُوب[٥]. [ق: ٢٥]

١٧٠٠ ـ مِمَّا تُكْتَسَبُ بِهِ المَحَبَّةُ أَن تَكُونَ عَالِماً كَجَاهِلٍ، وَوَاعِظاً كَمَوْعُوظٍ[٦]. [ح ٢٠: ٣٣٠]

١٧٠١ ـ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْقُصُك إذا زِدْتَهُ، وتَهُونُ عَليهِ إذا خاصَصْتَهُ[٧]، لَيْسَ لِرِضاهُ مَوْضِعٌ تَعْرِفُه، ولا لِسُخْطِه مَكانٌ تَحْذَرُه، فإذا لَقِيتَ أُولئِكَ فابْذُلْ لَهُمْ مَوْضِعَ المَوَدَّةِ العَامَّةِ، واحْرِمْهُمْ مَوْضِعَ الخَاصَّةِ؛ لِيَكُونَ ما بَذَلْتَ لَهُمْ مِنْ ذَلِك حائِلاً دُونَ شَرِّهِم، وما حَرَمْتَهُمْ مِنْ هَذَا قاطِعاً لِحُرْمَتِهِم[٨]. [ح ٢٠: ٣٢٠]

١٧٠٢ ـ مِنَ النَّقْصِ أن يَكُونَ شَفِيعُك شَيْئاً خَارِجاً عَنْ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ[٩]. [ح ٢٠: ٢٩٦]

---

(١) الشيم: جمع شيمة كقيمة، وهي: الخلق. والمنع: الصون. والحرم بضم ففتح: جمع حرمة ـ بضم الحاء ـ وهي ما لا يحل انتهاكه.

(٢) وإنما كانت هذه الأشياء من الكرم؛ لأنها تدل على الوفاء المحض والإخلاص الجم، وصدق العاطفة، وقوة الإحساس، وحياة الضمير.

(٣) الملهوف: المظلوم يستغيث.

(٤) التنفيس: التفريج.

(٥) المكروب: الذي أخذ الحزن بنفسه أو بنفسه ـ بسكون الفاء وفتحها.

(٦) من طبائع الناس أنهم يحبون من يتواضع لهم، ويسويهم بنفسه، ويكرهون التعالي والغرور، حتى ممن هو أكثر علماً وأعلى منزلة، فإذا تواضع لهم العالم ـ حتى كأنه جاهل ـ ورفق بهم الواعظ ـ حتى كأنه موعوظ ـ اكتسب محبتهم وحاز ثقتهم، فانتفعوا بعلمه، وتأثروا بوعظه.

(٧) خاصصته: جعلته ممن تخصهم بفضلك، وتؤثرهم بمودتك.

(٨) الحرمة: الذمة. يشير الإمام إلى طائفة من الناس تبتلى بصداقتهم ولا تستطيع الخلاص منهم فتعيش معهم في حيرة لغرابة أطوارهم، يقابلون الخير بالشر، والإحسان بالإساءة، فمن الحزم مع هؤلاء أن تنزلهم منزلة العامة لا الخاصة، لتأمن شرهم من جهة، ولتحرمهم الدالة عليك من جهة أخرى.

(٩) الشفاعة الخارجة عن الذات والصفات، هي الشفاعة التي لا تمت إلى الشرف والكرامة والمروءة=

١٧٠٣ ـ مِنْ هَوَانِ الدُّنيا عَلى اللهِ أَنَّهُ لا يُعْصَى إلّا فِيها، ولا يُنَالُ ما عِنْدَهُ إلّا بِتَرْكِها. [ر ٢: ٢٤٣]

١٧٠٤ ـ مَنْهُومَان لا يَشْبَعَان[١]: طَالِبُ عِلْمٍ، وطَالِبُ دُنْيا. [ر ٢: ٢٥٧]

١٧٠٥ ـ المَنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّة، والتَّقَلُّل ولا التَّوَسُّل[٢]، والدَّهْرُ يَوْمانِ: يَوْمٌ لَكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ.. فإذا كانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وإذا كانَ عَلَيْكَ فاصْبِرْ. [ر ٢: ٢٤٥]

١٧٠٦ ـ وشَكا إليه رجل تعذُّرَ الرِّزق، فقال:

مَهْ[٣].. لا تُجَاهِد الرِّزْقَ جِهَادَ المُغَالِب، ولا تَتَّكِلْ عَلَى القَدَرِ اتِّكالَ المُسْتَسْلِم؛ فإنَّ ابْتِغَاءَ الفَضْلِ.. مِنَ السُّنَّةِ، والإجْمَالَ في الطَّلَب.. مِنَ العِفَّةِ، ولَيْسَتِ العِفَّةُ دَافِعَةً رِزْقاً، ولا الحِرْصُ جالِباً فَضْلاً؛ لأَنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ، وفي شِدَّةِ الحِرْصِ اكْتِسَابُ المآثِم. [ح ٢٠: ٢٦١]

١٧٠٧ ـ مُوَاصَلَةُ المُعْدِمِ[٤] خَيْرٌ مِنْ مُواصَلَةِ جَافٍ مُكْثِرٍ[٥]. [ق: ١٧]

١٧٠٨ ـ المَوْتُ خَيْرٌ لِلمُؤْمِنِ والكَافِرِ: أَمَّا المُؤْمِنُ فَيَتَعَجَّلُ لَهُ النَّعِيمُ، وأَمَّا الكَافِرُ فَيَقِلُّ عذَابُه[٦]، وآيَةُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾

= والفضيلة بنسب ولا سبب، وهي عادة تسود في العهود الحزبية فيموت بها العدل، ويزهق الحق، ويسود الباطل، وينتشر الفساد، ويتولى الأمور من لا يصلح لها ولا تصلح عليه، وفي تصوير ذلك يقول بعض العصريين.

قد سبقنا بكل فدم غبيٌّ ... ليس في العدل أن يكون سَبُوقا
قدّمته دوني وسائله الدُّنيا ... وأصبحتُ في الوثاقِ ربيقا
«والشفيعُ العُريان» من كل خَوْد ... يصفُ البانُ قدها الممشوقا

(١) المنهوم: المفرط في الشهوة، وأصله في شهوة الطعام.

(٢) المنية: أي الموت يكون ولا يكون ارتكاب الدنية كالتذلل والنفاق، والتقلل: أي الاكتفاء بالقليل يرضى به الشريف، ولا يرضى بالتوسل إلى الناس. وفي الأمثال: تجوع الحرة ولا تأكل بثديها!! وما أحسن قول عنترة العبسي:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّهُ ... حتى أنالَ به كريمَ المأكل

(٣) مه: اسم فعل أمر بمعنى: اكفف.

(٤) المعدم: المفتقر.

(٥) الجافي: ضد الواصل البار. والمكثر: الغنيّ.

والمراد: أن مخالطة الفقير خير من مخالطة القاطع الغني، لأنه لا فائدة في غناه لمن يواصله، هذا إلى جفاء طبعه، وإدلاله بماله.

(٦) والمراد بقلة عذاب الكافر: أن ذنوبه تزيد بطول عمره وتقل بقصره، فقصر عمره خير له، وفي=

[آل عمران: ١٩٨]. ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. [ح ٢٠: ٣٤٤]

١٧٠٩ ـ مَوْتُ الصَّالِحِ راحَةٌ لِنَفْسِه، ومَوْتُ الطَّالِحِ راحَةٌ للنَّاسِ(١). [ح ٢٠: ٢٧٢]

١٧١٠ ـ المَوْتُ قانِصٌ يُصْمِي(٢) ولا يُشْوِي(٣). [ح ٢٠: ٢٤٦]

١٧١١ ـ مَوَدَّةُ ٱلآباءِ قَرابَةٌ بَيْنَ ٱلأَبْناءِ. . والقَرابَةُ إِلَى المَوَدَّةِ، أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى القَرابَةِ(٤). [ر ٢: ٢٢٣]

١٧١٢ ـ المَوَدَّةُ قَرابَةٌ مُسْتَفادَةٌ. [ق: ١٥]

١٧١٣ ـ المَوْعِظَةُ كَهْفٌ لِمَن وَعَاها(٥). [ق: ١٩]

١٧١٤ ـ مَوْقِعُ الصَّوابِ مِنَ الجُهَّالِ، مِثْلُ مَوْقِعِ الخَطَإِ مِنَ العُلَمَاءِ(٦). [ح ٢٠: ٢٧١]

١٧١٥ ـ المُؤْمِنُ إذا نَظَرَ ٱعْتَبَر، وإذا سَكَتَ تفكَّر، وإذا تكَلَّمَ ذَكَر، وإذا ٱسْتَغْنَى شَكَر، وإذا أَصابَتْهُ شِدَّةٌ صَبَر، فهُوَ قَرِيبُ الرِّضَا، بَعِيدُ السُّخْطِ؛ يُرْضِيه عَنِ اللهِ اليَسِيرُ، ولا يُسْخِطُه البَلاءُ الكَثِير، قُوَّتُه لا تَبْلُغُ بِهِ، ونِيَّتُه تَبْلُغ(٧)، مَغْمُوسَةٌ في ٱلخَيْرِ يَدُه، يَنْوِي كَثِيراً مِنَ الخَيْرِ، وَيَعْمَلُ بِطَائِفَةٍ مِنْهُ، وَيَتَلَهَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ مَنَ الخَيْرِ كَيْفَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ!؟. [ح ٢٠: ٢٨٠]

١٧١٦ ـ المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ: فَلَا يَغُشُّه، ولا يَعِيبُه، ولا يَدَعُ نُصْرَتَه. [ق: ١٩]

= الحديث الشريف: «خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله».

(١) لأن الصالح إذا مات: نعم بلقاء ربه، وسعد بجزائه، واستراح من شقاء الدنيا ومصائبها. ولأن الطالح إذا مات؛ تخلص الناس من شروره، وأمنوا بوائقه.

(٢) أصمى الصائد الصيد: رماه فقتله في مكانه.

(٣) الشوى كنوى: اليدان والرجلان والأطراف وعظم الدماغ؛ وأشواه وشواه بالتشديد: أصاب شواه لا مقتله.

(٤) إذا كان بين الآباء مودة كان أثرها في الأبناء أثر القرابة: من التعاون والتراحم. . والمودة أصل في المعاونة، والقرابة من أسبابها وقد لا تكون مع القرابة معاونة إذا فقدت المحبة، فالأقرباء في حاجة إلى المودة، أما الأوداء فلا حاجة بهم إلى القرابة.

(٥) الكهف هنا: الملجأ. ووعى الحديث: حفظه. والمعنى: أن الموعظة لمن اتعظ بها ملاذ ومعاذ وملجأ وموئل.

(٦) أي إن الجهال يصيبون قليلاً، كما أن العلماء يخطئون قليلاً، والمراد: بيان فضل العلم والعلماء، على الجهل والجهلاء.

(٧) يعني أن نيته في الخير واسعة رحيبة لا يبلغ عمله مداها؛ لأن قوة الإنسان محدودة.

١٧١٧ ـ المُؤْمنُ بِشْرُه في وَجْهِهِ[١]، وحُزْنُه في قَلْبِه، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً[٢]، يَكْرَهُ الرِّفْعَة، ويَشْنَأُ السُّمْعَة، طَوِيلٌ غَمُّه، بَعِيدٌ هَمُّه، كَثِيرٌ صَمتُه، مَشْغُولٌ وَقْتُه، شَكُورٌ صبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِه[٣]، ضَنِينٌ بخَلَّتِه[٤]، سَهْلُ الخَلِيقَة، لَيِّنُ العَرِيكَة، نَفْسُه أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ[٥]، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ العَبْدِ. [ر ٢: ٢٢٩، ٢٣٠]

١٧١٨ ـ المُؤْمنُ لا تَخْتِلُه كَثْرَةُ المَصَائِب[٦]، وتَوَاتُرُ النَّوَائِب[٧] عَنِ التَّسْلِيم لِرَبِّه، والرِّضَا بِقضَائِهِ؛ كالحَمَامَةِ الَّتي تُؤْخَذُ فِراخُها مِنْ وكْرِها. . ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ. [ح ٢٠: ٢٦٨]

١٧١٩ ـ المُؤْمنُ لا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ[٨]. [ق: ١٩]

١٧٢٠ ـ المُؤْمنُ مُحَدَّثٌ[٩]. [ح ٢٠: ٣٢٠]

١٧٢١ ـ المَيِّتُ يَقِلُّ الحَسَدُ لَهُ، ويَكْثُرُ الكَذِبُ عَلَيْهِ[١٠]. [ح ٢٠: ٣٢٧]

---

(١) البشر بالكسر: البشاشة والطلاقة: أي لا يظهر عليه إلا السرور وإن كانَ في قلبه حزيناً، كناية عن الصبر والتحمل.

(٢) ذل نفسه لعظمة ربه، وللمتضعين من خلقه، وللحق إذا جرى عليه، وكراهته لرفعة نفسه؛ والتكبر على الضعفاء، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله، فهو يشنأ: أي يبغض السمعة، وطول غمه؛ خوفاً مما بعد الموت، وبعد همه؛ لأنه لا يطلب إلا معالي الأمور.

(٣) مغمور: أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته.

(٤) الخلة بالفتح: الحاجة، أي بخيل بإظهار فقره للناس، والخليقة: الطبيعة. والعريكة: النفس.

(٥) الصلد: الحجر الصلب، ونفس المؤمن أصلب منه في الحق وإن كان في تواضعه أذل من العبد.

(٦) لا تختله: لا تخدعه.

(٧) النوائب: مصائب الدهر، جمع نائبة.

والمعنى: أن المؤمن لا تنسيه كثرة مصائبه أن له ربًا يفوّض إليه أموره، ويرضى بما قدره عليه، ولا يزيده ما يلقاه من عنت الدهر إلا حبًا فيه.

(٨) يحيف: يجور ويظلم، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

(٩) المحدث ـ بصيغة اسم المفعول ـ: الملهم، والمؤمن صادق الإلهام، صحيح الفراسة، وفي الحديث: «إن فيكم محدثين وإن منهم عمر».

(١٠) يقل له الحسد؛ لأن الحسد يكون على النعم، والموت أكبر مصيبة وبه تنقطع مادة الحسد، وإن كان المتنبي لا يعترف بذلك فيقول:

هم يحسدوني على موتي فوا أسفاً ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد

ويكثر الكذب عليه، لأن الميت لا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

حرف النون

١٧٢٢ ـ النَّاسُ أَبْناءُ الدُّنيا، ولا يُلامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّه[١]. [ر ٢: ٢٢٣]

١٧٢٣ ـ النَّاسُ أَعْداءُ مَا جَهِلُوا. [ر ٢: ٢٥٤]

١٧٢٤ ـ النَّاسُ بِزَمانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِآبائِهِمْ[٢]. [ز: ٢٨]

١٧٢٥ ـ النَّاسُ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ: زَاهِدٌ مُعْتَزِمٌ، وصَابِرٌ عَلَى مُجَاهَدَةِ هَوَاه، ورَاغِبٌ مُنْقادٌ لِشَهَوَاتِه:

فالزَّاهِدُ لا يُعَظِّمُ ما آتاهُ اللّهُ فَرَحاً بِهِ، ولا يُكْثِرُ عَلَى ما فاتَهُ أَسَفاً.

والصَّابِرُ نازَعَتْه[٣] إلى الدُّنيا نَفْسُه فَقَدَعها[٤]، وتَطَلَّعَتْ إلى لَذَّاتِها فَمنَعَها.

والرَّاغِبُ دعَتْهُ إلى الدُّنيا نَفْسُه فأَجابَها، وأَمَرَتْهُ بِإيثارِها[٥] فَأَطَاعَها؛ فَدنَّسَ بِها عِرْضَه[٦]، وَوَضَعَ[٧] لَهَا شَرَفَه، وضَيَّعَ لَهَا آخِرَتَه. [ق: ١٥١، ١٥٢]

١٧٢٦ ـ النَّاسُ رَجُلَانِ: إمَّا مُؤْمِنٌ بِفَقْدِ أَحْبابِهِ، أَوْ مُعَجَّلٌ بِفَقْدِ نَفْسِه[٨]. [ح ٢٠: ٣٤١]

---

(١) يشير الإمام إلى أن حب الدنيا غريزة مركوزة في طباع الناس، فلا يمكن التخلص منه إلا بإيمان قوي، وعزيمة صادقة، وجهاد موصول.

(٢) وفي مثل ذلك يقول الحريري:

ولما تعامَى الدهرُ ـ وهو أبو الورى ـ عن الرُّشْدِ في أنحائه ومَقاصِدهْ
تعامَيْت حتى قيل: إني أخو عمًى ولا غروَ أن يحذو الفتى حذْوَ والدِهْ

(٣) نازعته: جاذبته.

(٤) قدعها: كفها وخالفها.

(٥) إيثارها: تقديمها على غيرها.

(٦) العرض ـ بكسر العين ـ: النفس والحسب والشرف.

(٧) ووضع لها شرفه: حطه.

(٨) يريد أن الناس بين رجلين: أحدهما فقد نفسه بالموت، والآخر تأخرت مدته فهو يفقد أحبابه واحداً واحداً، فهو لا ينفك عند فقد، ورحم الله القائل: من سره أن يطول عمره؛ فليصبر على فقد أحبابه.

١٧٢٧ ـ النَّاسُ رَجُلَانِ: وَاجِدٌ لا يَكْتَفِي، وطَالِبٌ لا يَجِدُ[١]. [ح ٢٠: ٣٤٢]

١٧٢٨ ـ النَّاسُ عامِلَانِ: عامِلٌ عَمِلَ لِلدُّنيا. . قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْياهُ عَنْ آخِرَتِه، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُه[٢] الفَقْرَ، ويأْمَنُه عَلَى نَفْسِه، فَيُفْنِي عُمْرَه في مَنْفَعةِ غَيْرِه. وعَامِلٌ عَمِلَ في ٱلدُّنيا لِمَا بَعْدَها. . فَجاءَهُ ٱلَّذِي لَهُ مِنَ ٱلدُّنْيا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الحَظَّيْنِ مَعاً. . ومَلَكَ الزَّادَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللّهِ[٣]. . لا يَسْأَلُ اللّهَ حاجَةً فَيَمْنَعه[٤]. [ر ٢: ٢١٤]

١٧٢٩ ـ النَّاسُ مِنْ خَوْفِ ٱلذُّلِّ في ذُلٍّ[٥]. [ح ٢٠: ٣٤٠]

١٧٣٠ ـ النَّاسُ نِيَامٌ، فإذا مَاتُوا ٱنْتَبَهُوا[٦]. [ز: ٢٨]

١٧٣١ ـ نَحْنُ نُرِيدُ أَلَّا نَتُوبَ حتَّى نَمُوتَ، ونَحْنُ لا نَتُوبُ حتَّى نَمُوتَ[٧]. [ح ٢٠: ٣٢٩]

١٧٣٢ ـ نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الوُسْطَى، بِها يَلْحَقُ التَّالي، وإِلَيْهَا يَرْجِعُ الغَالي[٨]. [ر ٢: ١٧٣]

---

(١) يشير إلى تزاحم الناس على مطالب الحياة، فهم بين غني منهوم، وفقير محروم، وكلاهما متعب مكدود!!

(٢) المراد: ذريته ومن يعولهم.

(٣) الجاه: القدر والمنزلة؛ أي أصبح ذا قدر ومنزلة عند ربه.

(٤) في الحديث الشريف: «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه».

(٥) من حمق الناس أن يوقعهم خوفهم من الذل في الذلّ، ولو كانوا عقلاء لأداهم خوفهم من الذل. . إلى العز؛ لأن الذي يخاف الذل يجب أن يتجنب أسبابه، ويسعى في نيل العز لا يبالي ما ناله في سبيل ذلك من الأذى، بل ولو أفضى به إلى الموت!! وفي ذلك يقول المتنبي:

فاطلب العزَّ في لظىً ودع الذُّلَّ ... ولو كان في جنانِ الخُلود

ويقول:

ذل من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ ... رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ

ويقول آخر:

شرَّدَه الخوفُ وأزرَى به ... كذاكَ من يكره حَرَّ الجِلادْ

قد كان في الموت له راحةٌ ... والموتُ حَتْمٌ في رقاب العبادْ

ومثل ما تقدم ما ذكروا: أن يحيى بن معاذ سئل: ما الفقر؟ فقال: خوف الفقر.

(٦) الناس كالنيام من شدة غفلتهم عن مصيرهم، حتى كأن الموت قد كتب على غيرهم، فإذا طرقتهم المنية أفاقوا من نومهم، وعرفوا مقدار تقصيرهم وأيقنوا أنهم كانوا في غرور!! ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

(٧) المراد: أن الإنسان بحكم تعلقه بالحياة وزخارفها وشهواتها يحاول إرجاء التوبة والاستقامة إلى أخريات أيامه ولا يفكر في الاستقامة إلا إذا فاجأه الموت أو رأى مقدماته والشاعر يقول:

والمرءُ ـ ما عاشَ ـ مَمْدودٌ له أملٌ ... لا ينتهي العمرُ حتّى ينتهي الأثرْ

(٨) النمرقة: بضم فسكون فضم ففتح: الوسادة، والعترة النبوية أشبه بها؛ للاستناد إليهم في أمور=

١٧٣٣ ـ النُّصْحُ بَيْنَ المَلإِ تَقْرِيعٌ[1]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١٧٣٤ ـ نِعْمَ حظُّ المُؤْمِنِ القُنُوعُ. [ق: ٢١]

١٧٣٥ ـ نِعْمَ ٱلخُلُقُ التَّكَرُّمُ. [ق: ٢١]

١٧٣٦ ـ نِعْمَ ٱلخُلُقُ الصَّبْرُ. [ق: ٢١]

١٧٣٧ ـ نِعْمَ طَارِدُ ٱلهَمِّ اليَقِينُ. [ق: ٢١]

١٧٣٨ ـ نِعْمَ عَوْنُ ٱلدِّينِ الصَّبْرُ. [ق: ٢١]

١٧٣٩ ـ نِعْمَ القَرِينُ الرِّضَا. [ق: ٢١]

١٧٤٠ ـ نِعْمَ وَزِيرُ العِلْمِ سَمْتٌ صَالِحٌ[2].

١٧٤١ ـ النِّعَمُ وَحْشِيَّةٌ؛ فَقَيِّدُوها بالمَعْرُوفِ[3]. [ح ٢٠: ٣١٢]

١٧٤٢ ـ نِعْمَةُ ٱلجَاهِلِ كَرَوْضَةٍ في مَزْبَلَةٍ[4]! [س: ٣٤٥]

١٧٤٣ ـ نِفَاقُ المَرْءِ ذِلَّةٌ. [ز: ٢٩]

١٧٤٤ ـ نَفَسُ المَرْءِ خُطَاهُ إِلى أَجَلِه[5].

= الدين، كما يستند إلى الوسادة؛ لراحة الظهر، واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى؛ لاتصال سائر النمارق بها، فكأن الكل يعتمد عليها: إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه، والعترة الطاهرة على الصراط الوسط العدل، يلحق بهم من قصر، ويرجع إليهم من غلا وتجاوز.

(١) التقريع: التعنيف. والملأ: الجماعة. وإنما كان كذلك؛ لأنه يوقع في الخجل، ويسبب الفضيحة، ويؤدي إلى التشهير، ويسوق إلى الشماتة.

(٢) السمت ـ كشمس ـ: هيئة أهل الخير والصلاح.

(٣) المراد: أن النعم شديدة النفار، سريعة الانتقال، فمن الأفضل أن نستبقيها ونستديمها بالإفضال منها على غيرنا، فهذا زكاة لها وشكر لله عليها، ولا خير في خير لا يتجاوز أهله، وفي الحديث الشريف: «من فتح له باب الخير فلينتهزه؛ فإنه لا يدري متى يغلق عنه» وما أحسن ما قيل في مدح أحمد بن أبي دُواد:

بدا حينَ أثرَى بإخوانه ... فَفَلَّل عنهم شَباةَ العدَمْ

وحذَّره الحزمُ صَرْفَ الزمان ... فبادرَ قَبْلَ انتقالِ النِّعَمْ

(٤) لأنه لا ينتفع بها؛ ويستخدمها صاحبها في الأذى والضرر!! فهي شيء جميل الظاهر قبيح الباطن!! وقريب من هذا قول المتنبي:

والغنَى في يدِ اللئيمِ قبيحٌ ... قَدْرَ قُبْحِ الكريمِ في الإملاقِ

(٥) كأن كل نفس يتنفسه الإنسان خطوة يقطعها إلى الأجل وفي عكس ذلك يقول ابن المعتز: الموت كسهم مرسل إليك، وعمرك بقدر سفره نحوك.

١٧٤٥ ـ النَّمَّامُ جِسْرُ الشَّرِّ[1]. [ح ٢٠: ٣٤١]

١٧٤٦ ـ النَّمَّامُ سَهْمٌ قَاتِلٌ. [ح ٢٠: ٣٠١]

١٧٤٧ ـ وسَمِع رَجُلًا من الحَرُورِيَّة[2] يتهجَّد ويقرأ فقال: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ، خَيْرٌ مِن صَلَاةٍ في شَكٍّ. [ر ٢: ١٦٩]

(١) النمام: الذي ينقل الحديث على وجه الإفساد، وإنما كان جسراً للشر؛ لأنه يثير البغض والحقد بين الناس، ويجعل الأحباب أعداء متخاصمين، وفيه يقول النابغة للنعمان بن المنذر:

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي وشايةً لَمُبلِغُك الواشِي أغشُّ وأكذبُ

ويقول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] هم المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبة. وفي الحديث الشريف: «**لا يدخل الجنة قتّات**» أي نمام.

(٢) الحرورية بفتح الحاء: الخوارج الذين خرجوا عليه بحروراء، ويتهجد: أي يصلي بالليل.

حرف الهاء

١٧٤٨ ـ وقال وقد مرَّ بقذَرٍ على مزبلَة:

هذَا مَا بَخِلَ بِهِ البَاخِلُون[١].

وروي في خبر آخر أنه قال:

هذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنافَسُون فيهِ بالأَمْسِ. [ر ٢: ١٩٤، ١٩٥]

١٧٤٩ ـ هذَا يَدِي ـ يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الحَنَفِيَّة[٢] ـ وهَذَان عيْنَاي ـ يَعْنِي حَسَناً وحُسَيْناً ـ ومَا زَالَ الإنْسَانُ يَذُبُّ[٣] بيَدِهِ عَنْ عَيْنَيْهِ؛ قَالَهَا لِمَنْ قالَ لَهُ: إِنَّكَ تُعَرِّضُ مُحَمَّداً للْقَتْلِ، وتَقْذِفُ بهِ في نُحُورِ الأَعْدَاءِ دُونَ أَخَوَيْهِ. [ح ٢٠: ٣٣٤]

١٧٥٠ ـ هَانَتْ علَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّر علَيْها لِسَانَهُ[٤]. [ق: ١٩]

١٧٥١ ـ لما ضَربهُ ابنُ مُلجم وأَوْصى ابْنَيْهِ بما أوصاهُما، قال لابْن الحنفيَّة:

هَلْ فَهِمْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: فإِنّي أُوصِيكَ بِمِثْلِه وبتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ، واتِّباعِ أَمْرِهِمَا، وألّا تُبْرِمَ أَمْراً دُونَهُما، ثُمَّ قالَ لَهُما: أُوصِيكُما بِهِ، فإِنَّهُ شَقِيقُكُما، وابْنُ أَبِيكُما، وقَدْ عَلِمْتُما أَنَّ أَباكُما كانَ يُحِبُّه.. فأَحِبَّاهُ. [ح ٢٠: ٢٨٦]

---

(١) تلك الأقذار: هي لذائذ الأطعمة، التي كان يبخل ببذلها البخلاء، وهي ما كانوا يتنافسون فيه ويستجيدونه.

(٢) هو محمد الأكبر ينسب إلى أمه، وهي خولة بنت إياس بن جعفر من بني حنيفة، وقد ورث أباه في الشجاعة والبطولة.

(٣) يذب: يدفع ويمنع.

(٤) أمره ـ بتشديد الراء ـ جعله أميراً. والمعنى: هان من جعل لسانه متحكماً في نفسه، يقول ما يشاء بلا تدبر فيسوقه إلى مواطن الزلل؛ وقد قيل لذي النون المصري: من أصون الناس لنفسه؟ فقال: أملكهم للسانه.

١٧٥٢ ـ هلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ[١]. [ر ٢: ١٨٦]

١٧٥٣ ـ قيل له: لِمَ حرَص النَّاس على الدنيا؟ فقال:

هُمْ أَبْنَاؤُها. [ت: ٢٥]

١٧٥٤ ـ وقال رضي اللّه عنه في مدح الأنصار:

هُمْ واللّهِ رَبَّوُا الإسْلَامَ كما يُرَبَّى الفَلُوّ[٢]، مع غَنَائِهِم بأَيْدِيهِم السِّبَاط[٣]، وأَلْسِنَتِهِم السِّلَاط[٤]. [ر ٢: ٢٥٨]

١٧٥٥ ـ الهَمُّ نِصْفُ الهَرَم[٥]. [ر ٢: ١٨٣]

١٧٥٦ ـ قالَ له قائلٌ: عَلِّمْني الحِلْمَ، فقالَ:

هُوَ الذُّلُّ، فاصْطَبِرْ عليْهِ إنِ اسْتَطَعْتَ[٦]. [ح ٢٠: ٢٩٧]

١٧٥٧ ـ وقيل له: صِفْ لنا العاقِلَ. . فقال رضي اللّه عنه:

---

(١) لأن من لم يعرف قدره؛ ويضع نفسه في الموضع اللائق به، تورط في أشياء تؤذيه أو ترديه، وصدق القائل:

ومَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رأى غَيْرُهُ مِنْهُ ما لا يَرى

وفي الحكم: خيركم من عرف مقامه فاستراح.

(٢) ربوا: من التربية والإنماء ـ والفلو كالجرو، وبفتح فضم فتشديد: أو بضمتين فتشديد: المهر إذا فطم أو بلغ السنة.

(٣) الغناء بالفتح ممدوداً: الغنى. . أي مع استغنائهم، وبأيديهم متعلق بربّوا. . ويقال: رجل سبط اليدين بالفتح: أي سخي، والسباط ككتاب جمعه.

(٤) السلاط: جمع سليط: الشديد، واللسان الطويل. يذكر مناقب الأنصار، واحتضانهم للإسلام ناشئاً، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم. حتى بلغ تمامه. ومما يذكر: أن الأنصار كانوا من أنصاره أيضاً.

(٥) في رواية ابن أبي الحديد: التودد نصف العقل، والهم نصف الهرم. وإنما كان الهم كذلك؛ لأنه يئد الشباب، ويفني الصحة، ويعجل بالشيخوخة. وفي الأمثال: همك ما أهمك: أي أذابك ما أحزنك.

(٦) الحلم ـ بكسر الحاء ـ: الأناة والعقل. وإنما سماه الإمام ذلاً على المجاز؛ لأنه حمل للنفس على ما تكره، وترك المجازاة مع القدرة قولاً وفعلاً، والسكون عند الأحوال المحركة للانتقام، فإذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً، وفي ذلك يقول المتنبي:

كلُّ حِلمٍ أتى بغيرِ اقتدارٍ ... حُجَّةٌ لاجئٌ إليها اللئام

وفي تفسير «الذلة» الذي أراده الإمام يقول إبراهيم بن العباس الصولي:

لن يدركَ المجدَ أقوامٌ وإن كرُموا ... حتى يَذِلُّوا ـ وإنْ عزُّوا ـ لأقوام

ويُشْتَمُوا فترى الألوانَ مُسْفِرَةً ... لا صفحَ ذلٍّ ولكن صفحَ إكرام

هُوَ ٱلَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَواضِعَهُ؛ فَقِيلَ: فَصِفْ لنَا الجَاهِلَ، فقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ[١]. [ر ٢: ٢٠٢]

١٧٥٨ ـ قام إليه زيدُ بنُ صُوحانَ العَبْدِيُّ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أيُّ سُلْطانٍ أَغْلَبُ وأقْوَى؟ قال:

الْهَوَى[٢]. قالَ: فأَيُّ ذُلٍّ أَذَلُّ؟ قالَ: الحِرْصُ عَلَى الدُّنْيا. قالَ: فأَيُّ فَقْدٍ أَشَدُّ؟ قالَ: الكُفْرُ بَعْدَ الإيمَانِ. قالَ: فأَيُّ دَعْوَةٍ أَضَلُّ؟ قالَ: الدَّاعِي بما لَا يَكُونُ. قالَ: فأيُّ عَمَلٍ أَفْضَلُ؟ قالَ: التَّقْوَى. قالَ: فأيُّ عَمَلٍ أَنْجَحُ؟ قالَ: طَلَبُ ما عِنْدَ اللَّه. قالَ: فأيُّ صَاحِبِكَ أَشَرُّ؟ «وفي روَايةٍ: شَرٌّ»: قَالَ: المُزَيِّنُ لَكَ مَعْصِيَةَ اللَّه. قَالَ: فأَيُّ ٱلخَلْقِ أَقْوَى؟ قالَ: الحَلِيمُ. قالَ: فأَيُّ الخَلْقِ أَشْقَى؟ قالَ: مَنْ باعَ دِينَهُ بِرِضَا غَيْرِه. قالَ: فأَيُّ الخَلْقِ أَشَحُّ[٣]؟ قالَ: مَنْ أخذَ المَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّه، فجَعَلَهُ في غيْرِ حَقِّه[٤]. قالَ: فأَيُّ النَّاسِ أَكْيَسُ[٥]؟ قالَ: مَنْ أَبْصرَ رُشْدَهُ مِنْ غَيِّه، فمَالَ إلى رُشْدِهِ[٦]. قالَ: فمنْ أَحْلَمُ النَّاسِ؟ قالَ: الَّذِي لا يَغْضَبُ. قالَ: فأَيُّ النَّاسِ أَثْبَتُ رَأْياً؟ قالَ: مَنْ لَمْ يَغُرَّهُ النَّاسُ عَنْ نَفْسِه، ولَمْ تَغُرَّهُ الدُّنْيا بِشُنُوفِها[٧]. قالَ: فأَيُّ النَّاسِ أَحْمَقُ؟ قالَ: المُغْتَرُّ بالدُّنْيا وهُوَ يَرَى ما فِيها وتَقَلُّبَ أَحْوَالِها. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أَشَدُّ حَسْرةً؟ قال: الَّذِي حُرِمَ الدُّنْيا والآخِرَة، ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ. قالَ: فأَيُّ الخَلْقِ أعْمَى[٨]؟ قالَ: الَّذِي عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ يَطْلُبُ بعَمَلِه الثَّوابَ مِنَ اللَّهِ تَعالَى. قالَ: فأَيُّ

---

(١) يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكأن ترك صفته صفة له إذا كان بخلاف وصف العاقل.

(٢) الهوى: الميل الباطل.

(٣) الشح: البخل والحرص.

(٤) أي اكتسب المال من طريق الحرام وأنفقه في الحرام.

(٥) الكيس: العقل وضد الحمق.

(٦) الغي: الضلال. والرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه.

(٧) الشنوف ـ كشؤون ـ: جمع شنف كشفع، وهو القرط يعلق في أعلى الأذن، والمراد: زينة الدنيا وبهجتها.

(٨) أعمى: أي أعمى قلباً عن طريق الرشاد والهدى.

القنوعِ أفْضَلُ؟ قالَ: القَانِعُ بِمَا أعطَاهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ. قالَ: فأَيُّ المَصَائِبِ أشَدُّ؟ قالَ: المُصِيبَةُ في ٱلدِّين. قالَ: فأَيُّ الأعْمَالِ أحَبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؟ قالَ: انتِظَارُ الفَرَج. قالَ: فأَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: أخْوَفُهم للَّهِ، وأصْبَرُهُم عَلَى التَّقْوَى، وأزْهَدُهُم في ٱلدُّنيا. قالَ: فأيُّ الكَلَامِ أفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ، والتَّضَرُّعُ إليْهِ ودُعاؤُهُ. قالَ: فأيُّ القَوْلِ أصْدَقُ؟ قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّه. قالَ: فأيُّ ٱلإيمَانِ أفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: التَّسْلِيمُ والوَرَعُ. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أكْرَمُ؟ قالَ: مَنْ صَدَقَ في المَوَاطِنِ، وكَفَّ لِسَانَهُ عَنِ ٱلمَحَارِمِ، وأمَرَ بالمَعْرُوفِ ونَهَى عَنِ المُنْكَرِ. [ق: ١٠١، ١٠٢]

١٧٥٩ ـ الْهَوَى شَرِيكُ العَمَى[١]. [ق: ١٥]

١٧٦٠ ـ الْهُدَى يُجَلِّي العَمَى[٢]. [ق: ١٦]

١٧٦١ ـ وسئل عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فقال: هِيَ القَنَاعَةُ[٣]. [ر ٢: ٢٠١]

---

(١) الهوى: ميل النفس وإرادتها؛ والمراد هنا الميل الضارّ. والعمى هنا: ذهاب بصر القلب: أي الضلال، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(٢) يجلي: يكشف. والعمى: الضلال.

(٣) لأن القناعة تريح صاحبها، وتملأ قلبه بالسكينة، وتصفّي نفسه من الحقود والضغائن والحسد، وليس معنى القناعة القعود عن طلب المعالي والسعي في نيل أشرف الأمور، ولكن المراد الرضاء عن الله فيما قسم من الحظوظ والأرزاق، بعد أن يأخذ المرء بالأسباب الممكنة.

حرف الواو

١٧٦٢ ـ وا عَجَباً مِمَّنْ يَعْمَلُ لِلدُّنيا وهُوَ يُرْزَقُ فِيها بِغَيْرِ عَمَلٍ، ولا يَعْمَلُ لِلآخِرَةِ وهُوَ لَا يُرْزَقُ فِيها إِلَّا بالعَمَلِ(١). [ح ٢٠: ٣٢٥]

١٧٦٣ ـ الوُجُوهُ إذا كَثُرَ تَقابُلُها، اعْتَصَرَ بَعْضُها مَاءَ بَعْضٍ(٢). [ح ٢٠: ٣١٨]

١٧٦٤ ـ الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِن رَفِيقِ السُّوءِ(٣). [ح ٢٠: ٣٣٤]

١٧٦٥ ـ الوَرَعُ جُنَّةٌ(٤). [ر ٢: ١٤٩]

١٧٦٦ ـ الوَعْدُ وَجْهٌ.. والإِنْجازُ مَحَاسِنُهُ(٥). [ح ٢٠: ٣٠٠]

١٧٦٧ ـ الوُقُوعُ في الْمَكْرُوهِ، أَسْهَلُ مِن تَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ(٦). [ح ٢٠: ٣٣١]

---

(١) لأن المرء في الآخرة مرهون بعمله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وفي الآثار: «**ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل**».

(٢) ماء الوجوه: كناية عن الحياء، والمراد: أن كثرة المخالطة تذهب بالهيبة، وتدعو إلى الابتذال، وتجرئ الناس بعضهم على بعض، وهذا أمر مشاهد.

(٣) لأن رفيق السوء يدنس رفيقه بصحبته، ويعديه بأخلاقه، ويجر عليه السوء والبلاء، ويزهد الناس في معاشرته وقديماً قال الشاعر:

تجنَّبْ قرينَ السُّوءِ واصرِمْ حبالَه ... وإن لم تجدْ عنه محيصاً فدارِهِ
ومَنْ يَطْلُبِ المعروفَ في غيرِ أهلِهِ ... تجِدْهُ وراءَ البَحْرِ أو في قرارِهِ

(٤) بضم الجيم، أي وقاية لصاحبه.

(٥) كما أن الوجه يقاس بمحاسنه، فكذلك الوعد يقاس بإنجازه، وكما يزري القبح بالوجوه، كذلك يزري المطال بالوعود!! وقد قالوا: إياك والمطل بالمعروف؛ فإنه مفسدة للمروءة، مهدمة للصنيعة، ممحقة للشكر، داعية للذم!! وقالوا: المنع بالعذر الجميل، خير من المطل الطويل. وما أحسن قول الشاعر:

يا صانعَ المعروفِ لا تمْطُلَنْ ... يزدادُ ذو الحاجةِ في حاجتِه
فشَرُّ معروفِكَ مَمْطُولُه ... وخيرُه ما كانَ في ساعتِه
لكلِّ خيرٍ يُرْتَجَى آفةٌ ... ومَطْلُكَ المعروفَ مِنْ آفتِه

(٦) لأن وقوع المكروه يعقبه التسلي عنه، وأما توقعه فخوف دائم، وسهر طويل، وهمّ مقعد مقيم!! =

١٧٦٨ ـ وُكِلَ ثَلَاثٌ بِثَلَاثٍ: الرِّزْقُ بِالحُمْقِ[١]، والحِرْمانُ بالعَقْلِ[٢]، والبَلَاءُ بالمَنْطِقِ؛ لِيَعْلَمَ ٱبْنُ آدَمَ أَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءٌ[٣]. [ح ٢٠: ٢٦٦]

١٧٦٩ ـ واللّٰهِ لَدُنْياكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ في عَيْنِي مِن عِرَاقِ خِنْزِيرٍ في يَدِ مَجْذُومٍ[٤]. [ر ٢: ٢٠٢]

١٧٧٠ ـ واللّٰهِ ما قَلَعْتُ بابَ خَيْبَر، ودَكْدَكْتُ[٥] حِصْنَ يَهُودٍ بِقُوَّةٍ جُسْمَانِيَّةٍ، بَلْ بِقُوَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ. [ح ٢٠: ٣١٦]

١٧٧١ ـ الوِلَاياتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ[٦]. [ر ٢: ٢٥٤]

١٧٧٢ ـ الوَلَدُ العَاقُّ كالإِصْبَعِ الزَّائِدَةِ؛ إن تُرِكَتْ شَانَتْ، وإِن قُطِعَتْ آلَمَتْ[٧]. [ح ٢٠: ٣٠٠]

= ولقد أحسن إيليا أبو ماضي في قوله:

إن شرَّ النفوس في الأرضِ نفسٌ ... تتوقّى قبلَ الرحيلِ الرحيلَا

(١) وفي ذلك يقول الحمدوني الشاعر ـ وكان يتحامق ـ:

عَذلوني على الحماقة جهلًا ... وهي من عقلهم ألذُّ وأحلى

حُمقي اليومَ قائم بعيالي ... ويموتون إن تعاقلت ذُلّا

(٢) في الآثار: من زيد في عقله، نقص من رزقه، ويقول الشاعر:

لا تنظرنَّ إلى الجهالة والحجا ... وانظرْ إلى الإدبارِ والإقبالِ

كم من صحيح العقلِ أخطأه الغِنَى ... وعديم عقلٍ فازَ بالأموالِ

(٣) وفي مثله يقول أكثم بن صيفي: مقتل الرجل بين فكيه ـ يعني لسانه ـ.
ويقول الشاعر:

عليكَ حفظ اللسانِ مجتهداً ... فإن جُلَّ الهلاك في زَلله

(٤) العراق بكسر العين: هو من الحشا ما فوق السرة معترضاً البطن، والمجذوم: المصاب بمرض الجذام.. وما أقذر كرش الخنزير وأمعاءه وبخاصة إذا كانت في يد شوّهها الجذام. وقال ابن أبي الحديد: العراق: جمع عرق، وهو العظم عليه شيء من اللحم، وهذا من الجموع النادرة.

(٥) دكدك الحصن: هده. يشير الإمام إلى أن المعول عليه، قوة الروح وصلابة الإيمان، وبهذا انتصر المسلمون الأول على قلة عددهم، وضعف عدتهم، ولقد نعجب من أن هذا البطل العظيم الذي قلع باب خيبر ودك حصون اليهود أراد يوماً أن يكسر قرصاً يابساً معتمداً على قوة جسمه، فلم يستطع كسره إلا بعد أن استعان بيديه وركبته جميعاً!!

(٦) المضامير جمع مضمار وهو المكان الذي تضمر فيه الخيل، وغاية الفرس في السباق، والولايات أشبه بالمضامير؛ لأنها تربي الرجال، وبها تظهر معادنهم، فيعرف الحازم من غيره، والسابق من المتخلف.

(٧) أي: إنه موضع ألم وتنغيص للإنسان في حياته وموته!!، وهو كقول بعضهم: إن عاش كدني، وإن مات هدني!!

١٧٧٣ ـ وَلَدُكَ: رَيْحَانَتُكَ سَبْعاً[١]، وخَادِمُكَ سَبْعاً، ثُمَّ هُوَ عَدُوُّكَ أَوْ صَدِيقُكَ. [ح ٢٠: ٣٤٣]

١٧٧٤ ـ قال له رجل: صِفْ لنا الدنيا، فقال:

ومَا أَصِفُ لَكَ مِن دَارٍ: مَن صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، ومَن سَقِمَ فيهَا نَدِمَ، ومَن اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ، في حَلَالِهَا الحِسَابُ، وفي حَرَامِهَا العَذَابُ. [ق: ٣٩]

١٧٧٥ ـ ومن كلامٍ له رضي الله عنه للسائل لما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاءٍ من الله وقدَر؟.. بعد كلام طويل.. هذا مختاره:

وَيْحَكَ.. لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً، وقَدَراً حَاتِماً. ولَوْ كانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والعِقَابُ، وسَقَطَ الوَعْدُ والوَعِيدُ[٢]. إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، ونَهَاهُم تَحْذِيراً، وكلَّفَ يَسِيراً، ولَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وأَعْطَى عَلَى القَلِيلِ كَثِيراً، ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، ولَمْ يُطَعْ مُكْرَهاً، ولَم يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَعِباً، ولَمْ يُنْزِلِ الكِتَابَ لِلعِبَادِ عَبَثاً، ولَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]. [ر ٢: ١٦٤]

١٧٧٦ ـ وَيْلٌ لِلْبَاغِينَ مِنْ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ[٣]. [ز: ٣٥]

---

(١) المراد بالريحانة: أنه مثال اللذة والسرور والبهجة.

(٢) القضاء: علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها، والقدر: إيجاده لها عند وجود أسبابها، ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله، فالعبد ينفذ ما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر، ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل، والله يعلمه فاعلاً باختياره: إمّا شقياً به، وإما سعيداً. وهذا كلام نفيس حل به الإمام معضلة القضاء والقدر.

(٣) ومما قيل في ذلك: إياك والبغي فإنه يصرع الرجال، ويقطع الآجال!!

حرف الياء

١٧٧٧ ـ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمانٌ عَضُوضٌ[١]، يَعَضُّ الموسِرُ فيهِ عَلَى مَا في يَدَيْهِ ولَم يُؤْمَرْ بِذَلِك. قالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. تَنْهَدُ فيهِ الأَشْرَار[٢]، وتُسْتَذَلُّ الأَخْيَارُ، ويُبَايعُ المُضْطَرُّون، وقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَن بِيَعِ المضطَرِّين[٣]. [ر ٢: ٢٥٩]

١٧٧٨ ـ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمانٌ لَا يُقَرَّبُ فيهِ إِلَّا المَاحِلُ[٤]، ولَا يُظَرَّفُ فيهِ إِلَّا الفَاجِرُ، ولَا يُضَعَّفُ فيهِ إِلَّا المُنْصِفُ، يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فيهِ غُرْماً، وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا، والعِبادَةَ ٱسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يكونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وإمارَةِ الصِّبْيانِ، وتَدْبِيرِ الخِصيانِ. [ر ٢: ١٧٠]

١٧٧٩ ـ اليَأْسُ حُرٌّ، والرَّجاءُ عَبْدٌ[٥]. [س: ٣٤٦]

١٧٨٠ ـ يَا بْنَ آدَمَ: إحْذَرِ المَوْتَ في هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ أَن تَصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى المَوْتَ فِيها فَلَا تَجِدُهُ[٦]. [ح ٢٠: ٢٧٣]

---

(١) العضوض ـ بالفتح ـ: الشديد، والموسر: الغني، ويعض على ما في يده: يمسكه بخلاً على خلاف ما أمره الله في قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي الإحسان.

(٢) تنهد: أي ترتفع.

(٣) بيع بكسر ففتح: جمع بيعة بالكسر: هيئة البيع كالجلسة لهيئة الجلوس.

(٤) الماحل: الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان، لا يظرف: أي لا يعد ظريفاً، ويضعف: أي يعد ضعيفاً، والغرم بالضم: الغرامة، والمن: ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه، والاستطالة على الناس: التفوق عليهم والتزيد في الفعل. وهذه كرامة من الإمام؛ فقد وقع هذا بالفعل في الدول الماضية.

(٥) هناك مآرب يصعب الحصول عليها فعلى الطالب أن يقيس قوته إليها وقدرته عليها فلا يكلف نفسه فوق طاقتها، فإن اليأس مما لا يخضع له، راحة، واليأس إحدى الراحتين ـ كما قالوا ـ ومن رجا ما لا يرجى حصوله استعبدته المطامع، وخدعه السراب اللامع.

(٦) يحث الإمام على العمل الصالح في العاجلة قبل أن يفجأنا الموت ونصير إلى الآجلة وهي دار جزاء يلقى فيها كل إنسان ما قدمت يداه، فيتمنى الأشقياء المنية، ـ

١٧٨١ ـ يَا بْنَ آدَمَ: إذا رَأَيْتَ رَبَّكَ ـ سُبْحَانَهُ ـ يتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ، وأَنْتَ تَعْصِيهِ. فاحْذَرْهُ[1]. [ر ٢: ١٥٣]

١٧٨٢ ـ يَا بْنَ آدَمَ: إنَّما أنْتَ أيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ؛ فإذا مَضَى يَوْمٌ مَضَى بَعْضُكَ[2]. [ح ٢٠: ٣١٩]

١٧٨٣ ـ يَا بْنَ آدَمَ: كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ في مَالِكَ، واعْمَلْ فيهِ ما تُؤْثِرُ أن يُعْمَلَ فيهِ مِن بَعْدِكَ[3]. [ر ٢: ٢٠٦]

١٧٨٤ ـ يا بْنَ آدَمَ؛ لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذي لَمْ يَأْتِ، عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فيهِ؛ فإن يَكُ مِن أَجَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ فيهِ بِرِزْقِكَ. واعْلَمْ أَنَّكَ لا تَكْسِبُ مِن المَالِ شَيْئاً فَوْقَ قُوتِكَ إلَّا كُنْتَ فيهِ خَازِناً لِغَيْرِكَ[4]. [ع ٢: ٣٧]

١٧٨٥ ـ يَا بْنَ آدَمَ؛ لَيْسَ بِك غِنًى عَن نَصِيبِكَ من الدُّنيا، وأَنْتَ إلى نَصِيبِكَ مِن الآخِرَةِ أَفْقَرُ[5]. [ح ٢٠: ٣٢١]

= ومن لهم بهذه الأمنية؟! وما أحسن قول الشاعر:

ولو أنّا إذا مُتنا تُركنا ... لكان الموتُ راحة كلّ حيّ
ولكنّا إذا مُتنا بُعِثنا ... ونُسأل بعد ذا عن كلّ شيّ

(١) إذا اشتد غضب الله تعالى على عبده المسرف في عصيانه، أسبغ عليه نعماءه استدراجاً له، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

(٢) ومثله قول بعض الأعراب: لن يستقبل أحد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله. ومن الغريب أننا نأسى على ما يذهب من مالنا، ولا نأسى على ما يذهب من عمرنا، والعمر أنفس الأعلاق، وأغلى ما وهب الخلاق.

(٣) أي اعمل في مالك وأنت حي ما تحب أن يعمل فيه خلفاؤك، ولا خير في أن تدخر ثم توصي ورثتك أن يعملوا خيراً بعدك، فقد لا ينفذون وصيتك، فتكون خازناً لغيرك، وتبقى التبعة عليك، ومما قيل في ذلك: إنما مالك لك، أو للحاجة، أو للورثة، فلا تكن أعجز الثلاثة. ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة ورأى أهله يبكون عليه قال: جادلكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما كسب، وتركتم عليه ما اكتسب، يا سوء حال هشام إن لم يغفر الله له!! وقال بعضهم:

إذا المال لم ينفع صديقاً ولم يَصِبْ ... قريباً ولم يُجبَرْ به كفُّ معدم
فعقباه أن تحتازه كفُّ وارثٍ ... وللباخل الموروثِ عُقبَى التندُّم

(٤) لا يقصد الإمام أن يمنع الناس من الغنى والثروة، وإنما يريد ألا يسرفوا في التكالب على الحطام حتى يرتكبوا الحرام، ويثيروا الخصام، وينسوا آخرتهم كأنهم خالدون في الدنيا، مع أنه يكفيهم القوت منها.

(٥) هو في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

١٧٨٦ ـ يَا بْنَ آدَم؛ هَلْ تَنْتَظِرُ إِلَّا هرَماً حَائِلاً[١]، أَوْ مَرضاً شَاغِلاً، أَوْ مَوْتاً نَازِلاً؟ [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٧٨٧ ـ يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ: أَقْصِرُوا[٢]؛ فإِنَّ المُعَرِّجَ عَلَى الدُّنيا لا يَرُوعُه مِنها إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الحِدْثَانِ[٣].

أَيُّها النَّاسُ: تَوَلَّوْا مِن أَنفُسِكُم تأدِيبَها، واعْدِلُوا بِها عَن ضَرَاوَةِ[٤] عَاداتِها. [ر ٢: ٢٣٥]

١٧٨٨ ـ وقال (وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له):

يا أَشْعَثُ: إِن تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحِمُ، وإِن تَصْبِرْ فَفِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ، يا أَشْعَثُ، إِن صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وأَنْتَ مَأْجُورٌ، وإِن جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وأَنْتَ مَأْزُورٌ[٥]، ابْنُكَ سَرَّكَ وهُوَ بَلَاءٌ وفِتْنَةٌ[٦]، وحَزَنَك وهُوَ ثَوابٌ ورَحْمَةٌ. [ر ٢: ٢٢١]

١٧٨٩ ـ يَا أَللَّهُ: يا رَحْمٰنُ، يا رَحِيمُ، يا حَيُّ، يا قَيُّومُ[٧].. يا بَدِيعَ[٨] السَّمٰواتِ والأَرْضِ، يا ذَا الجَلالِ والإِكْرَام.. اُعْفُ عَنِّي. [ح ٢٠: ٣٤٩]

١٧٩٠ ـ وقال وقد رجع من صِفِّينَ فأشرفَ على القبور بظاهر الكوفة:

---

(١) حائلاً: أي مانعاً يمنعه من أداء أعماله.

(٢) أسرى: جمع أسير، والرغبة: الطمع، وأقصروا: كفوا.

(٣) المعرج: المائل إليها أو المعول عليها، أو المقيم بها ـ ويروعه: يفزعه ـ والصريف صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك ـ والحدثان بالكسر: النوائب.

(٤) الضراوة: اللهج بالشيء والولوع به، أي كفوا أنفسكم عن اتباع ما تدفع إليه عاداتها.

(٥) مأزور: أي مقترف للوزر وهو الذنب.

(٦) سرّك: أي أكسبك سروراً وذلك عند ولادته، وهو ـ إذ ذاك ـ بلاء بتكاليف تربيته، وفتنة بشاغل محبته ـ وحزنك: أكسبك الحزن وذلك عند الموت؛ وهو ثواب ورحمة؛ لأن الصبر على فقده ينيل الثواب والأجر.

(٧) القيوم: وقرئ القيم ـ كلين ـ: اسم من أسمائه ـ تعالى ـ وقرأ عمر رضي الله عنه الحي القيام ـ بتشديد الياء ـ وهو لغة. ومعنى القيوم والقيام والقيم: الذي لا ندّ له، والدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه؛ من قام بالأمر: إذا حفظه.

(٨) البديع: المبتدع والمبتدَع ـ بصيغة اسم الفاعل (هنا) والمفعول ـ وأبدع الشيء: اخترعه على غير مثال. ومعنى بديع السموات والأرض: أي مبدعهما.

يَا أَهْلَ الدِّيارِ المُوحِشَة، والمَحَالِّ المُقْفِرَة[١]، والقبُورِ المُظْلِمة، يا أَهْلَ التُّرْبَة، ويَا أَهْلَ الغُرْبَة، ويَا أَهْلَ الوَحْشَة: أَنْتُمْ لنَا فرَطٌ سَابِقٌ، ونَحْنُ لَكُمْ تبَعٌ لَاحِقٌ[٢]، أَمَّا الدُورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وأَمَّا الأَزْوَاجُ فقَدْ نُكِحَتْ، وأَمَّا الأَمْوَالُ فقَدْ قُسِمَتْ[٣].

هذَا خَيْرُ ما عِنْدنا.. فمَا خَيْرُ ما عِنْدَكُمْ؟.. ثمّ التَفَتَ إلى أَصْحَابِهِ فقالَ: أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ في الكَلامِ لأَخْبَرُوكُمْ: أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. [ر ٢: ١٧٩ ـ ١٨١]

١٧٩١ ـ يَا أَيُّها النَّاسُ: مَتَاعُ الدُّنْيا حُطَامٌ مُوبِئٌ فتَجَنَّبُوا مَرْعاهُ[٤]، قُلْعَتُها أَحْظَى مِن طُمَأْنِينَتِها[٥]، وبُلْغَتُها أَزْكَى مِن ثَرْوَتِها[٦]، حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِيها بالفَاقَة[٧]، وأُعِينَ مَن غَنِيَ عَنْها بالرَّاحَة[٨]، ومَن راقَهُ زِبْرِجُها أَعْقَبَتْ ناظِرَيْهِ كَمَهاً[٩]، ومَن اسْتَشْعَرَ الشَّعَفَ بِها مَلأَتْ ضَمِيرَه أَشْجَاناً[١٠]، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُوَيْدَاءِ[١١] قَلْبِه: هَمٌّ يَشْغَلُه، وهَمٌّ يَحْزُنُه كَذلِكَ حتّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِه، فَيُلْقَى بالفَضَاءِ، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ[١٢]، هَيِّناً عَلَى اللهِ فنَاؤُه، وعَلَى الإِخْوَانِ

---

(١) الموحشة: الموجبة للوحشة ضد الأنس، والمحالّ، جمع محل: أي الأماكن المقفرة، من أقفر المكان إذا لم يكن به ساكن ولا نابت.

(٢) الفرط ـ بالتحريك ـ المتقدم إلى الماء ـ للواحد والجمع ـ والكلام هنا على الإطلاق: أي المتقدمون، والتبع بالتحريك أيضاً: التابع.

(٣) أي أن دياركم سكنها غيركم، ونساءكم تزوجت، وأموالكم قسمت. فهذه أخبارنا إليكم.

(٤) الحطام كغراب: ما تكسّر من يبيس النبات، وموبئ: أي ذو وباء مهلك، ومرعاه: محل رعيه والتناول منه.

(٥) القلعة بالضم: عدم سكونك للتوطن، وأحظى أي أسعد.

(٦) البلغة بالضم: مقدار ما يتبلغ به من القوت.

(٧) المكثر بالدنيا حكم الله عليه بالفقر؛ لأنه كلما أكثر ازداد طمعه وطلبه فهو في فقر دائم إلى ما يطمع فيه.

(٨) غني كرضي: استغنى. وغنيّ القلب عن الدنيا بعيش في راحة تامة.

(٩) الزبرج بكسر فسكون: الزينة، وزانه: أعجبه وحسن في عينه، وعبق به الطيب: لرق به، والكمه محركة: العمى.. فمن نظر لزينتها بعين الاستحسان لزق به حبها وأعمت عينه عن الحق.

(١٠) الشعف بالعين محركة: الولوع وشدة التعلق، والأشجان: الأحزان.

(١١) رقص بالفتح وبالتحريك: حركة واثب، وسويداء القلب: حبته، ولهنّ: أي للأشجان فهي تلعب بقلبه.

(١٢) الكظم محركة: الحلق أو الفم أو مخرج النفس: أي حتى يخنقه الموت فيطرح بالفضاء، والأبهران: وريدا العنق وانقطاعهما كناية عن الهلاك.

إِلْقَاؤه[١]، إِنَّما يَنْظُرُ المُؤمِنُ إِلى الدُّنيا بِعَيْنِ ٱلاعْتِبارِ، ويَقْتَاتُ مِنها بِبَطْنِ ٱلاضطِرَارِ[٢]، ويَسْمَعُ فِيها بِأُذُنِ المَقْتِ والإِبْغَاضِ، إِن قِيلَ: أَثْرَى.. أَكْدَى[٣]، وإِن فُرِحَ لَهُ بالبَقَاءِ، حُزِنَ لَهُ بالفَنَاءِ، هذا.. ولَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فيهِ يُبْلِسُونَ[٤]. [ر ٢: ٢٣٦، ٢٣٧]

١٧٩٢ ـ يا أَيُّها[٥] النَّاسُ، مَن عَلِمَ مِن أَخِيه مُرُوءَةً جَمِيلَةً فَلَا يَسْمَعَنَّ فيهِ الأَقاوِيلَ[٦]. ومَن حَسُنَتْ عَلَانِيَتُه، فنَحْنُ لِسَرِيرَتِه أَرْجَى، أَلَا لا يَزِيدَنَّ أَحَدُكُم نَفْسَهُ شَكًّا، فإِنَّ مَن عَلِمَ مِن أَخِيه مُرُوءَةً جَمِيلَةً، فَسَمِعَ فيهِ الأَقاوِيلَ فقَد شَكَّكَ نَفْسَهُ، أَلَا وإِنَّ الرَّامِيَ قَد يَرْمِي وقَد تُخطِئُ السِّهامُ، وبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُور[٧]. أَلَا وإِنَّ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ أَرْبعَ أَصَابِعَ ـ وأَشَارَ بِأَصابِعِهِ الأَرْبَعِ فوَضَعَها بيْنَ العَيْنِ والأُذُن ـ فالحَقُّ أَن تَقُولَ: رأَيْتُه بِعَيْنِي، والبَاطِلُ أَن تَقُولَ سَمِعْتُه بِأُذُنِي. [ق: ١٣٩، ١٤٠]

١٧٩٣ ـ يا بَرْدَها عَلَى الكَبِدِ إِذا سُئِلَ العَالِمُ عَمَّا لا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ[٨]. [ق: ٢٤]

---

(١) إلقاؤه: طرحه في قبره.

(٢) أي يأخذ من القوت ما يكفي بطن المضطر وهو ما يزيل الضرورة.

(٣) بيان لحال الإنسان في الدنيا، فلا يقال فلان أثرى: أي استغنى.. حتى يسمع بعد مدة بأنه أكدى: أي افتقر.. وصف لتقلب الحال.

(٤) أبلس: يئس وتحير يوم الحيرة.. يوم القيامة، وهذا كله يحدث ولم يأت يوم القيامة يوم الحسرة والندامة!

(٥) في رواية: أيها الناس.

(٦) أي لا يسمع فيه ما يزخرفه النمامون والسعاة بالتفرقة.

(٧) يبور: يهلك. والمراد: أنه لا يصح الإصغاء إلى أقوال الوشاة المفسدين، ما دام ظاهر أخيك يدل على حسن أخلاقه. ولا داعي للتشكك في ذلك فإن جمال الظاهر يدل على جمال الباطن، والفصل في ذلك أن تحكم بعينيك لا بأذنيك: أي بما تراه لا بما تسمعه من الناس.

(٨) أي لا يصح أن يدعي الإنسان علم ما لم يعلم، وأن تأخذه العزة بالإثم فيكبر عليه عند المسألة أن يصرح بعدم معرفته بها فيتكلم بغير الحق، إن علماء الآخرة لا يستحون إذا سئلوا عما يجهلون أن يردّوا العلم فيه إلى الله وفوق كل ذي علم عليم. وفي الحديث الشريف: «**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على جراثيم جهنم**» وسئل الشعبيّ عن مسألة فقال: لا علم لي بها. فقيل له: ألا تستحي من قولك هذا؟ فقال: ولم أستحي مما لم تستح منه الملائكة حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]؟

١٧٩٤ ـ وقال رضي الله عنه لابنه الحسن:

يا بُنَيَّ: احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وأَرْبَعاً، لا يَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: أَغْنَى الغِنَى العَقْلُ، وأَكْبَرُ الفَقْرِ الحُمْقُ، وأَوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ[١]، وأَكْرَمُ الحَسَبِ حُسْنُ الخُلُقِ. يا بُنَيَّ: إِيَّاكَ ومُصَادقَةَ الأَحْمَقِ؛ فإِنَّهُ يُرِيدُ أَن يَنفعَكَ.. فَيَضُرُّكَ. وإِيَّاكَ ومُصَادقَةَ البَخِيلِ؛ فإِنَّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ.. أَحْوَجَ ما تكُونُ إِلَيْهِ[٢]، وإِيَّاكَ ومُصَادقَةَ التَّاجِرِ؛ فإِنَّهُ يَبِيعُكَ بالتَّافِهِ[٣]، وإِيَّاكَ ومُصَادقَةَ الكَذَّابِ؛ فإِنَّهُ كالسَّرَابِ يُقَرِّبُ إِلَيْكَ البَعِيدَ، ويُبْعِدُ عَنْكَ القَرِيبَ. [ر ٢: ١٥٧، ١٥٨]

١٧٩٥ ـ يا بُنَيَّ؛ إِنَّ الشَّرَّ تَارِكُكَ إِن تَرَكْتَهُ[٤].

١٧٩٦ ـ وقال لابنه محمد بن الحنفية:

يا بُنَيَّ؛ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكَ الفَقْرَ؛ فاسْتَعِذْ باللّهِ مِنْهُ[٥]؛ فإِنَّ الفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلعَقْلِ. داعِيَةٌ لِلمَقْتِ[٦]. [ر ٢: ٢٢٦]

---

(١) العجب بضم فسكون: الزهو والكبر. ومن أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس، فهو في وحشة أبداً.

(٢) أحوج: حال من الكاف في عنك.

(٣) التافه: القليل، وليس المراد كل تاجر، وإنما المراد: التاجر الطامع الجشع الذي أفسد ضميره حب الكسب وهو كثير في الناس.

(٤) يعني أن الناس هم الذين يطلبون الشر ويجرون وراءه فيقعون فيه ولو تركوه لتركهم، وما أحسن قول الشاعر:

ولا أتبغّى الشرّ ـ والشرُّ تاركي ـ ولكن متى أُحْمَلْ على الشرّ أَرْكَبِ

(٥) ثبت أن الرسول ﷺ استعاذ من الكفر والفقر وعذاب القبر؛ لأن الفقر يحمل على ارتكاب الجرائم، ويدعو إلى التخلق بالأخلاق الذميمة، بل قد يسوق إلى الكفر؛ وفي الآثار: «كاد الفقر يكون كفراً»، ولأنه يشغل الفكر، ويتلف الأعصاب، ويميت الذهن، ومن قول الغزالي: يغيب العقل إذا غاب الدقيق.

(٦) المقت: البغض، وليس أثقل على الناس من الفقير، وما أحسن قول العباس بن الأحنف في ذلك:

يمشي الفقيرُ وكلُّ شيء ضِدُّه والناسُ تُغلق دونه أبوابها
وتراه مَبغوضاً ـ وليس بمذنب ـ ويرى العداوةَ لا يرى أسبابها
حتى الكلابُ إذا رأت ذا ثروة خضعت لديه وحرّكت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً نبحتْ عليه وكشّرت أنيابها

١٧٩٧ ـ ونظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن، فقال:

يا بُنَيْ: نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنْهُ؛ فإنَّهُ نظرَ إلى أخْبَثِ ما في وِعَائِه، فأفْرَغَهُ في وِعائِكَ(١). [ح ٢٠: ٢٨١]

١٧٩٨ ـ يا بَيْضاءُ أبْيَضِّي، ويَا صَفْرَاءُ اصْفَرِّي؛ وغُرًا غَيْرِي(٢). [ت: ٣٠]

١٧٩٩ ـ قال لجابر بن عبد الله الأنصاري:

يا جَابِرُ: قِوَامُ(٣) الدُّنيا بأرْبَعَةٍ: عَالِمٌ مُسْتَعْمِلٌ عِلْمَه، وجَاهِلٌ لا يَسْتَنْكِفُ أن يَتعلَّم، وجَوَادٌ لا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِه، وفَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَه بِدُنْياه، فإذا ضَيَّعَ العَالِمُ عِلْمَه اسْتَنْكَفَ الجَاهِلُ أن يتَعلَّم(٤)، وإذا بَخِلَ الغَنِيُّ بمَعْرُوفِه، باعَ الفَقيرُ آخِرَتَه بِدُنْياه(٥).

يا جابِرُ: مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْه، كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاس إلَيْه.. فَمَنْ قامَ للّهِ فِيها بمَا يَجِبُ عَرَّضَها للدَّوَامِ والبَقاءِ، ومَنْ لَمْ يَقُمْ فِيها بمَا يَجِب عَرَّضَها للزَّوَالِ والفَنَاءِ(٦). [ر ٢: ٢٣٩]

١٨٠٠ ـ يا حَمَلَةَ العِلْم: أتَحْمِلُونَهُ؟! فإنَّمَا العِلْمُ لِمَنْ عَلِمَ ثمَّ عَمِلَ، وَوَافَقَ

---

(١) يريد الإمام: أن السامع للذم شريك لقائله في اللوم، وله نصيبه من الإثم مثله، ومما أنشدوا في ذلك:

وسمعك صُنْ عن سماع القبيح ... كصوْن اللسان عن النطق به
فإنك عندَ سماع القبيح ... شريكٌ لقائله؛ فانتبه

(٢) البيضاء: الفضة، والصفراء: الذهب. والمعنى: أن الدنيا بزينتها وزخرفها وزهرتها، لا سبيل لها على مثله وقد مرّ قوله لها: قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، وقد قال بعضهم مشيراً إلى ذلك:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى ... أكابد داراً همها ليس ينجلي
فقالت نعم يا بن الكرام لأنني ... غضبت عليكم منذ طلّقني «علي»

(٣) قوام الأمر بكسر القاف: نظامه وعماده.

(٤) لاستواء العلم والجهل عنده.

(٥) لأنه يضطر للخيانة أو الكذب حتى ينال بهما من الغني شيئاً.

(٦) شكر الله على نعمه أن تشرك عباده معك فيها، حتى يزيدك منها ويديمها لك، ولا يزيلها عنك. وفي الحديث الشريف: «من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه» ويقول الجاحظ.. فإن أحببت أن يزاد في الإحسان إليك، وأن يثبت لديك ما أنعم الله به عليك، فاقض حاجة من قصدك، وابسط له بالبشر وجهك، وبالمعروف يدك. ويقول بعضهم: لا يملّنّ أحدكم المعروف، فإن صاحبه يعوض خيراً منه، إما شكراً في الدنيا، وإما ثواباً في الآخرة.

عَمَلُه عِلْمَه. وسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ العِلْمَ، لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم[١]، تُخَالِفُ سَرِيرَتُهُم عَلانِيَتَهُم، ويُخَالِفُ عَمَلُهُم عِلْمَهُم، يَقْعُدُونَ حلَقاً، فَيُبَاهِي بَعْضُهُم بَعْضاً؛ حتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِه أن يَجْلِسَ إلى غَيْرِه؛ أُولَئِكَ لا تَصْعَدُ أَعْمَالُهم ـ في مَجَالِسِهم تِلْكَ ـ إلى اللَّهِ سُبْحَانَه[٢]. [ح ٢٠: ٢٦٧]

١٨٠١ ـ يا عَالِمُ: قَدْ قَامَ عَلَيْكَ حُجَّة العِلْم، فاسْتَيْقِظْ مِن رَقْدَتِك[٣]. [ح ٢٠: ٣١٧]

١٨٠٢ ـ يَا عَبِيدَ الدُّنْيا: كَيْفَ تُخَالِفُ فروعُكُم أُصُولَكُم، وعُقُولُكُم أَهْوَاءَكُم؟.. قَوْلُكُم شِفَاءٌ يُبْرِئُ الدَّاءَ، وعَمَلُكُم دَاءٌ لا يَقْبَلُ الدَّوَاء؛ ولَسْتُم كالكَرْمَةِ الَّتي حَسُنَ وَرَقُها، وَطَابَ ثَمَرُها، وسَهُلَ مُرْتَقَاها؛ ولَكِنَّكُم كالشَّجَرة الَّتي قَلَّ وَرقُها، وكَثُرَ شَوْكُها، وخَبُثَ ثَمَرُها، وصَعُبَ مُرْتقَاها.. جَعَلْتُم العِلْمَ تَحْتَ أَقْدَامِكُم، والدُّنيا فَوْقَ رُؤُوسِكُم؛ فالعِلْمُ عِندكُم مُذَالٌ[٤] مُمْتَهَنٌ، والدُّنيا لا يُسْتَطاعُ تناوُلها، فقَدْ مَنَعْتُم كلَّ أَحَدٍ مِن الوُصُولِ إلَيْها؛ فَلا أَحْرَارٌ كِرَامٌ أَنْتُمْ، ولا عَبِيدٌ أَتْقِيَاءُ. وَيْحَكُمْ يا أُجَرَاءَ السُّوء! أَمَّا الأَجْرَ فتَأْخُذُون، وأَمَّا العَمَلَ فَلا تعْمَلُون؛ إنْ عَمِلْتُم فَللْعَمَلِ تُفْسِدُون، وسَوْفَ تَلْقَوْن ما تَفْعَلُون، يُوشِكُ رَبُّ العَمَلِ أن يَنْظُرَ في عَمَلِه الَّذي أَفْسَدْتُمْ، وفي أَجْره الَّذي أَخَذْتُم، يا غُرَمَاء السُّوء: تَبْدأُونَ بالهَدِيَّةِ قَبْلَ قَضَاءِ الدَّيْنِ، تَتطَوَّعُون بالنَّوَافِلِ ولا تُؤَدُّون الفَرائِضَ، إنَّ ربَّ الدَّيْنِ لا يَرْضَى بالهَدِيَّةِ حتَّى يُقْضَى دَيْنُه. [ح ٢٠: ٣٢٤]

---

(١) الترقوة بالتاء المفتوحة المشددة: مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس.

(٢) لقد حدث هذا كما قال الإمام!!

(٣) يخاطب الإمام بهذا علماء السوء، الذين قامت عليهم الحجة فلا يعذرون كما يعذر الجهال.
ومن كلام مالك بن دينار: إذا لم يعمل العالم بعلمه زاث قدمه وموعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا ـ الحجر الصلد ـ ويقول الأوزاعي: اشتكت النواويس ـ القبور ـ ما تجده من نتن جيف الكفّار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه!!

(٤) الإذالة: الإهانة وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ولو أنّ أهل العِلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوسِ لعُظّما
ولكن أهانوه فهانَ ودَنّسوا ... مُحيّاهُ بالأطماع حتى تجهّما

١٨٠٣ ـ يا عَجَباً للنَّاسِ!. . قَدْ مَكَّنَهُم اللَّهُ مِنَ ٱلاقْتِدَاءِ بهِ، فَيَدْعُونَ ذَلِكَ[١] إلى ٱلاقْتِدَاءِ بالبَهَائِمِ. [ح ٢٠: ٣٣٢]

١٨٠٤ ـ يا عَجَباً مِنْ غَفْلَةِ ٱلحُسَّادِ، عَنْ سَلامَةِ ٱلأَجْسَادِ[٢]. [ح ٢٠: ٣٠٢]

١٨٠٥ ـ ومن كلامه لكُمَيْل بن زياد النَّخَعي:

قال كمَيْلبن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرجني إلى الجبّان، فلما أصْحَر تنفس الصُّعَداء[٣]، ثم قال:

يا كُمَيْلُ: إنَّ هَذِه القُلُوبَ أوْعِيَةٌ[٤]، فَخيْرُها أوْعاهَا. . فاحْفَظْ عَنّي مَا أقُولُ لَكَ:

النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ[٥]، ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ أتْباعُ كلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ معَ كلِّ رِيحٍ، لم يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ العِلْمِ، ولَم يَلْجَأُوا إلى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يا كُمَيْلُ: العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ المَالِ: العِلْمُ يَحْرُسُكَ، وأنْتَ تَحْرُسُ المَالَ. المَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَة. . والعِلْمُ يَزْكُو[٦] عَلَى الإنفاقِ، وصَنِيعُ المَالِ يَزُولُ بِزَوَالِه[٧].

---

(١) لقد وهب الله عباده العقول المرشدة الهادية فعطلوها، وأوضح لهم سبيل اتباعه بالشرائع المحكمة فطمسوها وأبوا ـ للؤم طباعهم ونزوعهم إلى الشر، ولصوقهم بالدناءة والخسة ـ إلا الاقتداء بالبهائم!! ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

(٢) مما يتعجب منه أن الحساد لا يعلمون أن الحسد يجلب إليهم الأوجاع والأسقام، ومما قيل في ذلك: الحسد حسك: من تعلق به هلك!! قيل لأرسطو: ما بال الحسود أشد غماً؟ قال: لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا، ويضاف إلى ذلك غمه لسرور الناس. قال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك! فقال: تركت الحسد فبقيت!!

(٣) الجبان كالجبانة: المقبرة، وأصحر: أي صار في الصحراء، والصعداء: التنفس الطويل.

(٤) أوعية: جمع وعاء، وأوعاها: أحفظها.

(٥) العالم الرباني: هو المتأله العارف بالله، والمتعلم على طريق النجاة، إذا أتم علمه نجا، والهمج محركة: الحمقى من الناس، والرَّعاع كسحاب: الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس، والناعق: مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق.

(٦) يزكو: ينمو ويزيد.

(٧) من كان صنيعاً لك، متحبباً إليك لمالك. . زال ما تراه منه بزوال مالك، أما صنيع العلم فيبقى ما بقي العلم.

يا كُمَيْلُ: العِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بِهِ.. بِهِ يَكْسَبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ في حيَاتِه، وجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفاتِه[١]. والعِلْمُ حَاكِمٌ.. والمَالُ مَحْكُومٌ عَليهِ..

يا كُمَيْلُ: هلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أَحْيَاءٌ، والعُلَمَاءُ باقُونَ مَا بَقِيَ ٱلدَّهرُ.. أَعْيَانُهم مَفقودَةٌ، وأَمْثَالُهم في القُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا.. إِنَّ هَا هُنَا لَعِلْماً جَمًّا (وأَشَارَ إِلى صَدْرِه) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً[٢].. بلى. أَصَبْتُ لَقِناً غيْرَ مَأْمُونٍ عَليهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ للدُّنْيا، ومُسْتَظْهِراً بِنعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِه، وبِحُجَجِه عَلَى أَوْلِيَائِه[٣]، أَوْ مُنْقَاداً لحَمَلَةِ الحَقِّ[٤]، لا بَصِيرَةَ لَهُ في أَحْنَائِه، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ في قَلْبِه لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلا. لَا ذَا، ولَا ذَاكَ[٥]، أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ القِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بالجَمْعِ والادِّخَار.. لَيْسَا مِنْ رُعاةِ ٱلدِّينِ في شَيْءٍ. أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنْعامُ السَّائِمَةُ[٦]، كَذَلِك يَمُوتُ العِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيه.. اللَّهُمَّ: بَلَى.. لا تَخْلُو ٱلأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للَّهِ بِحُجَّةٍ: إِمَّا ظاهِراً مَشْهُوراً، أَوْ خائِفاً مَغْمُوراً[٧]؛ لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وبَيِّنَاتُه. وكَمْ ذَا؟ وأَيْنَ أُولَئِك[٨]!. أُولَئِكَ واللَّهِ الأَقَلُّونَ عَدَداً، والأَعْظَمُون قَدْراً. يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِم حُجَجَهُ وبَيِّنَاتِه، حتَّى يُودِعُوها

---

(١) العالم في قومه كالنبي في أمته، فالعلم أشبه شيء بالدين ـ بكسر الدال ـ يوجب على المتدينين طاعة صاحبه في حياته، والثناء عليه بعد موته.

(٢) الحملة بالتحريك: جمع حامل، وأصبت بمعنى وجدت: أي لو وجدت له حاملين لأبرزته وبثثته.

(٣) اللقن بفتح فكسر: من يفهم بسرعة، إلا أن العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا، ويستعين بنعم الله على إيذاء عباده.

(٤) المنقاد لحاملي الحق: هو المقلد في القول والعمل، ولا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه، فذاك يسرع الشك إلى قلبه لأقل شبهة.

(٥) لا يصلح لحمل العلم واحد منهما.

(٦) المنهوم: المفرط في شهوة الطعام، وسلس القياد: سهله. والمغرم بالجمع: المولع بكسب المال واكتنازه.. وهذان ليسا ممن يرعى الدين في شيء، والأنعام: أي البهائم السائمة، أقرب شبهاً بهذين فهما أحط درجة من راعية البهائم؛ لأنها لم تسقط عن منزلة أعدتها لها الفطرة، أما هما فقد سقطا واختارا الأدنى على الأعلى.

(٧) غمره الظلم حتى غطاه فهو لا يظهر.

(٨) استفهام عن عدد القائمين لله بحجته، واستقلال له، وقوله: وأين أولئك؟ استفهام عن أمكنتهم، وتنبيه على خفائها.

نُظَراءَهُم، ويَزْرَعُوها في قُلُوبِ أَشْبَاهِهِم، هَجَمَ بِهِمُ العِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ البَصِيرةِ، وبَاشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ، واسْتَلانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ المُتْرَفُون[1]، وأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلُون، وصَحِبُوا الدُّنْيا بأَبْدَانٍ أَرْوَاحُها مُعَلَّقَةٌ بالمحَلِّ الأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ في أَرْضِه، والدُّعاةُ إِلى دِينِه.. آه.. آه.. شَوْقاً إِلى رُؤْيَتِهم... انْصَرِفْ إِذا شِئْتَ. [ر ٢: ١٨٤، ١٨٥]

١٨٠٦ ـ وقال لكُمَيْل:

يا كُمَيْلُ: مُرْ أَهْلَكَ أَن يَرُوحُوا في كَسْبِ المَكارِمِ، ويُدْلِجُوا في حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِم[2]، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُه الأَصْوَاتَ، مَا مِنْ أَحدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وخلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فإذا نَزَلَتْ بِهِ نائِبَةٌ جَرَى إِليها[3]، كالمَاءِ في انْحِدَارِه حتَّى يَطْرُدَها عَنهُ، كما تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ. [ر ٢: ٢٠٦، ٢٠٧]

١٨٠٧ ـ يا مَنْ أَلَمَّ بجَنَابِ الجَلَالِ: احْفَظْ ما عَرَفْتَ، واكْتُمْ مَا اسْتُودِعْتَ؛ واعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ رُشِّحْتَ لِأَمْرٍ. فافْطِنْ لَهُ، ولا تَرْضَ لنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ خَائِناً، فَمَنْ لَم يُؤَدِّ الأَمانَةَ فِيما اسْتُودِعَ، أَخْلَقُ النَّاسِ بِسِمَةِ الخِيَانَة، وأَجْدَرُ النَّاسِ بالإِبْعَادِ والإِهَانَة. [ح ٢٠: ٣٤٥]

١٨٠٨ ـ يا مَنْ لَيْسَ إِلَّا هُوَ، يا مَنْ لا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ: اغْفِرْ عَنِّي. [ح ٢٠: ٣٤٨]

١٨٠٩ ـ وقال لرجل طويل الذيل:

يا هذَا، قَصِّرْ هذَا؛ فإِنَّهُ أَنْقَى، وأَبْقَى، وأَتْقَى[4]. [ت: ٢٨٤]

١٨١٠ ـ رأى رجلاً يحدِّثُ منكَرَ الحديث.. فقال:

---

(١) عدوا ما استخشنه المنعمون ليناً، وهو الزهد.

(٢) الرواح: السير من بعد الظهر، والإدلاج: السير من أول الليل، والمراد من المكارم: المحامد، وكسبها بعمل المعروف، وكأنه يقول: أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير، فرواحهم في الإحسان، وإدلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها.

(٣) وفي الحديث الشريف: **«من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً، لم يرض الله له سروراً دون الجنة»** رواه الطبراني.

(٤) أنقى: من النقاء، لأنه يكون بعيداً من النجاسة. وأبقى: من البقاء: لأن طوله يعرضه للاحتكاك بالأرض وغيرها، ولدوس الأرجل فيسرع إليه البلى. وأتقى: من التقى، لأن قصره يدل على التواضع والبعد عن الزهو والخيلاء، وفي الأثر: «فضل الإزار في النار».

يا هذا. . أنصِف أُذُنَيْكَ مِنْ فَمِكَ؛ فإنَّما جُعِلَ الأُذُنانِ اثْنَتَيْنِ، والفَمُ وَاحِداً؛ لِيَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَقُول. [ح ٢٠: ٢٨٥]

١٨١١ ـ يُبَاعِدُكَ مِنْ غَضَبِ اللهِ أَلَّا تَغْضَبَ(١). [ح ٢٠: ٣٢٤]

١٨١٢ ـ يَجِبُ عَلَى العَاقِلِ أَنْ يكُونَ بِمَا أَحْيَا عَقْلَهُ مِنَ الحِكْمَةِ، أَكْلَفَ مِنهُ بِمَا أَحْيَا جِسْمَهُ مِنَ الغِذَاءِ(٢). [ح ٢٠: ٣٢٢]

١٨١٣ ـ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُشْفِقَ عَلَى وَلَدِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِشْفَاقِهِ عَلَيْك(٣). [ح ٢٠: ٢٧٢]

١٨١٤ ـ ورُئِيَ عليه إزارٌ خَلَقٌ مرقُوعٌ، فقيلَ له في ذَلك، فقال:

يَخْشَعُ لَهُ القَلْبُ، وتَذِلُّ بِهِ النَّفسُ، ويَقْتَدِي بِهِ المُؤْمِنُون، إِنَّ الدُّنيا والآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتانِ، وسَبِيلانِ مُختَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيا وتَوَلَّاها، أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعادَاها، وَهُما بِمَنْزِلَةِ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ. . وَمَاشٍ بَيْنَهُما: كُلَّما قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ، بَعُدَ مِنَ الآخَرِ. . وَهُما ـ بَعْدُ ـ ضَرَّتان(٤). [ر ٢: ١٧٠، ١٧١]

---

(١) لأن الغضب يسوق إلى كل شر، ويوقع في كل ضر، ولصاحبه قرابة من الشيطان، لأن الغضب نار والشيطان مخلوق من النار، ولا يمكن التغلب عليه إلا بالإيمان الراسخ، والتأسي بالرسول الكريم وأصحابه، وترك أسبابه من الكبر والعجب والفخر والتعزز والحمية والمزاح والمماراة والسخرية.

وقال ابن عمر: قلت لرسول الله ﷺ: قل لي قولاً وأقلله لعلي أعقله، فقال: «لا تغضب» فأعدت عليه مرتين، كل ذلك يرجع إلى: «لا تغضب».

ومن قول الحسن: يا بن آدم، كلما غضبت وثبت، ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار!!

(٢) العقل ـ كما قال العتبي ـ: عقلان: عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل. وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فإذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة البصر: فالعقل دائماً أبداً مفتقر إلى الغذاء اللطيف الذي ينميه ويصقله ويزيد في حصافته من علم وحكمة وتجارب وأدب ومعارف مختلفة؛ ومن قول بزر جمهر: العقل يحتاج إلى مادة الأدب، كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الأطعمة. وقال بعضهم: كل شيء مفتقر إلى العقل، والعقل مفتقر إلى التجارب. وقالوا: عقل بلا أدب، بطل بلا سلاح. وقالوا: إذا اجتمع العقل والعلم في رجل فقد استطاب المحيا، وسما إلى الدرجة العليا، وجمع الآخرة والأولى.

(٣) في هذه الحكمة يسير الإمام مع الطبيعة، فالأب أشفق على ولده من شفقة ابنه عليه، والأب يعرف ذلك ويسرّه ذلك، لأن ابنه امتداد له، ولهذا لا يؤثر أن يتقدم عليه أحد غير ابنه، ولا يفدي أحداً بنفسه غير ابنه، وما أحسن قول الأحنف: أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم؛ ولا تنظر إليهم شزراً فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك!!

(٤) ضرة المرأة ـ بفتح الضاد ـ: امرأة زوجها، وهما متعاديتان في العادة وإنما كان الإمام يفعل ذلك=

١٨١٥ ـ وقال رضي الله عنه في ذكر خَبّاب:

يَرْحَمُ اللَّهُ خَبَّابَ بْنَ الأرتِّ[1]، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وهَاجَرَ طَائِعاً، وقَنِعَ بالكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ اللَّهِ[2]، وعَاشَ مُجَاهِداً. [ر ٢: ١٥٩]

١٨١٦ ـ يَسُرُّنِي مِنَ القُرْآنِ كَلِمَةٌ أَرْجُوها لِمَنْ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِه:

قالَ: ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾[الأعراف: ١٥٦].

فَجَعَلَ الرَّحْمَةَ عُمُوماً، والعَذَابَ خُصُوصاً. [ح ٢٠: ٣٤٤]

١٨١٧ ـ يَضُرُّ النَّاسُ أَنْفُسَهُم في ثَلاثَةِ أشْيَاءَ: الإفْرَاطُ في ٱلأَكْلِ ٱتِّكالاً عَلَى الصِّحَّةِ، وتَكَلُّفُ حَمْلِ مَا لَا يُطَاقُ ٱتِّكالاً عَلَى القُوَّةِ، والتَّفْرِيطُ في العَمَلِ ٱتِّكالاً عَلَى القَدَرِ[3]. [ح ٢٠: ٢٦٣]

١٨١٨ ـ يَغْلِبُ المِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ[4]، حتَّى تَكُونَ الآفَةُ في التَّدْبِيرِ.

= لمكانه من الزهد والورع وهو سيد العترة النبوية ولأنه كان في موضع القدوة لعماله، حتى لا يترفوا فيظلموا الرعية، وإلا فليس التجمل بلبس الثياب الحسنة ـ غير الحريرية ـ مما حرمه الله.

(١) خباب بن الأرت كان صحابياً.

(٢) رضاء الله عن عبده، ثمرة رضاء العبد عن الله تعالى. قال الثوري: كنت يوماً عند رابعة، فقلت: اللهم، ارض عني، فقالت: أما تستحي من الله أن تسأله الرضا عنك، وأنت غير راضٍ عنه؟! فقال الثوري: أستغفر الله!!

وكان جعفر بن سليمان الضبعي حاضراً فقال: متى يكون العبد راضياً عن الله تعالى؟ فقالت رابعة: إذا كان سروره بالمصيبة، مثل سروره بالنعمة!!

(٣) هذه أمور ثلاثة عمت بها البلوى من قديم الزمان، وبالأمر الثالث ـ على الخصوص ـ تأخر كثير من المسلمين، ولو فهموا التوكل على حقيقته، لكان لهم منار تقدم لا تأخر، وحافز إقدام لا إحجام، وذريعة نجاح لا إخفاق؛ لأن حقيقة التوكل: أن يعتقد العبد أن كل شيء من الله تعالى فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تسهل فبتيسيره، ثم يأخذ في الأسباب، ويجتهد ما وسعه الاجتهاد.

(٤) المقدار: القدر الإلهي وهو ما قدره الله على عباده في الأزل. والتقدير: التهيئة والتوقيت والقياس.

والمعنى: أن ما قدره الله لا بدّ من نفاذه، ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء، حتى إن الإنسان ليحكم الأمر، ويتخذ الحيطة، فيكون ذلك سبب إخفاقه، بل سبب هلاكه، وصدق الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهادهُ

والمطلوب منا: أن نسعى إلى ما فيه خيرنا، ولا نفرط في وسيلة نستطيعها:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهدَه ... وليس عليه أن تتمّ المطالبُ

وقد مضى هذا المعنى في ما تقدم برواية تخالف هذه الألفاظ.
[ر ٢: ٢٥٧]

١٨١٩ ـ يَقُولُ اللَّهُ تَعالَى: يا بْنَ آدَمَ. لَم أَخْلُقْكَ لِأَرْبَحَ عَلَيْكَ، إِنَّما خَلَقْتُكَ لِتَرْبَحَ عَلَيَّ، فاتَّخِذْنِي بَدَلًا مِنْ كلِّ شَيْءٍ؛ فإِنِّي ناصِرٌ لَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ(١). [ح ٢٠: ٣١٩]

١٨٢٠ ـ يَقْطَعُ البَلِيغَ عَنِ المَسْأَلَةِ أَمْرانِ: ذُلُّ الطَّلَبِ، وخَوْفُ الرَّدِّ(٢). [ح ٢٠: ٣٢٠]

١٨٢١ ـ اليَقِينُ فَوْقَ الإِيمانِ(٣)، والصَّبْرُ فَوْقَ اليَقِينِ(٤)، ومَنْ أَفْرَطَ رَجاؤُهُ غَلَبَتِ الأَمانِي عَلَى قَلْبِهِ واسْتَعْبَدَتْهُ. [ح ٢٠: ٢٧٣]

---

(١) تمثل هذه الحكمة الروحانية رحمة الله بعبيده وإحسانه إليهم، فهو قد خلقهم، ليغدق عليهم ثوابه، ويسبغ عليهم نعمته، لا ليناله نفع منهم فهو غني عن العالمين؛ لذلك كان واجباً عليهم أن يخصوه بالإخلاص! والإخلاص: نسيان رؤية الخلق، بدوام النظر إلى الخالق، وأن يفردوه بالعبودية؛ والعبودية أن تكون عبده في كل حال، كما أنه ربك في كل حال، ولكنهم ـ لعمى قلوبهم ـ اتخذوا من العبيد أرباباً ورحم الله القائل: من عرف الله تعالى صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله تعالى.

(٢) المراد: أن الرجل المنطيق الساحر البيان، يصيبه العيّ والحصر عند سؤاله شيئاً من غيره، لشعوره بذلّ الحاجة، ولإشفاقه من أن يجيبه بعدم قضائها!! فيكون قد اجتمع عليه أمران مرّان!! وقد توسع الناس في معنى كلام الإمام، فمن ذلك: أن العتّابي سأل رجلًا حاجة فأقل في كلامه، فسئل في ذلك، فقال: كيف لا يقل كلامي ومعي حيرة الطلب، وذل المسألة، وخوف الرد؟!! وسئل أحمد بن أبي دواد: متى يكون البليغ عييًا؟ فقال: إذا سأل ما يتمناه، وشكا حبه إلى من يهواه ثم أنشد:

بليغ إذا يشكو إلى غيره الهوى وإنْ هُو لاقاها فغيرُ بَليغِ

(٣) اليقين ـ لغة ـ: العلم وزوال الشك؛ يقال: يقنت الأمر ـ من باب طرب ـ وأيقنت، واستيقنت، وتيقنت كله بمعنى. وعند القوم: قال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب. وقال أبو عبد الله الإنطاكي: إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نوراً، وينفي عنه كل ريب، ويمتلئ القلب به شكراً، ومن الله تعالى خوفاً.
وقال سهل التستري: ابتداء اليقين: المكاشفة، ولذا قال بعض السلف ـ الإمام علي ـ: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. ثم المعاينة والمشاهدة.

(٤) لأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ـ في قول نسب إلى الإمام ـ ولأنهم قالوا: لا جزاء على عبادة فوق الجزاء على الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله تعالى معيته: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

١٨٢٢ ـ يَمْنَعُ ٱلْجَاهِلَ أَن يَجِدَ أَلَمَ الحُمْقِ المُسْتَقِرِّ في قَلْبِه مَا يَمْنَعُ السَّكْرَانَ أَن يَجِدَ مَسَّ الشَّوْكَةِ فِي يَدِه(١). [ح ٢٠: ٣٣٣]

١٨٢٣ ـ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ كانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقُمْ؛ فَيَقُومُ العَافُونَ عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٢) [الشورى: ٤٠]. [ح ٢٠: ٣٠٩]

١٨٢٤ ـ يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ.. ولا يَنَامُ عَلَى الحَرَبِ(٣). [ر ٢: ٢٢٣]

١٨٢٥ ـ يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ المُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِه عِنْدَ مُصِيبَتِه حَبِطَ عَمَلُه(٤). [ر ٢: ١٨٣]

---

(١) الجامع بين الجاهل والسكران: أن كلّاً منهما قد ضرب على عقله بحجاب كثيف لا يميز معه الضار من النافع، ولا الخبيث من الطيب.

(٢) وجاء في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؟ [النور: ٢٢] وفي الحديث الشريف: «**إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله**».

وما أحسن قول الحسن بن رجاء في المأمون ـ وكان مجبولًا على العفو ـ:

صَفوحٌ عن الإجرام حتّى كأنّما ... من العفوِ لم يَعرفْ من النّاس مُجرما

وليسَ يُبالي أن يكونَ به الأذى ... إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْه مسْلما

(٣) الثكل بالضم: فقد الأولاد، والحرب بالتحريك: سلب المال. ومعنى ذلك: أنه يصبر على قتل الأولاد ولا يصبر على سلب الأموال. والمال أخو البنين قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وفقد البنين قد يصبر الرجل عليه ويتسلى عنه، ولكن فقد المال: فقد لعصب الحياة وقوتها وقوامها، وزهرتها ونعمتها وبهجتها، بل فقد للحياة نفسها وأي معنى للحياة بدون مال؟!!

ورحم الله العباس بن عبد المطلب حيث يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أعذب من الماء، وأرفع من السماء، وأحلى من الشهد، وأذكى من الورد، خطؤه صواب، وسيئاته حسنات، وقوله مقبول يرفع مجلسه، ولا يمل حديثه. والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، وأثقل من الرصاص، لا يسلم عليه إن قدم، ولا يسأل عنه إن غاب، إن حضر ازدروه، وإن غاب شتموه، وإن غضب صفعوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة!!

(٤) حبط عمله من باب فهم: بطل ثوابه، وأحبطه الله. ومن رحمة الله بعباده: أنه يعطيهم الصبر على مقدار ما يصيبهم به، ولولا ذلك لانشقت مرائرهم حزناً، وانصهرت قلوبهم كمداً، وذابت أكبادهم حسرة، وقد ذكر ـ سبحانه ـ الصبر في كتابه الكريم في نيف وسبعين موضعاً، وحثنا على التمسك به، وجعل أكثر الخيرات مضافاً إليه، وأثنى على فاعله، ووعد المثوبة عليه، ويكفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] فقدم الصبر على الصلاة، وجعل نفسه مع الصابرين لا المصلين.

وفي الحديث القدسي: «**إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده؛ ثم**=

١٨٢٦ ـ يَنْبَغِي لِذَوِي القَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا ولا يَتَجَاوَرُوا[١]. [ح ٢٠: ٣٢٢]

١٨٢٧ ـ يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يُكْرِمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ أَنْ تُكْرِمَ وَجْهَهُ عَنْ رَدِّهِ[٢]. [ح ٢٠: ٣١٣].

١٨٢٨ ـ يَنْبَغِي لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ قَوْمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِتَقْوِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ فِي تَقْوِيمِ رَعِيَّتِهِ؛ وإِلَّا . . كانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَامَ ٱسْتِقَامَةَ ظِلِّ العُودِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ ذَلِكَ العُودُ[٣]. [ح ٢٠: ٢٦٩]

١٨٢٩ ـ يَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يَتَذَكَّرَ عِنْدَ حَلَاوَةِ الغِذَاءِ، مَرَارَةَ الدَّوَاءِ[٤]. [ح ٢٠: ٢٧٢]

= استقبل ذلك بصبر جميل استحيت يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».
وإنما كان الضرب على الفخذ يحبط العمل، لأنه اعتراض على الله في فعله، وتقبل لقضائه وقدره بالتسخط وليس هذا من أخلاق المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

(١) هذه حكمة اجتماعية سامية، فقد دلت التجارب المستوعبة: أن مجاورة الأقارب بعضهم لبعض تؤدي إلى التباغض، ذلك لأن التجاور يضعف الحب والشوق، ويسوق إلى الملل والسآمة، ثم إنه يولد الاحتكاك بين النساء والأولاد والخدم، فينشأ عنه العداوة بين الكبار، هذا إلى أن الأقارب قد يكونون متفاوتين في اليسر والرخاء والرتبة، فيدب بينهم الحسد والحقد دبيب العقارب.

(٢) المراد: أن من حق من أراق ماء وجهه في مسألتك. ورآك أهلاً لقضاء حاجته أن تحقن ماء وجهه بإجابة سؤله وتحقيق أمله.
ومن قول بعضهم في معناه: والله لرجل بات يتململ على فراشه رآكم موضعاً لحاجته، لمنته عليكم أعظم من منتكم عليه بما أعطيتموه!!
وقال الشاعر:

لا تحجبنَّ بالرَّدِّ وجهَ مُؤمِّلٍ ... فلَخيرُ وقتِكَ أن تُرى مسؤولا
واعلمْ بأنَّك عن قليلٍ صائرٌ ... خبراً، فكُن خبراً يَرُوقُ جميلا

وقال آخر:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً ... فلقاؤه يكفيكَ، والتسليمُ
فإذا رآكَ مُسَلِّماً عرَفَ الذي ... حمَّلتَه فكأنَّه ملزومُ

(٣) طبعت النفوس على عدم الانقياد طبيعة مختارة لمن ولُوا أمورها، إلا لمن شرفت نفسه، وكرم خلقه، واستقامت أحواله، فاتخذته أسوة لها وأسلمته زمامها، عن محبة صادقة وثقة وثيقة، وإخلاص عميق. وأما الرعاة غير الأمناء فهم من الرعية مثل النقش من الطين، والظل من العود، وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟ ورحم الله من قال:

ما هو إلا ذُبالةٌ وقدتْ ... تُضيءُ للناسِ وهيَ تحترقُ

(٤) حلاوة الغذاء: كناية عن الصحة التي تجعل الطعام هنيئاً والشراب مريئاً. ومرارة الدواء: كناية=

١٨٣٠ ـ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أن يَمْنَعَ مَعْرُوفَهُ الجَاهِلَ واللَّئِيمَ والسَّفِيهَ: أَمَّا الجَاهِلُ فَلَا يَعْرِفُ المَعْرُوفَ ولا يَشْكُرُ عَلَيْهِ، وأَمَّا اللَّئِيمُ فأَرْضٌ سَبِخَةٌ لا تُنْبِتُ، وأَمَّا السَّفِيهُ فَيَقُول: إنَّما أَعْطَانِي فَرَقاً مِنْ لِسَانِي[١]. [ح ٢٠: ٣٢٣]

١٨٣١ ـ يَنْبَغِي لِلْوَالِي أن يَعْمَلَ بِخِصَالٍ ثَلَاثٍ: تَأْخِيرُ العُقُوبَةِ مِنْهُ في سُلْطَانِ الغَضَبِ، والأَنَاةُ فِيما يَرْتَئِيهِ[٢] مِنْ رَأْيٍ، وتَعْجِيلُ مُكافأةِ المُحْسِنِ بالإحْسَانِ؛ فإِنَّ في تَأْخِيرِ العُقُوبَةِ إمْكَانَ العَفْو، وفي تَعْجِيلِ المُكافأةِ بالإحْسَانِ طاعَةَ الرَّعِيَّةِ، وفي الأَنَاةِ انْفِسَاحَ الرَّأْيِ وحَمْدَ العَاقِبَةِ ووُضُوحَ الصَّوَابِ. [ح ٢٠: ٢٦٩]

١٨٣٢ ـ يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: محِبٌّ مُفْرِطٌ، وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ[٣].

وهذا مثل قوله رضي الله عنه:

هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، ومُبْغِضٌ قَالٍ[٤]. [ر ٢: ٢٦١]

١٨٣٣ ـ يَوْمَ المَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى المَظْلُومِ[٥]. [ر ٢: ٢٠٣]

= عن المرض الذي يستوجب شرب الدواء الكريه الطعم والمذاق. فمن العقل أن يدخر الإنسان من صحته وشبابه، لمرضه وهرمه، ولا تغتر بالعافية فإنها عارية مستردة وفي البخاري: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» أي إن الناس لا يغتنمونهما، ثم لا يعرفون قدرهما إلا عند زوالهما.

(١) الفرق: الخوف، وبابه طرب.

(٢) يرتئيه: افتعال من الرأي: أي فيما يفكر فيه.

(٣) بهته كمنعه: قال عليه ما لم يقل، ومفتر: اسم فاعل من الافتراء.

(٤) الغالي: المجاوز الحد في الأمر. والقالي: المبغض: من قلاه يقليه قلى ـ بالكسر والقصر ـ وقلاء بالفتح والمد ـ والمراد بالمحب المفرط الغالي بعض الفرق التي اعتقدت فيه الألوهية!! وبالباهت المفتري، والمبغض القالي: الذين سبوه وتبرأوا منه وحكموا عليه بالكفر ولقد صدق الحسن البصري في قوله: مثل «علي» في هذه الأمة مثل المسيح في بني إسرائيل: أحبه قوم فكفروا!! وأبغضه قوم فكفروا!!

(٥) المراد: أن ما يلقاه الظالم يوم القيامة، أشد مما لقيه المظلوم منه في الدنيا، وأين عذاب المخلوقين من عذاب الخالق؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

مراجع الكتاب

١ ـ أسرار البلاغة لبهاء الدين العاملي ـ مكتبة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٥٧م.
٢ ـ الإعجاز والإيجاز للثعالبي ـ المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧م.
٣ ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠م.
٤ ـ التمثيل والمحاضرة للثعالبي ـ عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦١م.
٥ ـ دستور معالم الحكم للقضاعي ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩١٤م.
٦ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٤م.
٧ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة طبع دار الكتب ١٩٦٣م.
٨ ـ الكامل للمبرد ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦م.
٩ ـ نهج البلاغة ـ طبع بيروت.

فهرس المحتويات